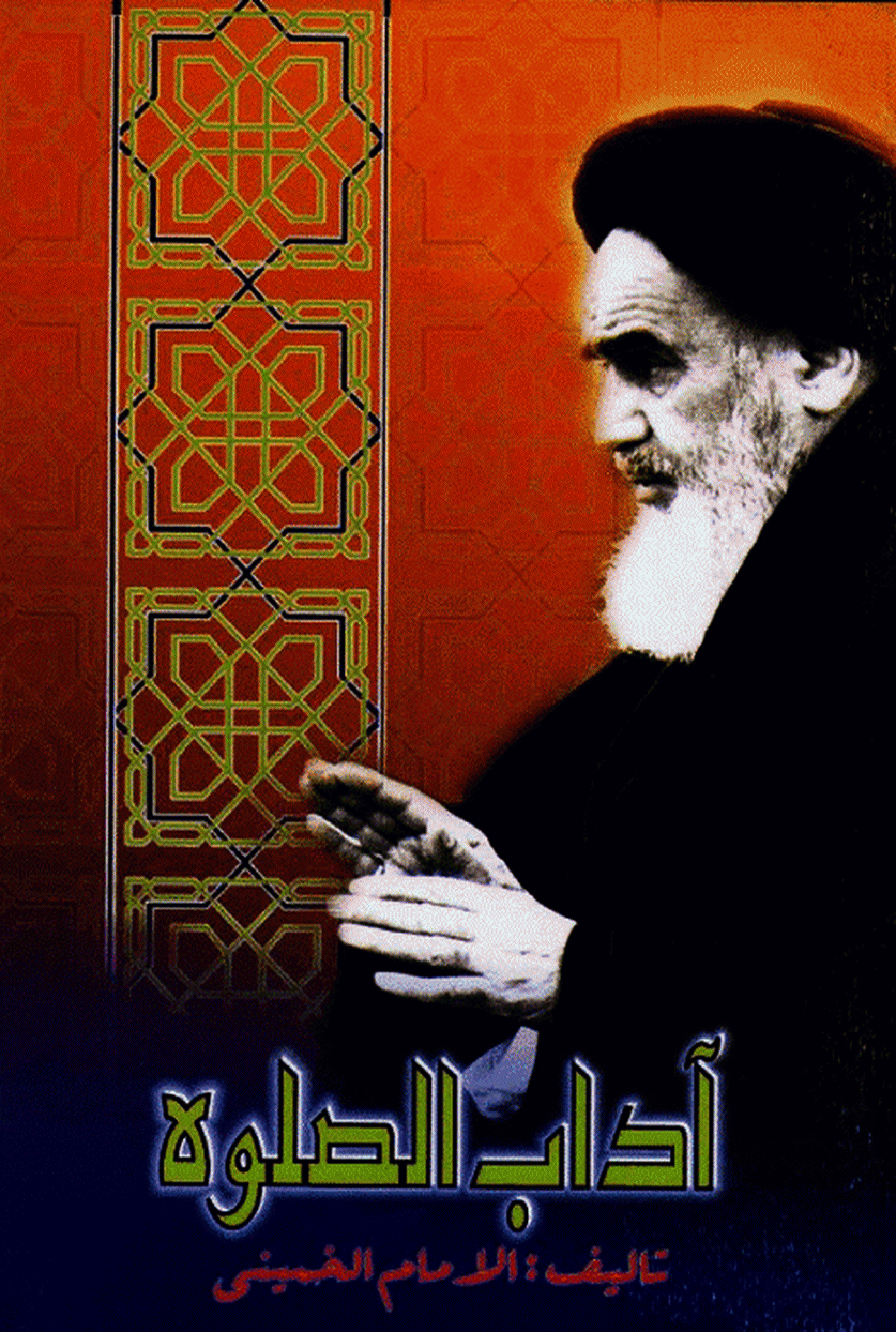

آداب الصلوة

تاليف : الامام الخميني

بسم الله الرحمن الرحیم

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

آداب الصلاة

تأليف

المرجع الاسلامي الكبير

الامام روح الله الموسوي الخميني قدس سره

مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني قدس سره

الشؤون الدولية

کتابخانه
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی
شماره ثبت: ۰۱۳۸۷۴
تاریخ ثبت :

خمینی، روح‌الله، رهبر انقلاب و بنیانگذار جمهوری اسلامی ایـران، ۱۲۷۹ـ۱۳۶۸. آداب نماز. عربی (آداب الصلاة) / امام خمینی. (ویرایش ۲). تهران: مؤسسه تنظیم و نشر آثار امام خمینی(س)، ۱۳۷۴. ۵۴۰ ص.

ISBN: 964 - 335 - 327 - 3

فهرستنویسی براساس اطلاعات فیپا.

عربی. کتابنامه: به صورت زیرنویس. ۱. نماز الف. مؤسسه تنظیم و نشر آثار امام خمینی(س) - معاونت امور بین‌الملل. ب. عنوان.

BP ۱۸۶ / ۲ / الف ۴ آ ۸ خ　　۲۹۷ / ۳۵۳

کتابخانه ملی ایران　　۱۱۳۶۶ـ ۷۸ م

کد / م ۶۰۸

قسم الشؤون الدولية

الكتاب: آداب الصلاة

المؤلف: سماحة الإمام الخميني قدس سره

الناشر: مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني قدس سره - الشؤون الدولية

العنوان: طهران - شارع الدكتور باهنر - شارع ياسر - رقم ۳ - الرمز البريدي: ۱۹۷۷٦

الطبعة: الخامسة، ۲۰۰۳ م

الكمية: ۵۰۰۰ نسخة

الهاتف: ۲۲۸٤٦۰٤ - ۲۲۸۳۱۳۸

الفاكس: ۲۲۹۰٤۷۸

السعر: ۲۰۰۰۰ ريال

البريد الالكتروني: info.imam-khomeini@org.com

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

يعدُّ كتاب «آداب الصلاة»، الذي فرغ الإمام الخميني ﴿قدس سره﴾ من تحريره في الثاني من ربيع الثاني عام ١٣٦١هجري، بياناً تفصيلياً لآداب الصلاة القلبية واسرارها المعنوية. وكان سماحته حرر قبل ذلك بثلاثة اعوام كتاباً قيّماً أسماه «سرّ الصلاة»، حوىٰ المعاني ذاتها ولكن بشكل موجز واسلوب لغوي يختصّ بأهل العرفان[1]. ثم شرع بتأليف هذا الكتاب بأسلوب سهل لتتحقق الفائدة منه لأكبر عدد من القرّاء، لذا نراه يقول في مقدمته:

«قبل هذا الكتاب حررت رسالة ضمّنتها قدرا ميسوراً من أسرار الصلاة، ولكونها لا تناسب حال العامة، رأيت أن أحرر سطراً من الآداب القلبية لهذا المعراج الروحي، علّ إخوتي في الإيمان ينالون منها تذكرة ويتأثر القلب القاسي بها».

وقد طبع كتاب آداب الصلاة تحت عنوان «تحليق في الملكوت» متضمناً توضيحات وتعديلات. ثم نشر فيما بعد كما خطّه المؤلف. ونظراً لإفتقار

---

(١) نشرت مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني عام ١٩٩٣ النص الكامل والمنقّح لكتاب «سرّ الصلاة» مضافاً اليه توضيحات وفهارس مع صورة النسخة الخطية.

الطبعات السابقة الجودة المطلوبة، بسبب عدم توفر النسخة الخطية لدى الناشرين، ارتأت «مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني» مطابقة تلك النسخ مع النسخة الخطيّة مراعاة للدقة والامانة، واصدار الكتاب بحلّة جديدة.

وللكتاب مقدمتان حررهما سماحة الإمام عام ١٩٨٤م، أهدىٰ فيهما الكتاب إلى نجله «سماحة السيد أحمد الخميني» وعقيلته «السيدة فاطمة الطباطبائي»، ارتأت المؤسسة الحاقهما بالكتاب تعميماً للفائدة.

كما تجدر الاشارة الى ان هذه الطبعة تضمنت هوامش وتوضيحات ارجعنا فيها الأحاديث والنصوص المنقولة الى مصادرها، أما تعليقات الإمام عليها فقد ذيلت بعلامة(*).

هذا وقد خصصت المؤسسة ألف نسخة من هذه الطبعة ـ التي ضمّت النص الخطيّ والمطبوع معاً ـ للمكتبات العامة والمحققين في المتون الخطية للإمام، أما الكمّية المتبقية فقد اقتصرت على النص الخطيّ فقط. ولا يفوتنا هنا تقديم الشكر الى جميع المسؤولين العاملين الذين ساهموا باخلاص في اخراج الكتاب بحلّة جديدة. كما نتقدم بالشكر الى السادة المسؤولين والعاملين في «شركة المنشورات العلمية والثقافية» الذين لم يألوا جهداً في إصدار هذه الطبعة من الكتاب.

وختاماً نزجي التحية والسلام الى الخميني الكبير، سائلين العلي القدير أن يوفقنا للمزيد من العطاء على طريق خدمة الاسلام.

مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني قدس سره

الشؤون الدولية

رسالة الإمام الخميني قدس سره
الى نجله حجة الاسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني
يهديه فيها الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

اهدي كتابي «آداب الصلاة» - إذ لم أجنِ منه أنا شخصياً سوى الأسف على قصوري وتقصيري في ما خلا من أيام عمري التي كنت قادراً فيها على بناء النفس؛ سوى الحسرة والندامة في مرحلة الشيخوخة حيث يدي خالية وحملي ثقيل والسفر بعيد والبلاء شديد، ولحن الرحيل يتردد في سمعي - الى ولدي العزيز «أحمد»، لعلّه (إن شاء الله) ينتفع - وهو يتمتع بقوة الشباب - بمحتواه ممّا جمعته من كتاب الله والسنّة المطهرة وما أُثر عن الاولياء العظام، فيرقى - مستفيداً من ارشادات اهل المعرفة - المعراج الحقيقي، ويستنقذ قلبه من هذه الظلمة، ويُوفَّق لبلوغ مقصد الإنسانية الاصلي الذي توجّه نحوه انبياء الله العظام وأولياؤه الكرام (صلوات الله وسلامه عليهم) واهل الله، وأدعو الآخرين اليه.

بنيّ: اسعَ للعثور على نفسك المعجونة بفطرة الله، واستنقذها من مستنقع الضلالة وأمواج العجب والأنانية، واركب «سفينة نوح» التي هي «ولاية الله»، **«فإن من ركبها نجا ومن تخلّف عنها هلك».**

بنيّ: اجهد أن يكون سيرك في «الصراط المستقيم» - صراط الله - وإن كان ذلك بخطيً وئيدةٍ بطيئة؛ واسعَ ان تكون حركات قلبك وسكناته وسائر

جوارحك في إطار التسامي والإرتباط بالله، واحرص على السعي في خدمة الخلق لأنهم خلق الله، فرغم أن انبياء الله العظام والخواص من اوليائه تعالى لم يتعلقوا بالدنيا قط ـ مع أنهم كانوا يمارسون ما يمارسه الآخرون ـ لما يميز ممارساتهم من كونها بالحق وللحق، إلّا إنه رُوي عن خاتم النبيين صلى الله عليه وآله قوله: «إنه ليغان على قلبي، واني لاستغفر الله في كلّ يومٍ سبعين مرةٍ»[(١)]، ولعله كان يرى أنّ رؤية الحق في الكثرة كدورة.

بنيّ: تهيأ بعدي لمواجهة مختلف مشاعر الجفاء والضغائن التي أكنّتها الصدور مني، فسوف تنعكس عليك، واذا كان حسابك مع ربّك سليماً، وتحصّنت بذكر الله، فإنك لن تخشى الخلق، فأمر الخلق وحسابهم هينٌ سريع الإنقضاء، والأزلي هو الحساب امام الحقّ تعالى.

بنيّ: قد تُعرضُ عليك بعدي المناصب، فإن كانت نيتك خدمة الجمهورية الاسلامية والإسلام العزيز فلا ترفض، ولكن اذا كانت نيتك ـ لا قدّر الله ـ إطاعة هوىٰ النفس وإرضاء الشهوات فاجتنب القبول، إذ لا قيمة للمقامات والمناصب الدنيوية كي تضيّع نفسك من اجلها.

اللّهم مُنَّ على (أحمد) وذريته واهل بيته ـ وهم عبادك ومن نسل رسولك الأكرم صلواتك عليه وعلى آله ـ بالسعادة في الدنيا والآخرة، واحفظهم من شرّ الشيطان الرجيم. اللّهم خُذ بأيدينا نحن الضعفاء العاجزين المتخلّفين عن قافلة السالكين. اللّهم عاملنا بفضلك ولا تعاملنا بعدلك.

والسلام على عباد الله الصالحين

٢٣ ربيع الأوّل ١٤٠٥ هجري

روح الله الموسوي الخميني

---

(١) مستدرك الوسائل: كتاب الصلاة، ابواب الذكر، باب ٢٢، ح ١.

والتغوّن الاصرار على المعاصي. والغَين: غِينَ على قلبه غيناً: تغشته الشهوة (لسان العرب).

رسالة الإمام الخميني قدس سره

الى السيدة فاطمة الطباطبائي، عقيلة السيد احمد الخميني يهديها فيها الكتاب

لهفي، فذا العمر انقضىٰ بَطالةً
مخلِّفاً أثقاله .. معاصياً ثقالا
فما انقضىٰ في طاعةٍ
وذاهب اني غداً لساحةِ العقاب
فاسمع المقالة
قد انقضىٰ اوانها الندامة

بسمه تعالى

اهدي ابنتي العزيزة «فاطي»[1] كتاب «آداب الصلاة» - جعلها الله من المصلين - وإنْ كُنت أنا شخصياً لم أبلغ أسرار الصلاة، ولم أتأدب بآدابها، رغم انقضاءِ ما ينوف على الأربعين عاماً على تأليف هذا الكتاب الذي كنت قد ألّفته بعد بضع سنين من تأليف كتاب «سرّ الصلاة».

ولا جرم، فإن إدراك سرّ الصلاة والتحلّي بآدابها غير التصنيف فيها، وإقامتها بحدودها غير التأليف عنها.

بل إن هذه الكتب حجة المولىٰ تعالىٰ علىٰ هذا العبد الفقير القليل الزاد

---

(١) ترخيم فارسي لإسم «فاطمة» تودداً.

والبضاعة، فبالله أعوذ من أن أكون مصداقاً من مصاديق الآية الكريمة التي يثير التأمل فيها الخوف والرهبة: ﴿يا أيها الذين آمنوا لِم تقولون ما لا تفعلون*كبُر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾[1] ولا ملاذ سوى رحمته التي وسعت كل شيء.

والأمل أن توفَّقي -أنت يا ابنتي- للتحلّي بآداب هذا المعراج الإلهي العظيم، فتهاجري من منزل النفس المظلم الى الباري تعالى بهداية هذا «البراق الإلهي». وأعيذك بالله العظيم من فرط تعلق النفس -بعد قراءة هذه الأوراق- فتصبحي كمؤلف الكتاب ألعوبةً للشيطان.

بُنيّة

رغم ما ألمسه فيك من رهافة حسٍّ تدعو الى الأمل في أن تنالك هداية الله تعالى، فتخرجي -بألطافه جَلَّ وعلا- من غيابة بِئر الطبيعة السحيق، وتجدي السبيل الى سلوك طريق الانسانية المستقيم، بيد أنّ عليك أن لا تغفلي عن كيد الشيطان والنفس الأشدّ خطراً من الشيطان، فلتستعيذي بالله جلّت عظمته فهو الرحيم بعباده.

بُنيّة

إذا لم تحصلي من مطالعة هذه الأوراق إلّا على التظاهر والمباهاة والتفاخر في المجالس، فحريٌّ بك أن تُعرضي عن مطالعتها، بل أن تحرصي على تجنبها لئلا يصيبك الأسى والندم كما أصابني.

اما اذا تأهّبتِ -إن شاء الله- وأرهفت سمع الروح لإدراك معاني مباحثها التي جُمعت مما ورد في الكتاب والسنّة وأحاديث اهل بيت العصمة عليهم السلام وما أفاض به أهل المعرفة، وبادرتِ الى الاستفادة عملياً مما أنعم الله تعالى به عليكِ من لياقةٍ وشفافيةٍ في القريحة، فاشرعي بمطالعتها على اسم الله تعالى و «هذا أوان

(١) الصف: ٢ و٣.

الشدّ فاشتدّي زِيَمْ»*.

آمل أن توفّقي لإفراغ القلب من «الأغيار» عند العروج في هذا المعراج الانساني والمركب الرحماني، ولتطهيره بماء الحياة و بـ«التكبيرات الأربع»[(١)]، ولعتق نفسك من رقّ العُجب، حتى تصلي الحبيب ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله﴾[(٢)].

اللّهم اجعلنا من المهاجرين إليك والى رسولك وأوصلنا الى الفناء في الحق، ومُنَّ على «فاطي» و «أحمد» بالتوفيق لكسب رضاك ونيل السعادة. والسلام.

الثاني من صفر المظفر ١٤٠٥ هجري

روح الله الموسوي الخميني

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(*) ورد في الأصل الفارسي «هذا البطلُ وهذا الميدان»، وقد أوردنا المثل العربي المكافئ لما في الأصل.

(١) سيأتي توضيح المراد بالتكبيرات الأربع لاحقاً.

(٢) النساء: ١٠٠.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن الى قيام يوم الدين

اللهم إنّ وسيلة سيرنا قاصرةٌ عن إيصالنا الى ساحة قدسك... وإنّ يد طلبتنا تقصر عن بلوغ أنسك... فقد حجبت حجب الشهوة والغفلة بصائرنا عن جمالك الجميل... وافرغت ستائر الشيطنة وحبُّ الدنيا الثقيلة قلوبنا من التوجه الى عزّ جلالك.

إنّ طريق الآخرة ضيقٌ ودقيق، وسبيل الإنسانية أدقُّ ونحن حيارى عاجزون، نلفّ ـ بتفكيرنا العنكبوتي في القديد ـ خيوط الشهوات والآمال حول أنفسنا ـ كدود القزّ ـ منقطعين بذلك عن عالم الغيب ومحفل الأنس تماماً، لا نملك إلّا الأمل بتكرمك علينا ببارقة منك تنوّر أبصار قلوبنا، وجذوةٍ غيبية تذهلنا عن أنفسنا:

«إلهي هب لي كمال الإنقطاع إليك، وأنِر أبصار قلوبنا بضياء نظرها اليك، حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور، فتصل إلى معدن العظمة،

وتصير أرواحنا معلقة بعزّ قدسك...»[١].

وبعد... فقد قمت قبل بضع سنين بإعداد رسالة ضمنتها ما تيسر من أسرار الصلاة[٢]، ولما كانت غير مناسبة لحال العامّة، رأيت أن أحرر شطراً من الآداب القلبية لهذا المعراج الروحي علّهُ يكون تذكرة لإخواني المؤمنين، وعسى أن يَهزَّ -ماأفعل- قلبي القاسي. وقد جعلتها في مقدمة وعدّة مقالات وخاتمة. وبالله -تبارك وتعالى- أستعيذ من الخذلان وتسلُّط الشيطان إنه وليٌّ قدير.

(١) مقطع من المناجاة الشعبانية. راجع بحار الأنوار: ج٩١، ص٩٩ ومفاتيح الجنان: ص١٥٦.

(٢) اشارة الى كتاب «سرّ الصلاة» الذي اتمّ سماحته تأليفه في الحادي والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة ١٣٥٨ هجري.

المقدمة

اعلم أنَّ للصلاة معنىً غير هذه الصورة، وباطناً غير هذا الظاهر.

وكما أن لهذا الظاهر آداباً يؤدي الإخلال بها الى بطلان الصلاة الصورية أو نقصانها، فإنَّ لباطنها أيضاً آداباً قلبيةً يؤدي الإخلال بها الى بطلان الصلاة المعنوية او نقصانها، تماماً كما ان مراعاتها تجعل للصلاة روحاً ملكوتية قد تجعل المصلي ينال ـ بعد الحرص على مراقبتها والإهتمام بها ـ نصيباً من «السرِّ الإلهيِ» لصلاة أهل المعرفة وأصحاب القلوب، الذي يعدُّ قُرّة عين أهل السلوك وحقيقة معراج قرب المحبوب.

أما قولنا بأنَّ للصلاة باطناً وصورةً غيبيةً ملكوتيةً، ففضلاً عن أنه يوافق نمطاً من أنماط الإستدلال ويتفق مع مشاهدات اصحاب السلوك والرياضات، فإنَّ كثيراً من الآيات الشريفة والأخبار المأثورة تدلُّ على ذلك دلالة عامة أو خاصة. ولنعطر هذه الصفحات بذكر جانب من تلك الآيات والروايات:

يقول تعالى: ﴿**يوم تجد كلُّ نفس ما عملت من خيرٍ محضراً وما عملت من سُوءٍ تودُّ أن بينها وبينه أمداً بعيداً**﴾[1]. فهذه الآية الكريمة تدلُّ بوضوحٍ على أنّ كل إنسان سيرى أعماله الصالحة والطالحة محضرةً ويعاين صورها الغيبية الباطنية.

---

(١) آل عمران: ٣٠.

ويقول تعالى: ﴿ووجدوا ما عملوا حاضراً﴾(١) ويقول: ﴿فمن يعمل مثقال ذرّةٍ خيراً يره* ومَن يعمل مثقال ذرةٍ شراً يره﴾(٢) الى غير ذلك من الآيات الكريمة.

أما الأحاديث الشريفة في هذا المجال فهي أكثر من ان تستوعبها هذه الصفحات، ونكتفي بذكر بعضٍ منها:

عن الإمام الصادقعليه السلام: «**من صلّى المفروضات في أول وقتها وأقام حدودها رفعها المَلَكُ الى السماء بيضاء نقيّةً تقول: حفظك الله كما حفظتني واستودعك الله كما استودعتني ملكاً كريماً. ومن صلّاها بعد وقتها من غير علّةٍ فلم يُقم حدودها، رفعها المَلَكُ سوداء مُظلمة وهي تهتف به: ضيّعتني ضيَّعك الله كما ضيعتني، ولا رعاك الله كما لم ترعني**»(٣).

وهذا الحديث يدلُّ على أن ملائكة الله يرفعون الصلاة الى السماء: إما نقية بيضاء إذا أُقيمت في أوّل وقتها وروعيت آدابها، وهي ـ والحال هذه ـ تدعو لمصلّيها بالخير؛ أو سوداء مظلمة إذا أُخّرتْ دون عُذرٍ ولم تُقَم حدودها، وهي ـ والحال هذه ـ تدعو على مصلّيها.

وفضلاً عن تضمن الحديث دلالة واضحة على ان للصلاة صوراً غيبيةً ملكوتية، فهو يدلُّ كذلك على وجود الحياة فيها، وهو أمر ثابت دلّت عليه الآيات والروايات، كما في قوله تعالى: ﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان﴾(٤).

وهناك العديد من الأحاديث التي تعضد الحديث السابق، أعرضنا عن ذكرها تجنباً للإطالة. وفي حديثٍ آخر عن الإمام الصادقعليه السلام: «**اذا دخل المؤمن في قبره، كانت الصلاة عن يمينه، والزكاة عن يساره، والبر مُطلٌّ عليه،**

---

(١) الكهف: ٤٩.

(٢) الزلزلة: ٧ ـ ٨.

(٣) وسائل الشيعة: كتاب الصلاة، ابواب المواقيت، باب ٣ (ج ٣، ص ٩٠).

(٤) العنكبوت: ٦٤.

ويتنحى الصبر ناحيةً، فاذا دخل عليه الملكان اللذان يليان مساءلته قال الصبرُ للصلاة والزكاة والبر: دونكم صاحبكم فإن عجزتم عنه فأنا دونه»[1].

وهذا الحديث ـ الذي رواه الكليني في كتاب الكافي بطريقين والصدوق رحمه الله في كتاب ثواب الأعمال ـ واضح الدلالة على وجود الصور الغيبية البرزخية للأعمال وتمتعها بالحياة والإحساس.

والأحاديث حول تمثّل القرآن والصلاة بصورٍ ملكوتية، كثيرة.

أما قولنا بأن للصلاة وسائر العبادات آداباً قلبيةً ـ غير الآداب الصورية ـ بدونها تكون الصلاة ناقصةً أو غير مقبولة أصلاً لدى الباري جلت عظمته، فسوف نتعرض له عند تعداد الآداب القلبية إن شاء الله.

غير أن ما تجب الإشارة اليه هنا، أن الإكتفاء بصورة الصلاة وظاهرها، والحرمان من بركاتها وكمالاتها الباطنية التي توجب السعادة الأبدية، بل التي تؤدي الى بلوغ جوار ربّ العزّة وتكون مرقاة العروج الى مقام الوصول لوصال المحبوب المطلق ـ وذلك غاية آمال الأولياء، ومنتهى طموح أصحاب المعرفة وأهل القلوب، بل قرة عين سيد الرسل صلى الله عليه وآله ـ يعدُّ أشد مراتب الخسران والضرر المفضي ـ بعد مغادرة هذا العالم ومواجهة الحساب الإلهي ـ الى اشكال الحسرات التي يعجز عقلنا عن إدراكها، فنحن لن نستطيع إدراك ما في ذلك العالم، وما دمنا في حجاب عالم المُلك وخدر الطبيعة فكلُّ ما نستطيعه هو أن نمدَّ أيدينا الى دفء النار من بعيد.

وأيُّ أمرٍ أشدُّ حسرةً وندامةً وخسراناً من أن تصبح وسيلة كمال سعادة الانسان وبلسم علل نقائصه القلبية ـ وفي الحقيقة الصورة الكمالية للانسان ـ بعد أربعين أو خمسين سنةً من العناء وبذل الجهد فيها، غير مفضيةٍ الى تحقيق

(١) الاصول من الكافي: كتاب الإيمان والكفر، باب الصبر، حديث ٨. كذلك انظر ثواب الاعمال: ص٢٠٣.

أيّة فائدة روحية على الاطلاق؟.

أهو أمر يسير أن تصير هذه الوسيلة سبباً في الكدورة القلبية والحجب الظلمانية، وتكون -وهي قُرة عين الرسول الأكرمﷺ - سبباً لضعف بصيرتنا؟ ﴿يا حسرتا على ما فرطتُ في جنب الله﴾[1].

إذن، شدَّ حزام العزم يا عزيزي ومُدَّ يدَ الطلب، واسعَ في إصلاح حالك مهما كلفك ذلك من تعبٍ ومشقة، وجُدَّ في تحقيق الشرائط الروحية لصلاة أهل المعرفة، وانتفع بهذا الدواء الإلهي الناجع الذي أُعدَّ بالكشف المحمدي التامﷺ ليعالج أمراض النفوس وعيوبها.

فهاجر بنفسك وخلِّصها من دار الظلمةِ والحسرةِ والندامة، واستنقذها من هذه الهوّة السحيقة في بعدها عن ساحة الربوبية المقدسة، مادام في الوقت متسع، وأوصل نفسك بمعراج الوصال وقرب الكمال، فإن هذه الوسيلة إنْ ضاعت من يديك انقطعت بك السبل، فهي «إن قُبلت قُبل ما سواها، وإن رُدَّت رُدَّ ما سواها»[2].

وسوف نعمد فيما يأتي الى تبيان الآداب الباطنية لهذا السلوك الروحاني قدر الإمكان وبقدر ما يلزم، لعلّ ذلك يؤدي الى أن يصبح لبعض أهل الإيمان نصيب منها. ولعلَّ هذا بحدِّ ذاته يكون سبباً لنزول الرحمة الإلهية والمدد الغيبي على هذا المتخلف عن جادة السعادة والإنسانية، الرازح في قيوده في سجن الطبيعة والأنانية، إنه وليُّ الفضل والعناية.

---

(١) الزمر: ٥٦.

(٢) راجع «من لا يحضره الفقيه» ج١، فضل الصلاة، باب ٣٠، الحديث الخامس وفيه: «أول ما يحاسب به العبد الصلاة، فاذا قبلت قُبل منه سائر عمله، وإن ردت رُدَّ عليه سائر عمله».

المقالة الأولىٰ

الآداب الضرورية لجميع حالات الصلاة، بل لجميع المناسك والعبادات

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الأوّل

عزّ الربوبية وذلّ العبودية

أحد الآداب القلبية المطلوبة في العبادات، والوظائف الباطنية لسالك طريق الآخرة، «الالتفات الى عزِّ الربوبية وذُلِّ العبودية» وهو من المنازل المهمة للسالك، فقوة سلوك السالك تعتمد على قوة هذا «الالتفات»، بل إن كمال إنسانية الإنسان ونقصها مرتبط بكمال هذا الالتفات ونقصه، وكلما غلب على الإنسان التوجّه والإلتفات الى الإنّية والأنانية والعُجب والغرور كان بعيداً عن كمال الإنسانية ونائياً عن مقام قرب الربوبية.

إن حجاب العُجب والغرور أشدُّ الحجب سمكاً وكثافةً وأكثرها ظلمانية وأصعبها اختراقاً. وخرق الحجب جميعاً يعدُّ مقدمةً، أما خرق هذا الحجاب فهو مفتاح مفاتيح الغيب والشهادة، وباب أبواب العروج الى كمال الروحانية.

والإنسان مادام محدّقاً في نفسه ومنشدّاً الى الكمال والجمال الوهمي فهو محجوب وبعيد عن الجمال المطلق والكمال الصرف، والخروج من هذا المنزل هو الشرط الأول من شروط السلوك الى الله، بل إنه ـ تحديداً ـ المميّز بين الرياضة الحقةِ والباطلةِ.

فكلُّ سالك يطوي المنازل بخطىٰ الأنانية والعُجب والغرور ويسير بحجاب الإنّية وحبّ النفس فرياضته باطلةٌ وسلوكه ليس الى الله، بل الى النفس «إن أمّ

الأوثان وثن النفس»[١].

قال تعالى: **﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله﴾**[٢] و«الهجرة الصورية» و«صورة الهجرة» هي الهجرة بالبدن من المنزل المادي الى الكعبة أو مراقد الأولياء عليهم السلام مثلاً. أما الهجرة المعنوية فهي الخروج من «بيت النفس» و«منزل الدنيا» الى الله ورسوله. فالهجرةُ الى الرسول والولي عليهما السلام هي هجرة الى الله ايضاً.

إذن فالسالك مادام متعلقاً بنفسه متوجّهاً الى إنّيته فهو ليس بمسافر، ومادام يرى آثار الأنانية وجدران مدينة نفسه قائمة ويسمع أذان حُبّ النفس فهو في حكم الحاضر لا المسافر والمهاجر. ورد في «مصباح الشريعة» أن الصادق عليه السلام قال: **«العبودية جوهرةٌ كنهها الربوبية، فما فُقد من العبودية وُجد في الربوبية، وما خُفي من الربوبية أُصيب في العبودية»**[٣].

فمن يسير بخُطى العبودية ويكوي ناصيته بجمر ذُلّ العبودية يصل الى عزّ الربوبية، فالوصول الى حقائق الربوبية إنما يكون بالسير في مدارج العبودية. وكلُّ ما يُفقد من الإنّية والأنانية في العبودية، يُدرك في ظل حماية الربوبية، وحتى بلوغ ذلك المقام الذي يكون الحق تعالى فيه هو السمع والبصر واليد والرجل، كما أشار الى ذلك الحديث الصحيح المشهور بين الفريقين[٤].

أمّا إذا ارتقى السالك مرتبةً أعلى وتخلّى عن صلاحياته وفوّض أمر حكومة وجوده بالكامل الى الحق تعالى، وأوكل أمر البيت لصاحب البيت وفُني في عزّ الربوبية، فإن صاحب بيته سيصبح هو المتصرف في الأمور، وعندها ستكون

---

(١) تعريب لصدر بيت شعر للشاعر جلال الدين الرومي.

(٢) النساء: ١٠٠.

(٣) مصباح الشريعة: «في حقيقة العبودية» ـ باب ١٠٠.

(٤) إشارة الى حديث «قرب النوافل» القدسي: «... وإنه ليتقرب إليّ بالنافلة حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته...». يُراجع أصول الكافي: كتاب الإيمان والكفر ـ باب من آذى المسلمين واحتقرهم «ج ٤، ص ٥٣».

تصرفات السالك تصرفات إلهيّة، فتصبح عينه إلهيةً فينظر بعين الحق، وأذنه إلهيّة فيسمع بأذن الحق.

والعكس صحيح كذلك، فكلما كانت ربوبية النفس كاملةً، وكلما كان عِزّها مأخوذاً في الإعتبار، قلّ ونقص عِزُّ الربوبية بالمقدار نفسه، فهما نقيضان «الدنيا والآخرة ضرّتان»(١).

إذن فمن الضروري للسالك الى الله أن يدرك مقام ذُلّ نفسه، وأن يجعل «ذلّ العبودية وعزّ الربوبية» نُصب عينيه يتأمل فيه، فكلما ترسخ لديه الاعتقاد بهذا الشعار، ازدادت عبادته روحانية، وقويت روح العبادة فيه، حتى إذا تمكن ـ بمعونة الحق تعالى وأوليائه الكمّل عليهم السلام ـ من الوصول الى حقيقة العبودية وكنهها، نال نفحةً من سرّ العبادة.

وجميع العبادات ـ خصوصاً الصلاة التي لها صفة الشمول بالنسبة لباقي العبادات والتي لها بين سائر العبادات منزلة الإنسان الكامل ومنزلة الإسم الأعظم بل إنها الإسم الأعظم ذاته ـ تنطوي على هذين المقامين ـ مقام عِزّ الربوبية (وهو الحقيقة) ومقام ذُلّ العبودية (وهو أمَةُ تلك الحقيقة ووصيفتها) ـ وبشكلٍ اختصّا فيه بالقنوتِ من الصلوات المستحبة وبالسجدةِ من الصلوات الواجبة، وسوف نشير الى تفصيل ذلك لاحقاً إن شاءالله.

وهنّا لابدَّ من الإشارة الى أن العبودية المطلقة هي من أعلى مراتب الكمال ومن أرفع مقامات الإنسانية، ولا نصيب لأحد من البشر منها سوى أكمل خلق الله محمد صلى الله عليه وآله أصالةً وسائر الأولياء الكمّل عليهم السلام تبعاً له. أما من سواهم فقدم عبوديتهم عرجاء وعبادتهم وعبوديتهم معللة بأسبابٍ أُخرى.

ولما كان من غير الممكن الوصول الى المعراج الحقيقي المطلق إلّا بقدم

---

(١) نهج البلاغة: قصار الحكم، الحكمة ١٠٣ وفيها: «... إنّ الدنيا والآخرة عدوان متفاوتان، وسبيلان مختلفان، فمن أحب الدنيا وتولاها أبغض الآخرة وعاداها، وهما بمنزلة المشرق والمغرب وماشٍ بينهما، كلما قرب من واحد بعد من الآخر، وهُما بَعدُ ضرّتان».

العبودية، نرى أن قدم العبودية وجذبة الربوبية هي التي أسرَت بتلك الذات المقدسة الى معراج القرب والوصول، لذا قال تعالى: ﴿**سبحان الذي أسرىٰ بعبده...**﴾[1] ولهذا ايضاً كان تأكيد العبودية قبل الرسالة في تشهد الصلاة الذي يمثل الرجوع من الفناء المطلق المتحقق في السجدة. ولعلَّ في ذلك ايضاً إشارةً الى أن مقام «الرسالة» بالنتيجة هو ثمرةٌ لجوهرة العبودية، وفي هذا الموضوع تفصيلات طويلةٌ تخرج عن نطاق المهمة الخاصة بهذه الصفحات.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) الإسراء: ١.

الفصل الثاني

مراتب مقامات أهل السلوك

اعلم أن أهل السلوك في مقام «ذلِّ العبودية وعزِّ الربوبية» على مراتب ومدارج لا تُحصىٰ، نعمد هاهنا الى ذكر بعضها بشكل إجمالي، فالإحاطة بجميع المراتب وإحصاؤها مما يفوق وسع هذا الحقير «**فالطرقُ الى الله بعدد أنفاس الخلائق**»[1].

إحدىٰ تلك المراتب مرتبة «العلم»، إذ يثبت «ذلُّ العبودية وعزُّ الربوبية» بالمسار العلمي والبرهان الفلسفي، فأحد لباب المعارف التي جلّتها العلوم العالية والحكمة المتعالية: أن دار التحقق بأسرها، ودائرة الوجود بتمامها، ارتباط وتعلق صرف، وفقر وفاقة محضة، وأن العزّة والملك والسلطان إنّما تخصُّ ذات الكبرياء المقدسة، ولا نصيبَ لأحد من العزّة والكبرياء، وأن ذُلَّ العبودية والفقر يسم نواصي الخلق جميعاً، ويمدّ جذوره الى لبِّ حقيقتهم، وحقيقة العرفان والشهود والنتيجة المرتجاة من الرياضة والسلوك إنما هي كشف الحجاب عن وجه الحقيقة ورؤية «ذُلّ العبودية» و «أصل الفقر» و «التدلي» في النفس وفي الموجودات جميعاً. ولعل في الدعاء المنسوب الى سيد

---

(١) منسوب الى النبي الأكرم ﷺ، راجع جامع الأسرار ومنبع الأنوار للسيد حيدر الآملي: ص٨، ٩٥، ١٢١.

الكائنات صلى الله عليه وآله: «اللّهم أرني الأشياء كماهي»[1] إشارة الى مقام طلب مشاهدة ذلّ العبودية الذي يستلزم بدوره شهود عزّ الربوبية.

اذن، فسالك سبيل الحقيقة ومسافر طريق العبودية سيقع ـ إن هو طوىٰ هذا المنزل بخطى السلوك العلمي ومركب السير الفكري ـ في حجاب العلم ويصل مقام الإنسانية الأول، غير أن هذا الحجاب من الحجب السميكة وكما قالوا: «العلم هو الحجاب الأكبر»، وعلى السالك أن لا يظلّ فيه وأن يخرقه، فقد يتعرض ـ اذا ما رضي بهذا المقام وحبس قلبه في هذا القيد ـ الى «الاستدراج».

والإستدراج في هذا المقام يكون بالإنشغال في التفريعات العلمية وإطلاق الذهن في إقامة البراهين الكثيرة على هذا الأمر، وبذا يُحرم السالك من المنازل الاخرى ويصبح قلبه متعلقاً بهذا المقام، فيغفل عن الهدف المنشود المتمثل في الوصول الى فِناء الله، ويقضي عمره في حجاب البرهان وتشعباته. وكلما زادت «الكثرة» فروعاً كبر الحجاب واشتدّ الاحتجاب عن الحقيقة.

إذن ينبغي للسالك أن لا ينخدع بمكر الشيطان في هذا المقام، فيحجب عن الحق والحقيقة بواسطة كثرة العلم وغزارته وقوة البرهان ويتخلّف بذلك عن السعي في الطلب، بل عليه أن يتمنطق بالهمّة وأن لا يغفل عن الجدّ في طلب المطلوب الحقيقي حتى يرقىٰ الى المقام الثاني الذي يتحقق بأن يكتب السالك بقلم العقل ما أدركه العقل بقوّة البرهان والسلوك العلمي على صفحة قلبه ويوصل اليه حقيقة ذُلّ العبودية وعزّ الربوبية، ويحرره من القيود والحجب العلمية. وسوف نتعرض الى هذا المقام لاحقاً إن شاء الله.

إذن ثمرة المقام الثاني هي حصول الإيمان بالحقائق. أما المقام الثالث، فهو مقام «الاطمئنان والطمأنينة» وهو في الحقيقة مرتبة الإيمان الكامل، قال تعالىٰ

(١) راجع التفسير الكبير للفخر الرازي: ج٢، ص٢٦وفيه «ارنا الأشياء كما هي»، وعوالي اللئالي: ج٤ ص١٣٢ وفيه «اللّهم ارنا الحقائق كما هي».

مخاطباً إبراهيم عليه السلام: ﴿أوَلم تؤمن قال بلىٰ ولكن ليطمئن قلبي﴾[1] ولعلنا نشير الى هذه المرتبة في موضع آخر من هذا الكتاب.

والمقام الرابع هو مقام «المشاهدة» وهي نورٌ إلهيٌّ وتجلٍّ رحمانيٌّ يظهر في سرِّ السالك ـ تبعاً للتجليات الأسمائية والصفاتية ـ فينوّر أرجاءه بالنور الشهودي، ولهذا المقام درجات كثيرةٌ لا يتسع المجال لذكرها، وفيه ايضاً تظهر نفحةٌ من نفحات «قرب النوافل» [كنت سمعه وبصره ويده...] فيرىٰ السالك نفسه مستغرقاً في بحرٍ لانهاية له، ومن بعده بحرٌ لا يسبر غوره تنكشف فيه بعضٌ من أسرار «القدر».

وفي كل مقام من تلك المقامات نوع من الإستدراج خاصٌّ به، يُعرِّضُ السالك لمهلكةٍ عظيمة. فعليه أن يستخلص نفسه في المقامات كافة من الأنانية والإنّيَة، وأن لا يكون معجباً بنفسه محباً لها فذلك منبع أكثر المفاسد وبالأخصّ للسالك نفسه. وسوف نشير الى هذا الموضوع لاحقاً إن شاء الله.

(١) البقرة: ٢٦٠.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الثالث

الخشوع

من الأمور الضرورية للسالك واللازمة لجميع العبادات لا سيما الصلاة ـ رأس العبادات كافة وذات الصفة الجامعة ـ هو الخشوع؛ وحقيقته الخضوع التام الممزوج بالحبّ أو الخوف.

وتفصيل ذلك: أن قلوب أهل السلوك مختلفة بحسب الجبلّة والفطرة، فبعضها «عشقية» تمثّل مظهراً من مظاهر الجمال، مجبولة ومفطورة على الميل نحو جمال المحبوب، فهي ـ أثناء السلوك ـ ما إن تدرك ظِلَّ الجميل أو تشاهد أصل الجمال حتى تمحوها العظمة الكامنة في سرّ الجمال وتجعلها تنصعق. فكل «جمالٍ» ينطوي على «جلال» وفي كلِّ «جلال» «جمال» مستور. ولعل في كلام مولى العارفين وأمير المؤمنين والسالكين(صلوات الله عليه وعلى وآله اجمعين): **«سبحان من اتسعت رحمته لأوليائه في شدَّة نقمته، واشتدت نقمتهُ لأعدائه في سعة رحمته»**[1] إشارة الى هذا المعنى.

إذن فهيبة الجمال وعظمته وسطوته تهيمن على تلك القلوب وتغشاها بحالةِ الخشوع أمام جمال المحبوب. وهذه الحالة تسبب في بداية الأمر اضطراباً

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم ٨٩.

وتزلزلاً في القلب، إلّا أنها بعد جمع الجنان والتمكن من التسلط على الأمر تتحول الى حالةٍ من «الأُنس» وتتبدل الرهبة والإضطراب الناتجان عن السطوة والعظمة الى أُنسٍ وسكينة فتحصل حالة الطمأنينة، تماماً كما كانت حالة قلب خليل الرحمن عليه السلام.

والبعض الآخر من قلوب أهل السلوك «خوفيّة» تمثّل مظهراً من مظاهر الجلال، فهي في حالة إدراك متواصل للعظمة والكبرياء والجلال؛ فيكون خشوعهم «خوفيّاً»، وتحصل في قلوبهم تجليات الأسماء القهرية والجلالية، كما هو الحال مع يحيىٰ(على نبينا وآله وعليه السلام).

إذن فالخشوع تارة يكون ممزوجاً بالحب واخرى بالخوف والرهبة، وإن كان في كلّ حبٍّ رهبةٌ وفي كل خوفٍ حبٌّ.

أما مراتب الخشوع، فهي بحسب مراتب إدراك العظمة والجلال والحسن والجمال. ولأن أمثالنا ـ بحالتنا هذه ـ محرومون من نور المشاهدات فلا مناص لنا غير تحصيل الخشوع عن طريق العلم أو الإيمان، قال تعالى: **﴿قد أفلح المؤمنون*الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾**[1]. فالآية الكريمة عدّت الخشوع في الصلاة من حدود الإيمان وعلاماته. وعلى أساس قوله تعالى هذا فإن غير الخاشع في صلاته خارج عن زمرة أهل الإيمان، كما أنّ صلواتنا غير مشفوعةٍ بالخشوع نتيجة نقصِ الإيمان أو فقدانه. ولما كان الإعتقاد والعلم غير الإيمان، فإن العلم الذي يحصل لدينا بالحقّ تعالىٰ وأسمائه وصفاته ـ وكذا سائر المعارف الإلهية ـ أمرٌ غير الإيمان، فالشيطان مثلاً عالمٌ بالمبدأ والمعاد ـ كما اشار الى ذلك الحق تعالىٰ ـ لكنه كافرٌ مع ذلك، فهو رغم إقراره بالحق تعالى وبخالقيته بقوله: **﴿خلقتني من نارٍ وخلقته من طين﴾**[2]، ورغم اعتقاده بالمعاد وعلمه بالكتب والرسل والملائكة بقوله: **﴿انظرني الى يوم**

(١) المؤمنون: ١و ٢.
(٢) الاعراف: ١٢.

يُبعثون﴾[1]، إلّا أن الله تعالى خاطبه «بالكافر» وعَدّه خارجاً عن زمرة المؤمنين.

إذن فأهل العلم وأهل الإيمان متميزون بعضهم عن بعض. وليس كل من كان من اهل العلم لابدَّ أن يكون من اهل الإيمان، لذا وجب على السالك أن يدخل ـ بعد سلوكه العلمي ـ في سلك المؤمنين، وأن يوصل عظمة الحق وجلاله وبهاءه وجماله (جلّت عظمته) الى قلبه حتى يخشع قلبه، وإلّا فإن مجرد العلم لا يؤدي الى الخشوع، تماماً كما ترون في أنفسكم، فمع اعتقادكم بالمبدأ والمعاد وبعظمة الحق وجلاله إلّا أن قلوبكم ليست خاشعة.

أما قوله تعالى: ﴿ألم يأنِ للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق﴾[2] فلعله اشارة الى الإيمان الصوري، اي الاعتقاد بما جاء به النبي ﷺ وإلّا فإن الإيمان الحقيقي ملازمٌ لمرتبةٍ من الخشوع. أو لعلّ المراد من الخشوع في الآية الشريفة هو الخشوع بمراتبه الكاملة، كما يطلق وصف (العالم) أحياناً على مَن عبر حدَّ العلم وبلغ حدَّ الإيمان، ولعلَّ الآية الشريفة ﴿إنما يخشى الله من عبادهِ العلماءُ﴾[3] تشير الى هذه الفئة من العلماء. وأوصاف (العلم) و (الإيمان) و (الإسلام) أُطلقت في الكتاب والسنّة على مراتب مختلفة منها، وبيان ذلك خارج عن إطار بحثنا هذا.

والحاصل أنّ سالك طريق الآخرة ـ لا سيما السالك بمعراج الصلاة ـ مطالبٌ بأن يجعل قلبه خاشعاً بنور العلم والإيمان، وبأن يُمكّن هذه النفحة الإلهية والبارقة الرحمانية من قلبه قدر المستطاع، علّه يتمكن من حفظ هذه الحالة من الخشوع في جميع أجزاء الصلاة.

وهذه الحالة من تمكّن الخشوع واستقراره وإن كانت في البداية أمراً صعباً

(١) الاعراف: ١٤.
(٢) الحديد: ١٦.
(٣) فاطر: ٢٨.

نوعاً ما لأمثالنا، إلّا أنها أمرٌ غاية في الإمكان بقليلٍ من الممارسة وترويض القلب.

إن تحصيل الكمال والتزوّد للآخرة يستلزم ـ يا عزيزي ـ سعياً وبذل جهدٍ، وكلما كان المطلوب أعظم كان بالجدّ في السعي في سبيله أجدر.

ولا شك أن معراج القرب الإلهي ومقام التقرب لجوار رب العزّة لا يُستحصل بحالة الفتور والتهاون والتساهل، بل ينبغي القيام بشجاعةٍ وحزم للوصول الى المطلوب. فأنت تؤمن بالآخرة وترىٰ أنها لا تقارن بهذه الدنيا، سواء في ذلك اذا كانت المقارنة من حيث السعادة والكمال أم من حيث الشقاء والوبال، فأما من حيث السعادة والكمال فإن تلك الدار تمثّل عالماً أبدياً دائماً لا موت فيه ولا فَناء، والسعيد فيها في راحةٍ وعزةٍ ونعمةٍ خالدة لا شبيه لها في هذا العالم، وهو في عزّةٍ إلهيّةٍ لا نظير لها في هذه الدنيا، ونِعمٍ لا تخطر على قلب بشر.

وكذا الحال من حيث الشقاء والوبال، فلا نظير في هذا العالم لعذاب الآخرة وشقائها.

والسبيل للوصول الى تلك السعادة انما هو في طاعة ربِّ العزّةِ، وبين كل الطاعات والعبادات ليس هناك نظير للصلاة في مرتبتها، فهي التركيب الإلهي الجامع والمتكفل بتحقيق السعادة للبشر، وقبولُ جميع الأعمال مرهون بقبولها.

لذا عليك ـ يا عزيزي ـ التحلّي بكامل الجدّ في السعي اليها، والدأب وتحمّل المشاق في سبيل ذلك، واعلم أن لا مشقّة في ذلك، فأنت إنْ واظبت عليها فترة وحصل لك الأُنس القلبي بها فإنك ستنال في هذا العالم لذائذ من مناجاة الحق لا يمكن مقارنتها بأيٍّ من اللذات الاخرىٰ، وهو ما يتجلىٰ بوضوحٍ من مطالعة أحوال أهل مناجاة الحق تعالىٰ.

وخلاصة القول: أن على الانسان أن يدرك عظمة الحقّ وجماله وجلاله سواء عن طريق البرهان أو ما أثر عن الأنبياء عليهم السلام وأن يجعل قلبه مستحضراً لذلك،

وعليه أن يعلّمه الخشوع رويداً رويداً بالتذكّر والتوجّه القلبي والمواظبة على ذكر عظمة الحق وجلاله، لكي تتحقق من ذلك النتيجة المرجوّة.

وعموماً، فإن على السالك أن لا يقنع بالمقام الذي هو فيه، فكل مقامٍ يحصلُ عليه أمثالنا لا يساوي نقيراً عند أهل المعرفة، ولا يُشترىٰ حتى بحبّةِ خردل من قبل أصحاب القلوب.

على السالك أن يكون في جميع الأحوال مستذكراً لنقائصه ومعايبه، عسىٰ أن يُفتح له بذلك سبيل إلى السعادة. والحمد لله.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الرابع

الطمأنينة

من الآداب القلبية الهامّة في العبادات ـ خصوصاً ما يتميز منها بالذكر ـ الطمأنينة، وهي غير الطمأنينة التي يذكرها الفقهاء(رضوان الله عليهم) في الصلاة خاصة؛ فهي إشارة الى أداء السالك العبادة بسكينة قلبٍ واطمئنان بال. فالسالك اذا قام بأداء تلك الأعمال وهو في حالةٍ من اضطراب القلب وعدم الإستقرار، فإن القلب لن يتفاعل معها ولن تحصل منها آثار على ملكوته، ولن تعكس حقيقةُ العبادة الصورة الباطنية للقلب. فإنّ أحد الاهداف المنظورة من تكرار العبادات والإكثار من الأذكار والأوراد جعل القلب متأثراً بها متفاعلاً معها، حتى تُشكل حقيقة الذكر والعبادة باطن السالك شيئاً فشيئاً وتجعل قلبه متحداً مع روح العبادة، غير أن القلب ما لم يتصف بالإطمئنان والسكينة والطمأنينة والوقار فإن الأذكار لن تؤثّر فيه، ولن تسري من حدود الظاهر ومن مُلك البدن الى ملكوت النفس وباطنها، ولن ينال القلبُ حظّه من حقيقة العبادة. وهذا الأمر من الواضحات التي لا تحتاج الى توضيح، يكفي لإدراكها قليل من التأمُّل.

والعبادة اذا كانت هكذا ـ مما لا أثر له في القلب تماماً ومما لا يؤدي الى ظهور آثار في الباطن ـ فإنها لن تُحفظ في العوالم الاخرىٰ ولن ترتقي من عالم الملك

الى عالم الملكوت، وقد تمحّي صورتها ـ لا سمح الله ـ من صفحة القلب وتزول بشكلٍ كاملٍ عند شدائد الموت وسكراته الرهيبة وأهوال ومصائب ما بعد الموت، فيذهب الانسان الى محضر الحق المقدس وهو صفر اليدين.

فلو أن أحداً ردّد الذكر الشريف «لا إله إلّا الله محمّد رسول الله» وعلّم قلبه إياه بسكينةٍ واطمئنان فإن لسان القلب سيردده تدريجياً حتى يصبح اللسان الظاهري مردداً وراء لسان القلب، فيصبح القلب هو الذاكر أولاً ثم يليه اللسان، ويشير الى هذا المعنى قول الإمام الصادق عليه السلام: **«فاجعل قلبك قبلةً للسانك لا تحركهُ إلّا بإشارة القلب وموافقةِ العقل ورضى الإيمان»**[1].

ففي بادئ الأمر وحيث يكون لسان القلب منعقداً، فإنَّ على سالك طريق الآخرةِ أن يعلّم قلبه ويلقنه الذكر بطمأنينةٍ وسكينة، حتى اذا اصبح القلب ذاكراً وحلّت عقدةُ لسانه صار قبلةً للّسان ولسائر الاعضاء، فتمسي مملكة الوجود الإنساني بأسرها ذاكرةً تبعاً لذكره.

أما اذا رَدّد هذا الذكر الشريف دون سكينة القلب وطمأنينته، وباستعجالٍ واضطرابٍ وتشتتٍ في الحواس، فلن يحصل في القلب أثر منه، ولن يتجاوز حَدَّ اللسان والسمع الحيواني الظاهري، ولن يبلغ الباطن أو مسامع السمع الإنساني، ولن تتحقق حقيقته فيباطن القلب، ولن يصير صورة كمالية للقلب ثابتة غير ممكنة الزوال. وعليه فإذا حلّت الأهوال والشدائد ـ لا سيما أهوال الموت وسكراته وشدائد النزع ـ فإن الروح الإنسانية تنسىٰ ذلك الذكر الشريف تماماً، وسيمحىٰ ذلك الذكر من صفحة القلب، بل إنها ستنسىٰ اسم الحق تعالىٰ والرسول الخاتم صلى الله عليه وآله ودين الإسلام الشريف والكتاب الإلهي المقدس وأئمة الهدىٰ عليهم السلام وسائر المعارف التي لم تُوصَل الى القلب، فيحار جواباً عند مساءلته في القبر، وعندها لن ينفعه التلقين ايضاً، فالإنسان لن يجد في نفسه

(١) مصباح الشريعة: الباب الخامس(في الذكر) ومستدرك الوسائل: كتاب الصلاة ـ أبواب الذكر ـ باب النوادر ـ ح ٢.

أثراً من حقيقة الربوبية والرسالة وسائر المعارف وما كان قد قاله بلقلقة اللسان دون أن يتحقق في القلب، سيمحىٰ من خاطره ولن يكون له نصيب من الشهادة بالربوبية والرسالة وباقي المعارف.

ورد في الحديث الشريف أن طائفة من أمة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله يُدخلون جهنم، وأنهم ينسون اسم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لما يصيبهم من الرهبة من رؤية (مالك) خازن النار، رغم أن هذه الطائفة هم من أهل الإيمان كما يستفاد من الحديث نفسه، وأن قلوبهم ووجوههم متلألئة مشرقة بنور الإيمان[1].

يقول المحدِّث الكبير المجلسي رحمه الله في شرحه لفقرة «**كنت سمعه وبصره...**» من الحديث الشريف ما ملخصه: ... اما اذا بذلها ـ قواه التي أودعها الله فيه ـ في طاعة النفس والشيطان وما يُلهي عن الرحمن، بطل الروحاني منها وهذا الجسماني في معرض الفناء، ... فهم صمٌّ بكم عميٌ في الدنيا والآخرة... فما منحه الله تعالى سمع روحاني لا يضعف بضعف البدن ولا يذهب بالموت، وبه يسمع في القبر الخطاب ويعدّ الجواب[2].

وعموماً فالأحاديث الشريفة التي تشير الى هذا النحو من الطمأنينة وآثارها كثيرة، كما أن الله سبحانه وتعالىٰ أمر بترتيل القرآن، وقد ورد في الحديث الشريف أنَّ: **من نسي سُورةً من القرآن مُثِّلت له في صورةٍ حسنةٍ ودرجةٍ رفيعةٍ في الجنة فإذا رآها قال: ما أنت ما أحسنك ليتك لي؟ فتقول: أما تعرفني؟ أنا سورة كذا وكذا، ولو لم تنسني رفعتك الى هذا**[3]. كما ورد ايضاً: **من قرأ القرآن وهو شابٌّ مؤمن اختلط القرآن بلحمه ودمه...**[4].

والسرُّ في هذا التأثير هو أن القلب يكون في فترة الشباب أقلّ انشغالاً

---

(١) راجع علم اليقين للفيض الكاشاني: ج٢ ص١٠٣٩.

(٢) مرآة العقول: ج١٠، ص٣٩٢.

(٣) أصول الكافي: كتاب فضل القرآن ـ باب من حفظ القرآن ثم نسيه ـ الحديث٢ (ج٤، ص٤١٠).

(٤) المصدر السابق: باب فضل حامل القرآن ـ الحديث ٤ (ج٤، ص٤٠٥).

وكدورة، فيكون تأثّره بذلك أسرع واكثر، كما ان أثر قراءة القرآن سيكون أطول بقاءً فيه.

وقد ورد ايضاً: «**ما مِن شيءٍ أحبّ الى الله عزّ وجلّ من عملٍ يُداوم عليه وإن قَلّ**»[١]، ولعلّ السرّ الأساسيّ ـ الأسمىٰ ـ في ذلك هو أن المداومة تؤدي الى جعل العمل يصبح الصورة الباطنية للقلب، كما تقدمت الإشارة الى ذلك.

وهناك الكثير من الأحاديث المأثورة في هذا الباب لا مجال لذكرها.

(١) المصدر السابق: كتاب الإيمان والكفر ـ باب استواء العمل والمداومة عليه ـ الحديث ٣ (ج٢، ص١٢٩).

الفصل الخامس

حفظ الأعمال من تصرّف الشيطان

أحد الآداب القلبية المهمة في الصلاة، وفي سائر العبادات، بل من أهم الآداب القلبية، والذي يعدُّ القيام به من عُقد الأمور ومشكل القضايا، «المحافظة على الأعمال من التصرفات الشيطانية». ولعلّ قوله تعالى في وصفه المؤمنين ﴿الذين هم على صلواتهم يحافظون﴾[1] إشارة الى جميع مراتب حفظ الأعمال، والحفظ من تصرّف الشيطان يمثل إحدى تلك المراتب، بل أهمها.

ولتفصيل هذا الإجمال نقول: إن من الواضح لدى أصحاب المعرفة وأرباب القلوب، إن للقلوب والأرواح -كما هو حال الأبدان في احتياجها لما تتغذىٰ به من الطعام المناسب لحالها والموافق لتكوينها بما يحقق الرشد الجسدي والنمو النباتي- غذاءً ينبغي أن يكون مناسباً لحال كلٍّ منها موافقاً لتكوينها لتتربىٰ به وتغتذي منه فيتحقق لها النمو المعنوي والإرتقاء الباطني.

والغذاء المناسب لتكوين الأرواح هو المعارف الإلهية بالمعنىٰ الشامل لهذا الاصطلاح بدءاً من مبادئ الوجود وحتى منتهىٰ نهاية نظامه، كما عرّف كبار الفلاسفة «الفلسفة» بقولهم عنها بأنّها «صيرورة الانسان عالماً عقلياً مُضاهياً

---

(١) المعارج: ٣٤، والمؤمنون: ٩.

للعالم العينيّ في صورته وكماله»[1]، فهي إشارة الى هذا الإغتذاء المعنوي، كما هو في اغتذاء القلوب بالفضائل النفسانية والمناسك الإلهية.

ولا شك أن أيّ نوعٍ من أنواع ذلك الغذاء اذا كان خالصاً من تصرف الشيطان، ومعداً بيد قطب الولاية -الرسول الخاتم وولي الله الأعظم صلواته عليهما وآلهما - لاغتذىٰ به الروح والقلب، وتحقق لهما الفوز بالكمال الذي يليق بمقام الإنسانية، وبمعراج القرب الى الله. غير أن الخلوص من تصرّف الشيطان - والذي يعدُّ مقدمة لتحقق الإخلاص - لا يتأتىٰ بشكلٍ حقيقي ما لم يصبح السالك ربانياً في سلوكه وما لم يطأ العجب والأنانية - منشأ المفاسد جميعاً وأم الأمراض الباطنية - بقدميه. وهذا الأمر - بمعناه الكامل - غير متاحٍ إلّا للإنسان الكامل صلى الله عليه وآله أولاً ولخلّص الأولياء عليهم السلام من بعده. بيد انه لاينبغي للسالك اليأس من ألطاف الحق الخفيّة، فاليأس من «روح الله» أساس الإحباط والضعف، وهو بعد ذلك من أعظم الكبائر.

أما المتاح للرعية فهو قرة عين أهل المعرفة، لذا فعلىٰ سالك طريق الآخرة أن يجدَّ - ما وسعه الجدّ - في تخليص معارفه ومناسكه من تصرّف الشيطان والنفس الأمّارة بالسّوء، وأن يتأمل بتعمقٍ وبغاية الدقّة في حركاته وسكناته وسعيه ومطلوبه ليبلغ الغاية من سيره وكدحه ومبادىء حركاته الباطنية وتغذياته الروحية، وأن لا يغفل عن مكائد النفس والشيطان ويحترز من الوقوع في شباك النفس الأمّارة بالسوء وفي مصائد إبليس، وأن يتعامل مع نفسه بمنتهىٰ (سوء الظن) في جميع الحركات والأفعال، وأن لايتركها حُرّةً مطلقة العنان أبداً، فما أكثر ما تصرع الإنسان نفسه بمجرد ان يتعامل معها بقليلٍ من التسامح فترديه المهالك والضياع.

على السالك أن يتحلىٰ بهذا الحذر لأن الأغذية الروحية اذا لم تكن خالصة من

---

(١) تعريف للفلسفة كما أورده صدرالدين الشيرازي ومن اتبعه، وعبارة «في صورته وكماله» إضافة من البعض الى التعريف.

تصرّف الشيطان، واذا كانت له يدٌ في إعدادها، فإنها ـ وفضلاً عن عدم مساعدتها الأرواح والقلوب على النمو وبلوغ ما يليق بها من الكمال ـ ستؤدي الى إصابة الأرواح والقلوب بالضعف الفاحش الكبير، وقد تصيّر أصحابها سالكين مسلك الشياطين أو البهائم والسباع، فيعطي ما أريد به تحقيق السعادة وبلوغ كمال الإنسانية وإدراك المدارج الرفيعة نتيجةً عكسيّة فيؤدي بالإنسان الى هاوية الشقاء المظلمة، كما رأينا كيف أودى التعمق في المصطلحات ببعض أهل العرفان الإصطلاحي الى التخبط في الضلالة وكيف أمست قلوبهم بعد منكوسة وبواطنهم ظلمانية. وكيف تحوّلت الممارسة في المعارف الى سببٍ لتقوية الأنانية والإنّية فيهم فطفقوا يطلقون الإدعاءات الباطلة ويشطحون الشطحات القبيحة، وكيف جعلت الرياضات الروحية والإنشغال بتصفية النفس قلوب البعض من أرباب الرياضة والسلوك أشدّ كدورة وبواطنهم أشدّ ظلمة. كلُّ هذا لأن هؤلاء لم يحافظوا على السلوك المعنوي الإلهي وعلى الهجرة الى الله، وكان سلوكهم العلميُّ والإرتياضي غير خالص من تصرّف الشيطان والنفس، بل وباتجاه الشيطان والنفس!.

وكما رأينا أيضاً كيف كان للعلم تأثير السوء في بعض طلبة العلوم الشرعية النقلية، وكيف أنه زاد من فساد أخلاقهم، فأصبح ما كان ينبغي أن يكون سبباً لفلاحهم وصلاحهم سبباً لهلاكهم ولجرهم نحو الجهل والمماراة والتعالي والختل.

وكذا كان الأمر مع أهل العبادة والتنسك والمواظبة على الآداب والسنن، فقد جعلت العبادة والنُّسك ـ وهما أساس إصلاح النفوس والأحوال ـ قلوب بعضهم كدِرةً وظلمانية وألقت بهم الى العجب والغرور والكبر والتفاخر وغمز الآخرين وسوء الخلق وسوء الظن بعباد الله، وهذا هو الآخر بسبب عدم المحافظة على تلك الأغذية الإلهية.

ولا غرابة فإن الغذاء المعدّ بيد إبليس الخبيث والنفس الشاطنة لا يُورث

سوى الخلق الشيطاني، فلما كان القلب يغتذي بمثل هذا الغذاء كيفما كان، ولما كان هذا الغذاء يصبح صورة باطنية للنفس، فإن الإنسان سيصبح بعد أمدٍ من المداومة على هذا الغذاء أحد ربائب الشيطان الذين تربوا على يده ونشأوا وصلب عودهم تحت سلطته وتصرّفه، وماأن يُغمض عينه من عالم المُلك وتُفتح عينه الملكوتية فإنه سيرى نفسه في زمرة الشياطين، ولن يحصد حينها سوى الخسران دون أن تكون الحسرات والندامة نافعة له آنذاك.

إذن، على سالك طريق الآخرة ـ في أيّ فرع من الفروع الدينية أو أيّة طريق من الطرق الإلهية كان ـ أولاً: أن يرعى نفسه بمنتهى الحرص والدقة، رعاية الطبيب العطوف والممرّض الشفيق، متحرياً عيوب سيره وسلوكه.

وثانياً: أن لايغفل أثناء ذلك عن اللوذ بذات الحق جَلَّ وعلا في الخلوات والتضرع والإستكانة لذي الجلال المقدس.

اللّهم! أنت العالِم بضعف حالنا وقلّةِ حيلتنا، وأنت جَلَّ قدسك تعلم أن لا سبيل للخلاص من هذا العدو ـ الذي بلغ من القوة والسطوة أن يطمع حتى بأنبيائك العظام وأوليائك الكمل ذوي الدرجات الرفيعة ـ غير أخذك بأيدينا. فإن حُرمنا لطفك ورحمتك فإننا لا محالة صرعى لهذا العدو اللدود هالكون، ساقطون في تيه الظلمة والشقاء.

اللّهم! أُقسم عليك بمن خصصتهم بالقرب من فِنائك، وبمن جعلتهم الأمناء على أسرارك أن تأخذ بأيدينا نحن المتحيّرين في وادي الضلالة وصرعى فيافي الغواية، وأن تُطهّر قلوبنا من الغِلّ والختل والشركِ والشك انك وليُّ الهداية.

الفصل السادس

الإقبال

من الآداب القلبية الأخرىٰ الضرورية في الصلاة وفي سائر العبادات، والتي يؤدي التحلّي بها الى نتائج طيبة، والىٰ فتح بعض المغاليق من الأبواب، وكشف بعض أسرار العبادات: اجتهاد السالك في إقامة العبادة بإقبال القلب وابتهاجه وسرورٍ الخاطر وانبساطه، والإحتراز بشدةٍ من الكسل وإدبار النفس حين أداء العبادة.

لذا فإن عليه أن ينتقي للعبادة وقتاً تكون النفس فيه مقبلةً عليها متمتعة بالنشاط والحيوية، بعيدةً عن التعب والفتور. لأن النفس اذا أُكرهت على العبادة وهي تعبة فاترة لربما أدىٰ ذلك الى آثارٍ سيئةٍ كأن يُصاب الإنسان بعد الفراغ من العبادة بالضجر منها، وتضاعف التكلف فيها، الأمر الذي سيؤدي تدريجياً الى تنفر طباع النفس، علاوة على ما قد يُخلّفه ذلك من صَرفِ الإنسان عن ذكر الحق نهائياً، ويحمّل الروح العذاب من مقام العبودية الذي يعدُّ منشأ جميع أنواع السعادة. ولا تحصل من مثل تلك العبادة نورانية قلبية، كما أن باطن النفس لن يتفاعل معها، ولن تصير صورة العبودية صورة لباطن القلب، والحال أن هذه النتيجة هي الغاية المنشودة من ممارسة العبادات كما ذكرنا سابقاً.

كذلك فإن من أسرار العبادات والرياضات ونتائجها، جعلها إرادة النفس

نافذةً على مملكة البدن. فهي تخضع مملكة وجود الإنسان الى سلطة كبرياء النفس وتجعلها خاضعة ومستسلمة لها تماماً وتمنع القوىٰ المبثوثة والجنود المنتشرة في أرجاء ملك البدن من التمرّد والأنانية والإستبداد وتدفعها للاستسلام لملكوت باطن القلب، بل إنها تفنىٰ في الملكوت تدريجياً ويصبح أمر الملكوت جارياً نافذاً في الملك، وبذا تقوىٰ إرادة النفس فتنتزع زمام أمور المملكة من يد الشيطان والنفس الأمّارة بالسوء فتساق جنود النفس من الإيمان الى التسليم، ومن التسليم الى الرضا، ومن الرضا الى الفناء.

عندها تنال النفس نفحة من أسرار العبادات، وتحصل بارقة من التجلّيات الأفعالية[١]، وهذا لا يتحقق ما لم يؤتَ بالعبادة عن إقبالٍ وابتهاج وما لم يحترز من التكلف والتعسف والكسل بشكل تام، حتى تظهر حالة الحبّ والعشق لذكر الحق تعالىٰ ولمقام العبودية، ويتحقق (الأُنس)[٢] و(التمكّن)[٣].

والأنس بالحق تعالىٰ وبذكره من أسمىٰ الأمور التي يوليها اهل المعرفة غاية اهتمامهم، ويتنافس فيه أصحاب السير والسلوك.

على أيّة حال فمثلما يعتقد الأطباء بأن الطعام الذي يتناوله الإنسان برغبة وسرور وابتهاج يكون أيسر هضماً، كذلك فإن الطبّ الروحي يرى بأن تناول الأطعمة المعنوية ببهجة وشوق ودون كسل أو تكلف يؤدي الى حصول آثارها في القلب سريعاً، ويجعل أمر تصفية باطن القلب يتم بشكلٍ أسرع.

وقد وردت الإشارة الى هذا النوع من الأدب في الكتاب الإلهي الكريم

---

(١) التجلّي: ما يظهر للقلوب من أنوار الغيوب، وهو على أنواع وأقسام: الاول والثاني والثالث ـ والجمالي والجلالي والأسمائي والأفعالي. والتجلّي الأفعالي: اول تجلٍّ يحصل للسالك في مقامات السلوك، وعلامته قطع النظر عن أفعال الخلق وإسقاط إضافة الخير والشر والنفع والضر بهم. واستواء المدح والذم والقبول والرد من قبل الخلق.

(٢) الأنس: التذاذ الباطن بمطالعة كمال المحبوب.

(٣) التمكّن: آخر مقام من الولاية وابتداء السفر الثاني، ومرتبته على درجات ثلاث: تمكن المريد ويشمل صحة القصد، وأُفق الشهود، ووسعة الطريق، ثم تمكّن السالك: ويشمل صحة الانقطاع ولمعان الكشف وصفاء الحال، ثم تمكّن العارف: ويعني الحصول في حضرة الجمع.

وصحيفة الربوبية القويمة، فقد قال تعالىٰ في معرض تكذيبه الكفار والمنافقين: **﴿ولا يأتون الصلاة إلّا وهم كسالىٰ ولا ينفقون إلّا وهم كارهون﴾**[١]، كما فسّرت بعض الأحاديث (السُكر) المذكور في قوله تعالىٰ **﴿لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارىٰ﴾**[٢] بأنه الكسل.

كذلك فقد اشارت الروايات الشريفة الى هذا الأدب ايضاً، ولنعطر هذه الصفحات بذكر بعضها:

محمد بن يعقوب بأسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: **لا تكرهوا على أنفسكم العبادة**[٣].

محمد بن يعقوب بأسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **يا علي إن هذا الدين متين، فأوغل فيه برفق، ولا تبغّض الى نفسك عبادة ربّك**[٤].

وعن الإمام العسكري عليه السلام قال: **إذا نشطت القلوب فأودعوها، وإذا نفرت فودّعوها**[٥].

وهذا الأمر منهم عليهم السلام بإيداع العبادات القلوب عند النشاط والبهجة وتركها اذا نفرت، هو توجيه جامع شامل؛ لذا وجب مراعاة هذا الأدب في كسب المعارف والعلوم ايضاً، فلا ينبغي إكراه القلوب على اكتساب المعارف وهي متنفرة.

ومن الأحاديث أعلاه ومن أحاديث اخرى، يُستفاد وجود أدب آخر يعدُّ هو الآخر من الأمور الهامة في الرياضة وهو «أدب المراعاة»: إذ يلزم السالك في أيّة مرتبة كان ـ سواء في الرياضات والمجاهدات العلمية أو النفسانية أو العملية ـ

(١) التوبة: ٥٤.

(٢) النساء: ٤٣.

(٣) الأصول من الكافي: كتاب الإيمان والكفر ـ باب الاقتصاد في العبادة (ج٢، ص١٢٩ وص١٣٧، ح٢ و ح٣).

(٤) الاصول من الكافي: كتاب الايمان والكفر ـ باب الاقتصاد في العبادة (ج٢، ص١٢٩ وص١٣٧، ح٢ و ح٣).

(٥) المصدر السابق: ح٦.

مراعاة حالِه والتعامل مع النفس بالرفق والمداراة، وتجنّب تحميلها فوق طاقتها وبما لا يتناسب مع حالها، والأمر أوكد بالنسبة للشبان والمستجدين في هذا المضمار، فقد يؤدي عدم أخذ النفس بالمداراة والرفق وعدم تلبية القدر المناسب من الحاجات البشرية بالطرق المشروعة بالشبان الى مواجهة خطر جسيم لا يقدرون على تلافيه، فالتشدُّد غير المتزن والضغط على النفس دون تقدير قد يُفلِتُ عنانها فتنتزع هي زمام الاختيار من يدِ صاحبها حينما يتفجر خزين الاحتياجات الطبيعية الغريزية المتراكمة المكبوتة وتتصاعد ألسنة نار الشهوة المحبوسة تحت ضغط الرياضة غير المحسوبة، فتحرق مملكة وجود الانسان. ولو ان ذلك حدث ـ لا سمح الله ـ وانفلت من سالكٍ او زاهد عنانِ نفسه وفقد السيطرة عليها، فإنه سيسقط في الهاوية التي لا أمل أبداً في النجاة منها أو العودة عنها الى طريق السعادة والصلاح.

فعلى السالك إذن أن يكون مع نفسه كالطبيب الحاذق ويقيس نبضها في أيام السلوك ثم يتعامل معها وفق ما يقتضيه حالها في مختلف الأيام، فلا يكبت الحاجات الطبيعية كبتاً كاملاً في أيام تأجج الشهوة في ذروة الشباب وإنّما يحاول إخماد نار الشهوة بالطرق المشروعة، ففي ذلك إعانة له في سلوكه طريق الحق.

اذن فالنكاح ـ وهو من السنن الإلهية العظيمة ـ فضلاً عن أنه أساس بقاء النوع الإنساني، هو صاحب الدور الكبير في سلوك طريق الآخرة. ومن هنا جاء قول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «**من تزوج فقد أحرز نصف دينه...**»[1]، وقوله صلى الله عليه وآله: «**من أحبَّ أن يلقى الله مطهَّراً فليلقه بزوجةٍ**»[2]، وقوله صلى الله عليه وآله: «... **وأكثر أهلِ النار العُزّاب**»[3]، وقوله في الحديث المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام مخاطباً جماعة

---

(١) بحار الانوار: كتاب الروضة ـ باب ٢٩ ح٣ (ج٧٥، ص٣٧٧).

(٢) أمالي الطوسي: ج٢،ص١٣٢، وعنه بحار الانوار: ج١٠٠، ص٢٢٠، ح ١٤.

(٣) نوادر الراوندي: ص١٢. وروضة الواعظين: ص٣٧٣ وعنهما بحار الأنوار: ج١٠٠، ص٢٢٠، ح١٨ و٣٥.

من الصحابة كانوا حرَّموا على أنفسهم النساء والإفطار بالنهار والنوم بالليل، فأخبرت أم سلمة رسول الله فخرج الى أصحابه، فقال: **أترغبون عن النساء؟! إني آتي النساء وآكل بالنهار وأنام بالليل، فمن رغب عن سنتي فليس مني**، وأنزل الله تعالى: **﴿لا تحرِّموا طيّبات ما أحلَّ الله لكم ولا تعتدوا إنَّ الله لا يُحبُّ المعتدين*وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون﴾**[1].

وعموماً، فإن على سالك طريق الآخرة مراعاة أحوال النفس من إدبارٍ وإقبال. وكما يجب عليه من جهة عدم كبت الحاجات الطبيعية بصورة مطلقة لما يؤدي اليه ذلك من مفاسد عظيمة، فلا ينبغي له تشديد الضغط على النفس في السلوك بالعبادات والرياضات العملية من جهةٍ اخرى، وخصوصاً في أيام الشباب وفي أوائل السلوك، فالضغط يؤدي الى تضجّر النفس ونفرتها، وربّما أدّىٰ بالإنسان الى الإعراض عن ذكر الحق.

والإشارات الواردة في الأحاديث الشريفة الى ذلك كثيرة، فقد روىٰ الكليني في الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**اجتهدتُ في العبادة وأنا شابٌ فقال لي أبي عليه السلام: يا بُني دون ما أراك تصنعُ، فإن الله عزّ وجلّ اذا أحبَّ عبداً رضي منه باليسير**»[2].

وفي الكافي ايضاً حديث آخر قريب من هذا المضمون[3].

وفي الكافي ايضاً عن أبي جعفر عليه السلام عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله قال: «**إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق، ولا تُكرهوا عبادة الله الى عباد الله، فتكونوا كالراكب المنبت الذي لا سفراً قطع ولا ظهراً أبقىٰ**»[4].

---

(١) الآية ٨٧ من سورة المائدة والحديث من الوسائل كتاب النكاح باب ٢ ـ ح٨.

(٢) الاصول من الكافي: كتاب الايمان والكفر ـ باب الاقتصاد في العبادة ـ ح٥ (ج٢، ص١٣٨).

(٣) المصدر السابق: ح٤.

(٤) المصدر السابق: ح١.

وفي حديث آخر «... ولا تُبغِّض الى نفسك عبادة ربك»(١).

وإجمالاً، فإن الميزان في المراعاة هو أن يكون الانسان ملتفتاً الى أحوال النفس فيسلك بها بما يناسب قوتها وضعفها، فإذا كانت قويةً في العبادات والرياضات قادرة على المقاومة، فعليه أن يجتهد ويجدَّ في العبادة، فمن طوىٰ أيام نشوة الشباب وهدأت فيه نار الشهوات الى حدٍّ ما، حريٌّ به أن يُزيد الرياضات النفسانية قليلاً، ويلج ميدان السلوك والإرتياض بجدّية واجتهادٍ وشجاعة، وهو كلما عوّد النفس على الرياضة، فتح لها بذلك باباً آخر حتى تسيطر النفس على قوىٰ الطبيعة تدريجياً، فتسخر القوىٰ الطبيعية لكبرياء النفس.

وما ورد في الروايات الشريفة من الأمر بالجدِّ والإجتهاد في العبادة ومدح المجدّين المجتهدين فيها وفي الرياضة، وما ورد في عبادات أئمة الهدى عليهم السلام، بالمقارنة مع الأحاديث المادحة للإقتصاد في العبادة، مبنيٌّ على اختلاف حالات ومراتب اهل السلوك ودرجات النفوس وأحوالها، والميزان العام في ذلك هو مراعاة نشاط النفس وقوتها وتنفرها وضعفها.

---

(١) المصدر السابق: مقطع من الحديث ٦.

الفصل السابع

التفهيم

(التفهيم) أحد الآداب القلبية للعبادات - لا سيما التي تتميز منها بالذكر - ويكون بأن يتصور الإنسان قلبه في بداية الأمر كطفل لم ينطلق لسانه بعد، وأن عليه أن يعلّمه النطق، فيقوم بتعليم القلب كلَّ ذكرٍ من الأذكار وكلَّ وردٍ من الأوراد وكلَّ حقيقة من حقائق العبادة وكلَّ سرٍّ من أسرارها بمنتهى الدقة، ويسعى في تفهيمه الحقيقة التي يدركها هو في كلِّ مرتبة من مراتب الكمال التي يكون عليها. فإذا لم يكن من أهل فهم معاني القرآن والأذكار وممن ليس لهم نصيب من أسرار العبادات، فعليه تعليم قلبه تلك المعاني الإجمالية من كون القرآن كلام الله ومن كون الأذكار هي ذكرٌ للحق، ومن كون العبادات طاعة وانقياد للرب، ويفهمه إياها. وإن كان من أهل فهم المعاني الظاهرية للقرآن والأذكار، فليعلِّم قلبه هذه المعاني الظاهرية من قبيل الوعد والوعيد والأمر والنهي، والعلم بالمبدأ والمعاد وبذلك المقدار الذي يدركه هو.

أمّا اذا حصل له كشفٌ لحقيقةٍ من حقائق المعارف أو سرٌّ من أسرار العبادات فليسعَ جاهداً تعليم ذلك للقلب.

والنتيجة المتوخاة من هذا التفهيم، أن لسان القلب ستُحل عقدته بعد مدةٍ من المواظبة عليه، ويُصبح القلب ذاكراً ومتذكراً.

ففي البداية يكون القلبُ متعلماً واللسان هو المعلِّم، والقلب يذكرُ بذكر اللسان، اي أنه تابع للّسان. لكن الأمر ينعكس بعد انفتاح عقدة لسان القلب، فيصبح القلب ذاكراً، واللسان يذكرُ بذكره، ويتحرك تبعاً له، بل قد يحدث أحياناً أن يتحرك اللسان بالذكر تبعاً للذكر القلبي الذي لا يختص بحال اليقظة فقط فينطلق والانسان نائم. واذا باللسان يصبح تابعاً للقلب، يذكر بذكره ويسري الذكر من ملكوت القلب الى الظاهر **﴿قل كلٌّ يعمل على شاكلته﴾**[١].

وبصورة عامة، في بداية الأمر يتوجب على الإنسان أن يهتمّ بأدب «التفهيم» لينفتح لسان القلب ـ وهو المراد الحقيقي ـ وعلامة انفتاح لسان القلب، زوال تعب الذكر ومشقته وحلول النشاط والسرور فيه محل النصب والأذىٰ، كما هو الحال مع الطفل الذي يُراد تعليمه النطق، فإن المعلم يتعب ويشعر بالملل بادئ الأمر، فإذا انطلق لسان الطفل ونطق بالكلمة التي سعىٰ المعلم في تعليمه إياها زال تعب المعلم وراح ينطق الكلمة تلك تبعاً للطفل دون ملل او تعب.

فالقلب ـ في بداية الأمر ـ طفل منعقد اللسان، يجب تعليمه وإلقاء الأذكار والأوراد في فمه، فإذا انطلق لسانه أصبح الانسان تابعاً له وزال تعب التعليم ومشقته وأذىٰ الذكر ونصبه. وهذا أحد الآداب الضرورية جداً للمبتدىء. ولا يخفىٰ بعد هذا أن أحد الأهداف المنشودة من تكرار الأذكار والأدعية والمداومة على الذكر والعبادة هو تحقيق حالة انطلاق لسان القلب وجعله ذاكراً وداعياً وعابداً، وما لم يُراع أدب التفهيم هذا، فإن لسان القلب لن ينطلق.

وقد أشارت الأحاديث الشريفة الى هذ المعنىٰ. ففي الكافي مثلاً ورد عن الصادقعليه السلام أن أمير المؤمنينعليه السلام قال في معرض حديثه عن بعض آداب التلاوة: «... **ولكن اقرعوا به قلوبكم القاسية، ولا يكن همُّ أحدكم آخر السورة**»[٢]. وفي الكافي ايضاً، أن الصادقعليه السلام قال لأبي أسامة: «**يا أبا أسامة،**

(١) الإسراء: ٨٤.

(٢) الاصول من الكافي: كتاب فضل القرآن ـ باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن ـ ح١ (ج٤، ص٤١٨).

ادعوا [ارعوا] قلوبكم ذكر الله واحذروا النكت»[١].

وحتى كُمّل الأولياءعليهم السلام كانوا يحرصون على التمسك بهذا الأدب الهام. ففي الحديث أن الصادقعليه السلام تملكته حالة في الصلاة أُغشي عليه فيها، فلما أفاق سُئل عن سببها فقال: «مازلت أُردد هذه الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قُدرته»[٢].

وروي عن أبي ذر(رضوان الله عليه) أنه قال: قام رسول اللهصلى الله عليه وآله ليلةً يردد قوله تعالى: ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾[٣].

وإجمالاً، فإن الذكر القلبي هو حقيقة الذكر والتذكر، ومن دونه يكون الذكر اللساني خاوياً لا قيمة له. والإشارات الى هذا المعنى ـ كما قلنا ـ كثيرة، فقد روي أن الرسول الأكرمصلى الله عليه وآله قال لأبي ذرّ: «يا أبا ذر، ركعتان مقتصدتان في تفكُّرٍ خير من قيام ليلة والقلب لاهٍ [أو ساهٍ]»[٤].

وعنهصلى الله عليه وآله ايضاً «ان الله لا ينظر الى صوركم، بل ينظر الى قلوبكم...»[٥].

وسيأتي معنا في أحاديث حضور القلب أن المقبول من الصلاة هو ذلك القدر الذي يتحقق فيه حضور القلب. أما ما كان القلب فيه غافلاً فلا يقبل.

وما لم يراع أدب «التفهيم»، فإن الذكر القلبي لن يتحقق، ولن يخرج القلب من السهو والغفلة.

ورد عن الصادقعليه السلام أنه قال «... فاجعل قلبك قبلةً للسانك لا تحرّكه إلّا

---

(١) الروضة من الكافي: ج٨، ص١٦٧ وعنه بحار الانوار: ج٦٧، ص٥٩.

(٢) المحجة البيضاء: كتاب اسرار الصلاة ـ باب فضيلة الخشوع (ج١، ص٣٥٢).

(٣) الآية ١١٨ من سورة المائدة، والحديث في روح المعاني في تفسير القرآن للعلاّمة الآلوسي: ج٧، ص ٧٠ نقلاً عن سنن النسائي والبيهقي.

(٤) مكارم الاخلاق: ص٤٦٥، وعنه بحار الأنوار: ج ٧٤، ص٨٢.

(٥) جامع الاخبار: ص١١٧، وعنه بحار الانوار: ج٦٧، ص ٢٤٨.

بإشارةِ القلب»[1]، وصيرورة القلب قبلة، وتبعية اللسان وسائر الأعضاء له، لا يمكن أن تحصل إلّا بالتزام أدب التفهيم هذا، ولو اتفق حصول ذلك دون الاستعانة به، فإن ذلك من نوادر الأمور التي لاينبغي للإنسان الاغترار بها.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

(١) مصباح الشريعة ـ الباب الخامس (في الذكر) ومستدرك الوسائل: كتاب الصلاة ـ ابواب الذكر ـ باب النوادر، ح٢.

الفصل الثامن

حضور القلب

ربما كان الكثير من الآداب القلبية مقدمة لأدب حضور القلب، فبدونه تفقد العبادة روحها ومعناها.

وحضور القلب مفتاح الكمالات والباب الرئيس لأنواع السعادات، وقلّما ورد في الأحاديث الشريفة ذكرٌ لأمرٍ كثرة ما ذُكر هذا الأمر، وقلّما نال سواه من الآداب ما ناله من الاهتمام.

ونحن وإن كنا قد أسهبنا في إشباع جوانب هذا الموضوع بحثاً في رسالة «سرِّ الصلاة»[1] وفي كتاب «الأربعين»[2] وأوضحنا هناك درجاته ومراتبه، إلّا إننا سنتطرق هنا الى ذكره إتماماً للفائدة وتجنيباً للقارئ من تكرار الرجوع الى ذينك الكتابين.

تقدم القول بأن العبادات والمناسك والأذكار تعطي نتائجها كاملة عندما تصبح صورة باطنية للقلب ويعجن بها باطن ذات الانسان، وعندما يكتسب القلب صورة العبودية، ويخرج من حالة الإعتداد والتمرد.

---

(١) اشارة الى كتاب «سر الصلاة» الذي اتمّ سماحة الامام تأليفه في الحادي والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة ١٣٥٨ هجري.

(٢) كتاب الأربعين: «شرحٌ لأربعين حديثاً» من آثار المؤلف التي تم تأليفها في محرم الحرام عام ١٣٥٨هجري.

وذكرنا سابقاً أن أحد أهداف العبادات وفوائدها هو تقوية إرادة النفس وبسط سلطتها على الطبيعة وتسخير قوى تلك الطبيعة لقدرة النفس وسلطانها، والى الحدّ الذي تصبح إرادة النفس الملكوتية نافذة في ملك البدن بحيث تصبح قوى مملكة النفس كالملائكة حيال الباري تعالى فهم ﴿**لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون**﴾[1].

والآن نضيف الى ذلك القول: أن أحد أسرار العبادات وفوائدها المهمة والذي يعدُّ كلُّ شيءٍ مقدمة له هو جعل مملكة الباطن والظاهر بأسرها مسخرة لإرادة الله، متحركة بأمره تعالى، وجعل قوى النفس الملكوتية والملكية جنوداً لله تتصف جميعها بالنسبة الى الحق تعالى بصفات الملائكة إزاء الله تعالى، وهذه الحالة بحدِّ ذاتها إحدى المراتب الدنيا من فناء القوى والإرادات في إرادة الحق، التي تترتب عليها نتائج عظيمة تدريجياً، فيصبح الإنسان العادي ربانياً وترتاض نفسه بعبادة الله، ويتعرض جنود ابليس الى هزيمةٍ فادحةٍ ولا يبقى لهم من أثرٍ في مملكة وجود الانسان، فيسلّم القلب وقواه المختلفة للحق تعالى ويتجلى فيه الاسلام ببعض مراتبه الباطنية.

وأما ثمرة هذا التسليم لإرادة الحق تعالى في الدار الآخرة فتكون بجعل الحق تعالى إرادة هذا العبد المسلم نافذة في عوالم الغيب وبجعله مثلاً نموذجياً له تعالى، ومثلما ـ أنه تقدست آلاؤه ـ اذا أراد شيئاً يوجده بمجرد إرادة الإيجاد، كذلك فإنه تعالى يجعل إرادة العبد قادرة على نفس الكيفية.

وقد روى بعض اهل المعرفة عن الرسول الأكرم ﷺ رواية حول أهل الجنة مؤداها أن ملكاً يأتي اليهم ويستأذن في الدخول، ثم يعطيهم رسالة من حضرة الربوبية يقرئهم فيها سلامه ويخاطبهم بالقول: «**من الحي القيوم الذي لا يموت الى الحي القيوم الذي لايموت. أما بعدُ، فأني أقول للشيء كُن فيكون،**

(١) التحريم: ٦.

وقد جعلتك تقول للشيء كن فيكون. قال عليه السلام: فلا يقول أحدٌ من أهل الجنة للشيء كن إلّا ويكون»[١].

والسلطنة الإلهية هذه إنما تمنح للعبد بعد تركه إرادته وتخلصه من سلطنة الأهواء النفسانية وسلطة إبليس وجنوده. ولا تتحقق واحدة من هذه النتائج إلّا بالحضور الكامل للقلب، وإلّا فإن القلب اذا كان غافلاً ساهياً حين العبادة، فإن عبادته لا تصبح حقيقةً، ولا تكون سوىٰ أمر شبيه باللهو واللعب.

ولا شك أن مثل هذه العبادة ـ كما اشارت الى ذلك بعض الروايات ـ لا تؤثر في النفس إطلاقاً، ولن ترقىٰ من الشكل والظاهر الى الباطن والملكوت. ولن تسلّم قوىٰ النفس قيادها الى النفس بمثل هذه العبادة، ولن تظهر سلطنة النفس عليها. وبالنتيجة فإن القوىٰ الظاهرة والباطنة لا تستسلم لإرادة الله ولن تخضع مملكة وجود الإنسان لكبرياء الحق تعالى. وهذا أمر في غاية الوضوح.

ولهذا نرىٰ عدم تحقق أثرٍ من الآثار فينا بعد أربعين أو خمسين سنة من العبادة المتواصلة، إنْ لم تزدد قلوبنا ـ على العكس ـ ظلمة يوماً بعد آخر ويشتد تمرد قوىٰ النفس ويتضاعف حبنا للدنيا، وتترسخ طاعتنا للأهواء النفسانية والوساوس الشيطانية.

وما كان كلّ ذلك ليحصل لولا خواء عباداتنا ولولا تركنا للشروط الباطنية والآداب القلبية لتلك العبادات، وإلّا فإن الصلاة تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر بنصّ الآية المباركة: **﴿إن الصلاة تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر﴾**[٢].

ويقيناً فإن النهي ليس نهياً عن المنكرات الشكلية الظاهرية، فلابدّ أن يتّقد في القلب نبراسٌ ويتوهّج في الباطن نور يهدي الانسان الى عالم الغيب، ويكون في الإنسان رادع إلهيٌّ يردعه عن التمرد والعصيان. والحال أننا وفي الوقت الذي نحسب أنفسنا في زمرة المصلين، ونشتغل بهذه العبادة العظيمة سنين طوال،

---

(١) علم اليقين: ج٢، ص١٠٦١ باختلاف يسير.
(٢) العنكبوت: ٤٥.

إلّا أننا لم نرَ في أنفسنا مثل ذلك النور، ولم نلمس فيها مثل ذلك الرادع، فويل لنا من ذلك اليوم الذي تتجسد فيه أفعالنا ونُعطىٰ صحائف أعمالنا بأيدينا ـ في ذلك العالم ـ ثم يقال ﴿كفىٰ بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾(١). خُذ وتأمل! هل مثل هذه الأعمال مقبولة لدىٰ الباري تقدست أسماؤه؟ وهل صلاة بهذه الصورة الظلمانية الممسوخة يمكن أن تقربك الى محضر حضرة الكبرياء؟ وهل كان مناسباً التكامل بهذه الكيفية مع هذه الأمانة الإلهية الكبرىٰ ووصية الأنبياء والأوصياء، وفسح المجال أمام يد خيانة الشيطان الرجيم عدو الله لتعبث بها هكذا؟ لماذا أبعدتك هذه الصلاة وهي «معراج المؤمن»(٢) و«قربان المتقين»(٣) عن ساحة القرب الإلهي؟

وفي ذلك اليوم هل سيكون نصيبنا سوىٰ الحسرة والندامة والتعاسة والشقاء والخزي والخجل؟ وإنها لعمري حسرة وندامة لا نظير لها في هذا العالم، وخزي وخجل لا يمكننا تصوُّر شبيه لهما. فحسرات هذا العالم مهما بلغت فهي ممزوجة بآلاف الأشكال من الآمال، وهي بعدُ سريعة الزوال خلافاً لما هو حالها يوم الحسرة والندامة. لذا يقول تعالىٰ ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قُضي الأمر...﴾(٤) فقد قُضي الأمر ولن يمكن جبرانه، وضاع العمر، ولن يمكن إرجاعه ﴿يا حسرتا على ما فرّطت في جنب الله﴾(٥).

إيهاً عزيزي! اليوم هو يوم الإمهال والعمل، وقد بُعث الأنبياء بالكتب السماوية وصدحوا بدعواتهم وبذلوا ما في وسعهم وتحملوا كل ذلك الأذىٰ والمشقة من أجل إيقاظنا من نوم الغفلة، وتنبيهنا من سُكر الطبيعة، وإيصالنا الى عالم النور والبهجة والسرور، والبلوغ بنا الى الحياة الأبدية والنعم

---

(١) الإسراء: ١٤.

(٢ و٣) راجع الفروع من الكافي: كتاب الصلاة ـ باب فضل الصلاة (ج٣، ص٢٦٥).

(٤) مريم: ٣٩.

(٥) الزمر: ٥٦.

السرمدية، واللذائذ الخالدة، من أجل إنقاذنا من الهلاك والشقاء والنار والظلمة والحسرة والندامة.

كل ذلك من أجلنا ودون أن يكون لهم عليهم السلام مطمع في حاصل لهم على ذلك ودون أن يكون لهم عليهم السلام أدنى حاجة في إيماننا وأعمالنا.

رغم ذاك، لم نتأثر إطلاقاً، وقد أخذ الشيطان بمسامع قلوبنا وتسلط على بواطننا وظواهرنا حتى لم تؤثر فينا أيّة واحدة من مواعظهم، بل لم يبلغ أيٌّ من الآيات والأحاديث الشريفة مسامع قلوبنا، ولم يتجاوز حدَّ هذه الأذن الحيوانية.

وعموماً أيها القارئ الكريم، لايكن حالك حال المؤلف، فتُحرم جميع الأنوار وتخرج من هذه الدنيا صفر اليدين من الأعمال الصالحة، أسيراً للأهواء النفسانية. ارحم نفسك واستثمر عمرك، وتدبر في احوال الأنبياء والأولياء الكمّل عليهم السلام واسحق بقدمك الشهوات الكاذبة ووعود الشيطان، ولا تنخدع بحيله وبمكر النفس الأمّارة بالسوء، فمكرهما مما لا يُسبر غوره، فهما يلبسان كل أمر باطلٍ ثوب الحق فيخدعان الانسان. وقد يجران الإنسان الى الشقاء بإغرائه بالأمل بالتوبة في آخر العمر، مع أن التوبة في آخر العمر أمر في غاية الصعوبة بعد تراكم ظلمات المعاصي وازدياد انتهاكات حقوق العباد وإيقاع الظلم عليهم. وكيف يتحقق ذلك آنذاك، وهما لا يسمحان الآن ـ وحيث إرادة الإنسان مازالت قوية وقدرة الشباب موجودة وشجرة المعصية لم يقو عودها، وحكومة الشيطان لم تترسخ أركانها بعد، والنفس حديثة عهد بالملكوت قريبة الأُفق من فطرة الله، وشروط تحقق التوبة متوافرة ـ بأن يتوبَ ويستأصل هذه الشجرة الضعيفة، ويقوّض أركان هذه الحكومة الشيطانية غير المستقرة بعد! وبعد كل هذا تراهما يمنّيان الإنسان بالتوبة أيام الشيخوخة حيث الحال على النقيض، فالإرادة ضعيفة والقوى عاجزة وشجرة المعاصي الكثيرة متأصلة راسخة الجذور، وحكومة إبليس مستقرة وذات سيادة على الظاهر والباطن، وحيث الخلود الى الطبيعة شديد، والبعدُ عن الملكوت شاسع، ونور الفطرة مطفأ

والشروط اللازمة للتوبة صعبة عسيرة. وما هذه الأماني إلّا غرور.

وتارة يغرّانه بشفاعة الشافعينعليهم السلام فيبعدان الانسان عن ساحتهم القدسية ويحرمانه من شفاعتهم، فالإنغماس بالمعاصي يجعل القلب مسوداً منكوساً، يوصل الإنسان الى سوء العاقبة.

والشيطان يطمع في سلب الإنسان الإيمان، فيجعل من الوقوع في المعاصي مقدمة لتحقيق مقصده ذاك. وإلّا فإن الانسان اذا طمع بالشفاعة، وجب عليه أن يجدَّ ويجتهد في السعي لحفظ الرابطة بينه وبين شفعائه، وأن يتفكر قليلاً في أحوال شفعاء المحشر أولئك، وفي المدىٰ الذي طووه من العبادة والرياضة. وافترض أنك رحلت عن هذه الدنيا مؤمناً، ولكن اذا كان حملك من المعاصي والمظالم ثقيلاً، فقد لا يشفعُ لك من أنواع عذاب البرزخ والقبر. فقد روي عن الصادقعليه السلام أن البرزخ موكول الى الناس[1]، والعذاب في البرزخ لا يقارن بأنواع العذاب في هذا العالم، كما لا يعلم أمد البرزخ إلّا الله، فقد يبلغ ملايين السنين! ثم لعلَّ الشفاعة لا تنالنا في القيامة ايضاً الّا بعد آماد طويلة وبعد التعرّض لأشكالٍ من العذاب الذي لايُطاق، كما اشارت بعض الأحاديث الشريفة الى ذلك[2].

فهي الأماني الشيطانية إذن تصدُّ الانسان عن العمل الصالح، وتجعله يرحل عن هذه الدنيا إمّا مسلوب الايمان او مثقلاً بمختلف الأعباء، فيسقط في الشقاء والتعاسة.

وتارة يحرمه من الرحمة، إذ يمّنيه بسعة رحمة أرحم الراحمين، فيغفل الانسان عن أن بعث الرسل والكتب وإرسال الملائكة والوحي والإلهام للأنبياء

(١) إشارة الى الحديث المروي عن عمرو بن يزيد قال: قلت لأبي عبداللهعليه السلام: اني سمعتك وأنت تقول: كلُّ شيعتنا في الجنة على ما كان فيهم؟ قال: صدقتك كلّهم والله في الجنة. قال قلت: جعلت فداك إن الذنوب كثيرة كبار؟ فقال: أما في القيامة فكلكم في الجنة بشفاعة النبي المطاع أو وصي النبي ولكني أتخوف عليكم في البرزخ. قلت: وما البرزخ؟ قال: القبر منذ حين موته الى يوم القيامة. راجع الفروع من الكافي: ج٣، ص٢٤٢، وعلم اليقين: ج٢، ص١٠٥١.

(٢) راجع بحار الأنوار: ج٨، ص٣٦٢.

وهداة السبيل، كلها تُمثل مظاهر رحمة أرحم الراحمين، فرحمة الحق تعالى وسعت العالم بأسره، ونحن على شاطئ ينبوع الحياة لكننا نهلك أنفسنا عطشاً، وأعظم مصاديق تلك الرحمة الإلهية هذا القرآن الكريم، فإذا كنت طامعاً برحمة أرحم الراحمين راجياً الرحمة الواسعة فانتفع بهذه الرحمة النازلة، القرآن الكريم، الذي فتح طريق الوصول الى السعادة وأوضح ما يُردي في الهاوية مما يؤدي الى سلوك الجادة الواضحة، لكنك أنت ـ أيها الانسان ـ تُسقط نفسك في الهاوية وتسلك الطرق الوعرة. وأين القصور في الرحمة من هذا؟ فهو الانسان إذن يردي نفسه المهالك غير ملتفتٍ الى دور الأنبياء عليهم السلام.

إن الهداية لطريق الخير والسعادة لو كانت ممكنة بكيفية أخرى لقام بتوضيحها الأنبياء والرُسل بمقتضى اتساع الرحمة وسعتها، ولو كان ممكناً تشخيص طريق السعادة والخير للناس بشكل آخر لأشاروا إليه وبمقتضى سعة رحمة الباري تبارك وتعالى، ولو كان ممكناً إيصال الناس الى السعادة كرهاً لفعلوا عليهم السلام. ولكن هيهات! فطريق الآخرة، طريقٌ لا يمكن طيّهُ الّا بخطى الاختيار، والسعادة لا تتحقق بالإجبار، والفضيلة والعمل الصالح ليسا فضيلةً ولا عملاً صالحاً إذا جردا عن الاختيار، ولعلَّ هذا هو ما تشير اليه الآية الكريمة ﴿لا إكراه في الدين﴾[1].

نعم! إن ما يمكن إعمال الإكراه والإجبار فيه إنما هو شكل الدين الإلهي لا حقيقته، والأنبياء عليهم السلام كانوا مكلفين بفرض هذا الشكل على الناس بأيّة طريقة ممكنة، ليتسنّى أن تُصبح صورة العالم هي صورة العدل الإلهي، وإتاحة الفرصة للإرشاد أن يتسرب الى بواطن الناس فيطووا طريقه باختيارهم، ويصلوا السعادة.

وعموماً فإن تغرير الشيطان هو الذي يحرم الانسان من الرحمة نتيجة

(١) البقرة: ٢٥٦.

الطمع فيها.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل التاسع

نفحة من أحاديث أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام
المرغّبة في حضور القلب

نكتفي في هذا الفصل بذكر بعض من هذه الأحاديث:

- روي عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: «**اعبُد الله كأنك تراه، وإن لم تكن تراه فإنه يراك**»(١).

يُستفاد من هذا الحديث الشريف مرتبتان من مراتب حضور القلب:

الأولىٰ: يكون السالك فيها مشاهداً لجمال الجميل، مستغرقاً في تجليات حضرة المحبوب، بحيث ان مسامع القلب تُصمُّ عن الموجودات الاخرىٰ، وتنفتح عين البصيرة على الجمال الخالص لذي الجلال، فلا يُشاهدُ غيره ويكون مشغولاً بالجملة بالحاضر تعالىٰ غافلاً عن الحضور والمحضر ايضاً.

الثانية: وهي دون المقام المتقدم، ويرىٰ السالك فيها نفسه حاضراً في المحضر الإلهي، مراعياً أدب الحضور والمحضر.

فالرسول الاكرم صلى الله عليه وآله يقول: إنك لو استطعت، فكن من اهل المقام الأول وأقم عبادة الله بذلك النحو، وإلّا فلا تغفل عن كونك في محضر الربوبية. فالحضور

---

(١) بحار الانوار: ج٧٤، ص٧٤ ومكارم الاخلاق: ص٤٥٩.

بين يدي الحق تعالى أدبٌ تعدُّ الغفلة عنه ابتعاداً عن مقام العبودية. وقد وردت الإشارة الى هذا المعنى في الحديث الشريف الذي رواه أبو حمزة الثمالي (رضوان الله عليه)، يقول فيه: «رأيت عليَّ بن الحسين عليه السلام يُصلّي، فسقط رداؤه عن منكبه، فلم يسوّه، حتى فرغ من صلاته، فسألته عن ذلك فقال: **ويحك أتدري بين يدي مَنْ كنتُ**»؟[1].

كما روي عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: «**إن الرجلين من أمتي ليقومان الى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد، وإن ما بين صلاتيهما ما بين السماء والأرض**»[2]. وعنه صلى الله عليه وآله «**أما يخاف الذي يحوّل وجهه في الصلاة أن يحوّلَ الله وجهه الى وجه حمار**»[3]. وعنه ايضاً «**من صلّى ركعتين لم يحدِّث نفسه بشيءٍ من الدنيا غفر الله له ذنوبه**»[4]. وعنه «**إن من الصلاة لما يُقبلُ نصفها وثُلثها وربعها وخمسها الى العُشر. وإن منها لما تُلفُّ لما يُلفُّ الثوب الخَلِق فيضرب بها وجهُ صاحبها، ومالك من صلاتك الاّ ما أقبلت عليه بقلبك**»[5]

وعن الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **اذا قام العبدُ المؤمن في صلاته نظر الله اليه [او قال أقبل الله عليه] حتى ينصرف، وأظلّتهُ الرحمة من فوق رأسه الى أفق السماء والملائكة تَحفّهُ من حوله إلى أفق السماء، ووكّلَ الله به ملكاً قائماً على رأسه يقول: أيها المُصلي لو تعلم من ينظر اليك ومن تُناجي، ما التفت ولازلت من موضعك أبداً**[6].

وعن الصادق عليه السلام قال: «**لا تجتمع الرغبة والرهبة في قلبٍ الا وجبت له**

---

(١) وسائل الشيعة: كتاب الصلاة ـ ابواب افعال الصلاة ـ باب ٣ ـ ح٦ (ج ٤، ص٦٨٨).

(٢) بحار الانوار: ج ٨١، ص٢٤٩.

(٣) مستدرك الوسائل: كتاب الصلاة ـ ابواب افعال الصلاة ـ باب ٢ ـ ح ٢٠.

(٤) المصدر السابق: ح١٣.

(٥) بحار الانوار: ج ٨١، ص ٢٦٠.

(٦) مستدرك الوسائل: كتاب الصلاة ـ ابواب افعال الصلاة ـ باب ٢ ـ ح ٢٢.

الجنة. فإذا صليت فأقبل بقلبك الى الله عزّ وجلّ، فإنه ليس من عبدٍ يُقبلُ بقلبه على الله عزّ وجلّ في صلاته ودُعائه الّا أقبل الله عليه بقلوب المؤمنين وأيده مع مودتهم إياهُ بالجنة»[١].

وعن الباقر والصادق عليهما السلام: «إن مالَكَ في صلاتك الّا ما أقبلت عليه فيها فإن أوهَمها كُلَّها، أو غفل عن آدابها لُفَّتْ فضرب بها وجه صاحبها»[٢].

وعن باقر العلوم عليه السلام: «إن العبد ليُرفع له من صلاته نصفها أو ثلثها أو ربعها أو خمسها، فما يُرفع له إلّا ما أقبل عليه منها بقلبه، وإنّما أُمرنا بالنافلة ليتم لهم ما نقصوا من الفريضة»[٣].

وعن الصادق عليه السلام: «إذا أصرمت في الصلاة فأقبل عليها فإنك اذا أقبلت أقبل الله عليك، وإذا أعرضت أعرض الله عنك، فربما لم يُرفع من الصلاة الا الثلث أو الربع أو السدس على قدر المصلي على صلاته ولا يُعطي الله الغافل شيئاً...»[٤].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا أبا ذر ركعتان مُقتصدتان في تفكُّر خير من قيام ليلةٍ والقلب لاهٍ [ساهٍ]»[٥].

---

(١) وسائل الشيعة: كتاب الصلاة ـ افعال الصلاة ـ باب ٣ ـ ح ٣ (ج ٤، ص٦٨٧).

(٢) وسائل الشيعة: كتاب الصلاة ـ ابواب افعال الصلاة ـ باب ٣ ـ ح ١ (ج ٤، ص٦٨٧).

(٣) علل الشرائع: ج٢، ص ٣٢٧، باب ٢٤، ح٢.

(٤) مستدرك الوسائل: كتاب الصلاة ـ ابواب افعال الصلاة ـ باب ٣ ـ ح٧.

(٥) مكارم الاخلاق: ص٤٦٥، وعنه بحار الانوار: ج٧٤، ص٨٢.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل العاشر

السعي في تحقيق حضور القلب

والآن، وبعد أن عرفت فضيلة حضور القلب ومزاياه ـ عقلاً ونقلاً ـ وأدركت الآثار السيئة التي تترتب على عدمه، فاعلم أن العلم وحده لا يكفي، بل إنّه يُتم الحجة عليك، فشمّر عن سواعد الهمة واجتهد لتحصيل ما عرفت وتجسيد ماتعلمت لكي تنتفع منه وتنال ثمرته.

تفكر قليلاً، فما ورد في روايات أهل بيت العصمة عليهم السلام ـ وهم معادن الوحي الذين تستند كل أقوالهم وعلومهم الى الوحي الإلهي والكشف المحمدي صلى الله عليه وآله ـ مما يشير الى أن قبول الصلاة شرطٌ في قبول سائر الأعمال، وأنها اذا رُدّت لم يُنظر في سائر الأعمال أصلاً، وأن قبول الصلاة إنما هو في إقبال القلب فيها، فلا قيمة للصلاة دونه، ولا تكون لائقة بمحضر الحق تعالىٰ ولا تحظىٰ بقبوله.

حينها ستدرك أن حضور القلب مفتاح كنز الاعمال، والباب المفضية الى بلوغ السعادات كافّة، به يُفتح للانسان باب السعادة، وبدونه لا قيمة لجميع العبادات.

تفكّر قليلاً محاولاً أخذ العبرة وتأمل بعين البصيرة في أهمية المقام وعظمة الموقف، ثم بادر الى العمل باجتهاد وجد، فمفتاح باب السعادة وابواب الجنة ومفتاح باب الشقاء وابواب جهنم بحوزتك أنت في هذه الدنيا، فأنت تستطيع أن

تفتح ابواب الجنة والسعادة امامك، او تفتح ابواب جهنم والعذاب. زمام الأمر بيدك، وقد اتمَّ الله تبارك وتعالىٰ الحجة عليك، ووضّح سبل السعادة والشقاء، ومنحك أشكالاً من التوفيق الظاهر؛ والدور الذي يرتبط به تعالىٰ وبأوليائه قد أُنجز، ويبقىٰ دور مبادرتنا نحن، فأولئك هم الهداة ونحن السالكون، وقد أنجزوا هم مهمتهم على أحسن وجه، ولم يُبقوا لنا عذراً ولم يقصّروا طرفة عين. فانهض انت من نوم الغفلة وانطلق لتطوي طريق سعادتك. وانتفع من عمرك وقدرتك، فاذا مَرَّ الزمان وفقدت ما أُتيح لك من العمر والشباب واحتياطي القوة والاستطاعة، فلن يمكنك تعويض ذلك. فإن كنت فتياً فلا تترك نفسك الى حين الشيخوخة، فإن أمامك مصائب يعرفها الشيوخ وتجهلها انت، والإصلاح في زمن الشيخوخة والضعف من الامور الصعبة للغاية.

اما اذا كنت شيخاً، فلا تسمح بضياع ما تبقّى من عمرك، ومهما يكن الحال، فإنك مازلت ـ في الأقل ـ في هذا العالم وأمامك طريق للسعادة مفتوح، ولو أغلق ـ لا سمح الله ـ فستفقد حينها الاختيار ولن يتخلف لك سوىٰ الحسرة والندامة على الماضي.

إذن، اذا آمنت ـ عزيزي ـ بما ذُكر، وهو مقالة الأنبياء عليهم السلام، واعددت نفسك لبلوغ السعادة، ولسفر الآخرة، واعتقدت بضرورة (حضور القلب) ـ مفتاح كنز السعادة ـ فاعلم أن طريق تحقيقه هو الآتي:

أولاً، عليك إزالة الموانع الحائلة دون حضور القلب ورفع الأشواك عن طريق سيرك في سلوكك. ثم المبادرة بعد ذلك الى الإقدام على تحصيل حضور القلب.

أما المانع من حضور القلب في العبادات، فهو تشتّت الخاطر وكثرة ما يرد على القلب، وهذا يكون تارة من الامور الخارجية وعن طريق الحواس الظاهرة، كأن تسمع أذن الانسان شيئاً وهو في العبادة، فيتعلق الذهن به فيصبح مصدراً للتخيلات والأفكار في الداخل، وتتصرف فيه «الواهمة والمتصرفة» فتطير به من غصن الى غصن.

أو أن تبصر عين الانسان شيئاً فيصير سبباً في تشتت الذهن وتصرّف «المتصرفة» فيه، أو أن تُحسَّ حواس الانسان الأخرىٰ بشيءٍ فيتسبب في حدوث انتقالات في الخيال.

فإن قيل إن علاج هذا يتم بإزالة هذه الأسباب، كأن يُصلي المصلي مثلاً في بيت مظلم أو في مكان تتحقق فيه الخلوة، أو أن يسدَّ عينيه حين الصلاة، او أن يتجنَّب الصلاة في أماكن يُلفت ما فيها نظره او انتباهه، كما نقل المرحوم الشهيد السعيد (رضوان الله تعالىٰ عليه) عن بعض المتعبدين من أنهم كانوا يتعبدون في بيت صغيرٍ مظلم لا يكفي سوىٰ لإقامة الصلاة فيه[1]، قلنا إنه لا يخفىٰ عدم كفاية كل هذا لإزالة المانع والقضاء على السبب الرئيس، فالأصلُ هو في تصرّف الخيال الذي يتحرك لأدنىٰ سبب، فقد يحدث أحياناً أن يُصبح تصرّف الواهمة والخيال أكثر عندما يصلي الانسان وحيداً في حجرة صغيرة مظلمة، فيجمح نحو أسبابٍ اخرىٰ وينشغل ويلهو بها.

اذن فالقضاء على العلة الأصلية تماماً إنما يكون بإصلاح الخيال والواهمة، وسنشير الى هذا لاحقاً.

اجل، قد يكون هذا النمط من العلاج ذا تأثيرٍ في بعض النفوس ويساهم في تقديم العون لها، ولكننا نبحث عن العلاج القطعي ونسعىٰ الى استئصال المسبب الحقيقي، وهذا لا يتحصل بذاك.

وتارة قد يكون تشتت الخاطر والمانع من حضور القلب ناشئاً من الامور الداخلية، وهذا له ـ بصورة عامة ـ سببان رئيسان، اليهما تُعزىٰ أغلب الأمور الأخرىٰ:

أحدهما: انفلات طائر الخيال وعبثيته وعدم استقراره، فالخيال بطبيعته قوة قلقة تنتقل دوماً كالطير من غصنٍ الى آخر ومن أعلىٰ هذا السطح الى ذاك. وهذه

(١) التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية: ص ١١٠ (مطبوع مع مجموعة تقريرات الشهيد الثاني، طبعة حجرية).

الحالة لا ترتبط بحب الدنيا والسعي وراء الأمور الدنّية والمال والمظاهر الدنيوية الاخرىٰ، ففرار الخيال مصيبة قد يبتلي بها حتى تارك الدنيا المعرض عنها.

إنَّ اكتساب حالة استقرار الذهن وطمأنينة النفس وسكون الخيال من الأمور المهمة التي يتحقق بتحصيلها العلاج القطعي، وسوف نشير الى ذلك لاحقاً ايضاً.

والسبب الآخر: هو حبُّ الدنيا وتعلّق الخاطر بالاعتبارات الدنيوية وهو رأس الخطايا وأمّ الأمراض الباطنية، فهو شوك طريق أهل السلوك ومنشأ المصائب. فمادام القلب متعلقاً بالدنيا منغمساً في حبها فإن طريق إصلاح القلوب مسدود، وباب السعادات كافة مغلق أمام الانسان.

وسنشير في الفصلين اللاحقين الى سبل إزالة هذين السببين الرئيسين والمانعين القويين -إن شاء الله-.

الفصل الحادي عشر

علاج عبثية الخيال وفراريته لتحصيل حضور القلب

اعلم، أنّ كلّ واحدة من قوىٰ النفس الظاهرة والباطنة يمكن تربيتها وتعليمها وفق ترويضٍ خاص، فمثلاً لا يمكن لعين الانسان أن تحدّق بنقطة معينةٍ او نور شديد ـ كنور قرص الشمس ـ مدة طويلة دون أن يرفّ لها جفن، ولكن الانسان اذا روّض عينه ـ كما يفعل بعض أصحاب الرياضات الباطلة من اجل غاياتٍ معينة ـ أمكنه ان يحدّق في قرص الشمس ساعات طويلة دون أن يرفّ لعينه جفن ودون أن يعتريها التعب، او يمكنه أن ينظر بها الى نقطة معينة لعدة ساعات ودون ارتداد في طرفها.

وكذا سائر القوىٰ، حتى في حبس الأنفاس، فمن المحكي أن بين اصحاب الرياضات الباطلة من يحبسون أنفاسهم أوقاتاً تزيد على المتعارف في النوع الانساني.

ومن القوىٰ التي يمكن تربيتها، قوة الخيال وقوة الواهمة، القوتان اللتان تتصفان قبل تربيتهما بصفات طائر كثير الحركة والتنقل سريع الفرار، بحيث أن الانسان إذا أراد أن يحصي تنقلات هذه القوىٰ خلال دقيقة واحدة لوجد أنها تنتقل عدة انتقالات متتالية سريعة دون وجود سوىٰ رابطةٍ ضعيفةٍ بين الموضوعات التي تنتقل بينها، ودون وجود قاعدة محددةٍ لذلك. الأمر الذي دفع

كثيرين الى الاعتقاد بعدم إمكانية الاحتفاظ بطائر الخيال وترويضه، وبأنّ هذا الأمر يدخل ضمن إطار المُحالات المتعارفة. في حين أن الأمر ليس كذلك، اذ يمكن بالرياضة والتربية ومع الوقت ترويض طائر الخيال وتطويعه بالشكل الذي يجعله طيعاً يتحرك تبعاً لإختيار الانسان وإرادته فيحبسه على مقصد أو مطلب معين عدة ساعات متى ما أراد ذلك.

والسبيل الأساسي لتطويعه هو العمل بخلاف عمله، وذلك بأن يَعدُّ الانسان نفسه ـ حين الصلاة مثلاً ـ للإحتفاظ بالخيال في حدودها ويحبسه عملياً، فيرجعه بمجرد محاولته الفرار من قبضته، ويكون منتبهاً اليه في كل واحدةٍ من حركات الصلاة وأفعالها وأذكارها، ويدقق في حالهِ ولا يتركه وشأنه.

وهذا الأمر يبدو في البداية صعباً، لكنه سيؤدي بعد مدة من الإصرار والدقة والمواظبة الى تطويع طائر الخيال وترويضه.

ولا تتوقع أنك ستتمكن من الإمساك بطائر الخيال طوال وقت الصلاة في أول محاولة فهذا أمر غير ممكن ومحال طبعاً، ولعل السبب في ادعاء اولئك البعض استحالة تحقق حبس الخيال هو توقعهم حدوث ذلك في أول الأمر، فهذا الأمر لا يمكن تحقيقه الّا بالتدرّج والتأنّي والصبر والتحمُّل.

فمن الممكن في بداية الأمر أن يحبس الخيال في عُشر الصلاة أو أقل من ذلك، فيحصل حضور القلب في ذلك الجزء منها، ثم تتحقق للإنسان نتيجةٌ أفضل اذا ما ظلّ يفكّر في هذا الأمر ويرى نفسه مفتقراً إليه، وشيئاً فشيئاً يسيطر الانسان على شيطان الوهم وطائر الخيال، فيمسك زمام أمرهما بيده معظم وقت الصلاة.

وينبغي للانسان أن لا ييأس أبداً، فاليأس منشأ جميع أنواع الوهن والعجز، في حين أن الأمل يوصل الانسان الى كمال سعادته.

وأهم ما في الأمر هو الإحساس بالإحتياج، وهذا هو أقلُّ شيءٍ فينا، فقلوبنا لم تؤمن بأن الصلاة هي رأسمال سعادة عالم الآخرة والوسيلة للحياة السرمدية

الخالدة، فنحن ننظر الى الصلاة على أنها ضريبة ندفعها مقابل حياتنا وأمرٌ مفروضٌ علينا. وهو أمر طبيعي، فحبّ الشيء ينشأ من إدراك نتائجه، فنحن نحبّ الدنيا لأننا نتحسس ما فيها؛ لذا فإن قلوبنا تتعلق بها، ولهذا فنحن لسنا بحاجة في سعينا وراءها الى من يدعونا الى ذلك ويحثنا عليه. وإن أولئك الذين توهموا أن لدعوة النبي الخاتم والرسول الهاشمي صلى الله عليه وآله جنبتين: دنيوية وأخروية، وظنوا أن ذلك هو السبب في رفعة صاحب الشريعة في كمال النبوة، إنما هم جهلة بالدين يفتقرون الى المعرفة بالدعوة وبالهدف من النبوة.

إن الدعوة الى الدنيا خارجة بالكامل عن هدف الأنبياء العظام. ففي غريزة الشهوة والغضب وشيطان الظاهر والباطن ما يكفي في الدعوة الى الدنيا. والدعوة الى الدنيا ليست بحاجة لبعث الرسل، كما أن إشباع الشهوة والغضب لا يستلزم قرآناً او نبياً. فالأنبياء إنما بُعثوا ليصدّوا الناس عن الدنيا ويقيدوا من إطلاق الشهوة والغضب ويحددوا موارد الانتفاع منها، والغافل فقط هو الذي يتوهم أنهم يدعون الى الدنيا. فهم يقولون: لا تسعَ لجمع المال من أيّ طريق كان، بل اجعل ذلك عن طريق التجارة والصناعة والزراعة. ويقولون: لا تطفئ لهب الشهوة بأية وسيلة كانت، بل احرص على جعل الأمر يتم عن طريق النكاح وإن كان الأصل في الشهوة والغضب هو الإطلاق.

اذن فهم عليهم السلام المانعون من الإطلاق، وليسوا دعاةً الى الدنيا، وإن روح الدعوة للتجارة هو التقييد عن الكسب الحرام، كما أن روح الدعوة الى النكاح هو تحديد الطبيعة والمنع من الفجور وإطلاق قوة الشهوة.

نعم، إنهم عليهم السلام ليسوا معارضين بصورة مطلقة لأن مثل هذه المعارضة المطلقة تخالف النظام الأكمل.

وعموماً، فلأننا نحسُّ بالحاجة للدنيا ونفهمها على أنها رأسمال الحياة وينبوع اللذات فنحن مهيّأون للإقبال عليها والسعي في سبيل الحصول عليها، ولو أننا آمنا بالحياة الآخرة وأحسسنا بالحاجة اليها، وعرفنا أن العبادات

ـ لاسيما الصلاة ـ هي رأسمال التنعم في ذلك العالم ومنبع سعادة تلك الدار، فإننا سنجتهد حتماً في الحصول عليها ثم لا نلمس في أنفسنا أيّ إحساسٍ بالمشقّة او الألم أو التكلُّف نتيجة ذلك السعي، بل إننا سنسعى الى تحصيلها بكامل الرغبة والشوق ونحاول جاهدين تحقيق الشروط اللازمة للحصول عليها، ونبذل الغالي والنفيس في سبيل ذلك.

أما هذا الفتور والوهن الموجود فينا فهو بسبب انخفاض حرارة شعلة الإيمان وضعف أساسه في دواخلنا، وإلّا لو كان كل ما أخبر به الأنبياء والأولياء عليهم السلام، وما برهن عليه الحكماء والعظماء(عليهم الرضوان) قد أوجدت فينا يقيناً على درجة ما، لوجب أن يكون التزامنا بأوامرهم وسعينا للحصول على تلك الحياة أفضل مما هو عليه الآن.

ولكن واحسرتاه وألف واحسرتاه! فالشيطان قد تسلّط على بواطننا واستحوذ على مجامع قلوبنا ومسامع دواخلنا وهو يحول دون وصول كلام الحق تعالى ورُسله وحكم العلماء ومواعظ الكتب الإلهية الى أسماعنا، فآذاننا الآن، آذان حيوانية دنيوية، ومواعظ الحق لا تتجاوز حدَّ الظاهر، وحدَّ الأذن الحيوانية، فتصل الى الباطن، فذلك ﴿**لمن كان له قلبه أو ألقى السمعَ وهو شهيد**﴾[1].

إن أهم ما ينبغي للسالك الى الله والمجاهد في سبيله، أن يبادر اليه، هو الإعراض ـ خلال سلوكه ومجاهدته ـ بصورة كاملة عن الإعتماد على الأسباب، والتوجّه نحو مسبب الأسباب، والتعلق ـ فطرةً ـ بمبدأ المبادئ، سائلاً إياه تعالى العصمة والحفظ، ومعتمداً على مطلق معونته جلَّ وعلا، فيتضرع في الخلوات داعياً إياه ـ تقدست أسماؤه ـ جاداً في دعوته أن يصلح حاله، إذ لا ملاذ ولا معاذ سواه سبحانه وتعالى والحمد لله.

---

(١) ق: ٣٧.

الفصل الثاني عشر

حبُّ الدنيا سبب في تشتّت الخيال

حبُّ الدنيا منشأ لتشتّت الخيال ومانع من حضور القلب، وهنا سنحاول استعراض هذا الموضوع وسبل معالجته بالقدر الميسور.

لا يخفى أن القلب مفطور على جعل قبلة توجهه واهتمامه أيّ شيءٍ أحبه، واذا صار الانشغال بأمرٍ ما مانعاً من التفكّر في حال المطلوب وجمال المحبوب، فإن القلب يحلّق فوراً الى محبوبه ويطوف حوله، بمجرد أن يقل ذاك الانشغال ويزول ذلك المانع. واذا كان أهل المعارف وأصحاب الجذبة الإلهية أقوياء القلوب متمكنين في الجذبة والحب، ويشاهدون جمال المحبوب في كلِّ مرآة، ويرون كمال المطلوب في كل موجود فيقولون: «**وما رأيت شيئاً الّا ورأيت الله فيه ومعه**»[1]، واذا كان سيدهم صلى الله عليه وآله يقول: «**ليغان على قلبي وإني لاستغفر الله في كلِّ يوم سبعين مَرة**»[2]، فإن ذلك إنما لأن رؤية جمال المحبوب في المرايا، لا سيما الكدرة منها ـ كمرآة أبي جهل ـ تعدُّ بالنسبة للكمّل كدورة بحدّ ذاتها.

اما اذا لم يكونوا اقوياء القلوب، وكان الإنشغال بالكثرات مانعاً لهم من

---

(١) عن امير المؤمنين عليه السلام ، راجع علم اليقين: ج١، ص٤٩.

(٢) مستدرك الوسائل: كتاب الصلاة ـ ابواب الذكر ـ باب ٢٢ ـ ح١.

الحضور، فإنه بمجرد أن يقلّ ذلك الإنشغال، فإن طائر القلوب سيطير الى وكر القدس ويتعلق بجمال الجميل.

كذلك فإن طلاب غير الحق ـ وهم طلاب دنيا في نظر أهل المعرفة ـ متوجهون نحو مطلوبهم متعلقون به ـ أيّاً كان مطلوبهم ـ هم ايضاً ـ اذا كانوا مغالبين في حُبّ مطلوبهم، وكان حبُّ الدنيا قد استحوذ على مجامع قلوبهم ـ لا يغفلون أبداً عن التوجه اليه، وهم مشغلون في كل حين وعلى أيّة حال بجمال محبوبهم. أما إذا كان حبهم أقلّ من ذلك فإن قلوبهم تهفو الى محبوبهم في أوقات فراغها.

فأولئك الذين امتلأت قلوبهم بحب المال والرئاسة والسمعة يرون مطلوبهم حتى في النوم، ويمضون وقت يقظتهم منشغلين به، فهم يعانقون محبوبهم ماداموا في اشتغال ومباشرة للدنيا، وعندما يحين وقت الصلاة تجد قلوبهم متسعاً من الفراغ فتتعلق بمحبوبها فوراً، وكأنّ تكبيرة الإحرام مفتاح لباب أو أذان بإزالة الحجاب بين قلوبهم وبين محبوبها، وما يلتفت ذلك الانسان الى نفسه الّا في وقتٍ يكون قد أنهىٰ فيه سلام ختام الصلاة، التي أتمها دون أدنىٰ توجهٍ اليها، فقد كان جُلُّ تفكيره منصباً على الدنيا، وهذا بالضبط هو الذي يجعل أربعين أو خمسين عاماً من المواظبة على الصلاة لا تترك في قلوبنا أثراً سوىٰ الظلمة والكدورة، وهو الذي يجعل الصلاة تنفينا عن ساحة القرب الإلهي، وتبعدنا فراسخ وفراسخ عن العروج الى مقام الأُنس، مع أنها يفترض أن تكون معراجاً للقرب من الحق تعالىٰ وسبباً لتحقيق حالة الأُنس بذلك المقام المقدس.

وإلّا فإن صلاتنا لو كانت تنطوي على نفحةٍ من العبودية لدفعتنا للتحلي بالتواضع والترابية لا بالعجب والمباهاة والفخر والتكبُّر، الأمور التي يكفي الواحد منها ان يكون سبباً وعاملاً لهلاك الانسان وشقائه.

إجمالاً، فلأنّ قلوبنا معجونة بحب الدنيا، لا هدف لها ولا غاية سوىٰ إعمار الدنيا، فلابد أن يحُول هذا الحب دون تفرغ القلب وحضوره في محضر القدس ذاك. ولا علاج لهذا المرض المهلك والفساد المبير الّا بالعلم والعمل النافع.

أما العلم النافع في معالجة هذا المرض، فهو التفكُّر في ثمار ونتائج (حب الدنيا) ومقارنتها بالمضار والمهالك الناجمة عنه، وقد أوردنا شرحاً حول هذا الموضوع فيكتاب (الأربعين) تعرضنا فيه الى توضيح جوانبه قدر ما استطعنا، وسأكتفي هنا بشرح بعض أحاديث اهل بيت العصمة عليهم السلام حول الموضوع.

في الكافي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال «رأس كل خطيئة حُبُّ الدنيا»[1]، وقد وردت بهذا المعنىٰ احاديث اخرى كثيرة تتفاوت ـ قليلاً ـ في الفاظها[2].

وحسب الانسان الواعي التأمّل في هذا الحديث الشريف وحده، والتفكّر في هذه الخطيئة المهلكة التي تعدُّ مصدر جميع الخطايا وأصل وأساس جميع المفاسد.

إن جميع المفاسد الأخلاقية والسلوكية تقريباً، هي من ثمار هذه الشجرة الخبيثة، فما من دينٍ او مذهبٍ باطل ابتدع في هذا العالم، وما من فسادٍ يقع في هذه الدنيا الّا نتيجة هذه الموبقة الخطيرة، فالقتل والنهب والظلم والاعتداء كلها نتائج لهذه الخطيئة، والفجور والفحشاء والسلب وسائر الموبقات وليدة جرثومة الفساد هذه.

والانسان الأسير لهذا الحب محروم من جميع الفضائل المعنوية، فالشجاعة والعفة والسخاء والعدالة ـ والتي تعدُّ منشأ جميع الفضائل النفسانية ـ لا تجتمع مع حب الدنيا، كذلك فإن المعارف الإلهية في التوحيد في الإسماء والصفات والأفعال والذات، والسعي في التوجه نحو الحق أو رؤية الحق، كلها متضادة مع حب الدنيا.

طمأنينة النفس وسكون الخاطر وراحة القلب، وهي لبُّ السعادة في الدارين، هي الأخرىٰ لا تأتلف مع حب الدنيا. كذلك فإن الحرية والنجابة وغنىٰ القلب

(١) الاصول من الكافي: كتاب الايمان ـ باب حبُّ الدنيا والحرص عليها ـ ح ١.

(٢) راجع الاحاديث (١ ـ ١٧) من الباب المذكور في المصدر السابق.

وسموّ النفس وعزتها، هي من الامور الملازمة للإعراض عن الدنيا، مثلما أن الفقر والذلّة والطمع والحرص والتملق أمور ملازمة لحب الدنيا. كذا فإن الرأفة والرحمة والتواصل والمودة والمحبة متعارضة مع حب الدنيا، مثلما أن البغض والحقد والجور وقطيعة الارحام والنفاق وسائر الأخلاق الفاسدة، وليدة أُمّ الأمراض هذه.

في مصباح الشريعة: عن الصادق عليه السلام قال: «**الدنيا بمنزلة صورة، رأسُها الكِبَر، وعينُها الحرص، وأذنها الطمع، ولسانها الرياء، ويدُها الشهوة، ورجلها العُجب، وقلبها الغفلةُ، وكونها الفناء، وحاصلها الزوال. فمن أحبها أورثته الكبر، ومن استحسنها أورثته الحرص، ومن طلبها أوردته الى الطمع، ومن مدحها ألبسته الرياء، ومن أرادها، مكّنته من العجب، ومن اطمأن [ركن خ.ل] اليها أولته الغفلة، ومن أعجبه متاعها أفنته، ومن جمعها وبخل بها ردّته الى مستقرها وهي النار**»[1].

وفي إرشاد القلوب للديلمي، عن أمير المؤمنين عليه السلام، أن الله تعالىٰ قال في الحديث القدسي مخاطباً الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «**...يا أحمد لو صلّىٰ العبدُ صلاة أهل السماء والأرض وصام صيام أهل السماء والأرض وطوىٰ من الطعام مثل الملائكة ولبس لباس العابدين، ثم أرىٰ في قلبه من حبّ الدنيا ذرةً أو سُمعتها او رياستها او حليتها او زينتها، لا يجاورني في داري ولأنزعنَّ من قلبه محبتي**»[2].

اذن، جليٌّ أن حب الدنيا وحب الله تعالىٰ لا يجتمعان، والأحاديث في هذا أكثر من أن تُحصر في هذه الصفحات.

فحبُّ الدنيا رأس وأساس جميع المفاسد، ويلزم الانسان العاقل الحريص على تحقيق السعادة لنفسه، أن يقتلع شجرة حب الدنيا من قلبه، والسبيل

(١) مصباح الشريعة: الباب ٣٢ (في صفة الدنيا).

(٢) إرشاد القلوب للديلمي: ج١، ص٢٠٦.

العملي في تحقيق ذلك هو في أن يتعامل الانسان مع نفسه بالضدّ، فإذا كان محباً للمال والمنال، فعليه أن يقتلع جذور هذا الحب من خلال بسط اليد بالصدقات الواجبة والمستحبة، فإحدى فوائد الصدقات أنها تقلل الإرتباط بالدنيا وحبها. لذا يُحثُّ الانسان على التصدق بما يحب ويعتزّ به، كما يشير الى ذلك الحق تعالىٰ بقوله: ﴿**لن تنالوا البرَّ حتى تنفقوا مما تحبون**﴾[1].

وإذا كان محباً للسمعة والتقدم والرئاسة وتخطي الرقاب، فعليه أن يتصرف بما يناقض ذلك ويمرّغ أنف الأمّارة بالسوء في التراب، لكي يصلح حالها.

وعلى الانسان أن يدرك أنه كلما اشتدّ سعيه وراء الدنيا وزادت رغبته في تحصيلها ازداد حبّه لها وتضاعف أسفه على فقدانها. والانسان يسعى ـ مثلاً ـ للشيء الذي لايملكه من الدنيا، متصوراً أنه يطلب ذلك الحدَّ منها فقط، فيسعىٰ نحوه مادام محروماً منه، ويتحمل في سبيل ذلك المشاق، ويورد نفسه المهالك، غير أنه ما إنْ يحصل على ذلك المقدار من الدنيا حتى يصبح بالنسبة له أمراً عادياً، فينصرف حبه ورغبته الى شيءٍ آخر يفوقه مرتبة، فيلقي بنفسه من جديد في المشاق والتعب من أجله؛ وهكذا فإن عشقه للدنيا لا تخفُّ حدّته أبداً، بل يزداد تأججاً يوماً بعد آخر، وتتضاعف معه مشقته وتعبه. فليس لهذه النزعة الفطرية التي جُبل عليها الانسان حدٌّ تتوقف عنده. وقد توسّع اهل المعارف في موضوع هذه النزعة الفطرية فأثبتوا كثيراً من المعارف، مما لا مجال لذكره هنا. كذلك فقد وردت الإشارة الى بعض هذه الامور في الأحاديث الشريفة. ففي الكافي، عن الباقر عليه السلام قال: «**مثلُ الحريص على الدنيا كمثل دودة القزّ، كلّما ازدادت على نفسها لفّاً كان أبعد لها من الخروج حتىٰ تموتَ غماً**»[2]، وعن الصادق عليه السلام «**مثل الدنيا كمثل ماء البحر، كلما شرب منه**

---

(١) آل عمران: ٩٢.

(٢) الاصول من الكافي: كتاب الايمان والكفر ـ باب ذم الدنيا والزهد فيها ـ ح ٢٠ (ج٣، ص٢٠٢). وكذلك باب حب الدنيا والحرص عليها ـ ح٧.

العطشان ازداد عطشاً حتى يقتله»[(١)].

مسك الختام

إيهاً يا طالب الحق السالك الى الله، اذا وفّقت في ترويض طائر الخيال، وكبّلتَ شيطان الواهمة وخلعت نعلي حب الزوجة والبنين وسائر الامور الدنيوية، وآنست جذوةً من نار عشق الفطرة الإلهية، ونطقت بـ﴿إني آنست ناراً﴾[(٢)]، ورأيت أن ليس أمامك عقبات تمنعك من السّير، ورأيت أنك قد أعددت وسائل السفر، فانهض من مكانك وهاجر بيت الطبيعة المظلم والممر الدنيوي الضيق المعتم، وتخلص من أغلال الزمان وقيوده، وحَرِّر نفسك من هذا السجن، وأطلق طائر القدس ليحلّق الى محفل الأنس.

«ينادونك من محفل العرش، لا ندري لماذا أنت قابع في هذه المصيدة؟»[(٣)]

فقوِّ عزمك إذن، وعزز إرادتك، فالعزم هو الشرط الأول للسلوك ودونه لا يمكن طيّ طريق ولا بلوغ كمال. وقد كان الشيخ الجليل الشاه آبادي[(٤)](روحي

---

(١) الاصول من الكافي: كتاب الايمان والكفر ـ باب ذم الدنيا والزهد فيها ـ ح ٢٤ (ج٣، ص٢٠٢). وكذلك باب حب الدنيا والحرص عليها ـ ح٧.

(٢) طه: ١٠. النمل: ٧.

(٣) مضمون بيت بالفارسية للشاعر حافظ الشيرازي.

(٤) هو المرحوم آية الله الميرزا محمد علي الاصفهاني الشاه آبادي، نجل المرحوم آية الله الميرزا محمد جواد حسين آبادي الاصفهاني، ولد في إصفهان سنة ١٢٩٢هـ.ق، وأنهى دراسة المقدمات فيها ثم بعد أن درس على والده ـ الذي يعدُّ أكابر تلامذة صاحب الجواهر، ومن المجتهدين الكبار ـ التحق بحوزة أخيه الأكبر الشيخ أحمد المجتهد المعروف بـ «حسين الآبادي الاصفهاني» والذي اجتهد قبل البلوغ وتقدم السن. كما درس في حوزة آية الله الحاج ميرزا هاشم چهار سوقي، ثم انتقل الى طهران ليتابع دروسه لدى الميرزا حسن الاشتياني والميرزا هاشم الجيلاني. فلما أتمّ ذلك سافر الى النجف الأشرف فحضر هناك درس الآخوند الخراساني والميرزا حسين الخليلي وميرزا محمد تقي الشيرازي، الى أن شهد له أكابر العلماء بالإجتهاد. فعاد الى ايران وأقام في طهران وبالتحديد في شارع «شاه آباد» ومن هنا جاءت تسميته بالشاه آبادي.

سافر في سنة ١٣٤٧ هـ ق الى قم ليمارس تدريس الفقه والفلسفة والحكمة فتلمذ عنده كبار المجتهدين المعاصرين. وبقي على ذلك حتى سنة ١٣٥٤هـ ق عاد بعدها الى طهران ليمارس دوره ومسؤوليته في ترويج مباني

فداه) يصف (العزم) بأنه لبُّ الانسانية، ويمكن القول: إن احد أهم الأهداف المطلوبة من التقوى والتورّع عن الشهوات ومخالفة الأهواء النفسانية وممارسة الرياضات الشرعية والعبادات والمناسك الإلهية إنما هو تقوية العزم وإخضاع القوى «الملكية» لملكوت النفس، كما أشرنا الى ذلك فيما تقدم.

نختتم هذه المقالة بالحمد والثناء على ذات الكبرياء المقدسة للحق تعالى، وبالتسبيح له، والصلاة على السيد المصطفى والنبي المجتبى وآله الأطهار عليهم السلام، ونستمد من روحانية تلك الذوات المقدسة العون في سلوك هذا السفر الروحي والمعراج الإيماني.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الشريعة والانصراف الى التأليف، فأصدر عدّة مؤلفات منها: الانسان والفطرة ـ الايمان والرجعة ـ القرآن والعترة ـ حاشية الكفاية ـ حرام إسلامي ـ و«منازل السالكين» في العرفان. وغيرها كثير في الفقه والأصول والعقل والجهل والنبوة.

توفي سنة ١٣٦٩هـ ق وشيع جثمانه الآلاف ممن كانوا يأتمون به في المسجد الجامع وغيرهم، ودفن في مقبرة أبي الفتوح الرازي في مدينة الريّ.

يكنّ له الإمام الخميني (رضوان الله عليه) احتراماً وإجلالاً خاصاً لما لمس منه من طول باع في المعارف العرفانية والرقي في مدارج الكمالات الروحية.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المقالة الثانية

مقدمات الصلاة وبعض آدابها القلبية

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المقصد الأول

الطهارة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الأول

في الطهور إجمالاً

ذكرنا سابقاً أن للصلاة حقيقةً تنطوي خلف صورتها المتعارفة، وباطناً غير هذا الظاهر، وكما أن هناك آداباً وشروطاً ينبغي مراعاتها لتتكامل الصلاة في شكلها، فإن لباطنها أيضاً آداباً وشروطاً يجب على السالك مراعاتها.

لذا، فإن للطهارة شكلاً وآداباً شكلية ـ وبيانها موكول الى غير هذا الكتاب ـ وقد بيّنها فقهاء المذهب الجعفري (أعلى الله كلمتهم ورفع درجتهم) ـ وآداباً اخرىٰ للطهور الباطني، نسعىٰ فيما يلي الى توضيحات علىٰ نحو الإجمال.

اعلم، أنه مادامت حقيقة الصلاة هي العروج الى مقام القرب وبلوغ مقام الحضور بين يدي الحق جلّ وعلا، فإن تحقيق هذا الهدف الأكبر والغاية القصوىٰ يستلزم طهارةً أسمىٰ من هذه الطهارة الشكلية. فأشواك هذا الطريق والموانع في هذا العروج، قذاراتٌ لا يستطيع السالك ـ إنْ لم يسعَ في إزالتها ـ الصعود بهذه المرقاة والعروج بهذا المعراج، وكل الموانع من الصلاة وأرجاس الشيطان هي من هذه القذارات، في حين أن شروط حقيقة الصلاة هي كل ما يعين السالك في هذا السير ويُعَدُّ من آداب الحضور.

فعلىٰ السالك أن يزيل الموانع والقذارات أولاً، لكي يتيسر له الإتصاف بالطهارة وتحصيل الطهور، الذي يتصل بعالم النور. فالسالك لن يحظىٰ

بالمحضر المقدس أو الحضور فيه ما لم يتطهر من جميع القذارات الظاهرية والباطنية، العينية والسارية منها.

وأول درجةٍ من القذارات، هي القذارات التي تلوث أدوات النفس وقواها الظاهرية بلوث الذنوب وأقذار المعاصي وأدران التمرّد على أوامر وليّ النعم، وغير ذلك مما هو من مكائد إبليس الشكلية التي تحرم الانسان الواقع فيها من فيض المحضر والحصول على القرب الإلهي.

ولا يظنن أحد أن بإمكانه الفوز بمقام حقيقة الانسانية او تطهير باطن القلب دون تطهير ظاهر مملكة الانسانية، فإن هذا من تغرير الشيطان ومكائد إبليس الكبرى؛ ذلك لأن الكدورة والظلمات القلبية انما تزداد بازدياد المعاصي التي تمثل حالة غلبة الطبيعة على الروحانية، وما دام السالك عاجزاً عن فتح مملكة الظاهر فسيظلّ محروماً بالكامل من الفتوحات الباطنية، التي تعدُّ الهدف الأكبر، ولن يُفتح له سبيل الى السعادة.

اذن، فإحدى العقبات الكبرى في هذا السلوك، هي القذارات والمعاصي التي يجب التطهر منها بماء التوبة النصوح، الطاهر المُطهر.

واعلم أن جميع القوى الظاهرية والباطنية التي أنعم الحق تعالى بها علينا وأنزلها من عالم الغيب هي أمانات إلهية، كانت طاهرة مطهرة من جميع القذارات بل متألقة بنور الفطرة الإلهية، بعيدة عن ظلمة وكدورة تسلط إبليس عليها، ثمّ إنها تلوثت بعد أن طالتها يد شيطان الواهمة وأرجاس إبليس بعد نزولها الى ظلمة عالم الطبيعة، فانتفت عنها حينئذٍ الطهارة الأصلية والفطرة الأولية، وتلوثت بأنواع القذارات والأرجاس الشيطانية.

اذن، فإن السالك الى الله اذا تمكن ـ وبعد التمسك بأذيال لطف وليّ الله ـ من حفظ مملكة الظاهر طاهرةً وبعيدة عن سلطة الشيطان، وردَّ الأمانات الإلهية على الحالة التي استلمها دون نقصٍ ولم يخُن الأمانة، شمله بذلك الغفران والستر، واطمأنّ باله الى سلامة الظاهر، فيعمد بعد ذلك الى القيام بإزالة

الأرجاس والأخلاق الفاسدة من الباطن، وهذه هي الدرجة الثانية من القذارات التي يكون فسادها أشدّ وعلاجها أصعب، وأهميتها أكبر عند المرتاضين؛ ذلك لأن الخُلق الباطني للنفس مادام فاسداً وما دامت النفس محاطة بالقذارات المعنوية، فإنها لن تكون اهلاً لمقام القدس وخلوة الأنس، بل قد يكون منبع فساد مملكة الظاهر هو باطن النفس وأخلاقها الفاسدة وملكاتها الخبيثة، وما لم يبدل السالك تلك الملكات السيئة بالملكات الحسنة فلن يأمن من شرور الأعمال، بل إنه حتىٰ إن وُفّق للتوبة فلن تتيسر له الإستقامة فيها مما يعدُّ من مهمات الامور.

فتطهير الظاهر رهين بتطهير الباطن ايضاً، فضلاً عن أن القذارات الباطنية ذاتها تعدُّ السبب في الحرمان من السعادة ومنشأ (جهنم الأخلاق)، التي يقول عنها أهل المعرفة بأنها أخطر من (جهنم الأعمال) وأشدّ منها إحراقاً، والإشارات الى هذا المعنىٰ كثيرة في الأخبار المأثورة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام؛ لذا وجب على السالك أن يبادر ـ وبعد تطهير صفحة النفس من الأخلاق الفاسدة بماء العلم النافع والإرتياض الشرعي الصالح الطاهر المطهر ـ الى تطهير القلب «أم القرىٰ»، الذي تصلح بصلاحه الممالك كافّة وتفسد جميعها بفساده. فقذارات عالم القلب هي المنشأ لجميع القذارات، كالتعلق بغير الحق، والتوجه الى النفس والدنيا، مما يعدُّ نتائج لحب الدنيا هو رأس كلّ خطيئة، وحب النفس الذي هو أم الأمراض كلها. فما دامت جذور هذين الحبين متغلغلة في قلب السالك، فلن يحصل فيه أثر لمحبة الله، ولن يجد سبيلاً الىٰ المقصد والمقصود، كما أن وجود بقايا من هذين الحبين في قلب السالك يجعل من سير السالك سيراً الى النفس والى الدنيا والى الشيطان، وليس سيراً الى الله.

اذن، فالتطهر من حب الدنيا والنفس هو في الحقيقة أول مراتب تطهير السلوك الى الله، وقبل هذا التطهير لا يعدُّ السلوك سلوكاً الى الله، وإطلاق صفة «السالك» و «السلوك» انما يتم تسامحاً.

وبعد هذا المنزل منازل اخرىٰ ينبغي اجتيازها حتى يتوقع تَنسُّم نسيم من مدن العشق السبع «للعطار»[١]، وذلك القائل الذي يرىٰ نفسه ـ وهو السالك ـ في منعطف أحد أزقتها، في حين أننا مازلنا خلف الأسوار والحجب الثقيلة، نتوهم أن تلك المدن ووجهاءها لا تعدو الّا نسيجاً من خيال. ولا شأن لي بالشيخ العطار أو ميثم التمّار ولكني لا أنكر أصل المقامات، وأرغب من أعماق روحي وقلبي أن أكون من أصحابها، ولي الأمل أن تعينني هذه الرغبة في الوصول الى مرتبةٍ ما. أما أنت ـ يا عزيزي ـ فكن ما شئت والتحق بمن شئت:

أراد المُـدّعي الدخـول الى مشـهد الحـبيب
فجاءت يد الغيب وضربت صدر الأجنبي[٢]

غير أني لا أبخل في الأخوة الإيمانية مع الأحباء العرفانيين، ولا أدخر النصيحة التي تعتبرُ حقاً متبادلاً بين المؤمنين؛ لذا أقول بأن أشدّ القذارات المعنوية التي لاتطهرها البحور السبعة والتي وقف أمامها الأنبياء العظام عليهم السلام عاجزين، هي قذارة (الجهل المركّب) منبع الداء العُضال المتمثل في إنكار مقامات أهل الله وأرباب المعرفة، ومبدأ سوء الظن بأصحاب القلوب. والانسان مادام ملوّثاً بهذه القذارة، فلن يتقدم خطوةً باتجاه المعارف، بل قد تُطفئُ هذه الكدورة نور الفطرة الذي يمثل نبراس طريق الهداية، وتُخمَد نار العشق التي تعدُّ براق العروج الى المقامات، فتجعل الانسان يخلد الى أرض الطبيعة.

على الانسان إذن أن يُطهّر باطن قلبه من هذه القذارات، وذلك بالتفكّر في حال الأنبياء والأولياء الكمّل (صلوات الله عليهم) واستذكار مقاماتهم، وأن لا يكتفي بالمرتبة التي يكون عليها، فالوقوف في مرتبةٍ معينةٍ والقناعة بدرجةٍ من المعارف تلبيس من التلبيسات الخطيرة التي يقوم إبليس والنفس الأمّارة

(١) (القائل) هو الشاعر العارف (جلال الدين الرومي)، الذي يشير ببيت شعر بالفارسية الى رؤية نفسه في احد الأزقة فيما (العطار) دار مدن العشق السبع.

(٢) مضمون بيت بالفارسية للشاعر حافظ الشيرازي.

بالسوء بها، نعوذ بالله منهما.

أكتفي بهذا القدر وأترك الحديث عن (التطهيرات الثلاث) للأولياء، لما ألزمنا به أنفسنا من تصنيف هذا الكتاب بما ينسجم وذوق العامّة، والحمد لله.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الثاني

مراتب الطهور

اعلم، أن الانسان مادام في عالم الطبيعة ومنزل المادة «الهيولانية» فهو في معرض تسلّط الجنود الإلهيين وجنود إبليس.

والجنود الإلهيون هم جنود الرحمة والسلام والسعادة والنور والطهارة والكمال، أما جنود إبليس فهم كل ما يُضّاد ذلك.

ولما كانت الجوانب الربانية تغلب على الجوانب الإبليسية، كان لفطرة الانسان في البداية نورانية وسلامة وسعادة فطرية إلهية، كما أشارت الى ذلك الأحاديث الشريفة صراحة، والكتاب الإلهي الشريف تلميحاً.

والانسان مادام في هذا العالم، فهو قادر على اختيار الإنصياع لأحد هذين النوعين من الجنود. فإذا لم يكن لإبليس سلطة على الانسان منذ أول الفطرة الى آخر حياته، كان إلهياً لاهوتياً، يرفل في باحةٍ من النور والطهارة والسعادة، وأمسىٰ قلبه مفعماً بنور الحق وانصرف عن التوجه لسوىٰ الحق تعالىٰ، وكانت قواه الباطنة والظاهرة نورانيةً وطاهرة لا سلطة لسوىٰ الحق عليها، وليس فيها نصيب لإبليس ولا سلطة لجنوده فيها. وحينها يكون هذا الموجود الشريف، موجوداً طاهراً مطلقاً ونوراً خالصاً، مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهو صاحب الفتح المطلق ومقام العصمة الكبرىٰ (بالأصالة)، والمعصومون

(بالتبعية). وحضرته يتسنم مقام الخاتمية وهو الكمال المطلق، كما أن أوصياءه، ولأنهم من طينته، متصلون بفطرته، فهم أصحاب العصمة المطلقة تبعاً له، تبعيتهم له كاملة تماماً.

أما بعض المعصومين من الأنبياء والأولياء عليهم السلام فليسوا أصحاب عصمة مطلقة ولا يخلون من سلطة الشيطان، كما في انشغال آدم عليه السلام بالشجرة، الأمر الذي يعدُّ من مظاهر تسلط إبليس الأكبر ـ إبليس الأبالسة ـ ورغم أن الشجرة كانت شجرة إلهية من شجرة الجنة، إلّا أنها كانت تنطوي على كثرةٍ أسمائيةٍ تنافي مقام الآدمية الكاملة، وهذا أحد معاني أو أنّها إحدىٰ مراتب الشجرة المنهيّ عنها.

أما اذا تلوّث نور الفطرة بالقذارات الصورية والمعنوية، فإنه يبتعد عن فِناء القرب وحضرة الأنس بنفس مقدار ما أصابه من التلوث، حتى يبلغ الأمر انطفاء نور الفطرة بالكامل، وتحوّل مملكة الوجود الانساني الى مملكةٍ شيطانية، وخضوع ظاهرها وباطنها، سرّها وعلنها، لسلطة الشيطان. فيصبح الشيطان قلب الانسان وسمعه وبصره ويده ورجله وسائر أعضائه.والانسان، اذا بلغ ـ والعياذ بالله ـ هذا المقام، أصبح شقياً مطلقاً، وحُرم رؤية وجه السعادة أبداً.

وبين هاتين المرتبتين مقامات ومراتب لايحصيها إلّا الحق تعالىٰ، يكون القريب فيها من أفق النبوة من أصحاب اليمين، والقريب من أفق الشيطنة من أصحاب الشمال.

ولابد من القول هنا، بأن الفطرة مما يمكن تطهيرها بعد تلوّثها، فالانسان مادام في هذا العالم، فإن خروجه من سلطة الشيطان أمر ممكن وميسور، كما هو الحال ايضاً في الدخول تحت سلطة جنود ملائكة الله ـ الجنود الرحمانيين الإلهيين ـ. وهذا الخروج من سلطة جنود إبليس والانضواء تحت سلطة جنود الله، هو الذي يصفه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بأنه الجهاد الأكبر، وأنه أفضل من جهاد أعداء الدين.

إذن، فأول مرتبةٍ في الطهارة، هي الالتزام بالسنن الإلهية وإطاعة أوامر الحق تعالىٰ. وثاني مرتبة، هي التحلّي بفضائل الأخلاق والملكات. وثالث مرتبة، هي الطهور القلبي، وهو عبارة عن تسليم القلب للحق تعالىٰ، ليصبح بعد هذا التسليم نورانياً، بل قد يصبح هو ذاته من عالم النور ومن درجات النور الإلهي، وتسري نورانيته الى سائر الأعضاء والجوارح والقوىٰ الباطنة فتصبح مملكة الوجـود الإنساني نوراً بأسرها، بل نوراً على نـوره، وهكـذا حتى يـصبح القـلب إلهـياً لاهوتياً، فيتجلىٰ حضرة اللاهوت في جميع مراتب البـاطن والظـاهر. وحـينئذٍ تفنىٰ العبودية وتختفي بالكامل، وتظهر الربوبية وتتجلىٰ، فتشمل قلب السالك الطمأنينة والأنس، ويصبح العـالم بأسـره مـحبوباً له، وتـحصل له الجـذبات الإلهية، وتصير الخطايا والزلات مغفورة في نظره، ويستتر بظل تجليات الحب، وتتحقق له بدايات الولاية، ويحصل على لياقة الوفود الى محضر الأنس. وهكذا يظل يرتقي الى منازل اخرىٰ يخرج ذكـرها عـن حـدود مـوضوعنا فـي هـذه الصفحات.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الثالث

آداب السالك القلبية عند التوجّه نحو التطهّر بالماء

لنفتتح هذا الفصل بنقل الحديث الشريف المروي عن الصادق عليه السلام كما ورد في مصباح الشريعة، لتتنور به قلوب أهل الايمان الصافية.

قال الصادق عليه السلام: «اذا أردت الطهارة والوضوء، فتقدم الى الماء تقدّمك الى رحمة الله، فإن الله قد جعل الماء مفتاح قربته ومناجاته ودليلاً الى بساط خدمته. وكما أن رحمة الله تُطهّر ذنوب العباد، كذلك النجاسات الظاهرة يطهّرها الماءُ لا غيرُ، قال الله تعالىٰ ﴿هو الذي أرسل الرياح بُشراً بين يدي رحمته، وأنزلنا من السماء ماءً طهوراً﴾[1] وقال الله تعالىٰ ﴿وجعلنا من الماء كُلَّ شيءٍ حيٍّ أفلا يؤمنون﴾[2]. فكما أحيىٰ به كلَّ شيءٍ من نعيم الدُّنيا، كذلك برحمته وفضله، جعل حياة القلوب الطاعات».

في الحديث الشريف إشارات ودقائق وحقائق تحيي قلوب أهل المعرفة، وتفيض الحياة على الأرواح الصافية لأصحاب القلوب.

وأحد أسرار تشبيه الماء في هذا الحديث برحمة الحق تعالىٰ، هو كون الماء من المظاهر الكبرىٰ لرحمته تعالىٰ، فقد أنزله في عالم الطبيعة، وجعله أصل

---

(١) الفرقان: ٤٨.

(٢) الأنبياء: ٣٠.

حياة الموجودات، بل إنّ أهل المعرفة يعبّرون بالماء عن الرحمة الإلهية الواسعة النازلة من سماء رفيع الدرجات لحضرة الأسماء والصفات لتحيي أراضي تعيّنات الأعيان[1].

ولما كان تجلّي الرحمة الإلهية الواسعة في ماء عالم الملك الظاهري هذا، أشدَّ من تجليها في سائر الموجودات الدنيوية، جعل الحق تعالىٰ الماء للتطهير من القذارات الصورية، بل إن ماء رحمة الحق حيثما ينزل ويظهر وفي أية نشأة من نشآت الوجود وفي كلِّ مشهدٍ من مشاهد الغيب والشهادة، يقوم بتطهير ذنوب عباد الله وبما ينسجم وتلك النشأة، وما يناسب ذلك العالم.

اذن فبماء الرحمة النازل من سماء (الأحدية)، تُطهّر الذنوب العينية لتعيّنات الأعيان، وبماء الرحمة الواسعة النازل من سماء (الواحدية)، تُطهّر ذنوب عدميّة «الماهيّات الخارجية». وهكذا في كل مرتبةٍ من مراتب الوجود وبما يناسب تلك المرتبة.

كذلك فإن لماء الرحمة في مراتب النشآت الانسانية ظهوراً متفاوتاً، فبالماء النازل من حضرة الذات الى التعيّنات الجمعية البرزخية تُطهّر ذنوب «السرّ الوجودي» «وجودك ذنب لا يقاس به ذنب». وبالماء النازل من حضرات الأسماء والصفات وحضرة التجلّي الأفعالي يتم تطهير رؤية الصفة والفعل، وبالماء النازل من سماء حضرة الحَكَم العدل يتم تطهير القذارات الخلقية الباطنية، وبالماء النازل من سماء الغفارية يتم تطهير ذنوب العباد، وبالماء النازل من سماء الملكوت يتم تطهير القذارات الصورية. اذن، يتضح أن الحق تعالىٰ جعل الماء مفتاح قربه ودليل سعة رحمته.

---

(١) تعينات الأعيان: التعيّن عند العرفاء عبارة عن التشخّص، ويقول القيصري: التعيّن به يمتاز كل شيءٍ عن غيره، والأمر الذي يتحقق به التعين، تارة يكون عين الذات، كتعيّن واجب الوجود الذي يتميز بالذات، وكتعين الأعيان الثابتة في علم الحق الذي هو عين ذاتها. وتارة يكون ما به التعيّن زائداً على ذات التعيّن، كامتياز الكاتب عن غير الكاتب. وتارة يكون ما به التعيّن وما به الامتياز عبارة عن عدم حصول أمر. يعني أمراً عدمياً مثل امتياز الكاتب بعدم الكتابة. والعين: الحقيقة، والذات أو الماهية.

بعد ذلك، يعطي الحديث الشريف أمراً آخر ويفتح طريقاً اخرى لأهل السلوك والمراقبة فيضيف عليه السلام:

«...وتفكّر في صفاء الماء ورقته وطهره وبركته ولطيف امتزاجه بكل شيء، واستعمله في تطهير الأعضاء التي أمرك الله بتطهيرها [وتعبدك بأدائها]، وإيتِ بآدابها في فرائضه وسننه، فإنّ تحت كل واحد منها فوائد كثيرةً، فإذا استعملتها بالحُرمة، انفجرت لك عيون فوائده عن قريب...».

فالحديث يشير هنا الى مراتب الطهارة على نحو العموم، فقد أوضح مراتبها العامة الأربع، إحداها ذكرت في المقطع المتقدم من الحديث، وهي مرتبة تطهير الأعضاء.

كذلك يشير الحديث الى أن على اهل المراقبة والسلوك الى الله أن لا يقفوا عند صور الأشياء وظواهرها، بل عليهم أن يعتبروا الظاهر مرآة الباطن، ويكتشفوا الحقائق من خلال الصور، وأن لا يكتفوا بالتطهير الصوري، فهذا فخٌّ إبليسي.

وعليهم أن يفكروا في تصفية الأعضاء من خلال التفكّر في صفاء الماء، فيعمدوا الى جليها وإضفاء الصفاء عليها وذلك بأداء الفرائض والسنن الإلهية. والىٰ جعلها تتمتع برقةٍ وشفافية كرقة وشفافية الماء، ويخرجوها من غِلظة العصيان، فيجعلوا بذلك، الطهور والبركة، ساريين في جميع الأعضاء.

كذلك، فإن عليهم أن يسعوا ـ من خلال التأمل في لطف امتزاج الماء بالأشياء ـ لإدراك كيفية امتزاج القوىٰ الملكوتية الإلهية بعالم الطبيعة، فلا يسمحوا لقذارات الطبيعة أن تؤثر فيها. فإن الاعضاء ما إنْ تجعل ملتزمة بالسنن والفرائض الإلهية وآدابها، حتى تأخذ الآثار الباطنية بالظهور تدريجياً، وتتفجر ينابيع الأسرار الإلهية وتنكشف للانسان لمحة من اسرار العبادة والطهارة.

ثم ينتقل الإمام عليه السلام ـ وبعد أن وضّح المرتبة الاولىٰ من الطهارة وأسلوب التطهّر ـ الى الأمر الثاني فيقول: «**...ثم عاشِر خلق الله كامتزاج الماء بالأشياء، يؤدّي كل شيء حقه ولا يتغير عن معناه؛ معتبراً لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: مثل**

المؤمن المخلص [الخاص خ.ل] كمثل الماء...».

فالأمر الاول مرتبط بتعامل السالك مع قواه الداخلية وأعضائه، اما الأمر الثاني ـ وهو الوارد في الفقرة أعلاه من الحديث الشريف ـ فيتعلق بتعامل الانسان مع خلق الله. وهو يمثل منهاج عملٍ جامع يوضح كيفية معاشرة السالك للخلق، ويستفاد منه ضمنياً ايضاً معرفة حقيقة الخلوة، وذلك بعدم ترك السالك الحقوق الإلهية وعدم تضييعه معناها المتمثل في العبودية للحق تعالى والتوجّه اليه في نفس الوقت الذي يعاشر فيه كلّ طائفةٍ من الناس بالمعروف وأدائه حقوق الخلق، وتعامله معهم جميعاً بما يناسب حال كل واحد منهم. فهو إذن، في ذات الوقت الذي يقع فيه في «الكثرة» يعيش «الخلوة» مع الحق ايضاً، وقلبه خالٍ من الأغيار فارغ من كل صورة ورسم.

بعد ذلك ينتقل الإمامعليه السلام لتوضيح الأمر الثالث المتمثل في كيفية تعامل السالك مع الله تعالى، فيقول: «...**ولتكن صفوتك مع الله تعالى، في جميع طاعتك كصفوة الماء حين انزله من السماء وسماه طهوراً...**». أي، ينبغي أن يكون السالك الى الله متحرراً من سلطة الطبيعة، وأن لا يسمح لكدورتها وظلماتها أن تتخذ الى قلبه سبيلاً، فيجعل عبادته كلها نقية من جميع أشكال الشرك الظاهرية والباطنية. ومثلما أن الماء حين نزوله من السماء يكون طاهراً ونقياً لم تمسّه القذارات، كذلك ينبغي للسالك أن لا يترك قلبه ـ الذي نزل من سماء غيب الملكوت طاهراً نقياً ـ يتلوث بالقذارات، ويقع تحت سلطة الشيطان والطبيعة.

ثم يبيّنعليه السلام الأمر الأخير الذي يمثل منهاجاً جامعاً لأهل الرياضة والسلوك، فيقول «...**وطهّر قلبك بالتقوى واليقين عند طهارة جوارحك بالماء**»[1]. وفي هذا اشارة الى المقامين الشامخين لأهل المعرفة: مقام التقوى؛ وكماله ترك مَن

(١) كامل الحديث في مصباح الشريعة: الباب العاشر (في الطهارة).

سوىٰ الحق تعالىٰ، ومقام اليقين؛ وكماله مشاهدة حضور المحبوب.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الرابع

الطهور

يكون الطهور بالماء ـ وهو الأصل هنا ـ أو بالتراب.

اعلم أن أمام السالك إجمالاً طريقين لبلوغ مقصده الأعلى ومقام قرب الربوبية؛ أحدهما ـ وله مقام الأولوية والأصالة ـ السير الى الله اعتماداً على مقام الرحمة المطلقة وخصوصاً «الرحمة الرحيمية» التي توصل كلَّ موجودٍ الى كماله اللائق به.

ومن شُعب ومظاهر «الرحمة الرحيمية» بعث الأنبياء والرسل (صلوات الله عليهم) ـ هداة السبل وعون المتخلفين ـ بل لعلَّ «دار التحقق» ـ كما يراها أصحاب القلوب واهل المعرفة ـ هي صورة الرحمة الإلهية، وإن الخلائق غارقون في بحار رحمة الحق على الدوام دون أن ينتفعوا بذلك. فهذا القرآن، الكتاب الإلهي العظيم، المنزل من عالم الغيب الإلهي والقرب الربوبي في صورة الألفاظ والكلمات بما ينفعنا نحن المتخلفين، وبما يساهم بتحريرنا نحن الرازحين في سجن الطبيعة، المغلولين بسلاسل هوى النفس وآمالها، إنما هو من أعظم مظاهر الرحمة الإلهية المطلقة، إلا أننا ـ نحن العمي الصمّ ـ لم ولن ننتفع منه أبداً.

كذلك، فهذا الرسول الخاتم والولي المطلق الأكرم، الذي شرّف عالمنا نازلاً

من محضر القدس الربوبي ومحفل القرب والأنس الإلهي الى منزل الغربة والوحشة هذا، ويضطرّ ـ والألم والعناء يعتصره ـ الى التعامل مع عشرات من أمثال أبي جهل، ومعاشرة من هم أسوأ منهم، والذي جعلت أنّته الملتاعةُ قلوب اهل المعرفة والولاية من الأولين والآخرين تكتوي بالألم وهم يسمعونه وهو يقول: «...**ليُغان على قلبي**...»[١]، إنما هو الرحمة الواسعة والكرامة الإلهية المطلقة، حلَّ في هذا الكوخ التعيس رحمةً بالموجودات من سكان العالم الأسفل الأدنى، وسعياً في إخراجهم من دار الوحشة والغربة هذه، فكان كاليمامة المطوّقة التي ألقت نفسها في فخ البلاء من أجل إنقاذ رفيقاتها[٢].

فعلى السالك الى الله إذن، أن يدرك أن التطهير بماء الرحمة، هو شكلٌ من أشكال الاستفادة من الرحمة الإلهية النازلة، ومادام ميسوراً له الاستفادة من الرحمة، فعليه أن يتطهّر بها، أما اذا قُصرت يده عن ذلك، وتعذر عليه الحصول على ماء الرحمة، بسبب قصوره او تقصيره الذاتي، فما له من حيلة سوى الاستغراق مع ذُلّه ومسكنته وفقره وفاقته، فاذا تجلت له ذلّة عبوديته، وأدرك اضطراره وفقره وحقيقة امكانه الذاتي، وتنزّل عن تكبره وغروره وأنانيته، انفتح له باب من الرحمة، وإذا بأرض الطبيعة تصبح أرض الرحمة البيضاء من غير سوء، واذا بالتراب يصير «أحد الطهورين» فتشمله رحمة الحق ولطفه من جديد.

وكلما ترسخ هذا المعنى لدى الانسان، أي اذا قوى إدراكه لذلّته، كلما صار معرضاً لاشتماله بالرحمة أكثر. اما اذا أراد أن يطوي هذا الطريق متكلاً على نفسه وعمله، فإنه هالك لا محالة، إذ من المحتمل أن لا يُعان في سيره، مثله في ذلك مثل الطفل، اذا تجرأ على السير وحيداً، واغترّ بقدميه، واعتمد على قوّته، حُرم معونة أبيه وتُرك لحاله، اما اذا عبّر عن انقطاع حيلته وعجزه لأبيه

---

(١) مستدرك الوسائل: كتاب الصلاة ـ ابواب الذكر ـ باب ٢٢ ـ ح ١.

(٢) راجع كتاب كليلة ودمنة للحكمي ـ باب الحمامة المطوقة.

مستشيراً رأفته، وتخلّى عن الاعتماد تماماً على نفسه وقوته والاتكال عليها، شملته رعاية الأب فأعانه وضمّه الى صدره وسايره لكي يتابع المضيّ في طريقه.

اذن فحريٌّ بالسالك الى الله، أن لا يعتمد على قدمه في السلوك، وأن لا يطمئن أبداً الى نفسه ورياضته وعمله، وأن يبرأ تماماً من نفسه وقدرته وقوّته، ويضع نُصب عينه دوماً ضعفه وانقطاع حيلته، حتى تشمله الرعاية فيطوي طريق المئة عام في ليلة واحدة وذلك بجذبةٍ ربانية، وأن يترك لسان باطنه وحاله يعبر عن عجزه وحاجته في محضر قدس الربوبية. ﴿أمّن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء﴾[1].

(١) النمل: ٦٢.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الخامس

نفحة من آداب الوضوء الباطنية والقلبية

ورد عن الرضا عليه السلام: «إنما أمر بالوضوء ليكون العبد طاهراً إذا قام بين يدي الجبار وعند مناجاته إياه مطيعاً له فيما أمره، نقياً من الأدناس والنجاسة، مع ما فيه من ذهاب الكسل وطرد النعاس وتزكية الفؤاد للقيام بين يدي الجبار.

وإنما وجب على الوجه واليدين والرأس والرجلين لأن العبدَ اذا قام بين يدي الجبار، فإنما ينكشف من جوارحه ويظهر ما وجب فيه الوضوء، وذلك أنه بوجهه يسجد ويخضع، وبيده يسأل ويرغب ويرهب ويتبتل، وبرأسه يستقبلهُ في ركوعه وسجوده وبرجليه يقوم ويقعد...»[1].

والى هنا، وضّح عليه السلام الجنبة الهامة في الوضوء، ونبّه اهل المعرفة وأصحاب السلوك الى أن هناك آداباً يجب رعايتها عند القيام في المحضر المقدس للحق تعالى، وفي مناجاة قاضي الحاجات، فلا ينبغي الحضور في هذا المحضر حتى مع وجود الأدران الصورية والأوساخ الظاهرية، ونعاس العين الظاهرية فما بالك! اذا كان القلب مليئاً بالأدران ملبداً بالرذائل المعنوية التي تمثل أساس

---

(١) عيون أخبار الرضا: ج٢، ص١٠٤، باب ٣٤، ح١.

الأدران كافة.

ففضلاً على ما ورد في الحديث الشريف: «**ان الله سبحانه لا ينظر الى صوركم بل ينظر الى قلوبكم**»(١) وفضلاً عن أن ما يتوجه به الانسان الى الحق تعالى، وأن ما هو جدير ـ من بين العوالم الخلقية ـ بالنظر الى كبرياء العظمة والجلال هو القلب، وأن لاحظّ ولا نصيب لسائر الجوارح والاعضاء من ذلك، فإن الطهارة الصورية والنظافة الظاهرية لم تهمل، لذا أمر الانسان بالطهارة الظاهرية لظاهره، والطهارة الباطنية لباطنه.

ويتّضح من إشارة الحديث الشريف الى «**تزكية الفؤاد**» على أنها إحدى فوائد الوضوء، وأن للوضوء باطناً يتم به تزكية الباطن، كما تتضح طبيعة العلاقة بين الظاهر والباطن والغيب والشهادة.

كذلك يستفاد بأن التطهر الظاهري والوضوء الصوري هو من العبادات ومن أشكال طاعة الربّ لذا صار تطهير الظاهر سبباً في تطهير الباطن، وصارت تزكية الفؤاد تتحقق من خلال التطهير الظاهري.

إجمالاً، ينبغي للسالك الى الله أن ينتبه حين الوضوء الى أنه يريد التوجه الى محضر حضرة الكبرياء المقدس، فإذا كان غير جدير بالتوجه الى هذا المحضر ـلما عليه قلبه من أحوال ـ بل لعلّه يكون من المبعدين عن حضرة عزّ الربوبية، فعليه أن يشمّر عن ساعد الهمّة لجعل الطهارة الظاهرية تسري الى الباطن، ويطهّر قلبه ـ وهو ما ينظر اليه الحق تعالى بل إنه منزل حضرته المقدسة ـ من كل ما سواه تعالى، ويطرد من رأسه كل ما يؤدي الى تفرعن النفس، ويتخلى عن الأنانية، التي تعدُّ أصل أصول الأدران، حتى يصبح لائقاً للمحضر المقدس.

ثم بيّن الامام عليه السلام السبب في اختصاص الوضوء ببعض الاعضاء فقال: «**وإنما وجب على الوجه واليدين والرأس والرجلين، لأن العبد اذا قام بين**

---

(١) جامع الاخبار: ص١١٧، وعنه بحار الانوار: ج٦٧، ص٢٤٨.

يدي الجبار، فانما ينكشف من جوارحه ويظهر ما وجب فيه الوضوء، وذلك أنه بوجهه يسجد ويخضع، وبيده يسأل ويرغب ويرهب ويتبتل، وبرأسه يستقبله في ركوعه وسجوده، وبرجليه يقوم ويقعد...»

ومؤدىٰ الكلام: أن تطهير هذه الاعضاء، إنما وجب لما لها من دخل في ممارسة العبودية للحق تعالىٰ، ولما يظهر من هذه العبودية عليها. ثم بيّن ما يظهر من تلك الاعضاء، وفتح السبيل امام اهل العبرة للاعتبار والاستفادة، وعرّف أهل المعارف أسرار ذلك، فأوضح أن ما يكون فيه ظهور العبودية في المحضر المبارك للحق تعالىٰ، يجب أن يكون طاهراً نقياً، وأن الاعضاء والجوارح الظاهرية ـ والتي لها الحظّ الأدنىٰ من تلك المعاني ـ لا تليق بهذا المقام مادامت دون طهارة، رغم أن الخضوع في الحقيقة ليس من صفات الوجه، والسؤال والرغبة والرهبة والتبتل والاستقبال ليست من شؤون الأعضاء الحسيّة، إلا أن تطهير تلك الأعضاء أصبح واجباً لأنها تمثل مظاهر تلك المعاني.

وبذا، فتطهير القلب يكون من باب الأولىٰ، لأنه موضع العبودية الحقيقي، والمركز الواقعي لتلك المعاني، ودون تطهيره فإن الاعضاء الصورية لن تطهر حتى لو غُسلت بماء الأبحر السبعة ولن تصبح لائقة لذلك المقام، بل قد يكون الشيطان هو المتصرف فيها، ويصبح السالك مطروداً من محضر العزّة.

وصل

في العلل باسناده قال: جاء نفر من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وآله فسألوه عن مسائل، وكان فيما سألوه: أخبرنا يا محمد صلى الله عليه وآله لأي علّة توضأ هذه الجوارح الأربع وهي أنظف المواضع في الجسد؟

فقال النبي صلى الله عليه وآله: **لما وسوس الشيطان الى آدم عليه السلام ودنا من الشجرة فنظر اليها، فذهب ماء وجهه، ثم قام ومشىٰ اليها، وهي اول قدم مشت الى الخطيئة، ثم تناول بيده منها ما عليها وأكل، فتطاير الحُلي والحلل عن جسده فوضع آدم يده على أم رأسه وبكىٰ.**

فلما تاب الله عليه، فرض الله عليه وعلىٰ ذريته تطهير هذه الجوارح الأربع، فأمر بغسل الوجه لما نظر الى الشجرة، وأمر بغسل اليدين الى المرفقين لما تناول بهما، وأمر بمسح الرأس لما وضع يده على أم رأسه، وأمره بمسح القدمين لما مشىٰ بهما الى الخطيئة»[(١)].

وفي العلل ايضاً: أن نفراً من الهيود سألوا الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: ...لأي شيءٍ فرض الله عزّ وجل الصوم على أمّتك بالنهار ثلاثين يوماً؟

فقال النبي صلى الله عليه وآله: **إن آدم لما أكل من الشجرة بقي في بطنه ثلاثين يوماً الجوع والعطش، والذي يأكلونه ـ في الليل ـ تفضّل من الله تعالىٰ عليهم...»**[(٢)].

ويستفيد اهل المعنىٰ واصحاب القلوب من هذه الاحاديث الشريفة بضعة فوائد؛ منها: أن خطيئة آدم عليه السلام، رغم أنها لم تكن كخطايا الآخرين، بل لعلها خطيئة طبيعية أو خطيئة الانشغال بالكثرة، التي تمثلت بشجرة الطبيعة، او الانشغال بالكثرة الأسمائية بعد جاذبة الفناء الذاتي، إلا أنها لم تكن متوقعةً ولا

(١) علل الشرائع: ج١، ص٢٨٠، باب ١٩١، ح١.

(٢) علل الشرائع: ج٢، ص٣٧٨، باب ١٠٩، ح١.

مقبولةً من مثل آدم عليه السلام، وهو صفي الله والمخصوص بالقرب والفناء الذاتي.

لهذا وبمقتضى «غيرة المحبة» أعلن الحق تعالى عصيان آدم وغوايته في جميع العوالم وعلى لسان كافة الأنبياء عليهم السلام فقال تعالى: ﴿وعصىٰ آدمُ ربّه فغوىٰ﴾[1]، وفضلاً عن ذلك كله، فقد أوجب عليه وعلى ذريته، الكامنين في صلبه والذين كان لهم سهم في خطيئته آنذاك، وحتى بعد خروجهم من صلبه، كلَّ ذلك التطهير.

ولما كان لخطيئة آدم وذريته مراتب ومظاهر، تبدأ من الالتفات نحو الكثرات الاسمائية ـ وهي مرتبتها الاولىٰ ـ وتنتهي بمرتبتها الأخيرة المتمثلة بالأكل من الشجرة المنهي عنها، وهي شجرة فيها أنواع الثمار والفواكه في عالم الملكوت، والطبيعة وما يتعلق بها في عالم الملك ـ فحبُّ الدنيا والنفس الموجود في ذرية آدم إنما هو من متعلقات هذا الميل نحو تلك الشجرة والأكل منها ـ كذلك كان الحال في التطهير والتنزيه، فالصلاة والصيام انما هي مراتب كثيرة شرعت من أجل إخراج ذرية آدم من خطيئة الأب، وهي مراتب تناسب مراتب الخطيئة تلك.

مما تقدم، يتضح أن جميع انواع المعاصي القالبية ـ معاصي البدن ـ لبني آدم، هي من متعلقات الأكل من الشجرة، وتطهيرها يتم بكيفية خاصة، وأن جميع أنواع المعاصي القلبية، هي من متعلقات تلك الشجرة ايضاً، وتطهيرها يتم بكيفية اخرى، وكذا هو الحال مع جميع أنواع المعاصي الروحية فهي من تلك، وتطهيرها يتم بكيفية خاصة اخرى. وتطهير الاعضاء الظاهرية ـ عند الكمّل ـ يمثل ظِلَّ الطهارة القلبية والروحية، كما أنه ـ عند اهل السلوك ـ طريقة ووسيلة اليها.

وليس من اهل السلوك من بقي في حجاب تعيّن الاعضاء وطهارتها، ووقف عند هذا الحدّ، ولم يخرج من (الخطيئة)، إلا أنه ما ان يشتغل بمراتب الطهارات

---

(١) طه: ١٢١.

الظـاهرية والبـاطنية، ويـدرك أن الطـهارات الصـورية القشـرية وسـيلة الى الطهارات المعنوية اللبيّة، الا ويـهتم فـي جـميع العـبادات والمـناسك بـتوفير حظوظها القلبية ويتحلى بها ايضاً. وهو اذا صار يهتم بالجوانب الباطنية منها اكثر، ويعتبرها الغاية الأهم والأعلى يكون بـذلك قـد دخـل فـي إطـار سـلوك الانسانية، كما يشير الى هذا المعنى، الحديث الشريف: «**وطهّر قلبك بالتقوىٰ واليقين عند طهارة جوارحك بالماء**»[1].

إذن يلزم السالك في بداية السلوك العلمي أن يشخّص أولاً ـ وبـبركة اهـل الذكر عليهم السلام ـ مراتب العبادات، ويعرف أن العبادات الصورية هي المرتبة الأدنىٰ من العبادات القلبية والروحية، بعدها يشرع بالسلوك العملي الذي يمثل حقيقة السلوك، ويهدف الى تنقية النفس من غير الحق وتزيينها بالتجليات الأسمائية والذاتية. فإذا بلغ السالك هذا المقام، فقد حقق سلوكه منتهاه وتحققت له غـاية اليسر التكاملي، فيفوز عندها بأسرار النُسك والعبادات ودقائق أمور السلوك، وهي التجليات الجلالية التي تمثل اسرار الطهارات، والتـجليات الجـمالية التـي تمثل غاية العبادات الأخرىٰ، وتفصيل ذلك خارج عن حدود هذا البحث.

---

(١) مصباح الشريعة: الباب العاشر (في الطهارة).

الفصل السادس

الغسل وآدابه القلبيّة

يقول أهل المعرفة إن الجنابة: هي الاغتراب عن وطن العبودية، والدخول في إظهار الربوبية، ودعوى الإنّية، والدخول في حدود المولى والاتصاف بوصف السيادة. والغُسل هو للتطهّر من هذه الأدران وللاعتراف بالتقصير.

وقد عَدَّ بعض المشايخ[1] ـ وضمن عشرة فصول ـ مئةً وخمسين حالاً ينبغي للعبد السالك التطهّر منها بالغُسل، يرجع جُلها او كلها الى عِزَّة النفس وجبروتها وكبريائها وأنانيتها وعجبها.

وقول المؤلف: أن الجنابة، هي الفناء في الطبيعة والغفلة عن الروحانية، وهي الغاية القصوى في كمال حكومة الحيوانية والبهيمية والهبوط لأسفل السافلين، والغُسل: هو التطهّر من هذه الخطيئة والرجوع من حكم الطبيعة، والدخول تحت سلطان الرحمانية وسلطة الإلهية، وذلك عند غسل مملكة النفس التي فنيت في الطبيعة وابتليت بالغرور الشيطاني.

وعليه فآدابه القلبية تتمثل في: عدم وقوف السالك الى الله ـ حين الغُسل ـ عند حدِّ تطهير الظاهر وغسل البدن الذي يعدُّ القشر الأدنى والحظ الدنيوي، بل أن

---

(١) المراد هو الشيخ محي الدين بن عربي. راجع الفتوحات المكّية: ج١، ص٣٦٢.

يتجاوز ذلك الى الالتفات الى جنابة باطن القلب وسرّ الروح، ويدرك أن غسلهما أشدُّ ضرورة ووجوباً، فإذا أدرك ذلك لزمه أن يتجنب غلبة النفس البهيمية والجانب الحيواني على النفس الانسانية والجوانب الرحمانية، وأن يتوب من رجز الشيطان وغروره، ويطهر باطن الروح -وهي النفخة الإلهية، التي نُفخت فيه بالنَفَس الرحماني- من الآثار الشيطانية المتمثلة في التوجه نحو الغير، الذي يعتبر أصل الشجرة المنهي عنها. ليصبح بعد هذا جديراً بجنة أبيه آدمعليه السلام.

كذلك فإن عليه أن يعلم أن الأكل من شجرة الطبيعة هذه والإقبال على الدنيا والتوجّه نحو الكثرة، إنما هو أصل أصول الجنابة، وأنه ما لم يتطهّر من هذه الجنابة -بالارتماس أو بالتطهّر التام بماء رحمة الحق الجاري من ساق العرش الرحماني النقي من شائبة التصرّف الشيطاني- فإنه لن يصبح أهلاً للصلاة بما هي حقيقة معراج القرب، إذ إنه **«لا صلاة إلّا بطهور»**[1].

وقد وردت الإشارة الى ماتقدم في الحديث الشريف المأثور عن النبي الأكرمصلى الله عليه وآله، نورده هنا كما أورده صاحب الوسائل عن الشيخ الصدوق(رضوان الله عليه)، فبإسناده قال: «جاء نفر من اليهود الى رسول اللهصلى الله عليه وآله فسأله أعلمهم عن مسائل، وكان فيما سأله أن قال: لأي شيء أمر الله بالاغتسال من الجنابة ولم يأمر بالغسل من الغائط والبول؟ فقال رسول اللهصلى الله عليه وآله: **«إن آدمعليه السلام لما أكل من الشجرة، دبَّ ذلك في عروقه وشعره وبشره، فإذا جامع الرجل أهلَهُ خرج الماء من كل عرقٍ وشعرةٍ في جسده، فأوجب الله عزّ وجلّ على ذريته الاغتسال من الجنابة الى يوم القيامة...»**[2].

كما أشارت رواية اخرى الى ذلك، فعن الرضاعليه السلام قال: «**...وإنما أمروا بالغُسل من الجنابة ولم يؤمروا بالغُسل من الخلاء -وهو أنجس من الجنابة وأقذر- من أجل أن الجنابة من نفس الانسان وهو شيء يخرج من**

(١) وسائل الشيعة: كتاب الطهارة - ابواب الوضوء - الباب ٤ - ح١ (ج١، ص٢٦١).

(٢) وسائل الشيعة: كتاب الطهارة - ابواب الجنابة - الباب ٢ - ح٢ و٥.

جميع جسده، والخلاء ليس هو نفس الانسان، إنما هو غذاء يدخل من باب ويخرج من باب»[١].

ومع أن اهل الظاهر يرون ـ من ظاهر هذه الأحاديث ـ أن إيجاب غُسل جميع البدن من الجنابة، إنما هو نتيجة كون النطفة تخرج من جميع البدن، الأمر الذي يوافق رأي جمعٍ من الأطباء وعلماء الطبيعة.

إلّا أن تعليل ذلك الإيجاب، بالأكل من الشجرة كما في الحديث الاول ونسبة الجنابة الى النفس كما في الحديث الثاني، يفتحان لأهل المعرفة والمعنى، سبيلاً آخر الى المعارف، فمسألة الشجرة وأكل آدم عليه السلام منها، هي من أسرار علوم القرآن وأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، وهي تنطوي على الكثير من المعارف الخفية بين طياتها. ولهذا نرى أن الأحاديث الشريفة أرجعت علل تشريع الكثير من العبادات الى مسألة أكل آدم عليه السلام من الشجرة، كعلّة الوضوء والصلاة والغُسل وصوم شهر رمضان، وكون الصيام ثلاثين يوماً، والكثير غير ذلك من مناسك الحج، وكان في نيتي منذ سنين تصنيف رسالة في هذا الباب، غير أن المشاغل الأخرى حالت دون تحقيق ذلك. أسأل الله تعالى التوفيق والسعادة.

وعلى العموم، فأنت يا ابن آدم، يا من خلقت للمعرفة، وجُعلت بذرةً للقاء، وقد اصطفاك الله تعالى لنفسه، وعجنك بيدي جماله وجلاله، وأسجد الملائكة لك، فحسدك إبليس، إذا أردت الخروج من جنابة الأب ـ الذي هو أصلك ـ والارتقاء الى مستوى اللياقة للقاء حضرة المحبوب وتحقيق الاستعداد للوصول الى مقام الأنس وحضرة القدس، عليك غسل باطن قلبك بماء رحمة الحق، والتوبة من الإقبال على الدنيا التي تمثّل مظهراً من مظاهر الشجرة المنهيّ عنها، وتطهير قلبك ـ وهو محفل حضرة الجميل وجمال الجليل ـ من حبّ الدنيا ومتعلقاتها

---

(١) علل الشرائع: ج١، ص٢٨١ وعيون اخبار الرضا: ص٢٩١.

الخبيثة المتمثلة في رجز الشيطان. فجنة لقاء الحق هي محل الطاهرين: «ولايدخل الجنة إلّا الطيّب»[1]. «تطهّر ثم اذهب الى الخرابات»[2].

مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

(١) الاصول من الكافي: كتاب الايمان والكفر ـ باب الذنوب ـ ح٧ (ج٣، ص ٣٧١).
(٢) مضمون شطر من بيت شعر بالفارسية للشاعر العارف حافظ الشيرازي.

الفصل السابع

جانب من الآداب الباطنية المتعلّقة بإزالة النجاسة والتطهّر من الخبائث

اعلم أن إزالة الحدث هو خروج من الإنّية والأنانية، وفناء عن النفسية ـ كما مر معنا ـ بل هو خروج من بيت النفس تماماً. فالعبد مادام في بقايا من ذاته، فهو محدث بالحدث الأكبر، والعابد والمعبود فيه هما الشيطان والنفس. فحتى منازل السير لدى اهل الطريقة والسلوك، اذا كان يهدف منها الوصول الى المقامات وتحقيق المعارج والمدارج، فهي ليست خارجة عن سلطة النفس والشيطان، والسير والسلوك حينئذٍ مستند الى مقاصد اخرى. وهو اذن سلوك في منازل النفس وسير في جوف بيت النفس. وسالك كهذا ليس مسافراً ولا سالكاً ولا مهاجراً الى الله ورسوله صلّى الله عليه وآله، وهو غير متطهّر بعد من الحدث الأكبر المتمثّل في عين العبد (نفسه).

اما اذا تطهّر من هذا الحدث كليّاً، أصبح العابد والمعبود هو الحق تعالى «وكنت سمعه وبصره»[1] إذ ستحصل نتيجة التقرب بالناقلة، ومن هنا أصبح

(١) إشارة الى حديث «قرب النوافل» القدسي: «... وإنه ليتقرب إليّ بالنافلة حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته...». يُراجع أصول الكافي: كتاب الإيمان والكفر ـ باب من آذى المسلمين واحتقرهم «ج ٤، ص٥٣».

لازماً للتطهر من الحدث الأكبر غسلُ جميع البدن، فما دامت (عين العبد) باقية بشكلٍ من الاشكال، فالحدث لم يرتفع بعد «فإن تحت كلِّ شعرةٍ جنابة»[١].

إذن فالتطهّر من الحدث هو تطهّر من الحدوث وفناء في بحر القِدم، وكماله الخروج من الكثرة الأسمائية التي تمثل باطن الشجرة. وبهذا الخروج، يخرج الانسان من الخطيئة السارية لآدم أصل الذريّة.

وعلى هذا فالحدث من القذارات المعنوية والتطهر منه من الأمور الغيبية الباطنية ايضاً، وهو نور، إلّا أنه نور محدود في حالة الوضوء، ونور مطلق في حالة الغُسل «وأيّ وضوءٍ أنقىٰ من الغُسل»[٢].

أمّا إزالة الخبث والنجاسات الظاهرية، فليست كذلك، ذلك لأن إزالتها صوريّة، والتطهّر منها تطهير للظاهر، وآدابه المعنوية إنما تتمثل في معرفة السالك ـ الذي يريد الحضور في محضر الحق ـ أن لا سبيل الى ذلك الحضور مع بقاء رجز الشيطان الخبيث ورجسه، ولا سبيل له لبلوغ مقصده، ما لم يتم الخروج من أمّهات الرذائل الأخلاقية ـ مبدأ فساد مدينة الانسانية الفاضلة ومنشأ الخطايا الظاهرية والباطنية ـ كما أنه لن يجد الطريق الى مقصوده. وفي حالة الشيطان دليل واضح على هذا، فهو قد كان في جوار عالم القدس، وكان يعدُّ في سلك «الكروبيين» غير أنه أُبعد في نهاية المطاف من مقام المقربين لحضرة الحق ورجم بقوله تعالىٰ: ﴿فاخرج منها فإنك رجيم﴾[٣]. فكيف يمكننا نحن المتخلفين عن قافلة عالم الغيب والغارقين في بئر الطبيعة العميقة والمردودين الى أسفل السافلين، أن نكون أهلاً لمحضر القدس ومجاورة اهل المعنى ومرافقة المقربين، مع ما نحن عليه من هذه الملكات الشيطانية الخبيثة!؟

---

(١) بحار الانوار: ج٧٨، ص٥١.

(٢) جامع أحاديث الشيعة: كتاب الطهارة ـ ابواب الغُسل واحكامه ـ الباب الثاني عشر.

(٣) ص: ٧٧ والحجر: ٣٤.

أُعجب الشيطان بنفسه ورأىٰ «ناريته» وقال: ﴿أنا خيرٌ منه﴾[1]، فأدىٰ به ذلك الاعجاب بالنفس الى الغرور والتكبر، والنظر الى آدمعليه السلام باحتقار ودونيّة: ﴿خلقتَه من طين﴾[2]، ووقع في القياس الباطل، فلم يبصر حسن آدم وكمال روحانيته، بل رأىٰ ظاهره وطينيته وترابيّته في حين رأىٰ من نفسه مقام النارية، وغفل عن ضرورة التخلي عن حب النفس والأنانية فأصبح (حب النفس) ستاراً أمام رؤية نقصه، وحجاباً عن مشاهدة عيوبه، وصار هذا العجب بالنفس سبباً للغرور والتكبر والتفاخر والرياء والاستبداد بالرأي والتمرد، فأبعد بذلك عن معراج القدس وأُلقي الى تيه ظلمة الطبيعة.

اذن، على السالك الى الله أن يطهّر نفسه من أمّهات الرذائل والأرجاس الباطنية الشيطانية عند قيامه بالتطهّر من الأرجاس الظاهرية، وأن يغسل المدينة الفاضلة بماء رحمة الحق وبالارتياض الشرعي، وأن يصفّي القلب ـ محل تجلي الحق تعالىٰ ـ مما يشوبه، وأن يخلع نعلَي الجاه والسمعة كي يتأهل للدخول في وادي «الأمن» المقدس، ويصبح لائقاً لتجلي الرب.

وما لم يحصل التطهّر من الأرجاس الخبيثة فلا سبيل الى التطهّر من الأحداث، لأن تطهير الظاهر مقدمة لتطهير الباطن. وما لم تتحقق التقوىٰ في عالم الملك الدنيوي بصورة تامةٍ، وكما أمرت به الشريعة المطهّرة فلن تتحقق التقوىٰ القلبية. وما لم تحصل التقوىٰ القلبية من الأمور التي ذكرناها، فلن تظهر التقوىٰ الروحية السريّة الحقيقية، فجميع مراتب التقوىٰ مقدمة لهذه المرتبة منها، والتي يتحقق فيها ترك غير الحق. والحقُّ لن يتجلىٰ لسر السالك، مادام فيه بقايا من الأنانية.

نعم، قد يحدث أحياناً أن يُعان السالك ـ بمقتضىٰ سبق الرحمة وغلبة الجذبة الإلهية ـ فيحرق وبجذوةٍ إلهية ما قد يكون متخلفاً من بقايا الأنانية، ولعلّ في

---

(١) ص: ٧٦.

(٢) نفس المصدر السابق.

كيفية تجلّي الحق تعالى للجبل واندكاك الأخير وانصعاق موسى عليه السلام إشارة الى ذلك، ولعلّ هذا هو ايضاً الفرق بين السالك المجذوب وبين المجذوب السالك. ومما اشرنا اليه فإن أهل الحقيقة يدركون نكتة جديرة بالمعرفة وأمراً هاماً يعتبر الجهل به منشأ للكثير من أشكال الضلالة والغواية والتخلّف عن طريق الحق، مما لا يليق بأيّ طالب للحق أن يجهله، ولا يجوز له الغفلة عنه، ألا وهو: أن على السالك وطالب الحق تنزيه نفسه من إفراط بعض الجهلة من أهل التصرّف وتفريط بعض الغافلين من أهل التمسّك بالظاهر، لكي يتيسر له السير الى الله. فالبعض من الطائفة الاولى يعتقدون بأن العلم والعمل الظاهريّين (الشكليين) حشوٌ يختص به الجهّال والعوام، وأن أهل السرّ والحقيقة وأصحاب القلوب وأرباب السابقة الحسنى في غنىً عن تلك الأعمال (القالبية) التي يُراد بها الحصول على الحقائق القلبية وبلوغ المقصد، فبما أن السالك قد وصل مقصده فإن العمل بالمقدمات يعدُّ نوعاً من الإبعاد له عن مقصده، كما أن الانشغال بالكثرات يعدُّ حجاباً.

اما البعض من الطائفة الثانية، فقد انبروا لمواجهة الطائفة الاولى، فسقطوا في التفريط وأنكروا جميع المقامات المعنوية والأسرار الإلهية، ولم يقبلوا أيّ شيءٍ عدا الظاهر المحض والصورة والقشر ناسبين ما يدّعيه اهل الطائفة الاولى كله الى التخيّلات والأوهام. والنزاع والجدال والخصام قائم على قدم وساق بين هاتين الطائفتين، وكلٌّ منهما تنسب الأخرى الى مخالفة الشريعة.

والحق أن كلتا الطائفتين قد تجاوزتا الحدّ نوعاً ما، فوقعت كلتاهما في الإفراط والتفريط، وقد اشرنا الى هذا الموضوع في رسالة «سرّ الصلاة». وسوف نبيّن هاهنا حدّ الاعتدال الذي يمثل الصراط المستقيم.

اعلم أن المناسك الشكلية والعبادات القالبية لا يُراد منها الحصول على الملكات الروحية الكاملة والحقائق القلبية فحسب. فذلك كله إحدى ثمراتها؛ والعبادات ـ عند أهل المعرفة وأصحاب القلوب ـ إجمالاً، إنما هي نقلٌ للمعارف

الإلهية من الباطن الى الظاهر ومن السرّ الى العلن، ومثلما أن نعمة الرحمة الرحمانية بل الرحيمية شاملة لجميع العوالم الانسانية القلبية والقالبية، فإنّ لكل مرتبةٍ من مراتبها حظّها من النعم الإلهية الجامعة، وعلى كلّ منها نصيب من الثناء على الحق وشُكر النعمة الرحمانية والرحيمية للواجب المطلق، ومثلما أن للنفس حظّاً من النشأة الصورية الدنيوية، ونصيباً من الحياة في عالم الملك، فإن بساط الكثرة لم يُطوَ بالكامل بعد، وإن حظوظ الطبيعة لم تَنقضِ بعد، لذا فإن على السالك الى الله أن لا يجعل قلبه منشغلاً بغير الحق وأن لا يضيّع روح وخيال وملك الطبيعة في غير الحق، لكي يكون للتوحيد والتقديس قدم راسخة في جميع النشآت. وعليه، فلو أثمرت الجذبة الروحية نتيجة غير التعبد والتواضع للحق في ملك الطبيعة، فهذا معناه أن بقايا من أنانية النفس مازالت باقية، وأن سير السالك انما هو في جوف بيت النفس، وليس الى الله، فغاية سير اهل الله هي جعل طبيعة البدن وملكه مصطبغة بصبغة الله. وقد يكون أحد أسرار الحديث القدسي الشريف: «**أنا الله وأنا الرحمن، خلقت الرحمة وشققت لها اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته**»[١] هو قطع الطبيعة هذا ـ وهي أم الارواح ـ عن الموطن الأصلي، كما أن وصلها إنما يكون بترويضها وإرجاعها الى موطن العبودية. كذلك قد يكون في قول الامام الصادق عليه السلام: «**استوصوا بعمتكم النخلة خيراً فإنها خُلقت من طينة آدم**»[٢] إشارة الى نفس تلك «الرحمية» المذكورة.

على العموم، فإن إخراج مملكة الظاهر من مواطن العبودية وإطلاق عنانها، يعدُّ من أشدّ حالات الجهل بمقامات اهل المعرفة، وهو كذلك من تسويلات الشيطان الرجيم، الذي يصدُّ كل طائفة بأسلوب ما عن الحق تعالى، تماماً كما أن إنكار المقامات وإغلاق طريق المعارف ـ وهي قُرّة عيون اولياء الله عليهم السلام ـ

(١) معاني الاخبار: ص٣٠٢ عنه بحار الانوار: ج٧١، ص٩٥.
(٢) المحاسن: ص٥٢٨ عنه بحار الانوار: ج٦٦، ص١٢٩.

وتحجيم دور الشرائع الإلهية على الظاهر الذي هو حظّ الدنيا وملك النفس ومقام حيوانيتها، والغفلة عن اسرار العبادات وآدابها المعنوية المفضية الى تطهير السرّ واصلاح القلب والارتقاء بالباطن، يعدُّ من اشدّ مظاهر الجهالة والغفلة ايضاً. وكلتا الطائفتين تجانب طريق السعادة وصراط الانسانية المستقيم وتنأىٰ من مقامات اهل المعارف.

وبناءً على ما تقدم، على العارف بالله والعالم بالمقامات مراعاة جميع الحقوق سواء ما تعلق منها بالباطن او الظاهر، وإعطاء كل ذي حقٍ حقه، وتطهير نفسه من الغلو والتقصير والإفراط والتفريط على حدٍّ سواء، وإزالة قذارات إنكار دور ظاهر الشريعة ـ وحقيقته تحجيم دور الشريعة ـ وخبائث إنكار دور باطن الشريعة ـ وحقيقته تقييد دور الشريعة ـ عنه، وكلاهما من وساوس الشيطان اللعين وخبائثه، لكي يتسنىٰ له طيّ الطريق الى الله وبلوغ المقامات المعنوية.

وبذا يتضح أن إحدى مراتب إزالة الخبث، هي مرتبة إزالة الأوهام الفاسدة، التي تحول دون تحقيق القرب الى الله، ودون الرقي في معراج المؤمنين، وعلى هذا كان أحد معاني ومقامات (جامعية النبوة الخاتمة)، بل أحد دلائل (خاتميتها)، هي أنها قد استوفت كامل حقوقها وحظوظها من شؤون الشريعة كافة، في جميع المقامات النفسية، كما أنها ـ في مقام معرفة شؤون الربوبية ـ عرّفت الحق تعالىٰ بصورة جامعة في العلوّ الأعلى والدنو الأدنى: ﴿**هُو الأول والآخر والظاهر والباطن**﴾[1] و ﴿**الله نور السموات والارض...**﴾[2] «**ولو دُلّيتم بحبل الى الارضين السفلىٰ لهبطتم على الله**»[3] ﴿**فأينما تولّوا فثم**

---

(١) الحديد: ٣.

(٢) النور: ٣٥.

(٣) راجع علم اليقين: ج١، ص ٥٤.

وجه الله﴾[1] الى غير ذلك مما يبعث «الطرب الملكوتي» و«الوجد اللاهوتي» في العارف بالمعارف الإلهية والمجذوب بالجذبات الرحمانية، فإنها (أي النبوة الخاتمة) أسرت التوحيد العملي القلبي الى آخر مراتب أفق الطبيعة وملك البدن، فلم تترك ايّ موجودٍ دون حظّ من معرفة الله.

وإجمالاً، نقول: إن أهل التصوّف يرددون الحكمة العيسوية، وأهل الظاهر يرددون الحكمة الموسوية ـ من حيث لا يشعرون[2] ـ. أما المحمديون، فهم منزهون عن كلتا هاتين الحالتين ـ على نحو التقييد ـ وفي ذلك تفصيل يخرج عن إطار بحثنا هذا.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

---

(١) البقرة: ١١٥.

(٢) إشارة ـ على ما يبدو ـ الى غلبة الرهبانية والنزعة الملكوتية في الشريعة العيسوية، على نقيض ما هو غالب في الشريعة الموسوية.

وصل

في مصباح الشريعة، قال الصادق عليه السلام «سُمّي المستراحُ مستراحاً لاستراحة النفوس من أثقال النجاسات واستفراغ الكثافات [كذا] والقذر فيها.

والمؤمن يعتبر عندها أن الخالص من الدنيا كذلك يصير [كذا] عاقبته، فيستريح بالعُدول عنها وتركها، ويُفرغ نفسه وقلبه عن شُغلها، ويستنكف عن جمعها وأخذها استنكافه عن النجاسة والغائط والقذر. ويتفكّر في نفسه المكرّمة في حالٍ كيف تصبح ذليلةً في حالٍ، ويعلم أن التمسّك بالقناعة والتقوىٰ يُورث راحة الدارين، وأن الراحة في هوان [كذا] الدنيا والفراغ من التمتع بها، وفي إزالة النجاسة من الحرام والشبهة، فيغلق عن نفسه باب الكبر بعد معرفته إياها ويفرُّ من الذنوب، ويفتح باب التواضع والندم والحياء، ويجتهد في أداء أوامره واجتناب مواهبه كلياً لحُسن المآب وطيب الزلفىٰ، ويسجن نفسه في سجن الخوف والصبر والكف عن الشهوات الى أن يتصل بأمان الله في دار القرار ويذوق طعم رضاه. فإن المعول ذلك، وما عداه لا شيء»[1].

وفي هذا الكلام الشريف منهاج جامع لأهل المعرفة والسلوك، يقتضي بالانسان اليقظ السالك الى دار الآخرة ـ على أساسه ـ أن يستوفي في كلِّ حالٍ من الأحوال الحظوظ المعنوية، فلا يغفل ـ في أيّة حال ـ عن ذكر مرجعه ومآله. ولهذا قال الحكماء: «النبي خادمُ القضاء، كما أن الطبيب خادمُ البدن». فالأنبياء العظام والأولياء الكرام عليهم السلام لا ينظرون سوىٰ الى القضاء الإلهي، والى الجانب الإلهي، فملكوت القضاء الإلهي مهيمن على قلوبهم، وهم يدركون ويعاينون

(١) مصباح الشريعة: الباب التاسع ـ في المبرز.

كيف تُسيَّرُ الامور كافة بأيدي ملائكة الله ـ وهم الجنود الإلهيون ـ. في حين إن الطبيب العالم بالطبيعة، ينسب جريان الامور الطبيعية الى القوىٰ الطبيعية لبعده عن تلك المرتبة، ولأنه في وادٍ غير هذا الوادي.

إن الانسان الإلهي، يلحظ سهم الألوهية في كلّ شيء، كما أن بصيرة معرفة الله وتمييز الحق تجعل كل موجودٍ يشاهد نور الحق. رُوي عن أمير المؤمنين والإمام الصادق عليه السلام: «**ما رأيت شيئاً إلّا ورأيت الله قبله وبعده ومعه**».

والخلاصة، فإن على السالك أن يستفيد في جميع الأحوال ومن كافة جوانب حظوظه السلوكية، فإذا رأىٰ حطام الدنيا ولذائذ عالم الملك وهي آيلة الى الزوال والتغيّر، وإن عواقب أمورها الفساد والأفول، فلا غرابة حينئذٍ أن تتيسر له الإشاحة بقلبه عن الحرص على الحصول عليها، والاستنكاف منها تماماً، كما يستنكف من القذارات، فباطن عالم الطبيعة هو القذارة، لذا تفسَّرُ الأوساخ والقذارة التي تُرىٰ في المنام ـ الذي يمثّل باباً من أبواب المكاشفة ـ بالدنيا وما لها، فضلاً عن أن المكاشفة العلوية العلية التي يصرح بها أمير المؤمنين عليه السلام تشير الى أن الدنيا «**جيفةٌ وميتة**»[١].

وعليه، فالمؤمن مطالبٌ أن يريح قلبه من التعلق بالطبيعة والانشغال بها، وأن يُلقي عن كاهل فؤاده ثقل حبّ الدنيا والجاه، فيخلي مدينة المعنوية الفاضلة من تلك الأدران ويريحها منها، تماماً كما يتخلىٰ عن أثقال الطبيعة وفضلاتها، ويريح مدينة الطبيعة من أذاها.

وليتفكر، كيف أن الانشغال بالدنيا يضطرّ النفس المكرّمة ـ بعد مُدّة قليلة ـ لتصبح ذليلة مُهانة وتمرَّ بأسوأ الأوضاع وأشدِّ الحالات سوءاً.

وليفهم أن الاشتغال القلبي بالدنيا سيذلّه ويعرّضه الى شديد الحساب والعقاب بعد آونة وجيزة، وذلك عندما ترفع ستارةُ الملك ويزول حجاب

---

(١) إشارة الى قول أمير المؤمنين عليه السلام: «... أقبلوا على جيفةٍ قد افتضحوا بأكلها...» ـ راجع نهج البلاغة، الخطبة ١٠٨.

الطبيعة، فيدرك «أن التمسك بالقناعة والتقوىٰ يورث له راحة الدارين، وأن الراحة في هوان [كذا] الدنيا والفراغ من التمتع بها». فعليه أن يُطهّر نفسه من نجاسات الحرام والشبهة، مثلما يطهرها من النجاسات الظاهرية.

فإذا عرف نفسه وأيقن بذلّ احتياجه ونقصه، فإنه يغلق عن نفسه باب الكبر بعد معرفته إياها، ويفرّ من الذنوب، و«يفتح باب التواضع والندم والحياء، ويجتهد في أداء أوامره واجتناب نواهيه طلباً لحسن المآب وطيب الزُلفىٰ»، وبطهارة النفس وصفائها، فإنه يتقرب الى مقام القدس و«يسجن نفسه في سجن الخوف والصبر والكفّ عن الشهوات الى أن يتصل بأمان الله في دار القرار، ويذوق طعم رضاه، فإن المعول ذلك، وما عداه لا شيء».

المقام الثاني

المقصد الثاني

جانب من آداب اللباس

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المقام الأول

آداب مطلق اللباس

اعلم أن النفس الانسانية الناطقة حقيقة تنطوي ـ علاوة على الوحدة وكمال البساطة ـ على نشآت متعددة، الرئيسة منها ـ عموماً ـ ثلاث:

الأولى: النشأة الملكية الدنيوية الظاهرة، ومظهرها الحواس الظاهرة وقشرها البدن الملكي.

الثانية: النشأة البرزخية المتوسطة، ومظهرها الحواس الباطنية والبدن البرزخي وقالب المثال.

الثالثة: النشأة الغيبية الباطنية ومظهرها القلب والشؤون القلبية.

والعلاقة بين كل نشأةٍ من هذه النشآت والنشأة الاخرى، هي كالعلاقة بين الظاهر والباطن. وبين التجلي والمتجلي، ولهذا فإن آثار وخصائص وانفعالات كل نشأة تنتقل الى النشأة الأخرى. فمثلاً عندما تدرك حاسة البصر شيئاً، فإن أثراً من ذلك الحسّ يقع في الحس البرزخي وبما يناسب النشأة البرزخية، كما يقع أثر آخر في البصر القلبي الباطني وبما يناسب النشأة القلبية ايضاً.

وكذا هي الحال مع الآثار القلبية التي تظهر ايضاً في النشأتين الأخريين. وهذا الأمر وعلاوة على مطابقته البرهان المتين الحجة فهو يطابق حسّ الوجدان ايضاً. وعليه فإن لجميع الآداب الشرعية الظاهرية أثراً بل آثاراً في

الباطن، كما أن لكل من الأخلاق الحسنة ـ وهي من بعض حظوظ مقام برزخية النفس ـ آثاراً في الظاهر والباطن. وكذا فإن لكل من المعارف الإلهية والعقائد الحقة آثاراً في النشأتين البرزخية والظاهرة. فمثلاً الايمان بأن صاحب السلطة المطلقة في مملكة الوجود وعوالم الغيب والشهود هو الحق تعالى، وأن الموجودات الاخرى ليس لها أدنى سلطة إلّا على نحو الظليّة والمأذونية، يؤدّي الى الكثير من الكمالات النفسية والاخلاق الانسانية الفاضلة، كالتوكل وحُسن الظن بالحق والتجرد عن حالة الرغبة بما عند المخلوق، الأمور التي تعدُّ أمهات الكمالات المؤدية الى أنواع الأعمال الصالحة والممارسات الخيّرة والكف عن الكثير من القبائح.

وهكذا الحال مع سائر المعارف، ولو أردنا تعدادها وبيان تأثيراتها واحداً واحداً لطال بنا الحديث ولاقتضى الأمر إعداد كتاب مستقل كبير، يصنّفه اهل المعرفة او تسطرهُ الأنفاس القدسية لذوي الإقبال على الله. أما نحن فـ«يدنا قصيرة والتمر في أعلى النخيل»[1].

بيد انه لا بأس بالمرور على بعض تلك الأمور، فخلقُ (الرضا) مثلاً، وهو من أخلاق الكمال الانساني له تأثيرات كثيرة في تصفية النفس وجليها، إذ إنه يجعل القلب مرآةً للتجليات الإلهية الخاصة ويرقى (بالايمان) الى (كمال الايمان) وهو (الطمأنينة)، ثم يرقى بالطمأنينة الى كمالها وهو (المشاهدة)، ثم بالمشاهدة الى كمالها وهو (المعاشقة)، ثم بالمعاشقة الى كمالها وهو (المراودة)، وبالمراودة الى كمالها وهو (المواصلة)، وبالمواصلة الى كمالها... والى ما لا يخطر في خيالي او خيالك يا عزيزي.

ولخلق الرضا ـ بعد ذلك ـ تأثيرات غريبة في ملك البدن والآثار والأفعال الظاهرية، التي تمثل الفروع والأوراق، فهو يجعل السمع والبصر وسائر

(١) مضمون لعجز بيت بالفارسية للشاعر حافظ الشيرازي.

الأعضاء إلهية، ويساهم في كشف جانبٍ من سرِّ «**كنتُ سمعه وبصره**»[1].

كذلك فإنه كما أن لتلك المراتب الباطنية تأثيراً بل تأثيرات على الظاهر، فإن الحال سيان اذا عكسنا الأمر، فإن الهيئة الظاهرية وكل ما يرتبط بها من حركاتٍ وسكنات ـ عادية او غير عادية ـ وجميع الأفعال وجميع حالات الكف وعدم الارتكاب، كلها ذات تأثير عجيب للغاية. فقد يحدث أحياناً أن تؤدي نظرة احتقار من السالك يرمق بها أحد عباد الله، الى سقوطه من ذروة السمو الى اسفل السافلين، ثم لا يتمكن بعدها من العودة الى حاله الأولى حتى بعد سنوات طوال من الدأب على الارتياض.

ولما كانت قلوبنا ـ نحن التعساء ـ ضعيفة خائرة، تهتز كاوراق الصفصاف لأرقّ نسيم يهبُّ، وتفقد استقرارها، وجب علينا مراعاة حال القلب والمحافظة عليه حتى في الامور العادية، كارتداء الملبس. ثم، لما كانت الفخاخ والمكائد التي تنصبها النفس والشيطان غاية في التأثير والغموض، مما يفوق طاقتنا وقدرتنا، وجب علينا أن نهبّ في مواجهتها بأقصى وسعنا واستطاعتنا، سائلين الحق تعالى التوفيق والتأييد في جميع الأحوال.

يتضح اذن، أن هناك تأثيراً متبادلاً بين الظاهر والباطن، وعليه ينبغي للإنسان الطالب للحق والساعي للارتقاء المعنوي أن يجتنب ـ عند اختياره مادة اللباس وشكله ـ ما يؤثر سلباً في الروح، ويخرج القلب عن استقامته، ويورث الغفلة عن الحق تعالى، ويجعل توجهات الروح دنيوية.

ولا يظنن أحدٌ ان تسويل الشيطان وتدليس النفس الأمّارة بالسوء ينحصر في حالة ارتداء الفاخر والجميل من الثياب وفي التجمّل والتزيّن، بل لعلّ الانسان يسقط احياناً بسبب ثيابٍ رثّةٍ عديمة القيمة.

---

(١) إشارة الى حديث «قرب النوافل» القدسي: «... وإنه ليتقرب إليّ بالنافلة حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته...». يُراجع أصول الكافي: كتاب الإيمان والكفر ـ باب من آذى المسلمين واحتقرهم «ج ٤، ص٥٣».

من هنا وجب الاحتراز من لباس الشهرة، بل من عموم السلوك المخالف للعرف والمتعارف، واجتناب ارتداء الألبسة الفاخرة، المصنوعة من أقمشةٍ باهظة القيمة، مما يجذب الأنظار ويميز صاحبه عن الآخرين؛ فقلوبنا غاية في الضعف والتأرجح، وهي تهتز وتنحرف عن جادة الاعتدال لأدنى امتياز او شاخصية. فما اكثر ما ينظر إنسان ناقصٌ ضعيف نظرة احتقار وتكبر وتعالٍ واستهانةٍ الى عباد الله ـ رغم أنه يفتقر شخصياً الى أدنى مراتب السمو الانساني وعزة النفس وكمال الآدمية ـ وذلك لمجرد ارتدائه قطعتين أو ثلاث من حرير أو صوف ليس له فيها سوى تقليد الأجانب في الطرز والاعداد، ولعله قد حصل عليها بعد مختلف الممارسات المهينة وبعد مقايضتها بعزته وكرامته.

وإنه لمن أشدّ حالات ضعف النفس وضيق الأفق وضعة الهمة، أن يتوهم الانسان أن فضلات الديدان ولباس الخراف تصبح سبباً لزيادة اعتباره وعلوّ مقامه!

فكم أنت مخلوق ضعيف تافه أيها الانسان؟!

فأنت ينبغي لك أن تكون فخر عالم الوجود وعصارة الكون والمكان، وأنت ابن آدم، وينبغي لك أن تكون معلماً للأسماء والصفات، وأنت ابن خليفة الله وعليك أن تكون من الآيات الباهرات «فهم يدعونك الى محفل العرش...»[1].

فيالك من شقي وخَلَفٍ طالح، تغتصب حفنة من فضلات الحيوانات وملبوساتهم، ثم تفاخر بها، والحال أن الفخر لدودة القزّ والخروف والبعير والسنجاب والثعلب، فلماذا تفاخر بألبسة الآخرين وتتكبر وتتعالى بما هو فخرٌ للآخرين؟!

على أيّة حال، فكما أن لمادة اللباس ونوعه وثمنه الباهظ وزينته الكثيرة تأثيراً في النفوس، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «...ومن لبس المرتفع من

(١) مضمون مصراع بيت شعر بالفارسية للشاعر حافظ الشيرازي.

الثياب، فلابدَّ له من التكبر، ولابدَّ للمتكبر من النـار»[1]، كـذلك فـإن لطـرز خياطة اللباس، آثاراً ايضاً، فقد يـحدث احـياناً أن تـظهر عـصبية جـاهلية لدى الانسان الذي يتشبه في لباسه بالأجانب، تـجعله يـنفر ويـتقزز مـن أحـبة الله ورسوله، ويحبُّ أعداءهم، لذلك ورد في الحديث عن الصادقعليه السلام أن الله تبارك وتعالى أوحى لأحد أنبيائه: «...**قُل للمؤمنين: لا تلبسوا ملابس أعدائـي ولا تأكلوا كأعدائي ولا تمشوا كأعدائي، فتكونوا أعدائي كما هم أعدائي»**[2].

ومثلما أن للألبسة الفاخرة تأثيراً في النـفوس، كـذلك فـإن الألبسـة بـالغة الضِعة والرثة، ذات تأثـير فـي النـفوس، سـواء بـمادتها ونـوعها أو بـطرزها وشكلها، بل ربما كان أثرها المفسد أضعاف ما تتركه الألبسة الفاخرة من أثر، ذلك لأن مكائد النفس ـ كما قلنا ـ غاية في التـعقيد والغـموض. فـما إن يـرى الانسان نفسه متميزاً بلباسه الخشن او بكرباسه[3] عن الآخرين ممن يرتدون ناعم الثياب ولطيفها، حتى يغفل عن عيوب نفسه بسبب حبّه لها، فيرى هذا الأمر الثانوي ـ الذي لا يتم عن لياقة خاصة به ـ سبباً للفخر، وقد يصيبه ذلك بالعجب، فيتكبر على عباد الله، ويعتبر الآخرين بعيدين عن ساحة الحق القدسية، ويـعدُّ نفسه هو من المقربين ومن خلّص عباد الله، ولربما ابتلي بسـبب ذلك بـالرياء وبسائر المفاسد العظيمة الاخرى، فيكون المسكين قد رضي باللباس الخشن الرث، وغفل عن جميع مراتب المعرفة والتقوى والكمالات النفسانية، وعن آلاف العيوب التي يمثل ما تركه هذا اللباس عليه من أشدها خطراً، فحسب نفسه من اهل الله، واستصغر شأن عباد الله وازدراهم والحال أنه من اولياء الشيطان.

وهكذا فربما أدى شكل اللباس وطرزه الى تعرض الانسان للإبتلاء بمختلف المفاسد، كأن يعتني بشكل لباسه ليبدو بصورة المشهور بالزهد والتقوى.

---

(١) مستدرك الوسائل: كتاب الصلاة ـ ابواب احكام الملابس ـ الباب السادس عشر ـ ح ٥.

(٢) الجواهر السنية: باب ابي عبدالله جعفر بن محمد الصادقعليه السلام ـ ح ٦٠.

(٣) الكرباس: رداء من القطن يحاك بخيوط غليظة تجعله خشن الملبس.

وعلى العموم، فإن لباس الشهرة ـ إفراطاً أو تفريطاً ـ هو من عوامل زلزلة القلوب الضعيفة وإبعادها عن مكارم الاخلاق، ومن بواعث العجب والرياء والكبر والتفاخر، الأمور التي يعدُّ كل واحدٍ منها من أمهات الرذائل النفسانية، وسبباً اساسياً للركون الى الدنيا والتعلق بها وهذا رأس كل خطيئة ومنبع كل قبيحة وسيئة.

وقد وردت الإشارات الى الكثير من هذه الأمور في الأحاديث الشريفة، نسوق بعضاً منها:

عن الرسول الأكرم ﷺ: **«من لبس ثوب شهرةٍ في الدنيا ألبسهُ الله ثوب مذلّة في الآخرة...»**[1].

وعن الامام الصادق عليه السلام قال: **«إن الله يبغض شهرة اللباس»**[2].

وعنه عليه السلام: **«الشهرة خيرها وشرها في النار»**[3].

وعنه عليه السلام: **«إن الله يبغض الشهرتين: شهرة اللباس وشهرة الصلاة»**[4].

---

(١) المصدر السابق: الباب الثامن ـ الحديث ١.

(٢) وسائل الشيعة: كتاب الصلاة ـ ابواب احكام الملابس ـ الباب الثاني عشر ـ الحديث ١.

(٣) المصدر السابق: الحديث ٣.

(٤) المصدر السابق: الباب الثامن ـ الحديث ٢.

آداب لباس المصلّي

الباب الأول

سرّ طهارة اللباس

اعلم أن الصلاة هي مقام العروج الى مقام القرب، والحضور في محضر الأنس، لذا فإن على السالك مراعاة آداب الحضور في محضر ملك الملوك المقدس. ولما كانت النفس تحضر في محضر الحق المقدس بمختلف مراتبها ومستويات ظهورها، من أدناها وهو قشر القشر والبدن المُلكي الصوري والى أعلى مقاماتها وحقائقها وهي لبّ اللباب ومقام سرّ القلب، فعلى السالك أن يُحضر كل جنود الظاهر والباطن لممالك السرّ والعلن، ويعرضهم في محضر الحق جلّ وعلا، وأن يُقدّم في ذلك المحضر المقدس كلّ الأمانات التي فوضته إياها رحمة الذات المقدسة، وتفضلت عليه بها يد قدرة الجمال والجلال وهي بكامل الطهارة والصفاء لا سلطة لأيّ موجود من الموجودات عليها، وهو إنْ

فعل يكون قد ردّ الأمانات كما أفاضتها عليه ألطاف الحق تعالى.

وبالتأمل البسيط يتجلى أنّ في أدب الحضور مخاطر جمّة لا ينبغي للسالك الغفلة عنها ولو للحظة واحدة، فعليه أساساً أن يجعل من طهارة اللباس ـ ستر القشر، بل ستر قشر القشر ـ وسيلة لطهارة أردية الباطن، وليعلم أنه ومثلما يشكّل هذا اللباس المتعارف ستراً للبدن المُلكي، فإن البدن بدوره يشكّل ستراً للبدن البرزخي، الموجود فعلاً، والمستور بالبدن الدنيوي وحجابه. ثم، ومثلما أن هذا البدن ساترٌ لذاك البدن البرزخي، فإن الأخير ساترٌ للنفس وهو يشكل لباسها وحجاباً لها، ثم إن النفس بدورها سترٌ للقلب، والقلب ستر للروح ـ تلك اللطيفة الخفية ـ وهلم جرا وصولاً الى العديد من المراتب الاخرى. فكل مرتبةٍ أدنى، هي سترٌ للمرتبة الأسمى. وهي المراتب التي تتجلى في خلّص أهل الله، فيما يحرم الآخرون من ذلك.

غير أن الجميع يشتركون في بعض منها، لذا فسوف نشير الى ما هو مشترك منها:

اعلم إذن، أنه ومثلما أن الصلاة الصورية لا تتحقق دون طهارة اللباس والبدن، ومثلما أن القذارات ـ وهي الرجز الشيطاني المُبعد عن محضر الرحمن ـ تعدُّ من موانع الورود في المحضر المقدس، ومثلما أن المصلي مقصيٌّ عن محضر القدس ممنوع من الدخول الى مقام الأنس، إنْ كان لباسه وبدنه ملوثين برجز الشيطان؛ كذلك فإن قذارات الذنوب والمعاصي ـ وهي من مظاهر سلطة الشيطان الخبيث ومن أرجازه وقذاراته ـ تعدُّ من موانع الدخول الى المحضر المقدس. فالمتلبس بالمعاصي يكون قد نجّس ستر البدن البرزخي، لذا فلن يمكنه الورود في محضر الحق بهذه القذارة، ودون تطهير هذا اللباس، الأمر الذي يعدُّ من شروط تحقق الصلاة الباطنية وصحتها.

غير أن الانسان، جاهل بهذا البدن الغيبيّ وطهارة أرديته ونوع قذاراته وشرطية طهارته ومانعية تلك القذارات عن الورود في المحضر المقدس، مادام

في حجاب الدنيا. ولكن إذا حَلَّ يوم الجلاء من هذا الحجاب، وطوت ـ سلطة الباطن ويوم الجمع ـ بساط تفرقة الظاهر، وأشرقت شمس الحقيقة مبددةً سحب الحجب الدنيوية المظلمة، وفُتحت عين الباطن الملكوتية، وأغلقت العين الحيوانية المُلكية، أدرك الانسان آنئذٍ بعين البصيرة أن صلاته كانت والى آخر عمره دون طهارةٍ، وأنه كان غارقاً في آلاف الموانع التي كان يكفي الواحد منها مستقلاً لإبعاده عن محضر الحق المقدس، وسوف تثقله حينها آلاف الحسرات فلا حيلة يومئذٍ ولا سبيل لإصلاح ما تلف وجبران ما فات، ولن يتخلف عندئذ سوى الحسرات التي لا آخر لها، وسوى مشاعر الندامة التي لا حدَّ لها: **﴿وانذرهم يوم الحسرة إذ قُضي الأمر...﴾**[1].

أما إذا تحققت طهارة اللباس الباطني، وجب حينها تطهير البدن الملكوتي نفسه من رجز الشيطان، وذلك بتطهيره من أرجاس الأخلاق الذميمة التي يكفي كل واحدٍ منها لوحده لتلويث الباطن وإبعاد الانسان عن محضر الحق وإقصائه عن بساط القرب، وهي ـ بعد ـ من رجس الشيطان المطرود من الرحمة. وتعود في الأصل الى العُجب وحبّ النفس والفخر والتكبر والاستبداد بالرأي، والتي يمثل كلّ واحدٍ منها مصدراً للكثير من الاخلاق الذميمة والكثير من الخطايا.

اما اذا فرغ السالك من هذا التطهير، وطهّر لباس التقوى بماء التوبة النصوح والرياضة الشرعية، لزمه بعد ذلك الاشتغال بتطهير القلب ـ الستر الحقيقي الذي تشتدّ عليه سلطة الشيطان، والذي تسري قذارته لتنجس جميع الثياب والأستار ـ فلا يمكن تحقيق سائر الطهارات ما لم يتم تطهيره. ولتطهير القلب مراتب، نشير الى بعضها هاهنا وبما يناسب بحثنا هذا:

فإحداها، تطهيره من حُبّ الدنيا ـ رأس كل خطيئة ومنشأ المفاسد كافة ـ الذي يحول ـ مادام موجوداً في قلب الانسان ـ دون الورود الى محضر الحق

(١) مريم: ٣٩.

المقدس، ودون تحقق المحبّة الإلهية ـ وهي أم الطهارات التي لا تتحقق مع وجود هذه القذارة في القلب ـ ولعل الاهتمام الذي أولاه كتاب الله المجيد، والأنبياء والأولياء عليهم السلام في وصاياهم، سيما أمير المؤمنين عليه السلام، لترك الدنيا والزهد فيها والاحتراز منها ـ وهي الامور التي تُمثل حقائق التقوىٰ ـ لا يضاهيه اهتمام آخر بشأن آخر.

وهذه المرتبة من التطهير، لا تتحقق إلّا بالعلم النافع والرياضات القلبية الحازمة، وصرف الاهتمام نحو التفكّر في المبدأ والمعاد، وإشغال القلب بالاعتبار من زوال الدنيا وخرابها، والكرامات في العوالم الغيبية وسعادتها «رحم الله أمرءاً علم من أين؟ وفي أين؟ والى أين؟»[1].

والمرتبة الاخرى، تطهير القلب من الاطمئنان الى الخلق والوثوق بما لديهم، وهو الشرك الخفيّ، بل إنه عند أهل المعرفة الشرك الجلي.

ويتحقق هذا التطهير بالتوحيد الفعلي للحق جلّ وعلا، الأمر الذي يُعدُّ ينبوع جميع الطهارات القلبية. ولا يخفىٰ هنا، أن مجرد العلم الاستدلالي، والمنحىٰ التفكري لا يحققان النتيجة المرجوّة فيما يتعلق بالتوحيد الفعلي، اذا لم نقل إن كثرة الاشتغال بالعلوم البرهانية قد تصبح احياناً سبباً في ظلمة القلب وكدورته وتصدّ الانسان عن غايته العليا، لذا قالوا: «العلم هو الحجاب الأكبر».

وفي اعتقادي، فإن جميع العلوم عمليّة، حتى علم التوحيد الذي يُستفاد كونه علماً عملياً من ذات كلمة «التوحيد» فهي على وزن «تفعيل»، وبناءً على هذا التصرف فإن كلمة «التوحيد» تدل على اتجاه الكثرة نحو الوحدة وإفناء جوانب الكثرة في عين الجميع، وهذا المعنىٰ لا يثبته البرهان، بل يدرك بالرياضات القلبية والتوجه الغريزي نحو مالك القلوب، واطلاع القلب على ما أثبته البرهان، لإدراك حقيقة التوحيد.

---

(١) راجع مفاتيح الغيب لصدرالدين الشيرازي ـ ص ٥٠.

بلى، إن البرهان يثبت لنا أن «لا مؤثر في الوجود إلّا الله»[١]، وهو أحد معاني «لا إله الا الله»، ونحن ـ واستناداً الى البرهان ـ على هذا، نحول دون امتداد يد سلطة الموجودات الى ساحة كبرياء الوجود، ونردُّ ملكوت وملك العوالم الى صاحبها ونجلّي حقيقة ﴿له ما في السموات والارض﴾[٢] و﴿بيده ملكوت كل شيء﴾[٣] و﴿هو الذي في السماء إله وفي الارض إله﴾[٤].

ولكن! ما لم يصل هذا الأمر البرهاني الى القلب، ويصبح صورةً باطنية للقلب، فهذا معناه أننا لم نبارح حدَّ العلم الى حدّ الايمان بعد، ولم ننتفع بنور الايمان الذي ينبغي له أن ينور مملكة الباطن والظاهر.

ولهذا ترى أننا ورغم امتلاكنا البرهان على هذه الحقيقة الإلهية الناصعة السامية، واقعون في التكثير، غافلون عن التوحيد الذي يمثل قُرّة عين اهل الله، ليس لنا إلّا ترديد مقولة «لا مؤثر في الوجود إلّا الله»، والحال أننا ننظر بعين الطمع ونمدّ يد السؤال الى كلِّ من هبّ ودبّ.

خشبية هي قدم الاستدلال والقدم الخشبية عاجزة للغاية[٥]

ويعدُّ هذا التطهير من مقامات السالكين السامية، تليه مقامات أخرى تفوق حد طاقتنا، قد نتعرض لها ضمن هذا البحث ـ إن شاء الله ـ وبما يناسب المقام.

---

(١) مقولة تنسب الى الحكماء الإلهيين. راجع مقدمة أسرار الحكم للميرزا أبي الحسن الشعراني: ص٣٢.

(٢) النحل: ٥٢.

(٣) يس: ٨٣.

(٤) الزخرف: ٨٤.

(٥) مضمون بيت بالفارسية للشاعر جلال الدين المولوي الرومي.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الباب الثاني

الاعتبارات القلبية لستر العورة

قال الامام الصادق عليه السلام: «**إن روح المؤمن لأشدُّ اتصالاً بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها**»[1]. وقد ثبت بالبرهان المتين في العلوم العالية أن دائرة الوجود بأجمعها ـ بدءاً بأعلى مراتب الغيب وانتهاءً بأدنى منازل الشهود ـ هي التعلق والارتباط المحض بالقيوم المطلق والفقر الصرف اليه حيث عظمته، ولعل الآية الشريفة: ﴿**يا أيّها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد**﴾[2] تشير الى هذا المعنى. ولو لم يكن لأي موجود من الموجودات ـ في أيّة حال من الأحوال أو وقت من الأوقات وبناءً على أي اعتبار من الاعتبارات ـ تعلق بعزّ القدس الربوبي، فإنه يخرج بذلك عن دائرة الفقر والإمكان الذاتي ويدخل في حريم الغنى والوجوب الذاتي.

ولكي تتجلى في قلب العارف بالله والسالك اليه تعالى حقيقة الايمان ونوره، فإن عليه أن ينقل هذه المسألة البرهانية الحقّة، وهذه اللطيفة العرفانية الإلهية من إطار العقل والبرهان الى القلب فيكتبها بواسطة الرياضات القلبية على لوح القلب ويدخلها في حدِّ العرفان. واصحاب القلوب واهل الله انما تخطّوا دائرة

(1) الاصول من الكافي: كتاب الايمان والكفر ـ باب اخوة المؤمنين بعضهم بعضاً ـ ح ٤ (ج ٢، ص ٢٤٢).

(2) فاطر: ١٥.

الايمان الى دائرة الكشف والشهود بشدة المجاهدة وبالخلوة مع الله تعالى وعشقه.

ورد في مصباح الشريعة ان الامام الصادق عليه السلام قال: «**العارفُ شخصه مع الخلق وقلبه مع الله، ولو سها قلبه عن الله طرفة عينٍ لمات شوقاً اليه. والعارف أمينُ ودائع الله، وكنز أسراره، ومعدن نوره ودليل رحمته على خلقه، ومطيّة علومه، وميزان فضله وعدله، قد غني عن الخلق والمراد والدنيا، ولا مؤنس له سوى الله، ولا نطق ولا إشارة ولا نَفَس إلّا بالله، لله من الله مع الله**»[1].

والآن! اذا رأى السالك الى الله نفسه حاضراً في المحضر المقدس للحق جل وعلا، وأدرك أن باطنه وظاهره وسرّه وعلنه هو عين الحضور، وأن ذلك قد تحقق لنفسه بجميع شؤونها، فإنه عندئذٍ سيستر جميع العورات الظاهرية والباطنية مراعاةً للمحضر ولأدب الحضور، وسوف يدرك أن انكشاف العورات الباطنية في محضر الحق لأشدّ قبحاً وفضيحةُ من انكشاف العورات الظاهرية: «**إن الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم**».

والعورات الباطنية ـ ذمائم الاخلاق وخبائث العادات وسيّئ الأحوال الخُلقية ـ تُفقد الانسان لياقة المحضر وأدب الحضور، وهي المرتبة الاولى من هتك الاستار وكشف العورات.

والانسان اذا لم يستر نفسه بستر ستّاريّة الحق جل وعلا وغفاريته، ولم يتمسك باسمي «الستار» و «الغفار» طالباً الغفارية والستارية، فقد تُهتك أستاره في محضر الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين عليهم السلام عندما يرتفع ستار عالم الملك ويزول حجاب الدنيا، والله العالم بمدى ما سيلحقه آنئذٍ من العار والفضيحة وما سيظهر من فتنٍ عند انكشاف العورات الباطنية.

---

(١) مصباح الشريعة: الباب الخامس والتسعون ـ في المعرفة.

إيهاً يا عزيزي! فلا تقارن أحوال عالم الآخرة بأحوال هذا العالم، فهذا العالم على سعته يضيق عن استيعاب نعمةٍ من النعم التي قد تعطى هناك، ولا يصمد أمام نقمة من النقم النازلة فيه. بل إن هذا العالم بكل سعة سماواته وعوالمه، لا يتسع لظهور سترٍ واحدٍ من أستار الملكوت السفلي ـ الذي يمثل عالم القبر جانباً منه ـ ناهيك عن الملكوت الأعلى الذي يمثّل عالم القيامة إنموذجاً له.

وليتضح ما نرمي اليه تأمل عزيزي في الحديث الذي نقله الشيخ الشهيد الثاني (رضوان الله عليه) في كتابه (منية المريد)، عن الصديقة الكبرى عليها السلام والذي قالت فيه: «**سمعت أبي صلى الله عليه وآله يقول: إن علماء شيعتنا يحشرون، فيُخلعُ عليهم من خِلع الكرامات على قدر كثرة علومهم وجدّهم في إرشاد عباد الله، حتى يُخلع على الواحد منهم ألف ألف حُلّة من نور... الى أن قالت: ...إن سلكاً من تلك الخِلع لأفضل مما طلعت عليه الشمس ألف ألف مرة**»[1].

هذا فيما يرتبط بالنعيم...

اما فيما يرتبط بالنقمة والعذاب، فلكي نتصور جانباً من ذلك، دعنا نتأمل في الحديث الذي ينقله الفيض الكاشاني رحمه الله عن المرحوم الصدوق مسنداً الى الامام الصادق عليه السلام والذي ينقل فيه أن جبرائيل قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: «**...فلو أن حلقة من السلسلة التي طولها سبعون ذراعاً وضعت على اهل الدنيا لذابت الدنيا من حرّها، ولو أن قطرةً من الزقوم والضريع قُطرت في شراب اهل الدنيا، مات اهل الدنيا من نتنها...**»[2]... نستجير بالله من غضب الله.

فلا مناص إذن من مبادرة السالك الى الله لتبديل الخبيث من الصفات والسيّئ من الخصال بالحميد الكامل منها، والمسارعة الى الفناء في البحر المتلاطم اللامتناهي من الاوصاف الكماليّة للحق تعالى، وتبديل الارض الشيطانية المظلمة بالارض البيضاء المشرقة، ليلمس في أرجاء نفسه كيف ﴿وأشرقت

---

(١) منية المريد: ص٢٤.

(٢) علم اليقين: ج٢، ص١٠٣٢.

الارض بنور ربها﴾[١] ويقيم في أركان مملكة وجوده مقام اسماء الجمال والجلال للذات المقدسة، فينضوي عندها تحت ستر الجمال والجلال ويتحقق عنده التخلّق باخلاق الله، وتُسدل الاستار على قبائح التعينات النفسيّة وظلمات الوهم بصورة كاملة.

واذا تحقق السالك بهذا المقام شملته الالطاف الإلهية الخاصة للحق جلّ جلاله، فيعينه بلطفه الخفي، ويستره بستر كبريائه، وبشكلٍ يصبح معه السالك غير معروف لسواه تعالى، ولا يعرف سواه تعالى: «**إن أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري**»[٢].

والإشارات ـ التي يدركها اهلها ـ كثيرة في الكتاب الإلهي المقدس، كما في قوله تعالى: **﴿الله وليُّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور﴾**[٣]، فأهل المعرفة واصحاب السابقة الحسنىٰ يعلمون بأن جميع التعينات الخلقية والكثرات العينية، إنّما هي ظلماتٌ، وإن النور المطلق لا يتحقق إلّا بإزالة الإضافات وتحطيم التعينات التي تمثّل الأوثان في طريق السالك، فإذا زالت ظلمات الكثرات الأفعالية والأوصافية وتلاشت في عين الجمع، تكون العورات عندئذٍ، قد سُترت، وتحقق الحضور المطلق والوصول التام. ولما كان المصلي في هذا المقام مستوراً بالحقّ، فإنّه سيكون مصلياً بصلاة الحق، ولعلّ صلاة المعراج لخاتم الرسلﷺ، كانت على هذا النحو في بعض المقامات والمعارج، والله العالم.

---

(١) الزمر: ٦٩.

(٢) احياء علوم الدين: ج ٤، ص٢٥٦. وقد ورد الحديث القدسي فيه تارة بلفظة (قبابي) واخرى (قبائي).

(٣) البقرة: ٢٥٧.

وصل

في مصباح الشريعة: قال الصادق عليه السلام: «أزين اللباس للمؤمنين لباس التقوىٰ، وأنعمه الإيمان، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ولباس التقوىٰ ذلك خير﴾[1].

وأمّا اللباسُ الظاهرُ فنعمة من الله يسترُ عوراتِ بني آدمَ، وهي كرامة أكرم الله بها عبادَهُ ـ ذرّيةَ آدم عليه السلام ـ لم يكرم غيرهم، وهي للمؤمنين آلة الأداء ما افترض الله عليهم.

وخير لباسك ما لا يشغلُك عن الله (عزّ وجلّ) بل يُقربك من شكرهِ وذكره وطاعته، ولا يحملك فيها الى العجب والرياء والتزيُّن والمفاخرة والخيلاء، فإنّها من آفات الدين، ومورثة لقسوة القلب.

فإذا لبست ثوبك، فاذكر ستر الله ـ تعالىٰ ـ عليك ذنوبك برحمته، وألبس باطنك بالصدق، كما ألبست ظاهرك بثوبك.

وليكن باطنك في ستر الرهبة، وظاهرك في ستر الطاعة واعتبر بفضل الله ـ عزّ وجلّ ـ حيث خلقَ أسباب اللباس لتُسترَ العورات الظاهرة، وفتح أبوابَ التوبة والإنابة لتُسترَ بها عورات الباطن من الذنوب وأخلاق السوء.

ولا تفضح أحداً حيث ستر الله عليك أعظم منه، واشتغل بعيب نفسك، واصفح عمّا لا يعنيك حالهُ وأمرُهُ واحذر أن تفني عمُرَك لعملِ غيرك، ويتجر برأس مالك غيرك وتهلك نفسك، فإن نسيان الذنوب من أعظم عقوبة الله ـ تعالىٰ ـ في العاجل، وأوفر أسباب العقوبة في الآجل.

ومادامَ العبدُ مشتغلاً بطاعة الله تعالىٰ ـ ومعرفة عيوب نفسه وترك ما يشينُ في دين الله، فهو بمعزل عن الآفات خائض في بحر رحمة الله ـ عزّ

(١) الأعراف: ٢٦.

وجلّ ـ يفوز بجواهر الفوائد من الحكمة والبيان، وما دام ناسياً لذنوبه جاهلاً لعيوبه، راجعاً الى حوله وقوّته، لا يُفلحُ إذاً أبدا»[١].

وإن كانت مقاصد الحديث تتضح ـ الى حدّ بعيد ـ بالمطالعة والتأمل، إلّا أن الإشارة الى بعض كوامنه بما يشبه الترجمة، لا يخلو من فائدة في تحقيق صفاء القلب[٢].

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) مصباح الشريعة: الباب السابع في اللباس.

(٢) يورد المؤلف (رضوان الله عليه) هنا ترجمة للحديث باللغة الفارسية ويضمنها بعض الإشارات التوضيحية، نثبتها هنا اتماماً للفائدة:

«... فاجتنب عند اختيار مادة اللباس وطرازه ما يسبب لك الغفلة عن الحق والبعد عن ساحته المقدسة واعلم أن في الألبسة، بل وسائر الأمور الحياتية العادية، نكاتاً تفضي الى الغفلة عن الحق والانشغال بالدنيا، وتترك آثاراً سيئة في القلب تؤدي الى الابتلاء بالعجب والرياء والتزيّن والمفاخرة، وهي من آفات الدين المؤدية الى تشوّه القلب...

... واشتغل بعيب نفسك لكي تنفتح أمامك أبواب الإصلاح...

... واحذر أن تُفني عمرك في عمل غيرك، فتسجل نتائج أعمالك في سجل الآخرين...

... فنسيان الانسان ذنوبه يعدُّ من أشدّ العقوبات التي ينزلها الحق تعالى به في الدنيا لأنها تنسيه إصلاح نفسه».

المقصد الثالث

الآداب القلبية فيما يتعلق بمكان المصلي

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الأول

معرفة المكان

اعلم أن السالك يكون ـ وحسبما تقتضيه نشآت الوجود ـ في أماكن لكلٍّ منها آداب خاصة يجب مراعاتها فيها. والسالك لن يفوز بصلاة اهل المعرفة إلّا بتحلّيه بتلك الآداب وبما يناسب كل مكان.

والأول من تلك النشآت: النشأة الطبيعية والمرتبة الدنيوية الظاهرة ومكانها أرض الطبيعة، قال رسول الله ﷺ: «**جُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً**»[1].

والأدب الذي ينبغي للسالك أن يتحلّىٰ به هو: إفهام القلب بأن النزول من النشأة الغيبية وهبوط النفس من المحل الأعلى الأرفع الى الطبيعة السفلية وردّها من «**أحسن تقويم**» الى أسفل السافلين، إنما هو لدفع الانسان نحو السلوك الاختياري الى الله والعروج الى معراج القرب والوصول الى فِناء الله وجناب الربوبية. وتلك غاية الخلقة ونهاية مقصد أهل الله: «**رحم الله امرءاً علم من أين؟ وفي أين؟ والى أين؟**».

فإذا أدرك السالك أن دار الطبيعة هي مسجد للعبادة وأنه معتكف فيه، لزمه أن يتأدب بالآداب اللازمة لذلك وأن يصوم عن ذكر غير الحق وأن لا يغادر

(١) وسائل الشيعة: كتاب الصلاة ـ ابواب ما يسجد عليه ـ الباب الاول ـ الحديث الثامن (ج ٣، ص٥٩٢).

مسجد العبودية إلّا بقدر الحاجة، ولا يأنس بغير الحق ولا يعلّق قلبه بالغير، فهي أمور تخالف آداب الاعتكاف بباب الله. وللعارف بالله في هذا المقام حالات يعجز القلم عن بيانها.

ولمّا كُنت خارجاً عن الفطرة الانسانية مستغرقاً في بحر الطبيعة الظلماني المسجور، مجرّداً عن الحق والحقيقة، عارياً عن كافة مقامات السالكين والعارفين، فحريٌّ بي أن لا أفضح نفسي أكثر من هذا في محضر الحق جلّت قدرته، ومحضر خواصه، ولأتجاوز الحديث عن هذا المقام، متقدماً بشكواي من النفس الأمّارة بالسوء الى الحضرة المقدسة لذي الجلال، عسىٰ أن يأخذ بيدي، فأتمكن بلطفه العميم ورحمته الشاملة من جبران ما فات في سالف العمر في ما بقي منه: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونَنّ من الخاسرين﴾[1].

والثانية من مراتب النشآت، مرتبة القوىٰ الظاهرة والباطنة التي تمثلها جنود النفس المُلكية والملكوتية ومحلها أرض طبيعة الانسان وهي هذه البنية والبدن.

والأدب الذي ينبغي للسالك التحلّي به في هذا المقام هو: إفهام باطن القلب أن أرض طبيعته هي مسجد الربوبية، وموضع سجود جنود الرحمانية، فلا ينبغي له أن يسمح بتلوث المسجد بقاذورات تصرف إبليس الخبيث، ولا بإخضاع الجنود الإلهيين لسلطة ابليس، لكي تشرق ارض الطبيعة بنور الرب وتخرج من ظلمة وكدورة البعد عن ساحة الربوبية.

إذن، عليه أن يعتبر قواه المُلكية والملكوتية معتكفة في مسجد البدن، وأن يتعامل مع البدن تعامله مع المسجد، ويتصرف مع قواه تلك على أنها معتكفة في فِناء الله.

(١) الأعراف: ٢٣.

ومسؤوليات السالك في هذا المقام كثيرة جداً، فتنظيف المسجد وتطهيره تقع على عاتقه، فضلاً عن مسؤوليته في متابعة رعاية آداب المعتكفين في هذا المسجد ايضاً.

اما **الثالثة** من النشآت، فالنشأة الغيبية للسالك ومحلها ذلك البدن البرزخي الغيبي للنفس والتي تظهر نتيجة إنشاء وخلاقية النفس ذاتها.

والأدب الذي ينبغي للسالك التحلّي به في هذا المقام هو: إذاقة نفسه طعم الفرق بين هذا المقام والمقامات الاخرى. وحفظ هذا المقام هو من أهم مهام السلوك، ذلك لأن القلب في تلك الارض هو إمام المعتكفين، وبفساده يفسد الجميع: «**إذا فَسَدَ العالِم فَسَدَ العالَم**»[1]، والقلب هو العالِم في ذلك العالم الصغير، والعالِم هو قلبُ هذا العالَم الكبير.

وتشتد مسؤولية السالك في هذه المرتبة عنها في المرتبتين السابقتين، فهنا يناط به حتى بناء المسجد ايضاً، وقد يكون مسجده ـ لا سمح الله ـ مسجد (ضرار)، ومسجد كفر وتفريق بين المسلمين، وعبادة الحق غير جائزة في مثل هذا المسجد، بل إن الواجب أن يتم تخريب هذا المسجد.

أما إذا أسس السالك مسجداً ملكوتياً إلهياً وتحت السلطة الرحمانية وبرعاية قطب الولاية، وطهّر بنفسه هذا المسجد من القذارات ومن جميع أنواع التسلطات الشيطانية واعتكف فيه، فعليه حينئذٍ السعي لإخراج نفسه من الاعتكاف في المسجد الى الاعتكاف بفِناء صاحب المسجد. فإذا تطهّر من حبّ نفسه من قيد «الأنا»، وأصبح منزلاً للحق بل مسجداً للربوبية، حينها سيثني الحق على نفسه بالتجلّيات الأفعالية ثم الاسمائية ثم الذاتية في هذا المسجد، وهذا الثناء هو صلاة الربّ حين يقول: «**سبّوح قدّوس، ربّ الملائكة والروح**»[2].

---

(١) راجع غُرر الحكم: ج٧، ص٢٦٩ قريب منه.

(٢) «... إن ربك يصلي ... يقول: سبوح قدوس ربّ الملائكة والروح»، الأصول من الكافي: كتاب الحجة ـ أبواب التاريخ ـ باب مولد النبي ﷺ ووفاته ـ الحديث ١٣ (ج٢، ص٣٢٩).

وأمام السالك الى الله، في جميع تلك المراتب، أمر آخر لا ينبغي له الغفلة عنه بأي حال من الاحوال، بل إنه يمثل غاية السلوك ولبّ لبابه، فهو مطالب بعدم الغفلة عن ذكر الحق في جميع الحالات والمقامات، وأن يسعىٰ الى معرفة الله من خلال جميع المناسك والعبادات، فيكون باحثاً عنه تعالىٰ في جميع المظاهر، فلا تصدّه عن المناجاة والخلوة به تعالىٰ نعمه وكراماته، فذلك نمط من الانسياق وراء «الاستدراج».

إجمالاً، فإن عليه أن يدرك أن روح العبادات والمناسك وباطنها هو معرفة الله، وعليه أن يسعىٰ للبحث فيها عن محبوبه عسىٰ أن تترسخ «علقة المحبة والمحبوبية» في قلبه وتشمله الألطاف الخفيّة و(المراودات) السريّة.

وصل

في مصباح الشريعة، قال الصادق عليه السلام:

«إذا بَلغتَ بابَ المسجد، فاعلم أنّك قصدت باب ملكٍ عظيم، لا يطأ بساطَهُ إلّا المطهّرون، ولا يؤذن لمجالسته إلّا الصديقون، فهبْ القدوم الى بساط خدمة الملك هيبةً، فإنّك على خطر عظيم إن غَفَلتَ.

فاعلم أنّه قادر على ما يشاء من العدل والفضل معك وبك: فإن عطف عليك برحمته وفضله قبِلَ منك يسيرَ الطاعة، وأجزل لك عليها ثواباً كثيراً.

وإن طالبَكَ باستحقاق الصدق والإخلاص عدلاً بك، حجبكَ وردّ طاعتكَ، وإن كثرت، وهو فعال لما يريد.

واعترِفْ بعجزك وتقصيرك وانكسارك وفقرك بين يديه، فإنّك قد توجهت للعبادة والمؤانسة به، واعرضْ اسرارك عليه، ولتعلم أنّه لا يخفىٰ عليه اسرارُ الخلق أجمعين وعلانيتهم.

وكن كأفقر عباده بين يديه، وأخلِ قلبك عن كلّ شاغل يحجبُك عن ربّك، فإنّه لا يقبل إلّا الأطهرَ الأخلص.

وانظر من أي ديوان يخرج اسمُك، فإن ذقت حلاوة مناجاته ولذيذ مخاطبته وشربت بكأس رحمته وكراماته من حسن إقباله عليك وإجابته، فقد صلحتَ لخدمته، فادخلْ فلك الأذنُ والأمانُ، وإلّا فقف وقوف من انقطع منه الحيلُ وقصر عنه الأمل وقُضي عنه الأجلُ.

فإن علم الله ـ عزّ وجلّ ـ من قلبك صدق الالتجاء إليه، نظرَ إليك بعين الرأفة والرحمة واللُطف ووفّقك لما يُحبُّ ويرضىٰ، فإنه كريم يحبُّ الكرامة لعباده المضطرين إليه المحترقين على بابه لطلب مرضاته، قال تعالىٰ:

﴿أمّن يجيب المضطرّ إذا دعاه ويكشف السوء﴾(١).

أوردنا الحديث الشريف بكامله لأنه يمثل منهاجاً شاملاً لاصحاب المعرفة وأرباب السلوك الى الله، فلعلّ التدبر فيه يوصل الى حالٍ يدرك السالك معها أن عليه التوقف عند بلوغ باب المسجد، والتساؤل مع نفسه: أيّ حضرة وصلت اليها وأيُّ محضر قصدت؟! فهو محضر ملك عظيم لا يطأ بساط قربهِ إلّا المطهرون من أرجاس عالم الطبيعة، النقية أطرافهم من الاخباث الشيطانية، وإن مجالسته لا يؤذن بها إلّا للذين يسايرونه بصدقٍ وصفاءٍ وإخلاص من جميع أنواع الشرك الظاهر والباطن.

إذن، فلتضع في حسابك أيها السالك، عظمة الموقف وهيبة الجلال الإلهي وعزّته، عند دخول محل قدسه وبساط أنسه، فإنك مقبل على مخاطرة عظيمة «اعلم أن جدارها يشجّ الرأس»(٢)، فقد دلفت الى محضر قادر مطلق يفعل في مملكته ما يشاء: فإمّا أن يعاملك بعدله ويدقق معك في الحساب مطالباً إياك بالصدق والإخلاص، وأنك إذن حينها محجوب عن حضرته مردودة عليك طاعاتك مهما بلغت من الكثرة.

وإما أن يتوجه اليك بلطفه وعطفه، فيتقبل بفضله ورحمته، القليل اليسير من طاعاتك البسيطة الضئيلة، فيتفضل عليك أنئذٍ بالثواب الجزيل.

والآن، وقد عرفت خطر الموقف، فلتُقرّ بعجزك وفقرك وتقصيرك، فإذا توجهت لعبادته، ورغبت بالمؤانسة به، فعليك أن تفرغ قلبك من الانشغال بالغير، الذي يحجبك عن الجمال الجميل، فهذا الانشغال هو قذارة وشرك، والحق تعالى لا يتقبل إلّا القلب الطاهر المخلص.

ثم، اذا وجدت في نفسك حلاوة مناجاة الحق، وتذوقت لذّة ذكر الله، وشربت بكأس رحمته وكراماته، ولمست في نفسك حسن إجابته وإقباله عليك، فاعلم

---

(١) مصباح الشريعة: الباب الثاني عشر ـ في دخول المسجد. والآية في آخر الحديث: الآية ٦٢، سورة النمل.
(٢) مضمون مصراع بيت شعر للشاعر حافظ الشيرازي.

أنك قد صلحت لخدمته المقدسة، فادخل فلك الإذن والأمان.

اما اذا غابت عنك هذه الأحوال في نفسك، فقف على باب رحمته وقوف مضطر قد انقطعت به السُبل والحيل، فاذا فعلت، وعلم منك الصدق والصفاء، نظر اليك بعين الرحمة والرأفة وأعانك ووفقك لرضاه، لأنه «**كريم يحب الكرامة لعباده المضطرين**... وهو القائل سبحانه: ﴿**أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء**﴾».

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الثاني

بعض من آداب إباحة المكان

اذا فهم السالك الى الله مراتب المكان ـ بحسب مقاماته ـ ونشآت الوجود، فعليه أن يجتهد في التحلّي بالآداب القلبية المطلوبة في المباح منها لكي ينأى بصلاته عن السلطة الغصبية التي يمارسها إبليس الخبيث عليها.

لذا، عليه في المرتبة الأولى التحلي بآداب العبودية الصورية، والوفاء بالعهود التي قطعها على نفسه سالفاً في عالم الذرّ ويوم الميثاق، ويكفّ يدَ التسلط الإبليسي عن ملك طبيعة نفسه، لكي يتمكن من بلوغ حالة المراودة والتحابب مع صاحب الملك، ولكي لا تكون سلطته على عالم الطبيعة سلطة غصبية.

بعض أهل الذوق يقولون: إن معنى الآية الكريمة: ﴿**يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود، أحِلّت لكم بهيمة الأنعام**﴾[1] بمقتضى باطنها هو: أن حلّية بهيمة الأنعام موقوفة على الوفاء بعهد الولاية.

كما ورد في بعض الأحاديث الشريفة أن جميع الارض هي للإمام وأن غير الشيعة غاصبون لها[2]. كذلك فإن اهل المعرفة يرون أن وليّ الأمر مالك لجميع

---

(١) المائدة: ١.

(٢) الاصول من الكافي: كتاب الحجة ـ روايات ان الارض كلها للإمام (ج ٢، ص ٢٦٦).

ممالك الوجود ومدارج الغيب والشهود ولا يجيزون ـ على ذلك ـ لأحد التصرف فيها دون إذن الامام.

وأقول: لما كان ابليس اللعين، عدوّ الله، ولما كانت جميع تصرفاته ـ بل وجميع التصرفات ذات المنحىٰ الإبليسي ـ في عالم الطبيعة جائرة وغاصبة، فإن السالك الى الله اذا أخرج نفسه من سلطة ذلك الخبيث وجعل تصرفه رحمانياً، فإن ملبسه ومطعمه ومنكحه سيكون مباحاً طيباً، وعلى العكس فإن كل ممارساته تلك ستبتعد عن الحليّة ويطالها الشرك الشيطاني، بنفس النسبة التي تكون فيها خاضعة لسلطة إبليس.

إذن، فأعضاء الانسان الظاهرة، إذا وقعت تحت سلطة ابليس تُصبح أعضاءً ابليسية وغاصبة لمملكة الحق. كذلك فإن اعتكاف القوىٰ الملكوتية في مسجد البدن إنما يكون مباحاً وعادلاً فقط اذا كانت هذه القوىٰ من جنود الرحمانية، وإلا فإن جنود ابليس لا يحق لهم التصرف في مملكة البدن الانساني وهو ملك الحق تعالىٰ.

فإذا كفّ السالك سلطة الشيطان عن مملكة القلب ـ وهو المنزل الخاص بالحق ـ وجعله خالصاً لتجليات الحق، ولم يسمح لغير الحق ـ ابليس ـ بدخوله، عندئذٍ تُصبح المساجد الظاهرة والباطنة والأمكنة الملكية والملكوتية مباحةً، وتكون صلاته صلاةَ أهل المعرفة، وعلى أساس هذا المعيار يتضح المعنىٰ العام لطهارة المسجد ايضاً.

المقصد الرابع

الآداب القلبية للوقت

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الأول

طوائف أهل المعرفة وأوقات العبادة

إعلم، أن اهل المعرفة واصحاب الرياضات الشرعية يلتزمون المراقبة والمواظبة تجاه اوقات الصلوات ـ ميقات المناجاة وميعاد لقاء الحق ـ بقدر قوة معرفتهم بمقام الربوبية المقدس واشتياقهم الى مناجاة حضرة الباري عزَّ اسمه.

فمنهم: تلك الطائفة من المجذوبين لجمال الجميل والعشّاق الهائمين بالحُسن الأزلي، السكارىٰ بكأس المحبة، المذهولين عن كلا العالمين بقدح «ألستُ»[1]، الغاضّين لأبصارهم عن أقاليم الوجود، المتعلقين بعزِّ قدس جمال الله. فهم في حالة الحضور الدائم، لا يفارقون الذِكر والتفكر والمشاهدة والمراقبة لحظة واحدة.

ومنهم: تلك الطائفة من الفضلاء من أصحاب المعارف وأرباب الفضائل، وذوي النفوس السامية الطيبة الذين لايفضلون على مناجاة الحق شيئاً آخر، ولا يطلبون إلّا ذات الحق تعالى عن الخلوة والمناجاة، ويعتقدون بأن العزّ والشرف والفضيلة والمعرفة جميعها إنما تكمن في ذكر الحق ومناجاته. وهم

---

(١) اشارة الى قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم ألستُ بربكم قالوا بلى شهدنا...﴾ الاعراف: ١٧٢.

اذا التفتوا الى العالم أو رمقوا الكونين بنظرة ما، فإن نظرتهم عرفانية، وهم في هذا العالم باحثون ساعون الى الحق تعالى، وهم يرون أن الموجودات كافة، مظاهر للحق وتجليات لجماله الجميل «عاشق لكل العالم، فكلُّ العالَم منه»[1].

وهؤلاء يجتهدون في المواظبة على حفظ اوقات الصلوات ما وسعهم الجهد، وينتظرون بفارغ الصبر حلول وقت مناجاة الحق، فهم قد هيأوا أنفسهم وأعدوها لميقات الحق، قلوبهم حاضرة، وهم يسعون لقرب الحاضر من المحضر، ويبجّلون المحضر من اجل الحاضر، ويرون أن العبودية انما تكون في (الموادّة) و (المعاشرة) مع الكامل المطلق، واشتياقهم للعبادة انما يستند الى كل هذا.

ومنهم: أولئك المؤمنون بالغيب وعالم الآخرة الهائمون بكرامات حضرة الحق جل جلاله، فهم لا يستبدلون نعم الجنة الأبدية ولذائذها ومباهجها الدائمة السرمدية، بالحطام الدنيوي المندثر، واللذائذ المشوبة الناقصة الزائلة. وهم ايضاً ذوو قلوب محضرة عند حلول وقت العبادات، فهم يرون انها بذور النعم الأخروية، ولما كانوا لايفضلون على النعم السرمدية شيئاً آخر فهم يبادرون الى القيام برغبة واشتياق وينتظرون بلهفة وترقب حلول اوقات الصلوات، التي يرون فيها مواسم قطف الثمار، وتحميل المتاع قبل السفر.

وهؤلاء ايضاً ـ ولأن قلوبهم مدركة لما في عالم الغيب، مؤمنة موقنة بالنعم الأبدية واللذات الدائمة في عالم الآخرة ـ لا يضيعون اوقاتهم، ويبادرون للعمل قبل الفوت، أولئك أصحاب الجنة وأرباب النعمة هم فيها خالدون.

وهذه الطوائف التي ذكرنا بعضها تنال من العبادات ذاتها لذات تتفاوت مقداراً بحسب مراتب اهل تلك الطوائف ومعارفهم، ولا ينتابهم من العبادة اي شعور بثقل التكليف ابداً.

---

(١) مضمون مصراع بيت شعر للشاعر سعدي الشيرازي.

اما نحن المساكين المبتلين بالآمال والأماني وأسرى أغلال الأهواء والشهوات، الغارقين في البحر الظلماني المسجور لعالم الطبيعة، فشامّة ارواحنا لم تتحسس عبقة من المحبة والعشق، وقلوبنا لم تتذوق من لذائذ العرفان والفضيلة أيّة لذّة. فلا نحن اصحاب عرفان ومعاينة، ولا نحن اهل ايمان واطمئنان؛ والعبادات الإلهية في رأينا تكليف ومشقة، والمناجاة مع قاضي الحاجات عبء مفروق وعمل ثقيل، لا ركون لنا سوى للدنيا ـ معلف الحيوان ـ ولا تعلّق لنا إلّا بدار الطبيعة ـ معتكَف الظالمين ـ، عين بصيرة قلوبنا عاجزة عن رؤية الجمال، وارواحنا بعيدة عن تذوّق العرفان.

اجل ... إن سيد اهل المعرفة وزعيمهم، وخلاصة اصحاب المحبة والحقيقة (صلوات الله عليه وآله) يقول: «**أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني**»[1]، إلهي، فأيّة بيتوتةٍ هذه التي كانت لمحمد صلى الله عليه وآله في دار خلوة الأنس معك؟ وأيّ طعام وشراب هذا الذي أطعمته وسقيته إياه بيدك فحرّرته من قيود جميع العوالم، حتى بلغ حيث يقول: «**لي مع الله وقت لا يسعُهُ مَلَك مقرّب ولا نبيّ مرسل**»[2] فهل هذا الوقت كان من اوقات عالم الدنيا والآخرة، أم وقت خلوة «**قاب قوسين**» و «**طرح الكونين**»؟

أربعون يوماً صامها موسى الكليم عليه السلام «صوماً موسوياً» فبلغ ميقات الحق، وقال تعالى: ﴿**فتم ميقات ربه أربعين ليلةً**﴾[3]، إلا أنه ـ مع ذلك ـ لم يصل «الميقات المحمدي» ولم يرتقِ الى مستوى اللياقة بـ«الوقت الأحمدي». ففي حين إنه عليه السلام خُوطب عند اللقاء بقوله تعالى: ﴿**فاخلع نعليك**﴾[4]، الأمر الذي فُسِّر بالدعوة للتخلي عن «محبة الاهل» ترى أن الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله يؤمر «بحبّ

---

(١) وسائل الشيعة: ج٧، ص٣٨٨ وصحيح البخاري: ج٤ (كتاب التمني)، ص٢٥١.

(٢) عوالي اللئالي: ج٤، ص٧، حديث ٧ وبحار الانوار: ج١٨، ص ٢٦٠.

(٣) الأعراف: ١٤٢.

(٤) طه: ١٢.

علي بن أبي طالب»! وإنه لسرٌّ منه في القلب بارقة لا أُظهر منها شيئاً، وعليك أنت أن تسبر غور هذا المجمل الذي عرضناه لتبلغ بعض أعماقه.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الثاني

المواظبة على حفظ المواقيت

إيها عزيزي، اغتنم انت ايضاً وقت المناجاة هذا بقدر ما يتيسّر لك، وبقدر ما تقدر، وتحلّ بآدابه القلبيّة وأفهم قلبك أن أساس الحياة الاخروية الابدية، والمنبع اللامتناهي للفضائل النفسانية والكرامات، إنما هو في «المراودة» و «المؤانسة» مع الحق، وفي مناجاته، خصوصاً في الصلاة، العمل الأجمع والأكمل بين جميع العبادات، والعقار الروحي المعدّ بيد جمال الحق وجلاله.

فاحفظ اذن ما استطعت مواقيتها، واختر من بينها اوقاتها وقت فضيلتها، ففيه نورانية لا توجد في الاوقات الاخرى، وقلّ، بل اقطع دابر اشتغالاتك القلبية في ذلك الوقت. واعلم أن ذلك لن يتحقق لك إلّا بتقسيم اوقاتك وتنظيمها، وتخصيص وقت خاص منها للصلاة لا يزاحمها فيه عمل آخر من أعمالك، ولا يتعلق فيه قلبك بشيء آخر، كما يجب عليك أن لا تحشر الصلاة في وقت تشترك فيه مع شؤون اخرىٰ لكي تتمكن من إراحة قلبك وإحضاره فيها. فالصلاة هي الكفيلة بإصلاح شؤون حياتك الابدية.

ولنستعرض هاهنا ـ بما يناسب المقام ـ طائفة من الاحاديث الواردة بشأن احوال المعصومين عليهم السلام فلعلّ التدبر في احوال هؤلاء العظام يؤدي الى اليقظة والانتباه، وعسىٰ أن يدرك القلب خطورة الموقف واهمية المقام وعظمته فيفيق

من نومة الغفلة.

عن بعض نساء رسول الله صلى الله عليه وآله قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يـحدّثنا، فـاذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه شغلاً بالله عن كل شيء»(١).

وروي أن امير المؤمنين (صلوات الله عليه): «كان إذا حضرَ وقت الصلاة، يتململ ويتزلزل ويتلوّن فيقال له: ما لك يا أمير المؤمنين؟ فيقول: جـاء وقت أمانةٍ عرضها الله على السماوات والارض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها»(٢).

نقل السيد ابن طاووس في كتاب فلاح السائل، أن الامام الحسين عليه السلام كـان: «اذا توضأ يتغير لونه وتضطرب مفاصلُه، فقيل له في ذلك فقال: حقٌّ لمن يقف بين يدي ذي العرش أن يصفرّ لونه وتضطرب مفاصله»(٣)، ونقل مثل ذلك عن الامام الحسن عليه السلام(٤).

وروي أن الامام السجّاد عليه السلام كان: «اذا حضر للوضوء اصفرّ لونُه، فيقال له: ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء؟ فيقول: ما تـدرون بـين يـديْ مـن أقوم؟»(٥).

فلو تفكرنا نحن ايضاً، ولو افهمنا قلوبنا الخاوية أن اوقات الصلوات هـي أوقات الحضور في الحضرة القدسيّة لذي الجلال، وهي اوقات دعا الحق تعالىٰ ـ مالك الملوك والعظيم المطلق ـ عبده الضعيف الحقير الى مـناجاته وأذِن له بالدخول الى دار كرامته، لكـي يـفوز بـالسعادة الأبديّة والسـرور والبـهجة الدائمية، لداخلتنا ـ وعلى قدر ما توصلنا اليه من معرفةٍ ـ حـالة مـن السـرور والبهجة عند حلول وقت الصلاة.

(١) مستدرك الوسائل: كتاب الصلاة ـ ابواب افعال الصلاة ـ الباب الثاني ـ الحديث ١٧.

(٢) المصدر نفسه ـ الحديث ٥ و ١٤.

(٣) فلاح السائل، عن كتاب (اللؤلؤيات)، في احوال الامام الحسن بن علي عليهما السلام.

(٤) راجع بحار الأنوار: ج٧٧، ص٣٤٦.

(٥) مستدرك الوسائل: كتاب الصلاة ـ ابواب افعال الصلاة ـ الباب الثاني ـ الحديث ٣٥.

كذلك فإن قلوبنا اذا استشعرت عظمة المقام وخطورته، لحصلت لدينا حالة من الخوف والخشية تتناسب مع مقدار ما أدركنا من تلك العظمة.

اما قلوب الأولياء فإنها لمّا كانت مختلفة فيما بينها، متباينة في حالاتها لتباين ما يحصل فيها من تجلّيات اللطف والقهر وما تبلغه من استشعار العظمة والرحمة، فإن حالة من السرور والبهجة تنبعث لدىٰ هؤلاء الأولياء نتيجة شوق اللقاء واستشعار الرحمة والجمال فينادون: «أرحنا يا بلال»[1]، وقد تؤدي تجليات العظمة والقهر والسلطان أحياناً الى أن يغيبوا عن وعيهم وتنتابهم حالة من الرعشة والرعدة.

وإجمالاً، فاعلم أيها الضعيف، بأن الآداب القلبية للأوقات تتلخص في حقيقة أنك تستعد للورود الى محضر مالك الدنيا والآخرة، وتتهيأ لمخاطبة حضرة الحق جلّ وعلا والحديث معه. فإذا ما قارنت بين ضعفك ومسكنتك وذلتك وعجزك من جهة، وعظمة الذات المقدسة للحق جلت عظمته وجلاله وكبرياؤه التي يُصعقُ الانبياء والمرسلون والملائكة المقربون في محفل عظمتها ويعترفون بالعجز والذلة والمسكنة من جهة اخرى، وجعلت القلب يدرك ذلك الفرق، لا ستشعر قلبك الخوف وتصاغرت أمامك نفسك وعباداتك.

ثم انك اذا تأملت في سعة رحمة الذات المقدسة وكمال رأفتها وشمول رحمانيتها، بسماحها لعبدٍ ضعيف بالدخول الى محضرها المقدس رغم كل تعاسته وما يحمل من الأدران، ودعوتها إياه الى مجلس أنسها بأشكال المراسم والممارسات المعبّرة عن الحفاوة والتكريم لتلك الدعوة ولذلك المحضر، بدءاً من إهباط الملائكة وانزال الكتب السماوية وبعث الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، ودون أيّة سابقةٍ او أهليّة لهذا «الممكن» التعيس، ودون أن يكون هناك ـ نعوذ بالله ـ أيّ نفع متحصل من تلك الدعوة او ذلك الحضور في

---

(١) مقولة شريفة عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، كان يدعو بها بلال الحبشي للأذان، راجع المحجة البيضاء: ج١، ص٣٧٧.

محضره جلّ وعلا، سواء لحضرته المقدسة او لملائكته او أنبيائه عليهم السلام. فلا شك أن هذا التأمل سيبعث حالة من الأنس في القلب فيستشعر الرجاء والأمل.

إذن فلتهيّئ نفسك للحضور، منطلقاً نحو ذلك الهدف بخطى الخوف والرجاء والرغبة والرهبة. وعُدَّ عُدّتك لذلك الحضور، وأهم ذلك: دخول المحضر بالقلب الخجل والفؤاد الوجل واستشعار الذلة والضعف والانكسار وانقطاع الحيلة، وإياك أن ترى نفسك لائقاً بحضور المحضر ـ بأيّ وجه كان ـ او أن تحسب نفسك لائقاً للعبادة والعبودية. واعلم ان الإذن لك بالعبادة والعبودية، انماهو فقط بفضل شمول رحمة الحضرة الأحدية وعموم لطف الحق جلت قدرته.

واعلم أنك اذا وضعت ذلتك نصب عينيك، وبالغت في التواضع لذات الحق المقدسة، وأدركت أنك أنت وعبوديتك لست شيئاً يذكر، وبلا أيّة قيمة، فإن الحق تعالىٰ سيتلطف بك ويرفعك ويلقي عليك من خِلَعِ كراماته.

المقصد الخامس

جانب من آداب استقبال القبلة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الأول

في سرّ الاستقبال إجمالاً

اعلم ان ظاهر الاستقبال يقوم على أمرين: «المقدّمي» ـ بمنزلة المقدمة ـ وهو صرف الوجه الظاهر الى جهةٍ دون سائر الجهات. و«النفسي» وهو استقبال الكعبة ـ أم القرى ومركز بسط الأرض ـ بالوجه، ولهذه الصورة باطن، والباطن له سرٌّ، بل اسرارٌ.

فاصحاب الاسرار الغيبيّة يصرفون باطن الروح عن جهات كثرات الغيب والشهادة المشتتة ويجعلون وجهة السرّ والروح أحدية التعلق، ويفنون الكثرات في سرّ «أحدية الجمع» فإذا تنزّل هذا السرّ الروحي في القلب ظهر الحق في القلب بظهور الاسم الاعظم، الذي يمثل «مقام الجمع الاسمائي» وفنت واضمحلت الكثرات الاسمائية في الاسم الاعظم، وأصبحت وجهة القلب في هذا المقام، هي حضرة الاسم الاعظم، وراح يؤدي دوره ـ من باطن القلب الذي ظهر بظاهر الملك ـ في إفناء الغير والانصراف عن غرب العالم وشرقه، ودوره في التوجه الى حضرة الجمع ونحو مركز بسط الارض ـ التي هي يد الله في الارض ـ.

أمّا السالك الى الله ـ والذي يسير من الظاهر الى الباطن ويسمو من العلن الى السرّ ـ فإن عليه أن يجعل من هذا التوجه الصوري نحو مركز البركات الارضية،

ومن هذا الترك لسائر الجهات المشتتة المتفرقة، وسيلة للرقي بحالة القلب، فلا يكتفي بالشكل المجرد من المعنى، بل عليه أن يصرف القلب ـ وهو مركز توجّه حضرة الحق ـ عن الجهات المشتتة المتفرقة ـ التي تمثّل أوثاناً حقيقةً ـ ويجعله متوجهاً نحو قبلة الحقيقة ـ أصل أصول بركات السماوات والأرض ـ عن الغير والغيرية ويتخلّص من آثارها ليبلغ درجة من سرّ ﴿**وجهت وجهي للذي فطر السماوات والارض**﴾[1]، ولتسنو في قلبه بارقة من تجليات وبوارق عالم الغيب الاسمائي، وتحترق الجهات المشتتة والكثرات المتفرقة بالبارقة الإلهية، فيأخذ الحق تعالى بيده، ويلقي الصنمين الأصغر والأكبر بيد قطب الولاية من باطن القلب...

وهي حكاية لا تنتهي، فدعني اتخطّاها الى مبحثٍ آخر...

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) الانعام: ٧٩.

الفصل الثاني

بعض من آداب الاستقبال القلبية

اعلم ايها السالك الى الله، أنك اذا صرفت وجه ظاهرك عن الجهات المشتتة لعالم الطبيعة ووجهته نحو نقطةٍ واحدة، فقد أعلنت بذلك عن حالتين من الفطرة الإلهية المودعة بيد الغيب في خميرة الذات، بها خمّر الحق تعالى - بيد الجلال والجمال - طينتك، ثم إنك أظهرت هاتين الحالتين على صورة الظاهر الدنيويّ، وجعلتهما مشهودتين، وأقمت البينة على عدم احتجابك عن هاتين الحالتين من الفطرة الإلهية، وذلك بصرف الظاهر عن الغير والتوجه نحو القبلة وهي محلُّ ظهور يد الله وقدرته.

والأولى من هاتين الحالتين من الفطرة الإلهية: فطرة النفور من النقص والناقص، والثانية: عشق الكمال والكامل. إحداهما أصليّة ذاتية والاخرى تبعية ظليّة، وكلتاهما من حالات الفطرة التي جُبل عليها افراد الاسرة البشرية قاطبة وبلا استثناء. فأفراد البشر على اختلاف عقائدهم واخلاقهم وطبائعهم وأمزجتهم وامكنتهم وعاداتهم، ومن حيث كونهم بدواً او حضراً، متخلفين او متمدنين، علماء او جهّالاً، مؤمنين او ملاحدة، جميعهم وجميعهم مجبولون على هاتين الحالتين وإنْ كانوا هم أنفسهم محجوبين عنها مختلفين في تشخيص الكمال والنقص والكامل والناقص.

فذلك القاتل المتوحش الشارب للدماء، يرىٰ الكمال في تحقيق التسلّط على أرواح الناس وأعراضهم ويعتبر شرب الدماء والقتل مصداقاً للكمال فهو يقضي عمره فيه.

كذلك فإن طالب الدنيا، الساعي للجاه والمال، انما يعشق المال والجاه لأنه يرىٰ الكمال فيهما. وهكذا هو حال صاحب كل مقصد، فهو يرى الكمال في مقصده، ويعتبر الكامل من بلغ هذا المقصد، فيعشقه وينفر من غيره.

ودور الأنبياء عليهم السلام والعلماء بالله واصحاب المعرفة، انما هو اخراج الناس من الاحتجاب وتخليص نور فطرتهم من ظلمات الجهل وتعريفهم بالكامل والكمال. فإذا تمّ ذلك، فإن التوجه نحو الكمال وترك غيره لن يحتاج الى دعوةٍ او تشجيع، فنور الفطرة الموجود في افراد البشر قاطبة، يعدُّ بحدِّ ذاته أكبر الادلاء الإلهيين.

وفي الصلاة ـ العقار الإلهي ومعراج قرب الحق ـ يعدُّ استقبال القبلة والتوجه نحو النقطة المركزية والتخلّي والاعراض عن الجهات المتفرقة استيقاظاً للفطرة وانطلاقاً لنورها من قيد الاحتجابات. وهذا الأمر يصدق على الكُمل واصحاب المعرفة. اما بالنسبة لنا نحن اصحاب الحجب، فإننا نحتاج الى التحلي بأدب الاستقبال لتحقيق التوجه نحو القبلة الحقيقية، وذلك بإفهام القلب، أن ليس في جميع دار التحقق من كمال ولا كامل سوىٰ الذات المقدسة للكامل المطلق. فالذات المقدسة فقط هي الكمال الذي لا نقص فيه والجمال الذي لايشوبه عيب، والفعلية التي لا تشوبها قوّة، والخيريّة التي لا تخالطها شريّة، والنور الذي لا تعتريه الظلمة. وإن كل ما يوجد في دار التحقق بأسرها من كمال وجمال وخير وعزّة وعظمة ونورية وفعليّة وسعادة انما هو من نور جمال تلك الذات المقدسة، ودون مشاركة لأحد معها في الكمال الذاتي، ودون أن يكون لموجودٍ جمال وكمال ونور وبهاء بغير جمال تلك الذات المقدسة وكمالها ونورها وبهائها.

وعموماً، فإن تجلي نور جماله المقدس هو الذي جعل العالم نورانياً، ومنح الحياة والعلم والقدرة، وإلا فإن كل ما في دار التحقق كان في ظلمة العدم وكمون اللاشيء وبطون البطلان، بل إن من أضاءت المعرفة قلبه يرئ ان كل ما عدا نور الجمال الجميل باطل ولا شيء ومعدوم أزلاً.

ورد في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما سمع قول (لبيد):

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلُ وكل نعيم لا محالة زائلُ

قال صلى الله عليه وآله: «أصدق شعر قاله شاعر قول لبيد: ألا كلُّ...»[1].

فإذا أفهمت قلبك بطلان دار التحقق وكمال الذات المقدسة، فلن تحتاج عندئذٍ الى التأمل والتكلف في توجيه القلب نحو القبلة الحقيقية ونحو عشق الجمال الجميل المطلق والنفرة من جميع دار التحقق عدا مظهر تجلي الذات المقدسة، فإن فطرة الله نفسها تدفع الانسان الى ذلك بصورة فطرية وسوف يصبح لسان ذات الانسان وقلبه وحاله: ﴿وجهت وجهي للذي فطر السماوات والارض﴾[2] كما يصبح ﴿لا أحب الآفلين﴾[3] لسان الانسان الفطري.

فيا أيها المحتاج، اعلم ان العالم زائل ومندثر وفانٍ وباطل، كلّهُ في ذلك سواء، وليس لأي من الموجودات من نفسه شيء وليس في ذاته جمال ولا بهاء ولا نور ولا سناء، فالجمال والبهاء منحصر في ذات الحق، وهذه الذات المقدسة متفردة بالجمال والبهاء والكمال، بل متفردة بالوجود مثلما هي متفردة بالالوهية ووجوب الوجود، فيما ان ذل العدم الذاتي والبطلان منقوشان على نواصي ما سواه تعالى.

اذن فاصرف القلب ـ مركز نور فطرة الله ـ عن الجهات المشتتة للأباطيل والعدميّات والنواقص ووجهه شطر مركز الجمال والكمال، وليكن ما يقوله

---

(١) علم اليقين: ج١، ص١٠٦.

(٢) الانعام: ٧٩.

(٣) الانعام: ٧٦.

العارف الشيرازي لسان فطرتك في ضميرك الصافي:

ضـــميرنا لا يـــتسع لأحـــدٍ غـــير الحـــبيب

فاعطِ كلا العالمين للعدو، اذ يكفينا نحن الحبيب[١]

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) مضمون بيت شعر للشاعر الايراني حافظ الشيرازي.

وصل

عن الصادق عليه السلام قال: «اذا استقبلت القبلة، فآيس من الدنيا وما فيها واستفرغ قلبك عن كل شاغل يشغلك عن الله تعالى، وعاين بسرِّك عظمة الله تعالى، واذكر وقوفك بين يديه يوم ﴿تبلو كل نفسٍ ما أسلفت وردوا الى الله مولاهم الحق﴾، وقِفْ على قدم الخوف والرجاء»[1].

في الحديث الشريف منهج عمل لأمثالنا نحن المحجوبين، ممن لا نستطيع حفظ حالاتنا القلبية دوماً، والجمع بين الوحدة والكثرة، وبين التوجه الى الحق والتوجه الى الخلق.

اذن علينا ـ والحال هذه ـ اليأس من الدنيا عند التوجه للحق واستقبال القبلة، واقتلاع جذور الطمع في الخلق من انفسنا، واستئصال المشاغل القلبية والشواغل الروحية من اعماق الروح والقلب، لنكون بذلك اهلاً بالحضور في الحضرة، ولكي تتجلى في سرِّ أرواحنا إحدى تجليات العظمة. فاذا حصلنا على نور العظمة ـ وبما يتناسب مع استعدادنا ـ فعلينا ان نتذكر رجوعنا الى الحق ووقوفنا في محضره المقدس في اليوم الذي تظهر فيه مع كل انسان اعماله ﴿وردوا الى الله مولاهم الحق...﴾[2] ويشطب فيه بخط البطلان على كل معبود باطل وعلى جميع الأهواء النفسانية.

فإذا تذكرنا هذا، فلا شك أننا سنتردد بين الخوف والرجاء عندما نتقدم للوقوف في محضر مثل هذا العظيم الذي لا يعدو دار التحقق بأسره أن يكون تجلّياً من تجلياته الفعلية. فإننا اذا رأينا ضعفنا ووهننا وانقطاع حيلتنا وذلتنا، وعظمة الذات المقدسة وعزّتها وجلالها وكبرياءها، فلا شك أن نكون عندئذٍ في

---

(١) مصباح الشريعة: الباب الثالث عشر (في افتتاح الصلاة)؛ ومستدرك الوسائل: كتاب الصلاة ـ ابواب افعال الصلاة ـ الباب الثاني ـ الحديث ٩.

(٢) يونس: ٣٠.

خوفٍ وخشيةٍ من خطر المقام، اما اذا ادركنا رحمة الذات المقدسة ورأفتها وألطافها غير المتناهية وكراماتها غير المحدودة، فلابدَّ أن يبعث ذلك الرجاء فينا.

مركز تحقيقات كامپیوتری علوم اسلامی

المقالة الثالثة

مقارنات الصلاة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الباب الأول

بعض آداب الأذان والاقامة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الأول

سرّ الأذان والإقامة إجمالاً وبعض آدابهما العامة

اعلم ان على السالك الى الله أن يُطلق ـ عند الأذان ـ في قلبه ـ وهو سلطان القوى الملكوتية والملكية ـ وكذلك بين سائر الجنود المبثوثة في شتى أرجاء الملك والملكوت، نداء الحضور الى المحضر، فعليه أن يهيئها ـ مادام وقت الحضور واللقاء قد اقترب ـ فإنه بذلك لن يضطرب بالتجلي المفاجئ اذا كان من المشتاقين والعشّاق. ولن يرد المحضر المقدس دون تهيئة ما يلزم من الاسباب والآداب اذا كان من المحجوبين.

اذن فالسرُّ الاجمالي للاذان يكمن في أنه إطلاق النداء للقوى الملكوتية والملكية والجيوش الإلهية، لكي تبادر الى الحضور.

اما أدبه الاجمالي فهو التنبّه الى عظمة المقام وخطره وعظمة المحضر والحاضر، والى ذِلة (ممكن الوجود) وفقره وفاقته ونقصه وعجزه عن القيام بالأمر وعدم أهليته للحضور في المحضر ما لم يعنه الحق جلَّ وعلا بلطفه ورحمته وجبران نقصه.

أما «الإقامة» فهي إقامةُ القوى الملكوتية في المحضر وإحضارها في ذلك الحضور. وأدبها، الخوف والخشية والحياء والخجل والرجاء الواثق بالرحمة اللامتناهية. فالسالك مطالبٌ ـ في جميع فصول الأذان والإقامة ـ بإفهام القلب

بعظمة المحضر والحضور والحاضر، واستحضار ذله وعجزه وقصوره من جانب، وذلك لكي يحصل لديه الخوف والخشية. وأن يصوّر بقلبه الرحمة الواسعة والالطاف الكريمة من جانب آخر، لينبعث فيه الرجاء والشوق.

على هذا فإن ذوي القلوب (العَشقية) يغلب عليهم الشوق والجذبة، وهم يردون محضر الأنس بقدم الحب والعشق، وقلوبهم تنشغل ـ وبِفعل تلك الجذبة الغيبية ـ بالعشق والمعانقة وذلك بوسيلة الذكر والفكر بالحق، وتبقى مشغولة بعشق المحضر والحاضر الى آخر الصلاة.

وفي الحديث قال علي بن أبي طالب عليه السلام: **«أفضل الناس من عشق العبادة وعانقها، وأحبّها بقلبه وباشرها بجسده وتفرّغ لها، فهو لا يبالي على ما أصبح من الدنيا، على يسرٍ أم عسر»**[1].

أما ذوو القلوب (الخوفية)، فيتجلى لهم سلطان العظمة وتغلب عليهم جذبة القهارية فتذهب بنفوسهم ويذيب قلوبهم الخوف والخشية. لذا فإن قصورهم الذاتي وإحساسهم بذلتهم وعجزهم يحول بينهم وبين كل شيء.

روي عن موسى بن جعفر عليهما السلام أنّه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: **«إن لله عباداً كسرت قلوبهم خشيته فاسكتتهم عن النطق...»**[2].

اما الأولياء الكُمل فإن الحق تعالى يتجلى لهم تارة بالتجلي اللطفي، ويكون دليلهم العشق وجذبة الحب، فقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان ينتظر حلول وقت الصلاة بلهفةٍ، ثم إن شوقه يشتد فيقول لبلال المؤذن: **«أرحنا يا بلال»**[3].

وتارة يتجلى لهم بتجلي العظمة والسلطنة فتحصل لديهم حالة الخوف والخشية، نظير الحالات الخوفية التي يُنقل أنها كانت تنتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وأئمة الهدى عليهم السلام.

(١) وسائل الشيعة: كتاب الطهارة ـ ابواب مقدمة العبادات ـ الباب ١٩ ـ الحديث٢، وفيه عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

(٢) بحار الانوار: ج٧٥، ص٣٠٩.

(٣) المحجة البيضاء: ج١، ص٣٧٧.

وتارة يتجلىٰ لهم بالتجلّي الجمعي الأحدي بحسب طاقة قلوبهم وسعة أوعيتها.

اما نحن المحجوبين، المشغولين بالدنيا والمحبوسين في سجن الطبيعة، المقيدين بأغلال الشهوات والآمال، المحرومين من السعادات العقلية الإلهية، ممن أسكرتنا الطبيعة ولم نصحُ من سكرتنا حتى بعد حلول صبح الأزل، ولم نستيقظ من سباتنا العميق، فخارجون عن اقسام تلك الفئات، مُستثنون من إطار هذا الحديث.

إذن فالآداب التي ينبغي لنا أن نتحلّىٰ بها في الحضور هي على نحوٍ آخر، كذلك فإن قيامنا بالواجبات القلبية يكون بصورة اخرىٰ. وأهم ما ينبغي لنا إخراجه من قلوبنا هو اليأس من روح الله والقنوط من رحمته، فذلك من جنود ابليس وإلقاءات شياطين الإنس والجن.

كذلك فإن علينا أن لا نتوهم ان هذه المقامات قد فصّلت على اشخاصٍ بعينهم، وأن لا أمل لنا بها، وإن قدم السّير البشري لا تقوىٰ على السير في تلك السُّبل، فنحجم بسبب هذا الوهم عن التحرك نحوها ونظل على حالٍ من الجمود والوهن متثاقلين الى ارض الطبيعة. فالأمر ليس على هذا النحو، وإن كنتُ لا أنكر أن المقام الذي يخصُّ كُمّل اهل الله لا يتيسر لأحدٍ بلوغه، غير أن المقامات المعنوية والمعارف الإلهية على مدارج ومراتب لا حصر لها، ويمكن للبشر بلوغ الكثير منها شريطة أن يغادرهم الجمود والتراخي، ويزول عن قلوبهم عناد اهل الجهل والتعصب والإصرار على الخطأ، وأن لا يصبح ذلك شيطاناً في طريق سلوكهم.

إذن، فأدب الحضور المطلوب منا التحلّي به، هو اعتبار محضر الحق ابتداءً كمحضر سلطان عظيم، مما يدرك القلب عظمته، إذ إننا لم نرتقِ بعد من مرتبة الحسّ والظاهر، ولا نبصر سوىٰ العظمة والجلال الدنويين، ونجهل أشكال العظمة الغيبية الإلهية.

بعدها علينا إفهام قلوبنا بأن جميع أشكال العظمة والجلال والكبرياء هي مظهر لعالم «الملكوت»، الذي تنزل في هذا العالم؛ ولما كان عالم الملكوت ليس له قدرٌ محسوس مقارنة بالعوالم الغيبية، فعلينا أن نفهم قلوبنا بأن العالم هو محضر الحق المقدس، فالحق تعالى حاضرٌ في كل مكانٍ وحيزٍ، سيّما في الصلاة التي تعدُّ بمنزلة الإذن الخاص بالحضور والموعد المخصوص للملاقاة والمراودة للحضرة الأحدية.

ثم اذا استشعر القلب هذه العظمة والحضور - وإنْ كان ذلك في البداية تكلفاً - فإنه سيأنس بالصلاة تدريجياً، ويتحول ذلك الاستشعار المجازي الى حقيقة ثابتة.

ونحن اذا تحلّينا بالآداب الصورية للتعامل مع مالك الملوك وسلطان السلاطين وحرصنا على الالتزام بآداب الحضور الظاهرية، فإن ذلك سيترك تأثيره على القلب، فيستشعر القلب العظمة، ويصل الانسان بذلك الى النتائج المتوخاة تدريجياً.

وهذا يصدقُ على حالة استثارة الحب والعشق، فذلك مما يحصل بالمواظبة والرياضة ايضاً.

فإذا عرّفنا القلب - بادئ ذي بدء - بأشكال الرحمة الصورية والالطاف الحسيّة للحق تعالى، وأوصلنا اليه مقام الرحمانية والرحيمية والمنعمية، فإن القلب سيأنس تدريجياً، وينتقل التأثير من الظاهر الى الباطن، فتشرق مملكة الباطن نتيجة تأثير الجمال فيها وتتحقق الآثار المطلوبة ايضاً.

إن الانسان اذا قام بأداء الأوامر وجاهد في سبيل الله، فإن الحق تعالى سيأخذ بيده ويعينه ويخرجه من ظلمات عالم الطبيعة بسبب غيبي، وينير أرض قلبه المظلمة بنور جماله، ويبدلها الى سماوات روحية: ﴿ومن يقترف حسنةً نزد

له فيها حُسناً إن الله غفور شكور﴾(١).

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

---

(١) الشورى: ٢٣.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الثاني

في بعض آداب وأسرار تكبيرات الأذان والإقامة

اعلم انه لمّا كان الاذان دعوةً لقوىٰ النفس الظاهرة والباطنة للحضور في محضر الربوبية من اجل الثناء على الذات المقدسة بمقتضىٰ جميع الأسماء والصفات والشؤون والآيات، على أساس أن الصلاة ـ وكما أشرنا سابقاً ـ هي ثناء جامع على الذات المقدسة بمقتضىٰ التجلي بالإسم الاعظم الذي يمثل مقام أحدية جميع الأسماء في حضرة الواحدية ومقام التجلي بالجمع والتفريق والظهور والبطون في حضرات الاعيان والاسماء العينية، لذا فإن السالك يلتفت في بداية الأمر الى كبرياء الذات المقدسة، استناداً الى هذا الشأن الجامع، فيعلن أولاً عظمتها وكبرياءها لقوىٰ مملكة نفسه الملكوتية والملكية؛ وثانياً الى ملائكة الله الموكلين بملكوت القوىٰ المبثوثة في مملكة النفس؛ وثالثاً لموجودات عالم الغيب والشهادة؛ ورابعاً لملائكة الله الموكلين بملكوت السماوات والأرضين.

اذن، فهو يُعلن ـ بالتكبيرات الأربع ـ كبرياء الإسم الأعظم لجميع سكان عوالم الغيب والشهادة في مملكته الداخلية وفي المملكة الخارجية، وهذا الاعلان نفسه بمنزلة الإعلان عن العجز عن القيام بالثناء على الذات المقدسة، وإعلامٌ بالقصور عن إقامة الصلاة.

والتكبيرات الأربع من الأمور الشاملة في السلوك والآداب المحيطة بالثناء

والعبادات، والتي يجب على السالك أن يستحضرها في جميع احوال الصلاة، ولهذا ترى أنها تتكرر في الأذان والإقامة وفي الصلاة خلال الانتقال من وضع الى آخر من اوضاعها لكي يستمكن الشعور بالقصور الذاتي وبعظمة الذات المقدسة وكبريائها في قلب السالك.

ومن هنا ايضاً يتّضح ادبُ التكبيرات. فالسالك مطالبٌ ان يُذكّر قلبه وقواه المختلفة في كل تكبيرة بعجزه من جهة وبكبرياء الحق من جهة ثانية.

ويمكن من ناحية اخرى اعتبار أن كل واحدة من التكبيرات الأولية الأربع إشارة الى واحد من المقامات.

فالأولى إشارة الى أنه أكبر من التوصيف ذاتاً.

والثانية إشارة الى أنه أكبر من التوصيف صفةً.

والثالثة إشارة الى أنه أكبر من التوصيف إسماً.

والرابعة إشارة الى أنه أكبر من التوصيف فعلاً.

فكأن السالك يقول: إن الله أكبر من أن توصف ذاته او تجلياته الذاتية، وأكبر من أن توصف صفاته وأسماؤه وأفعاله او التجليات المرتبطة بهذه التوصيفات الثلاث.

قال امير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل: «...والوجه الآخر: «الله أكبر» في نفي كيفيته كأنه يقول [أي المؤذن]: الله أجلّ من أن يُدرك الواصفون قدر صفته الذي هو موصوفٌ به، وإنما يصفه الواصفون صفةً على قدرهم لا على قدر عظمته وجلاله، تعالى الله عن أن يدرك الواصفون صفته علواً كبيراً... الحديث»[1].

ومن آداب التكبيرات الهامة، مجاهدة السالك لجعل القلب ـ ومن خلال الرياضات القلبية ـ محلاً لكبرياء الحق جل جلاله، وسعيه في حصر علو الشأن

---

(١) بحار الانوار: ج٨١، ص١٣١.

والسلطان والعظمة والجلال بالذات المقدسة للحق جلّ وعلا، وسلبه عن سائر الموجودات. واذا كان في قلبه أثرٌ لكبرياء أحد، وهو لا يراه شعاعاً من كبرياء الحق وهو لا يعلم، فليعلم أن قلبه مريضٌ وعليلٌ وواقع تحت تصرف الشيطان، ولكثر ما أدّت التصرفات الشيطانية الى جعل سلطان كبرياء غير الحق يبدو اكبر من الحق، فيظن القلب أنه أكبر من الحق، وفي هذه الحالة يصبح الانسان في زمرة المنافقين.

وعلامة هذا المرض العُضال، تقديم الانسان ـ المصاب به ـ رضا المخلوق على رضا الحق تعالىٰ، وقبوله بإغضاب الخالق من أجل إرضاء المخلوق.

قال الصادق عليه السلام: **«اذا كبّرت فاستصغر ما بين العُلا والثرىٰ دون كبريائه فإن الله إذا اطّلع على قلب العبد وهو يكبّر وفي قلبه عارض عن حقيقة تكبيره، قال: يا كاذب أتخدعني؟! وعزتي وجلالي لأحرمنك حلاوة ذكري ولأحجبنك عن قُربي والمسارّة بمناجاتي»**[1].

نعم يا عزيزي، إن السر في أن قلوبنا التعيسة محرومة من حلاوة ذكر الله، وأن أرواحنا لم تتذوق لذّة مناجاة تلك الذات المقدسة، وأننا محجوبون عن الوصول الى قرب الحضرة ومحرومون من تجلّيات الجمال والجلال، انما هو لأن قلوبنا عليلة مريضة، فقد حجبنا الانشغال بالدنيا والإخلاد الى الارض والاحتجاب بحجب الطبيعة المظلمة عن معرفة كبرياء الحق تعالىٰ وانوار الجمال والجلال.

وما دمنا ننظر الى الموجودات نظرة ابليسيةً تقضي باستقلالها، فإننا لن نتذوق شيئاً من شراب الوصل، ولن نجد لذّة المناجاة وما دمنا نرى لأحدٍ ما في عالم الوجود شيئاً من العزة والكبرياء والعظمة والجلال، فنحن في حجاب أوثان التعينات الخلقية، ولن يتجلىٰ في قلوبنا سلطان كبرياء الحق جلّ جلاله.

(١) مصباح الشريعة: الباب الثالث عشر (في اختتام الصلاة) والمحجة البيضاء: ج١، ص ٣٨٥.

ولذا فمن الآداب الاخرىٰ للتكبيرات، هو سعي السالك في عدم الوقوف عند ظاهرها، وعدم الاكتفاء بمجرد اللفظ ولقلقة اللسان، بل عليه ان يتجاوز ذلك وأن يقوم بتعريف القلب ـ بقوة البرهان ونور العلوم الإلهية ـ بكبرياء الحق أولاً، واقتصار العظمة والجلال على الذات المقدسة للحق جلت عظمته، وبفقر وذلة ومسكنة سكان عالم الإمكان كافة والموجودات الجسمانية والروحانية قاطبة.

ثم عليه بعد ذلك أن يحيي القلب ـ من خلال قوة الرياضة وكثرة المراودة والأنس الكامل ـ بهذه اللطيفة الإلهية ويمنحه سعادة الحياة العقلية الروحانية.

ثم ما إنْ يستحضر فقر «الممكن» وذلته، وعظمة الحق جلت قدرته وكبرياءه، ويبلغ التفكر والتذكر عنده حدَّ النصاب، حتى يتحقق الانس والسكن في قلبه، ويشاهد آنئذٍ ـ وبعين البصيرة ـ آثار كبرياء الحق وجلاله في جميع الموجودات، وسوف يتم له معالجة العلل والامراض القلبية، فيذوق لذّة المناجاة وحلاوة ذكر الله، ويصبح قلبه مقراً لسلطان كبرياء الحق جل جلاله، وتظهر آثار الكبرياء في ظاهر مملكته وباطنها، وينسجم ويتناغم القلب واللسان والسر والعلن. واذا قوي الظاهر والباطن والملك والملكوت، كبّرت بأجمعها معاً، فيرتفع أحدُ الحجُب الثقيلة، ويقترب السالك مرحلةً من حقيقة الصلاة ومن كونها معراج القرب.

وقد وردت الاشارة الى بعض ما ذُكر في حديث شريف ورد في كتاب علل الشرائع. ففي حديث طويل عن وصف المعراج يقول الامام الصادق عليه السلام:

«...أنزل الله العزيز الجبار عليه محملاً من نور، فيه أربعون نوعاً من أنواع النور كانت محدقة حول العرش، عرشه ـ تبارك وتعالى ـ كُفشِ أبصار الناظرين.

أما واحد منها، فأصفر، فمن أجل ذلك اصفرّت الصفرةُ، وواحد منها أحمر، فمن اجل ذلك احمرت الحمرة... الى أن قال: فجلس فيه، ثم عرج به الى السماء الدنيا، فنفرت الملائكة الى اطراف السماء، ثم خرت سجّداً، فقالت: سُبوح

قدوس ربنا ورب الملائكة والروح ما أشبه هذا النور بنور ربنا.

فقال جبرئيل: الله اكبر الله اكبر، فسكت الملائكة وفتحت السماء، واجتمعت الملائكة ثم جاءت وسلّمت على النبي صلى الله عليه وآله أفواجاً ... الحديث»[1].

وفي الحديث الشريف أسرارٌ عظيمة لا تدركها آمالنا، أما ما يمكن ذكره عن سرّ تنزّل محمل النور، وسرّ كثرة الانوار، وسرّ الكثرة النوعية، وسرّ عدد (الأربعين)، وسرّ تنزيل الله له وسرّ كونها كانت محدقة بالعرش، وحقيقة العرش في هذا المقام، وسرّ اصفرار الصفرة واحمرار الحمرة، وسرّ نفرة الملائكة ثم سجودها وتسبيحها وتقديسها، وتشبيهها لتلك الانوار بنور الرب الى غير ذلك مما يطول الحديث في أطرافه، فخارج عن اطار بحثنا هذا.

وما يناسب هذا المقام ويصلح شاهداً على ما نقول، هو سكوت ملائكة الله واطمئنانها بفعل تكبير جبرئيل، واجتماعها حول شمع الجمع والولي المطلق، وانفتاح السماء الاولى بالتكبير وانخراق احد الحجب التي تقف حائلاً في طريق العروج الى الله.

وتجدر الاشارة هنا الى أن الحجب التي تُخرق وترفع في الاذان هي غير الحجب التي تخرق في التكبيرات الافتتاحية للصلاة. وقد نعود الى الاشارة الى هذا الأمر لاحقاً ـ إن شاء الله ـ.

كذلك لا يفوتنا أن نقول بأن اقتصار الإقامة على تكبيرتين، لعلّه لأن السالك قد أقام قواه في المحضر، وانتقل ـ الى حدٍّ ما ـ من الكثرة الى الوحدة، فهو يكبّر للذات والاسماء او الاسماء والصفات، ولعلّ التكبير للصفات والافعال يكون منطوياً في طيات تكبير الذات والاسماء.

(١) علل الشرائع: ج٢، ص٣١٢.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الثالث

في بعض آداب الشهادة بالألوهية وبيان ارتباطها بالأذان والإقامة

إعلم ان للألوهية مقاماتٍ يمكن جمعها بمقامين رئيسين: احدهما مقام الالوهية الذاتية. والآخر مقام الالوهية الفعلية.

فإذا كان المقصود من الشهادة بحصر الالوهية في الحق هو الالوهية الذاتية، فإنّ حقيقة الشهادة بها تكون قريبةً من التكبير اذا كانت مشتقة من «أله في الشيء» أي تحير فيه، او مشتقة من «لاه» بمعنى ارتفع، او كانت مشتقةً من «لاه يلُوُهُ» بمعنى احتجب، وفي هذه الحالة تتضح علاقتها بالأذان والصلاة بعد مراجعة ما ذُكر في مبحث التكبيرات، كما يتضح أدب الشهادة بها ايضاً. وإعادة الحديث في ذلك وإنْ كان لا يخلو من فائدةٍ، الا أنه ينافي الاختصار.

اما اذا كانت مشتقة من «ألَهَ» بمعنى عَبَدَ، وكان المراد من «المألوه» «المعبود»، فعلى السالك في هذه الحالة أن يجعل شهادته الظاهرية ـ بقصر المعبودية على الحق تعالى جلّت عظمته ـ متطابقةً مع شهادته القلبية الباطنية، فهو اذا وجد في قلبه معبوداً آخر فهو منافق في شهادته تلك.

لذا عليه أن يوصل الشهادة بالالوهية الى القلب بأيّة رياضة ممكنة وأن يحطّم

الاصنام الكبيرة والصغيرة التي نحتتها أيدي سلطة الشيطان والنفس الأمّارة بالسوء في كعبة القلب ويحيلها ركاماً، لكي يصبح اهلاً للحضور في حضرة القدس. فالسالك بعيد عن طريق الوصول الى المقصد مادامت أوثان حبّ الدنيا وشؤونها قائمةً في كعبة القلب.

وعليه فالشهادة بالالوهية: هي دعوةٌ للقوىٰ الملكية والملكوتية لأن تبادر الى سحق كلّ معبودٍ باطل ومقصود انحرافي لكي تستطيع العروج الى معراج القرب.

اما اذا كان المقصود من الشهادة بحصر الالوهية، هو الشهادة باقتصار الالوهية الفعلية على الذات المقدسة، اي حصر التصرف والتدبير والتأثير بها، فيكون معنىٰ الشهادة: هو الاعلان عن عدم وجود متصرف في دار التحقق او مؤثر في الغيب والشهادة سوى الذات المقدسة للحق جلّ وعلا، فاذا كان في قلب السالك ثقةٌ بموجودٍ من الموجودات واطمئنانٌ الى احدٍ سوىٰ الذات المقدسة فقلبه عليلٌ وشهادته مختلقةٌ وزور.

فعلىٰ السالك اذن أن يعزّز ـ اولاً ـ الاعتقاد بحقيقة «لا مؤثر في الوجود إلّا الله» وذلك بالبرهان الفلسفي، وأن لا يشيح بوجهه عن المعارف الإلهية وهي غاية بعثة الأنبياء وأن لا يُعرض عن ذكر الحق وشؤونه الذاتية الصفاتية، فذلك ينبوع السعادات كافة:

﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشةً ضنكا﴾[1].

فإذا بلغ الى حقيقة هذه اللطيفة الإلهية ـ بالتفكر والبرهان ـ وهي منبع المعارف الإلهية وباب أبواب الحقائق الغيبية، فعليه أن يؤنس قلبه بها ـ وذلك بالمواظبة على التذكير والرياضات ـ حتى يؤمن بها القلب، وهي المرتبة الاولى من صدق المقالة؛ وعلامتها: الانقطاع الى الحق وقطع نظرة الطمع والامل عن

(١) طه: ١٢٤.

جميع الموجودات، وينتج عن هذا، التوحيد الافعالي، الذي يعدُّ من المقامات الكبرىٰ لاهل المعرفة.

وما ان يُقصر السالك الى الله جميع أشكال التأثير على الحق، ويغلق عين الامل عن جميع الموجودات ـ إلّا عن الذات المقدسة ـ الا ويصبح عندئذٍ لائقاً بالمحضر المقدس، بل يصبح قلبه متوجهاً ـ فطرةً وذاتاً ـ الى ذلك المحضر. ولعلّ تكرار الشهادة إنما هو لـ «التمكين» وتأكيد ذكر إحدىٰ الشهادتين، [الشهادة بالالوهية الذاتية أو بالالوهية الفعلية]. أو لعل الأمر ليس فيه تكرار، فإحداهما بمنزلة الشهادة بالالوهية الذاتية، والاخرى بالالوهية الفعلية. وفي هذه الحالة، قد تكون إعادة ذكرها في آخر الأذان هو المراد به «التمكين»، ولذا نرى أنها لم تذكر هناك ـ في آخر الأذان ـ بنفس صيغتها الاولىٰ.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تنبيهٌ عرفاني

اعلم ان للشهادة بالالوهية مراتب عديدة نكتفي بذكر بعضها بما يناسب بحثنا.

أولها: الشهادة القولية، ومعناها واضحٌ تماماً، وهذه الشهادة القولية اذا لم تقترن بالشهادة القلبية ـ ولو ببعض درجاتها الابتدائية ـ فلن تكون شهادة، وانما خدعة ونفاق كما يقول عنها الامام الصادق عليه السلام في الحديث المارّ معنا في مبحث التكبيرات.

ثانيها: الشهادة الفعلية (الافعالية)، وهي الشهادة بالالوهية من خلال أفعال الجوارح، بأن يعكس الانسان حقيقة «لا مؤثر في الوجود الا الله» من خلال ممارساته وافعاله؛ ومثلما أن الشهادة القولية تستلزم أن لا يرى الانسان مؤثراً في الوجود سوى الحق تعالى، كذلك هو الحال مع الاعمال، فعلى الانسان أن لا يمدّ يد الحاجة الى غير محضر الحق المقدس جلّ وعلا، وأن لا تتطلع عينه بالأمل الى موجود من الموجودات، وأن يُظهر الغنى امام العباد الضعاف ويستغني عنهم، وأن يجتنب إظهار الضعف والذلة والعجز أمامهم، وقد تكررت الاشارة الى هذا الأمر كثيراً في الاحاديث الشريفة.

ففي كتاب الكافي، قال عليه السلام: «وعزّة (المؤمن) استغناؤه عن الناس»[١].

على أية حال، فإن إظهار النعمة والغنى هو أحدُ المستحبات الشرعية فيما ان طلب الحوائج الى الناس من المكروهات.

وإجمالاً فإن على الانسان ان يجسّد اللطيفة الإلهية «لا مؤثر في الوجود الا الله» في مملكة ظاهره.

ثالثها: الشهادة القلبية، وهي منبع الشهادات الافعالية والقولية، وبدونها لا

(١) الاصول من الكافي: كتاب الايمان والكفر ـ باب الاستغناء عن الناس ـ الحديث الاول (ج٢، ص٢١٨).

يتجسد ذانك النوعان من الشهادات ولا يتحققان. والشهادة تكون قلبية عندما يتجلى التوحيد الافعالي للحق في قلب الانسان، ويدرك القلب بسره الباطني حقيقة هذه اللطيفة، فينقطع وينفصل عن سائر الموجودات، والقسم الرئيس من الاحاديث الشريفة المرتبطة بقطع الطمع عما في ايدي الناس واليأس من العبد والثقة بالله تبارك وتعالى والتوكل عليه، تتعلق بهذا المقام.

في الكافي؛ قال علي بن الحسين عليهما السلام: **«رأيت الخير كله قد اجتمع في قطع الطمع عما في أيدي الناس، ومن لم يرجُ الناس في شيءٍ وردّ أمره الى الله تعالى في جميع أموره، استجاب الله تعالى له في كل شيء»**. ونظائر هذا الحديث كثير.

رابعها: الشهادة الذاتية، والمقصود بها شهادة الوجود، وهي الشهادة المتحققة في كمّل الاولياء. والاولياء يرون انها موجودة في الموجودات جميعاً بطريقة او بأخرى.

وقد تكون الإشارة الى الشهادة الذاتية واضحة في الآية الكريمة: ﴿**شهد الله أنه لا إله إلّا هو والملائكة واولو العلم**﴾. فالحق تعالى يشهد ـ في مقام أحدية الجمع ـ بوحدانيته، لان للوجود الصرف أحديةً ذاتية، وعند طلوع القيامة فهو يظهر بالوحدانية التامة؛ والاحدية تلك، تظهر اولاً في مرآة الجمع ثم في مرآة التفصيل؛ ولهذا قال تعالى «**...والملائكة وأولو العلم...**».

وهنا تنطوي مقامات من المعارف يخرج ذكرها عن نطاق بحثنا هذا.

وصل

عن محمد بن مسعود العياشي في تفسيره عن عبدالصمد بن بشير قال: ذُكر عند أبي عبدالله عليه السلام بدء الأذان... الى أن قال عليه السلام: «**إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان نائماً في ظلّ الكعبة، فأتاه جبرئيل ومعهُ طاسٌ فيه ماءٌ من الجنة، فأيقظهُ وأمره أن يغتسل به، ثم وضع في محمل له ألف ألف لون من نور ثم صعد به حتى انتهى الى ابواب السماء. فلما رأته الملائكة نفرت عن أبواب السماء، وقالت: إلهين: إلهٌ في الارض، وإلهٌ في السماء! فأمر الله جبرئيل، فقال: الله أكبر، الله أكبر، فتراجعت الملائكة نحو أبواب السماء، ففُتحت البابُ، فدخل حتى انتهى الى السماء الثانية، فنفرت الملائكة عن ابواب السماء، فقال: أشهد ان لا إله إلّا الله، اشهد أن لا إله إلّا الله. فتراجعت الملائكة، وعلمت انه مخلوق، ثم فتح الباب فدخل... الحديث**»[1].

وفي العلل ورد حديث قريب من هذا.

من هذا الحديث ونظائره يتضح أن الشهادة بالالوهية تؤدّي الى فتح ابواب السماء وخرق الحجاب واجتماع ملائكة الله.

وهذا الحجاب الذي يُخرق بالشهادة بالالوهية وحصرها بالذات المقدسة هو من الحجب الظلمانية الكثيفة، التي يؤدي بقاء السالك فيها الى عدم بلوغه حضور المحضر، كما أن عدم انفتاح هذا الباب يؤدي الى عدم عثوره على طريقٍ للسلوك. وهذا الحجاب هو حجاب الكثرة الأفعالية.

والوقوع في الاحتجاب التكثيري تكون نتيجته رؤية فاعلية وتأثير ما للموجودات، الأمر الذي يؤدي بدوره الى رؤية الموجودات مستقلة بذاتها في الفاعلية، والى التفويض المُحال، والوقوع في الشرك الاعظم، في حين إن

---

(١) تفسير العياشي: ج١، ص١٥٧ الرواية رقم (٥٣٠).

الشهادة بالالوهية وحصرها في الحق تعالى تؤدي الى التوحيد الافعالي وإفناء الكثرات في فعل الحق ونفي التأثير والفاعلية عن الغير وسلب الاستقلال عن غير الحق تعالى. فبهذه الشهادة خرج الملكوتيون من حجاب كثرة «إلهٌ في السماء وإلهٌ في الارض»، وعادوا من النفرة والتفرق الى الأنس والاجتماع، وفُتحت أبواب السماء أمامهم.

اذن، ينبغي للسالك خرق حجابه الظلماني بهذه الشهادة، وفتح ابواب السماء أمامه وان يخطو خطوة خارج حجاب الاستقلال الكبير، ليقترب من طريق العروج الى معراج القرب.

وهذا لا يحصل بلقلقة اللسان والذكر القولي، ولهذا ترى عباداتنا لا تتجاوز حدّ الظاهر والدنيا، فهي لا تفتح أمامنا ولا تخرق حجاباً.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الرابع

بعض الآداب المتعلقة بالشهادة بالرسالة
وإشارة الى الشهادة بالولاية

اعلم أن من غير الممكن طي هذا السفر الروحاني والمعراج الايماني بقدم كسيرةٍ وعنانٍ مقطوع وبصر كفيف وقلب مظلم ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾[1].

لذا يتحتم ـ لسلوك هذا الطريق الروحاني والعروج في هذا المعراج العرفاني ـ التمسك بمقام روحانية الهداة الى طرق المعرفة وأنوار سبيل الهداية وهم الواصلون الى الله تعالى والعاكفون عليه.

ومن يبغي طيّ هذا الطريق بقدم أنانيته ودون التمسك بولايتهم، فسلوكه الى الشيطان ونحو الهاوية. وبأسلوب علمي نقول: إنه ومثلما أن ربط الحادث بالقديم والمتغير بالثابت يحتاج الى واسطةٍ وحلقة وصل تكون فيها جنبة الثبات والتغيّر والقدم والحدوث، وأن السنّة الإلهية تقضي بعدم عبور الفيض القديم الثابت الى المتغير الحادث، وعدم حصول الرابطة الكونية الوجودية بينهما دون وجود تلك الواسطة ـ وآراء اهل العلوم البرهانية تتفاوت في النظر

---

(١) النور: ٤٠.

الى هذا الرابط ـ كذلك فإن للمنحىٰ العرفاني أسلوبه الخاص في النظر الى هذا الأمر، وتفصيله يخرج عن نطاق هذا البحث. إلّا أنه يمكن القول عموماً بأن العرفان ينظر الى هذا (الرابط) على أنه الفيض المقدس والوجود المنبسط الذي يتمثل بمقام البرزخية الكبرىٰ، والوسطية العظمىٰ، وهذا بعينه مقام روحانية وولاية الرسول الخاتم، وهو المقام المتّحد بمقام الولاية العلوية المطلقة، وقد فصلنا الحديث عن ذلك في رسالة «مصباح الهداية»[١].

كذلك هو الحال بالنسبة للرابطة الروحانية العروجية، المعاكسة للرابطة الكونية النزولية.

وبعبارة اخرى فإن قبض الوجود والرجوع الى «ما بدأ» يحتاج الى واسطة لا يتحقق من دونها، فدون الوسائط الروحانية والروابط الغيبية لا يتحقق ارتباط القلوب الناقصة المقيّدة والأرواح النازلة المحدودة، بالتام فوق التمام والمطلق من جميع الجهات.

واذا توهم أحد أن الإشارة الواردة في الآية الكريمة ﴿ما من دابةٍ إلّا هو آخذٌ بناصيتها﴾[٢] تعني أن الحق تعالىٰ، قيومٌ على كلِّ موجود، ومحيط بكل واحد من الأكوان دون وساطة الوسائط، فإنه يقع بذلك في الخلط والاشتباه بين المقامات والاعتبارات، ويخلط بين مقام كثرة مراتب الوجود ومقام فناء التعينات. وهذا مبحث ليس له علاقة وثيقة بهذه الرسالة، والمقدار المتقدم من الكلام حوله انما هو نوع من استرسال القلم وتداعي المعاني.

وعموماً فإن من مستلزمات السّير الى الله، التمسك بأولياء النعم الذين سلكوا هم سبيل العروج الى المعارج وأتمّوا مسيرتهم الى الله، وفي الأحاديث الشريفة كثير من الإشارات التي تشير الى هذا المعنىٰ.

---

(١) مصباح الهداية الى الخلافة والولاية: كتاب للمؤلف (قدس سره) ألفه باللغة العربية يتحدث فيه حول بيان الحقائق والمعارف المتعلقة بالخلافة والولاية، وقد أتمّ تأليفه في شوال عام ١٣٤٩هـ.ق.

(٢) هود: ٥٦.

وقد عقد (الحر العاملي) في كتابه «الوسائل» باباً جمع فيه ما يشير الى بطلان العبادة غير المستندة الى ولاية الأئمة عليهم السلام والاعتقاد بإمامتهم.

كذلك (الكليني) في «الكافي»، فقد روىٰ بسنده عن محمد بن مسلم عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «...**واعلم يا محمد، أن أئمة الجور وأتباعهم لمعزولون عن دين الله، قد ضلوا وأضلّوا، فأعمالهم التي يعملُونها كرمادٍ اشتدّت به الريح في يوم عاصف...**»[1].

وفي حديثٍ آخر عن الامام الباقر عليه السلام قال: «...**أما لو أن رجلاً قام ليله وصام نهاره وتصدق بجميع ما له وحج جميع دهره، ولم يعرف ولاية وليِ الله فيواليه ويكون جميع اعماله بدلالته اليه، ما كان على الله جل وعزّ حقٌ في ثوابه ولا كان من اهل الايمان...**»[2].

وروىٰ الشيخ الصدوق بسنده عن أبي حمزة الثمالي أنه قال: «**قال لنا عليُّ بن الحسين عليهما السلام: أيُّ البقاع أفضل؟! فقلت: الله ورسوله وابن رسوله أعلم. قال: إن أفضل البقاع ما بين الركن والمقام، ولو أن رجلاً عُمّر ما عُمّر نوح عليه السلام في قومه ألف سنة إلّا خمسين عاماً، يصوم النهار ويقوم الليل في ذلك المقام، ثم لقي الله عزّ وجلّ بغير ولايتنا لم ينتفع بذلك شيئاً**»[3].

والأخبار في هذا الباب اكثر من أن تستوعب في هذه العجالة.

أما آداب الشهادة بالرسالة فتتلخص في ضرورة قيام السالك الى الله بالسعي لإيصال معنىٰ الشهادة برسالة الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله، وأنه مرسلٌ من قبل الله تعالىٰ الى قلبه، وإفهامه قلبه عظمة مقام حمل الرسالة، لا سيما حامل الرسالة الخاتمة، المرهون لفضله ونعمته ـ تكويناً وتشريعاً ووجوداً وهدايةً ـ

---

(١) وسائل الشيعة: ابواب مقدمة العبادات ـ باب ٢٩ ـ الحديث الاول. والاصول من الكافي: ج١، ص٢٥٩.

(٢) الاصول من الكافي: كتاب الايمان والكفر ـ باب دعائم الاسلام ـ الحديث الخامس.

(٣) عقاب الاعمال: باب من جهل حق اهل البيت عليهم السلام ـ الحديث الثاني. ووسائل الشيعة: ابواب مقدمة العبادات ـ باب ٢٩ ـ الحديث ١٢ (ج١، ص٩٣).

جميعُ ما في دائرة الوجود من عوالم الغيب والشهود، وأنه واسطة فيض الحق والحلقة الرابطة بين الحق والخلق. ولو لم يكن وجود لمقام روحانيته وولايته المطلقة لما تمكن أحد من الموجودات من الانتقال من مقام الغيب الأحدي، ولما انساب فيض الحق الى ايّ موجودٍ من الموجودات، ولما شعّ نور الهداية في ايّ من العوالم الظاهرة والباطنة، فهو ﷺ النور الذي ذكره تعالىٰ في آية النور: ﴿الله نور السماوات والارض...الآية﴾[١].

وما إن يدرك قلب السالك الى الله عظمة الرسالة والرسول المرسل من قبل رب العالمين، حتى يدخله الإيمان بأهمية وسمو الاحكام والسنن، فإذا تمّ للقلب ذلك، خضعت سائر القوىٰ الملكية والملكوتية له، وأصبحت الشريعة المقدسة نافذة الأثر والمفعول في جميع نواحي مملكة وجود الانسان. فعلامة صدق الشهادة، انما هو ظهور آثارها على جميع القوىٰ الغيبية والظاهرة، وعدم تخلفها عن الالتزام بمضمونها ـ كما أشرنا الى ذلك سابقاً ـ.

ومما ذكر، تتضح العلاقة بين الشهادة بالرسالة والأذان والإقامة. فالسالك محتاجٌ الى التمسك بذاك الوجود المقدس ﷺ، وهو انّما يسلك هذا الطريق الروحاني ويعرج في هذا المعراج اعتماداً على مرافقته وتوجيهه.

اما الوجه الآخر من الشهادة بالرسالة، فهو الاعلان للقوىٰ الملكية والملكوتية بأن الصلاة ـ وهي حقيقة معراج المؤمنين وينبوع معارف اصحاب العرفان واهل اليقين ـ انما هي نتيجة للكشف المحمدي التام ﷺ. إذ إنه ﷺ كشف بسلوكه الروحاني وبالجذبات الإلهية والجذوات الرحمانية التي أوصلته الى مقام ﴿قاب قوسين﴾[٢] أو ﴿ادنى﴾[٣] وتبعاً للتجليات الذاتية والصفاتية والألهامات الانسية في حضرة الغيب الأحدي.

---

(١) النور: ٣٥.

(٢) النجم: ٩.

(٣) نفس المصدر السابق.

وفي الحقيقة فإن الصلاة هي الهدية التي عاد بهاﷺ من ذلك السفر المعنوي الروحاني الى أمته -وهي خير الأمم- فجعلها مشمولة بالمنّة والفضل، غارقةً في النعمة الإلهية.

فإذا استقرت هذه العقيدة في القلب، ثم تمكنت منه نتيجة التكرار، فمن الطبيعي أن يدرك السالك عظمة المقام، فيطوي هذه المرحلة بالخوف والرجاء. وسوف يأخذ هذا القائد العظيمﷺ -إن شاءالله- بيد السالك اذا ما بذل وسعه في إطاعة الاوامر، وسيوصله الى مقام القرب الأحدي الذي هو المقصد الاصلي والمقصود الفطري. وقد اثبتت العلوم الإلهية أن مآل الموجودات وإيابها جميعاً انما يتحقق حول محور واحد هو الانسان الكاملﷺ:

﴿كما بدأكم تعودون﴾[1].

«بكم فتح وبكم يختم وإياب الخلق اليكم»[2].

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

(١) الاعراف: ٢٩.

(٢) مقطع من الزيارة الجامعة، راجع عيون اخبار الرضا: ج٢، ص٢٧٢.

نكتة عرفانية

ورد في كتاب (العلل): ان رسول الله عرج الى السماء بمعيّة جبرئيل، و(بمحمل النور) الذي أنزله ربُّ العزة، فوصلا الى السماء الثالثة، فنفرت الملائكة وسجدت وسبّحت، فقال جبرئيل: أشهد أن محمداً رسول الله، اشهد ان محمداً رسول الله. فاجتمعت الملائكة وفتحت ابواب السماء وقالت مرحباً بالاول ومرحباً بالآخر ومرحباً بالحاشر ومرحباً بالناشر محمد خاتم النبيين وعليٍّ خير الوصيين، فقال رسول الله ﷺ: سلّموا علىّ وسألوني عن أخي علي... الى أن قال ﷺ: ثم عرج بي الى السماء الرابعة، فلم تقل الملائكة شيئاً وسمعت دوياً كأنه في الصدور واجتمعت الملائكة ففتحت أبواب السماء... الحديث»[١].

وقد أورد العياشي في تفسيره حديثاً قريباً من هذا.

ومن الحديث اعلاه، يتضح أن الملائكة في ايّ سماءٍ من السماوات لا طاقة لها على مشاهدة الجمال الأحمدي، لذا فإنها كانت تسجد وتنفر متفرقة عند رؤية نوره المقدس، وتحسب أن هذا النور انما هو نور الحق المطلق، ثم إنها ترجع الى حالة الأنس بتلاوة جبرئيل لفقراتٍ من الأذان والإقامة، فتُفتح أبواب السماوات وترفع الحجب.

فعلى السالك اذن أن يخرج وبواسطة هذه الشهادات من الاحتجابات، وأن يخرج بواسطة الشهادة بالرسالة بالخصوص من احتجاب التعيّن الخلقي تماماً، فمقام «الرسالة» الثابت لأشرف الخليقة هو مقام الفناء المطلق، واللااستقلال التام، ذلك لأن الرسالة الخاتمة المطلقة هي الخلافة الإلهية البرزخية الكبرى، وهي خلافةٌ في الظهور والتجلي والتكوين والتشريع، لذا فإنه

(١) مقاطع من الحديث، لتمام الحديث راجع علل الشرائع: ج ٢، ص ٣١٢.

لا ينبغي للخليفة أن يكون له استقلال وتعيّن من نفسه بأية صورة كانت، وإلّا كانت الخلافة بالأصالة وهذا مُحال التحقق لأي موجودٍ من الموجودات.

اذن على السالك الى الله أن يوصل مقام الخلافة الاحمدية الكبرىٰ الى اعماق قلبه وروحه، وبواسطتها يكشف الحجب ويخرق الستور ويخرج من حجب التعين الخلقي تماماً، فإذا تمّ له ذلك فُتحت له أبواب السماوات جميعاً، وصار مع مقصده دونما حجاب.

فرع فقهي وأصل عرفاني

ورد في بعض الروايات غير المعتبرة، أنه يجب القول بعد الشهادة بالرسالة ـ في الأذان والإقامة ـ «أشهد أن علياً وليّ الله» مرتين، وورد في بعضها الآخر «أشهد أن علياً أمير المؤمنين حقاً» مرتين، وفي بعضها «محمدٌ وآل محمد خير البرية». وقد كذّب الشيخ الصدوق رحمه الله هذه الروايات وعَدّها من موضوعات المفوّضة[1]. والمشهور بين العلماء عدم الاعتماد على تلك الروايات، غير ان بعض المحدثين اعتبر ذلك من المستحبات مستندين في ذلك الى قاعدة «التسامح في أدلة السنن».

ولا يبعد عدم مجانبة هذا القول للصواب، وإن كان الأولى والأحوط الإتيان بها بقصد القربة مطلقاً، فقد ورد أن من المستحب الإتيان بالشهادة بالولاية وإمرة أمير المؤمنين بعد الشهادة بالرسالة. ففي الاحتجاج: «عن قاسم بن معاوية قال: **قلت لأبي عبدالله: هؤلاء يروون حديثاً في معراجهم أنه لما أسري برسول الله رأى على العرش مكتوباً: لا إله الا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق... فقال عليه السلام: سبحان الله غيّروا كلّ شيءٍ حتى هذا؟ قلت: نعم. قال: إن الله عزّ وجلّ لما خلق العرش كتب عليه: (لا إله الا الله محمد رسول الله عليٌّ أميرُ المؤمنين)، ولما خلق الله عزّ وجلّ الماء كتب في مجراه: (لا إله الا الله محمد رسول الله عليٌّ أميرُ المؤمنين)...**».

ثم تذكر الرواية كتابة هذه الكلمات على قوائم الكرسي وعلى اللوح وعلى جبهة إسرافيل وعلى جناحي جبرئيل وأكتاف السماوات والأرض ورؤوس الجبال وعلى الشمس والقمر.

ثم قال: «**فإذا قال أحدكم لا إله الّا الله، محمد رسول الله، فليقل عليّ أمير**

(١) راجع من لا يحضره الفقيه: كتاب الصلاة ـ باب الأذان والإقامة وثواب المؤذنين ـ ذيل الرواية ٣٥.

المؤمنين»[١].

عموماً فإن هذا الذكر الشريف مستحب مطلقاً بعد الشهادة بالرسالة، ولا يبعد استحبابه في فقرات الأذان ايضاً، وإن كان تكذيب العلماء الأعلام لتلك الروايات يقتضي الاحتياط بأن يكون الإتيان به بنية القربة مطلقاً، لا بنية خصوصيته بالأذان.

اما النكتة العرفانية المستفادة من «كتابة هذه الكلمات على جميع الموجودات من العرش الأعلى الى منتهى الأرضين» فتكمن في أن حقيقة الخلافة والولاية هي ظهور الالوهية، وذلك هو اصل الوجود وكماله؛ فكلٌ موجود له حظٌ من الوجود، يتمتع بحظٍ من حقيقة الالوهية وظهورها المتمثل في حقيقة الخلافة والولاية. واللطيفة الإلهية المتمثلة في أن:

«حقيقة الوجود المنبسط ونفس الرحمن والحق المخلوق به، الذي هو بعينه باطن الخلافة الخاتمة والولاية العلوية المطلقة» قدرٌ منقوش على ناحية الكائنات جميعاً، بدءاً مما يوجد منها في عوالم الغيب وانتهاءً الى ما هو موجود منها في عالم الشهادة. ومن هنا كان الشيخ العارف الشاه آبادي ـ دام ظله ـ يقول: إن الشهادة بالرسالة تنطوي على الشهادة بالولاية، لأن الولاية هي باطن الرسالة.

وأقول: إن كلتا الشهادتين ـ بالرسالة والولاية ـ منطويتان في الشهادة بالالوهية، وإن الشهادة بالرسالة تنطوي على الشهادتين بالالوهية والولاية، كما أن الشهادة بالولاية تنطوي على الشهادتين الأخريين. والحمد لله أولاً وآخراً.

(١) الاحتجاج: ج١، ص٢٣٠.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الخامس

بعض آداب الحيعلة

بعد أن يُعلن السالك الى الله ـ بالتكبيرات ـ تجاوز عظمة الحق تعالىٰ للوصف، ثم يحصر هذا الوصف والتحميد، بل وكل تأثير بالحق تعالىٰ، وذلك بالشهادة بالالوهية، ثم يسقط عن نفسه الاهلية بالقيام بالأوامر، ويختار الرفيق والمصاحب، وذلك بالشهادة بالرسالة والولاية ويتمسك بالمقام المقدس للخلافة والولاية، كما قيل «الرفيق قبل الطريق»[1]، عليه أن يهيئ قواه الملكية والملكوتية للصلاة، ويدعوها بصريح القول للتهيؤ لها وللحضور في المحضر فيقول: «حيّ على الصلاة». وتكرار هذه الدعوة إنما هو لكمال التنبيه وتمام الإيقاظ، او أن تكون إحداهما دعوةً لقوىٰ مملكة الداخل، والاخرىٰ لقوى مملكة الخارج؛ لأن الأخيرة ايضاً ترافق الانسان في سلوكه هذا السفر، كما أشرنا الى ذلك سابقاً، وكما سنشير اليه لاحقاً.

وأدب السالك في هذا المقام: هو إفهام قلبه وقواه وباطن القلب بقرب الحضور في المحضر المقدس، لتستعد له، وتهتم ـ بصورة كاملة ـ بالآداب الصورية والمعنوية.

---

(١) وسائل الشيعة: كتاب الحج ـ ابواب آداب السفر ـ الباب ٣٠ ـ الحديث ١١ (ج٨، ص٢٩٩).

بعد ذلك يعلن عن سرّ الصلاة على نحو الاجمال بقوله: «حيّ على الفلاح وحيّ على خير العمل» لكي يوقظ بذلك الفطرة. فالفلاح والفوز انما هو اشارة الى السعادة المطلقة؛ وبما أن فطرة كل انسان تعشق السعادة المطلقة، على أساس ان الفطرة تسعىٰ للكمال والراحة. ولما كانت حقيقة السعادة هي الكمال المطلق والراحة المطلقة، صار السالك يدعو ويعلن عن قرب الحضور في ذلك المحضر، فالصلاة ـ بحسب الصورة والظاهر ـ الذكر الكبير الجامع والثناء بالإسم الاعظم الشامل لجميع الشؤون الإلهية؛ ولهذا كان افتتاح واختتام الأذان والإقامة بذكر «الله»؛ ولهذا ايضاً كان تكرار ذكر «الله أكبر» في جميع مراحل الصلاة ومفاصلها، ولهذا كذلك كانت «التوحيدات الثلاثة» ـ وهي قرة عيون الأولياء ـ تتحقق في الصلاة وتمتزج بها صورة الفناء المطلق والرجوع التام.

كذلك ـ وبحسب الباطن والحقيقة ـ فإن الصلاة هي المعراج الى قرب الحق وحقيقة الوصول الى جمال الجميل المطلق والفناء في تلك الذات المقدسة، وهذا ما تعشقه الفطرة وبه تحصل الطمأنينة التامة والراحة المطلقة والسعادة العقلية الكاملة. ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾[1].

من هنا فإن الكمال المطلق ـ وهو الوصول الى فناء الله والاتصال بالبحر اللامتناهي للواجب وشهود جمال الأزل والاستغراق في بحر النور المطلق ـ يتحقق في الصلاة، كما أنها تؤدي الى حصول الراحة المطلقة والاستراحة التامة والطمأنينة الكاملة ايضاً، أي إن ركني السعادة انما يتحققان نتيجة لها؛ اذن فالصلاة هي الفلاح المطلق وهي خير الاعمال.

وعلى السالك إفهام قلبه هذه اللطيفة الإلهية بالتكرار والتذكّر التام، وإيقاظ الفطرة. وبعد دخولها الى القلب ستهتم الفطرة ـ كونها ساعية للكمال والسعادة ـ بها وتحافظ عليها وتراقبها. أما الحكمة من تكرارها فقد تقدمت الاشارة اليها.

---

(١) الرعد: ٢٨.

وما ان يصل السالك هذا المقام فإنه يعلن عن تحقق الحضور بـ «قد قامت الصلاة»، وعليه حينئذٍ أن يرىٰ نفسه في حضور مالك ملوك عوالم الوجود وسلطان السلاطين والعظيم المطلق، وأن يعرّف قلبه مخاطر ذلك الحضور والتي ترجع جميعها الى «القصور والتقصير الإمكاني» ثم يتقدم وبمنتهىٰ الخجل والحياء من عدم لياقته للقيام بالأمر، فيدخل بخطىٰ الخوف والرجاء، ويفد على الكريم المطلق وهو لا يرىٰ أن لديه زاداً او راحلةً، بل يعتبر قلبه سقيماً تماماً، وأن عمله ليس من الاعمال الصالحة وأن لا قيمة له بتاتاً. ولعل الألطاف الإلهية ستشمله اذا تمكن هذا المعنى من قلبه واستقر به: ﴿أمّن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء﴾[1].

(١) النمل: ٦٢.

وصل وتتميم

محمد بن يعقوب بإسناده عن أبي عبداللهعليه السلام قال: «**اذا أذّنت وأقمت، صلّىٰ خلفك صفّان من الملائكة، واذا أقمت، صلّىٰ خلفك صفٌ من الملائكة**»[١].

والأحاديث بهذا المضمون كثيرة، ورد في بعضها أن الصف يمتدُّ ما بين المشرق والمغرب[٢].

كما ورد في كتاب ثواب الاعمال أن الامام الصادقعليه السلام قال: «**من صلّىٰ بأذان وإقامة صلّىٰ خلفه صفّان من الملائكة، ومن صلّىٰ بإقامة بغير أذان صلّىٰ خلفه صفٌّ واحد، فسأله الراوي عن مقدار كل صفٍّ فقالعليه السلام: أقلّه ما بين المشرق والمغرب وأكثره ما بين السماء والأرض**»[٣].

وقد اشارت روايات اخرى الى أن من أقام ولم يؤذن وقف عن يمينه ملكٌ وعن يساره آخر[٤]. ولعلّ الاختلاف في عدد الملائكة ناشئ عن التباين في مستوىٰ المعارف والإخلاص لدىٰ كل مصلي، كما يستفاد من بعض الروايات الواردة في هذا الباب كالحديث الوارد بشأن الصلاة بأذان وإقامة في الصحراء او الأرض القفر[٥].

وعموماً، فاذا أدرك السالك أنه إمام لملائكة الله، ورأىٰ أن قلبه إمام للقوىٰ الملكية والملكوتية وجعل قواه الملكية والملكوتية تجتمع بالأذان والإقامة، واجتمعت عنده ملائكة الله فعليه أن يجعل القلب ـ وهو أسمىٰ قوىٰ الظاهر والباطن وشفيع سائر القوىٰ ـ إماماً.

ولما كان القلب هو ضامن صحة قراءة المأمومين، وعليه يقع وزر الآخرين؛

(١) الفروع من الكافي: كتاب الصلاة ـ باب بدء الأذان والإقامة ـ الحديث الثامن (ج٣، ص٣٠٢).

(٢) ثواب الاعمال: ثواب من صلىٰ باذان وإقامة ـ الحديث الثاني ـ ص ٥٤.

(٣) نفس المصدر السابق.

(٤) وسائل الشيعة: كتاب الصلاة ـ ابواب الاذان والاقامة ـ الباب الرابع ـ الحديث الرابع.

(٥) المصدر السابق: الحديث التاسع.

لذا وجب عليه المحافظة التامة والمراقبة الجميلة لكل ذلك، ليحفظ بذلك حرمة الحضرة والحضور ويتحلىٰ بأدب المقام المقدس، ويعتبر هذا الاجتماع المقدس فرصة مغتنمة، ويستوعب عظمة توجه ملائكة الله وتأييدهم، ويعرف نِعَمَ ولي النعم الحقيقي، ويتقدم الى المقام المقدس معترفاً بعجزه وقصوره عن شكر هذه النعم الكبرىٰ، فهو تعالىٰ وليّ النعم.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الباب الثاني

القيام

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الاول

سرّ القيام على نحو الاجمال

اعلم ان أهل المعرفة يعدّون (القيام) اشارة الى توحيد الافعال، و(الركوع) اشارة الى توحيد الصفات، و(السجود) اشارة الى توحيد الذات، وسيأتي توضيح ما يتعلق بالركوع والسجود في محله.

اما كيف يكون القيام اشارة الى التوحيد الافعالي: فهو أن في القيام ذاته من حيث الوضع، والقراءة من حيث اللفظ، إشارات الى هذا المقام.

اما اشارة القيام وضعاً الى ذلك المقام، فتكمن في ان فيه اشارة الى قيام العبد بالحق، ومقام «قيومية» الحق، وهي التجلي بـ(الفيض المقدّس) و(التجلي الافعالي). ففي هذا التجلي يظهر مقام فاعلية الحق، واضمحلال كافة الموجودات في التجلي وذوبانها تحت الكبرياء الظهوري.

والأدب العرفاني للسالك في هذا المقام يتمثل في السعي لجعل القلب ذاكراً لهذه اللطيفة الإلهية، وترك التعينات النفسية قدر المستطاع، وتذكير القلب بحقيقة الفيض المقدس، وايصال علاقة قيومية الحق وتقوّم الخلق بالحق الى باطن القلب.

فإذا تمكنت هذه الحقيقة من قلب السالك، أصبحت قراءته بلسان الحق، وصار الذاكر والمذكور هو الحق نفسه، وانكشف لقلب العارف بعض اسرار

«القدر» وبعض مراتب: **«أنت كما أثنيت على نفسك»**[١] و**«أعوز بك منك»**[٢]، وأدرك قلب العارف بعضاً من اسرار الصلاة، كما أن النظر الى محل السجود ـ وهو التراب والمنشأ الاصلي ـ ونكسُ الرأس، اشارة الى الذل والفقر الإمكاني والفناء تحت عزٍّ وسلطان الكبرياء: **﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد﴾**[٣].

وأما كيف تكون القراءة لفظاً اشارة الى مقام التوحيد الافعالي، فسيأتي تفصيله في تفسير سورة «الحمد» المباركة إن شاءالله.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

---

(١) من دعاء للرسول ﷺ في السجود، راجع الفروع من الكافي: ج٢، ص٣٢٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) فاطر: ١٥.

الفصل الثاني

آداب القيام

تتلخص آداب القيام في ضرورة أن يعتقد السالك أنه حاضر في محضر الحق، وان العالم هو محضر الربوبية، وان يعتبر نفسه من الحاضرين في مجلس الله والمقيمين بين يديه، ويجعل قلبه يستوعب عظمة الحاضر والمحضر، ويفهمه اهمية مناجاة الحق تعالى وحساسيتها، كما عليه أن يسعى في احضار القلب قبل الدخول في الصلاة ـ من خلال التفكر والتدبر ـ وافهامه خطورة المقام، وتقييده بالخضوع والخشوع والطمأنينة والخشية والخوف والرجاء والذل والمسكنة الى آخر الصلاة، والاشتراط عليه بأن يلتزم المراقبة والمحافظة على هذه الأمور.

كما ان السالك مطالب بالتفكر والتأمل في احوال اعلام الدين وهداة السبل وفي الحالات التي تعتريهم في الصلاة وكيفية تعاملهم مع مالك الملوك، فيتخذ من احوال أئمة الهدى عليهم السلام قدوة له، ويسعىٰ للتأسي بهم عليهم السلام. لذا فإن عليه أن لا يكتفي من تاريخ زعماء الدين والأئمة المعصومين عليهم السلام بمجرد تواريخ وفياتهم ومواليدهم ومقدار أعمارهم الشريفة ونظائر هذه الامور مما لا تتعدىٰ فائدته المقدار اليسير، بل إن عليه أن يتخذ من سيرهم وسلوكهم الايماني والعرفاني وطرق تعبيرهم عن العبودية، ومنهجهم في السير الى الله ومقاماتهم

العرفانية، وما تفيض به الكلمات المأثورة عنهم مما يعدُّ من آياتهم الإعجازية، أساساً في سيره الى الله.

ووا أسفاه اننا نحن الغافلين، السكارى بخدر الطبيعة، المغرورين التافهين المطيعين لاوامر الشيطان في كلّ الامور، ممن ضُرب على آذاننا فلا يقظة لنا ابداً من نومتنا الثقيلة، وممن لا خروج لنا ابداً من وادي النسيان الذي لا قرار له، لا ننتفع من مقامات ومعارف أئمة الهدىٰ عليهم السلام الا القليل، بل القليل جداً مما يكاد لا يذكر، فنحن نكتفي من سيرتهم بالقشر والظاهر مشيحين بأنظارنا تماماً عن الغاية من بعثة الأنبياء عليهم السلام. وفي الحقيقة فنحن ممن يصدق عليهم المثل المعروف «استنسمن ذو ورم».

وفيما يلي نعرض جانباً من الروايات الواردة في هذا الباب، لعلها تكون تذكرة لبعض الاخوة المؤمنين، والحمد لله وله الشكر.

عن محمد بن يعقوب بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «كانَ عليُّ بنِ الحسين عليه السلام إذا قامَ إلى الصلاة، تغيّرَ لونُهُ، فإذا سجَدَ لم يرفعْ رأسهُ حتّىٰ يرفض عرَقاً»[١].

وبإسناده عنه عليه السلام قال: «كان أبي يقولُ: كان عليُّ بنُ الحسين إذا قامَ الى الصلاة، كأنّه ساقُ شجرٍ لا يتحرّكُ منهُ شيءٌ إلّا ما حرَّكت الريحُ منه»[٢].

في العلل، بإسناده عن أبان بن تغلب قال: «قلتُ لأبي عبدالله عليه السلام: إنّي رأيتُ عليَّ بن الحسين إذ قامَ إلى الصلاة غشيَ لونَهُ لونٌ آخر. فقالَ لي: والله إنَّ عليَّ بن الحُسين كان يعرفُ الذي يقومُ بين يديه»[٣].

وفي حديث طويل أورده السيد ابن طاووس في «فلاح السائل»: «...فقالَ أبو عبدالله عليه السلام: لا تَتمُّ الصلاةُ إلّا لذي طُهرٍ سابغٍ غير نـازعٍ ولا زائـغٍ، عَرَفَ

---

(١) الفروع من الكافي: كتاب الصلاة ـ باب الخشوع في الصلاة وكراهية العبث ـ الحديث ٥ (ج٣، ص ٣٠٠).

(٢) المصدر السابق: الحديث ٤.

(٣) وسائل الشيعة: كتاب الصلاة ـ ابواب افعال الصلاة ـ الباب الثاني ـ الحديث ٤.

فوقَفَ، وأخبَتَ فَثَبَتَ؛ فهو واقفٌ بين اليأسِ والطمَعِ والصبرِ والجزَعِ، كأنَّ الوَعْدَ له صُنِعَ والوعيدَ به وقَعَ؛ يُذِلُّ عِرْضَه ويمثِّلُ عَرَضَهُ، وبذَلَ في الله المهجةَ، وتنكَّبَ إليه المحجّة غير مرتغم بارتغام؛ يقطعُ علائقَ الاهتمام بعينِ من لَهُ قَصَدَ، وإليهِ وفَدَ ومنهُ استرفَدَ.

فإذا أتى بذلك، كانت هي الصلاةَ التي بها أُمِرَ وعَنْها أُخبر؛ وإنَّها هيَ الصلاةُ التي تنْهىٰ عن الفحشاءِ والمنكَرِ... الحديث»[١].

وعن محمد بن يعقوب بإسناده إلى مولانا زين العابدين عليه السلام قال: «وأنّكَ فيها قائمٌ بينَ يدَي اللهِ؛ فإذا عَلِمْتَ ذلك، كُنْتَ خليقاً أنْ تَقومَ فيها مقام العبد الذليل الراغب الراهب الخائف الراجي المسكينِ المُتَضرِّع المعظِم مقامَ مَنْ يقومُ بين يدَيه بالسكونِ والوَقارِ وخُشوعِ الأطراف ولينِ الجناحِ وحُسْنِ المناجاة له في نَفْسِه والطلَب إليهِ في فكاكِ رقبته التي أحاطتْ بـه [بها] خطيئتُهُ واستهلكتْها ذنوبُه، ولا قُوّةَ إلّا باللهِ»[٢].

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «أعْبُد رَبَّكَ كأنَّكَ تَراهُ؛ فإنْ لم تَكُنْ تراهُ فإنّهُ يَرَاك»[٣].

وعن فقه الرّضا عليه السلام: «...فإذا أردت أن تقُومَ إلى الصلاة، فلا تَقُمْ إليها متكاسلاً ولا مُتناعِساً ولا مُستعجلاً ولا متلاهياً؛ ولكن تأتِيها على السكون والوقارِ والتّؤدَة.

وعليك بالخشوع والخضوع متواضعاً لله ـ عزّ وجلّ ـ متخاشعاً، عليكَ الخشية وسيماء الخوف راجياً خائفاً بالطمأنينة على الوجلِ والحذَر؛ فقفْ بين يديه كالعبدِ الآبق المذنبِ بين يدَي مولاهُ؛ فَصِفْ قدَمَيْك وأنصبْ نفسكَ؛ ولا تَلتفِتْ يميناً وشمالاً؛ وتحسَبُ كأنَّكَ تراهُ، فإنْ لم تكن تراهُ، فإنه

(١) فلاح السائل: الفصل الثاني ـ في صفة الصلاة (ص٢٣).

(٢) مستدرك وسائل الشيعة: كتاب الصلاة، ابواب أفعال الصلاة ـ الباب الثاني ـ الحديث٣.

(٣) مكارم الاخلاق: ص٤٥٩، وبحار الانوار: ج٧٤، ص٧٤.

يراك... الحديث»[١].

وفي عُدَّة الداعي: «رُوي أنَّ إبراهيمَ عليه السلام كانَ يُسمَعُ تأوُّهُهُ على حدِّ ميل، حتى مَدَحهُ الله بقوله تعالى: ﴿إنَّ إبراهيم لحليمٌ أوّاهٌ مُنيبٌ﴾. وكان في صلاتِهِ يُسْمَعُ له أزيزٌ كأزير المرجَلِ؛ وكذلك يُسمعُ من صدرِ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله مثل ذلك. وكانت فاطمةُ عليها السلام تنهجُ في الصلاة من خيفةِ الله»[٢]. إلى غير ذلك من الأخبار الشريفة الواردة في هذا المجال وهي اكثر من أن نستوعبها عرضاً في هذه العجالة؛ ويكفي اهل الذكرىٰ والتفكر، التدبر في ما اوردناه من احاديث لاستفادة ما يتعلق بالآداب الصورية الظاهرية والآداب القلبية المعنوية وكيفية القيام بين يدي الله.

تفكّر قليلاً في حالة عليّ بن الحسين عليه السلام وأدعيته الرقيقة التي تعلّم عباد الله آداب العبودية، ولست اقصد من قولي هذا أن مناجاة هؤلاء العظام كانت تهدف تعليم العباد، فهذا كلام فارغ وقول باطل لا ينتج إلّا عن الجهل بمقام الربوبية ومعارف اهل البيت، فقد كانوا عليهم السلام أكثر الجميع خوفاً وخشيةً من الحق تعالىٰ، إذ إن عظمة الحق وجلاله تجلت في قلوبهم بما يفوق ما يتجلىٰ منهما علىٰ أيّ قلب. إنما أقول: إن على عباد الله أن يتعلموا منهم العبودية والسلوك الى الله، وأن لا تقتصر قراءتهم للأدعية والمناجاة المأثورة عنهم عليهم السلام على لقلقة اللسان، بل يجب إقران ذلك بالتفكر من خلال جعل الدعاء والمناجاة مبنية على اساس اساليب تعاملهم مع الحق، واظهارهم للتذلل والعجز والافتقار وكيفية تفرغهم للذات المقدسة.

ولعمر الحبيب، فحضرة علي بن الحسين عليه السلام من اعظم النعم التي انعمت الذات المقدسة للحق بوجوده على عباد الله، فانزل الحق تعالىٰ ذلك السيدالجليل من عالم القرب والقدس من اجل تفهيم عباده طرق العبودية، و﴿لتسألنّ

(١) مستدرك وسائل الشيعة: كتاب الصلاة ـ ابواب افعال الصلاة ـ الباب الاول ـ الحديث٧.

(٢) المصدر السابق: الباب الثاني ـ الحديث ١٥.

يومئذ عن النعيم﴾[١]، ونحن اذا سئلنا عن سبب جهلنا قدر هذه النعمة العظيمة، وعن علّة عدم الانتفاع من وجود هذا العظيم، فما هو جوابنا؟ أليس هو الاكتواء بنار الندم والأسف؟ ولات حين مندم!.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) التكاثر: ٨.

موعظة حسنة

إيهاً عزيزي، شمّر عن سواعد الهمّة وتمنطق بالعزيمة، مادامت الفرصة سانحة، وما دام العمر ـ ثروتك الغالية ـ أمامك وطريق السلوك ممهدة لك وأبواب رحمة الحق مشرعة بوجهك، والأعضاء سالمة والقوىٰ موفورة، ومزرعة عالم الملك لم يئِنْ جني محصولها بعد، ولتعرف قدر هذه النعم الإلهية ولتستفد منها، واسعَ لتحصيل الكمالات الروحية والسعادات الأزلية الأبدية، ولتنتفع من كلّ تلك المعارف التي قدّمها لك القرآن السماوي المجيد واهل بيت العصمة عليهم‌السلام على بساط ارض الطبيعة المظلمة فأناروا العالم بالانوار الإلهية الساطعة.

فلتشرق ارض طبيعتك المظلمة انت ايضاً بالنور الإلهي، وليتنور بصرك وسمعك ولسانك وسائر قواك الظاهرة والباطنة بنور الحق تعالىٰ، ولتستبدل هذه الارض الظلمانية بـ«الأرض النورانية» بل بالسماء العقلانية، واعلم ان هناك ﴿يومَ تبدَّل الارض غير الارض﴾[1]، ﴿وأشرقت الارض بنور ربها﴾[2]. فإذا لم تبدل ارضك في ذلك اليوم بـ«غير هذه الارض» ولم تشرق بنور ربها، فإن أمامك ظلمات وشدائد وأشكالاً من الخوف والضغوط والذلة والعذاب.

إن قوانا الظاهرة والباطنة الآن مظلمةٌ بالظلمات الشيطانية، والخوف ـ لو بقينا على هذه الحال ـ أن تتحول الأرض الهيولانية المنوّرة بنور الفطرة تدريجياً الى أرض «سجينية» مظلمة وخالية من نور الفطرة، محجوبة عن جميع احكام الفطرة الإلهية وهو شقاء لا سعادة بعده، وظلمة لا نور يجليها، وهلع لا اطمئنان معه، وعذاب مقيم لا تتلوه راحةٌ فـ﴿من لم يجعل الله له نوراً

(١) ابراهيم: ٤٨.
(٢) الزمر: ٦٩.

فما له من نور﴾[1]. اعوذ بالله تعالىٰ من أشكال الغرور الشيطاني والنفس الأمّارة بالسوء.

إن مقصد الأنبياء العظام اساساً، والمراد من تشريع الشرائع وسنّ الاحكام ونزول الكتب السماوية ـ خصوصاً القرآن المجيد، الكتاب الجامع الذي فُوِّض وكوشف به النور المطهر للرسول الخاتم ـ انما هو نشرُ التوحيد والمعارف الإلهية واستئصال جذور الكفر والشرك والازدواجية في النظرة والعبادة. فالسرُّ الساري والجاري في جميع العبادات القلبية والقالبية، انما هو التوحيد والتجريد، بل «إن هذه العبادات هو جعل التوحيد جارياً من باطن القلب الى ملك البدن بأسره» كما يقول الشيخ العارف الكامل الشاه آبادي (روحي فداه).

وعموماً، فإن النتيجة المتوخاة من العبادات تتمثل في تحصيل المعارف وتمكين التوحيد والمعارف الاخرى في القلب، وهذا لا يتحقق ما لم يستوف السالك نصيبه القلبي من العبادات، وما لم ينتقل من الصورة والإطار الى الحقيقة واللبّ، ويتخطّىٰ حدّ الدنيا ويعبر قشرها، فهذا الوقوف ـ عند القشر ـ عائق في طريق سلوك الانسانية. وإن أولئك الداعين الى الاقتصار على الظاهر المحض ممن يصدون الناس عن الآداب الباطنية ويدّعون أن ليس للشريعة معنىً وحقيقة سوى هذا الظاهر الصرف والقشر البحت، انما هم شياطين يقطعون السبيل الى الله، واشواك متناثرةٌ في طريق الانسانية، ينبغي لنا الاستعاذة بالله تعالىٰ من شرّهم، وإلّا فهم يطفئون في الانسان نور فطرة الله، نور المعرفة والتوحيد والولاية وسائر المعارف الإلهية، ويضربون أمامه حجب التقليد الاعمىٰ والجهل والتعوّد والاوهام، ويصدّون عباد الله تعالىٰ عن الاعتكاف في باب محضره، وعن الوصول الى جماله الجميل، ويسدّون الطريق

---

(١) النور: ٤٠.

الى المعارف، ويجعلون القلوب النقيّة الطاهرة ـ التي بذر الحقُّ تعالىٰ بذور المعرفة في أعماقها بيد جماله وجلاله، ثم أرسل الانبياء العظام وأنزل الكتب السماوية إنباتاً لتلك البذرو وتفضلاً في رعايتها ـ تتوجه نحو الدنيا وزخرفها وشؤونها الماديّة والجسمانية وما يلحق بها، وتبتعد عن الشؤون الروحانية المعنوية والسعادات العقلية، ويقصرون عوالم الغيب والجنان الموعودة على ما لذَّ من الطعام والشراب الحيواني وعلى النكاح وغير ذلك من الملذات الحيوانية الصرفة.

فهؤلاء يتوهمون أن الحق تعالىٰ، قد تفضل بنشر كل هذه الرحمة، وأنزل الكتب، وارسل الملائكة وبعث الانبياء عليهم السلام وبكلّ ما يرتبط بذلك من مراسم ونظم فقط من اجل تسيير امور البطن والفرج!! فغاية ما توصلوا اليه من معرفةٍ في الدنيا هو حفظ البطن والفرج من السوء لنيل ما يشبع لذتهما في الآخرة!! والاهتمام الذي أولوه لما اشارت اليه بعض الاحاديث من الجماع الذي يدوم خمسمئة عام في الجنة، لم يولوا مثله للتوحيد والنبوات!!. فهم يحسبون جميع المعارف مقدّمة لتأمين حاجة البطن والفرج في الآخرة!! ولو ان حكيماً الهياً او عارفاً ربانياً أراد ان يفتح باباً من الرحمة أمام عباد الله، أو يتلو عليهم صفحة من كتاب الحكمة الإلهية، فإن اولئك لا يتورعون عن تكفيره او نبزه ببئس الاسماء او اتهامه بمختلف التهم المشينة.

لقد غرق هؤلاء ـ من حيث لا يشعرون ـ في بحر الدنيا، وأسرفوا في المبالغة بالاهتمام بشهوات البطن والفرج الى درجةٍ رفضوا معها قبول اية فكرة تقول بوجود سعادة اخرى سوىٰ هذه الشهوات الحيوانية في (دار التحقق)، رغم ان السعادة العقليّة لو كان لها وجود، فإنها لن تضرّ ببطون هؤلاء وفروجهم.

إن أمثالنا ممن لم يتجاوز حدَّ الحيوانية، ليس لهم سوىٰ الجنّة الجسمانية وتلبية حاجة البطن والفرج؛ حتى الوصول الى هذا الهدف لا يكون الا بفضل الله تعالىٰ ورحمته، غير أنه لا ينبغي لنا التوهم أن السعادة محصورة في ذلك، وأن

جنّة الحق تعالىٰ لا تتعدىٰ اطار التصور عن الجنّة الحيوانية، فللحق تعالىٰ عوالم لم ترها عينٌ، ولم تسمع عنها أذنٌ، ولم تخطر على قلب بشر، واهل المحبة الإلهية ومعرفة الله، لا اهتمام لهم بأيٍّ من تلك الجنان، ولا توجّه لهم الى عالم الغيب والشهادة، وجنتهم هو اللقاء فقط.

ولو اردت تتبع الآيات القرآنية وأحاديث اهل بيت العصمة عليهم السلام مما ورد في ذلك، لخرج بنا ذلك عما رسمناه من اطارٍ لهذا البحث، بل لابد ان أقول بأن ما ذكرته حتى الآن لم يكن سوىٰ جموح القلم واسترساله، غير اننا لم نهدف من ذلك في الاساس سوىٰ الى تنبيه قلوب عباد الله الى الهدف الذي خلقوا من أجله ألا وهو معرفة الله، وهو أمرٌ يسمو على كلّ السعادات، ويعلو على كل شيء سواه.

ولا يفوتني هنا ان اشير الى اننا لا نقصد بـ«أولئك الذين يعدُون أشواكاً في طريق السلوك» الاشارة الى علماء الاسلام العظام وفقهاء المذهب الجعفري الكرام (عليهم رضوان الله)، وانما نريد به ذلك البعض من أهل الجهل المتلبسين بلبوس العلم الذين أصبحوا ـ عن قصورٍ وجهل لا عن تقصيرٍ او عناد ـ قطّاعاً لطريق عباد الله.

واعوذ بالله تعالىٰ من شرّ طغيان القلم وفساد النية وبطلان المقاصد، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الباب الثالث

في سرّ النية وآدابها

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الأول

حقيقة النية في العبادات

اعلم ان النية عبارة عن التصميم والعزم على الاتيان بأمر وإجماع النفس على فعله بعد تصوره والتصديق بفائدته، والحكم بلزوم الإتيان به. والنيّة حالة نفسانية وجدانية تظهر بعد تحقق الامور المتقدمة، ويُعبّر عنها بالهمة والعزم والارادة والقصد، وهي موجودة في كافة الافعال الاختيارية دون استثناء، ووجودها في اي عمل يشمل العمل بتمامه وبشكل حقيقي، ودون ان يكون في التعبير اي استخدام مجازي. وليس من الضروري استحضار هذه الحالة في الذهن بشكل تفصيلي اثناء اداء العمل، او تصور هذا القصد والعزم بشكل مفصّل، بل قد يحدث احياناً ان يأتي الانسان بالعمل بنفس درجة العزم، وهو ذاهل غافل تماماً عن الصورة التفصيلية للعمل وعن قصد الإتيان به، ولكن رغم ذلك تكون تلك الحقيقة موجودة، ويتحقق وجود العمل في الخارج بدفعها. وهذا الأمر يدرك وجدانياً في الافعال الاختيارية.

عموماً، فإن استقرار العزم هذا، هو الذي يُعبّر عنه الفقهاء بالنيّة، وهي موجودة في كل عملٍ على الاطلاق، فلا يمكن ان يؤدي الانسان عملاً اختيارياً دون وجود نيّة يستند اليها. ولكن رغم وضوح هذا الأمر، نرى أن العقل يُقهر لوسوسة الشيطان الخبيث وتلاعب الواهمة فيخفى على الإنسان المسكين أن

النيّة أمر لابدّ من وجوده، فتراه يهدر نصف عمره ـ ونتيجة لوسوسة ابليس الخبيث ـ لتحقيق أمرٍ متحقق لابد من وجوده، بدلاً من استثمار عمره الثمين في تجريد العمل من الشوائب، وتنقيته وتخليصه من المفاسد الباطنية، او السعي في كسب معارف التوحيد ومعرفة الحق والسعي إليه.

والشيطان ـ ولتحقيق هذه النتيجة ـ يتوسل بالعديد من انواع الفخاخ والمكائد والحيل، فهو يدفع احدهم الى ترك العمل اصلاً. واذا عجز عن ذلك مع غيره، دفعه الى الرياء والعجب والمفاسد الاخرى، ثم اذا فشل في تحقيق ذلك مع آخر، عمد الى ابطال عمل من خلال دفعه نحو القشرية والتلبّس بالقدسية الجوفاء، فيصور له هزال عبادات الناس جميعاً ويحرّضه لاتهامهم باللامبالاة في العبادة، فيبادر الى إفناء عمره في استحضار النية مثلاً، والحال أنها أمرٌ ملازم للعمل، او في التكبير او القراءة وهي من الامور العادية البسيطة.

على اية حال، فإن الشيطان لا يكفيه من الانسان تراجع ما، فهو في سعي دؤوب لإبطال عمله تماماً بوسيلة او بأخرى، فالوسوسة عملية معقدة شائكة، طرقها واساليبها لا تحصى. ولا يمكننا البحث مفصلاً في هذا الموضوع هنا او استقصاء كافة ما يتعلق به، غير انه يمكن القول بأن أكثر أشكال الوسوسة إثارة للسخرية والعجب؛ الوسوسة في النيّة. فلو ان شخصاً اراد الإتيان بأمرٍ اختياري ما بلا نيّة لما استطاع ذلك وإن جنّد له كل قواه وصرف عمره بأجمعه فيه، ومع ذلك ترى كيف أن شخصاً مسكيناً مريض النفس ضعيف العقل، يعطّل نفسه عند كلّ صلاة فترة طويلة من أجل أن يقيم صلاته بنيّة وإرادة!! حاله حال من يفكر طويلاً من اجل استحضار نية وإرادة الذهاب الى السوق أو لتناول الطعام!.

فالمسكين يغفل عن وجود جعل الصلاة معراجاً للقرب ومفتاحاً للسعادة وعن ضرورة التأدب بآدابها القلبية واستجلاء اسرارها وهي اللطيفة الإلهية التي تنفعه في تحقيق التكامل وضمان نشأة حياته الأخرى. بل إن الأدهى

والأمرّ أن حاله لا يقتصر على عدم اهتمامه بهذه الامور وحسب، فذلك أمرٌ سهل، فهو يحسبها جميعاً أموراً باطلةً، فيهدر عمره ـ وهو ثروته ورأسمال نجاته ـ في خدمة الشيطان وطاعة «الوسواس الخناس» وفي إخضاع العقل ـ وهو العطية الإلهية ونور الهداية ـ لحكم الشيطان.

عن عبدالله بن سنان قال: **ذكرت لأبي عبدالله عليه السلام رجلاً مبتلياً بالوضوء والصلاة وقلت: هو رجل عاقل. فقال أبو عبدالله: وأيُّ عقل له وهو يطيع الشيطان؟ فقلت له: وكيف يطيع الشيطان؟ فقال: سله هذا الذي يأتيه من أي شيء هو؟ فإنه يقول لك من عمل الشيطان**[١].

وعموماً، على الانسان ان يستأصل هذه الامور ويقضي عليها مهما استلزمه ذلك من رياضة أو مشقة، فهي تصدّه عن كافة أشكال السعادة والخير، ولعلها تؤدي الى فقدان عباداته ـ على مدى أربعين سنة مثلاً ـ لشروط صحتها حتى من الناحية الظاهرية، ومن ناحية أجزائها الفقهية، ناهيك عن آدابها الباطنية والشرعيّة.

والأشدُّ إثارة للسخرية أن بعض هؤلاء المبتلين بالوسواس يحكم ببطلان عمل الناس جميعاً، ويتهم الآخرين باللامبالاة بأمور الدين، في حين إنه اذا كان مقلداً لغيره، فإن مرجعه في التقليد يمارس عباداته بالطريقة المتعارف عليها بين الناس، واذا كان من اهل الفضل، فليراجع الاحاديث وسوف يجد ان رسول الله صلى الله عليه وآله وأئمة الهدى عليهم السلام كانوا يؤدون اعمالهم ايضاً على النحو المتعارف المشهور بين جميع الناس، فإن اهل الوسوسة هؤلاء وحدهم هم الذين يعملون خلافاً لرسول الله صلى الله عليه وآله ولأئمة الهدى عليهم السلام ولفقهاء المذهب وعلماء الأمة. وهم وحدهم الذين يعتبرون اعمال الجميع ضعيفة واعمالهم هي الموافقة للاحتياط وانهم وحدهم المهتمون بالدين!!.

---

(١) الاصول من الكافي: كتاب العقل والجهل ـ الحديث العاشر (ج ١، ص ١٢).

فمثلاً تواترت الاخبار على أن وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله كان ـ على الظاهر ـ بغسل الوجه بغرفةٍ من الماء، وغسل اليد اليمنىٰ بغرفة، واليد اليسرىٰ بغرفة اخرىٰ[١]، وقد اجمع فقهاء الإمامية على صحة هذا الوضوء، الذي يشير اليه ظاهر كتاب الله ايضاً، بل إن البعض أشكل على الغسل الثاني للوجه، بل على الغرفة الثانية في غسل اليد اليمنىٰ، ولكن رغم هذا، فلا ضير من الغرفة الثانية، بل من الغسل الثاني للوجه، وان كان في استحبابهما كلام. ولكن غير المشكوك فيه أن الغسل الثالث بدعة ومبطلٌ للوضوء سواء كان الاستناد فيه الى الرواية او للفتاوىٰ.

والآن تأمل في عمل هذا المسكين المبتلي بالوسواس، فهو لا يكتفي حتى بعشرين غرفةً تستوعب اليد بصورة كاملة فتحسب غسلةً كاملةً، وفي هذه الحال فإن وضوءه باطل بلا اشكال. غير أن هذا المسكين ضعيف العقل، يحسب أن عمله صحيحٌ وموافق للاحتياط، والحال انه أتىٰ به طاعةً للشيطان ووساوسه، وفوق ذلك فهو يعتبر عمل الآخرين باطلاً!!

من هنا يتضح الوجه في صدق الحديث الشريف الذي اعتبر مثل هذا الشخص فاقداً للعقل. فمن يرىٰ العمل المخالف لسيرة رسول الله عملاً صحيحاً والموافق لها باطلاً، لا شك أنه اما ان يكون خارجاً عن الدين، او بلا عقل. ولما كان هذا المسكين ليس خارجاً عن الدين، فهو بلا عقلٍ قطعاً؛ يطيع الشيطان ويخالف الرحمن.

ولا سبيل لعلاج هذا الداء العضال، ومواجهة هذه الطامّة الكبرىٰ، إلّا بالتفكر في الأمور التي تقدم ذكرها ومقارنة الوسواسيّ عمله بعمل المتدينين والعلماء والفقهاء(رضوان الله عليهم)، فإذا رأىٰ نفسه مخالفاً لهم فعليه أن يمرغ انف الشيطان ولا يكترث بوسوسة هذا الخبيث ويردّ عليه إنْ هو وسوس له بـ«أن

(١) راجع الفروع من الكافي: كتاب الطهارة ـ باب صفة الوضوء (ج٣، ص٢٤).

عملك باطل» بالقول: اذا كان عمل فقهاء الأمة كافة باطلاً فإن عملي باطلٌ ايضاً، فلعله يتمكن من الشفاء من هذا المرض، وإلحاق الهزيمة بالشيطان اذا ما واظب لفترة على مخالفة الشيطان مستعيذاً من شره بالحق تعالىٰ ضمن تضرعه وتذلله اليه تعالىٰ. تماماً كما هو الحال في علاج كثرة الشك ـ وهو من وساوس الشيطان ـ الأمر الذي حثت عليه الروايات والاحاديث الشريفة.

في الكافي بإسناده الى أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «اذا كثر عليك السهو فامضِ في صلاتك فإنه يوشك أن يدعك إنما هو من الشيطان»[1].

وفيه عن الباقر او الصادق عليهما السلام: «لا تعوّدوا الخبيث من أنفسكم بنقض الصلاة فتطمعوه فإن الشيطان خبيث يعتاد لما عوّد، فليمضِ أحدكم من الوهم ولا يكثرن نقض الصلاة فإنه اذا فعل مرّات لم يعد اليه الشك. قال زرارة: ثم قال: إنما يريد الخبيث أن يُطاع فإذا عُصي لم يعد الى أحدكم»[2].

وهذه كما ترىٰ من العلاجات الناجعة في جميع الامور التي تعدُّ من إلقاءات الشيطان وتلاعب الواهمة الشيطانية. وقد اوردت كتب الحديث أدعية لذلك، فليراجع من شاء كتابَي الوسائل ومستدرك الوسائل في اواخر ابواب ما يخلُّ بالصلاة.

---

(١) الفروع من الكافي: كتاب الصلاة ـ ابواب السهو ـ باب من شك في صلاته كلها... ـ الحديث الثامن (ج٣، ص٣٥٩).

(٢) الفروع من الكافي: كتاب الصلاة ـ ابواب السهو ـ باب من شك في صلاته كلها... ـ الحديث الثاني (ج٣، ص٣٥٨).

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الثاني

بعض آداب النيّة

من الآداب الهامة للنيّة بل من أهم آداب العبادات قاطبةً، ومن المناهج الشاملة: أدب «الإخلاص» وحقيقته: تنقية العمل من كلّ ما يشوبه مما هو لغير الله، وتصفية السرّ من رؤية غير الحق تعالى في جميع الاعمال الصوريّة واللبّية والظاهريّة والباطنيّة. وكماله: ترك الغير مطلقاً وتكران الإنّية والأنانية والغير والغيرية تماماً. قال تعالى: ﴿**ألا لله الدين الخالص**﴾[1]، فقد اختار الله تعالى الدين الخالص لنفسه، وما ينطوي من الدين على سهم من النفسانيّة والشيطانية فلن يكون خالصاً لله، وهو ما لايريده الحق تعالى. فما خالطته شائبةٌ من الغيريّة والنفسانية، خارج عن حدود الدين الحق، قال تعالى: ﴿**وما أمروا إلّا ليعبدوا مخلصين له الدين**﴾[2]، وقال عزّ وجل: ﴿**...ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب**﴾[3].

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «**انما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله، فهجرته الى الله ورسوله، ومن كانت هجرته الى**

---

(١) الزمر: ٣.

(٢) البينة: ٥ .

(٣) الشورى: ٢٠.

دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته الى ما هاجر اليه»[١]. وقال تعالى: **﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله﴾**[٢].

ولعل في الآية الكريمة بيان جميع مراتب الاخلاص، فإحداها: الهجرة الصورية، وهي هجرة بالبدن، لا تكون الى الله ورسوله اذا لم تكن خالصة من المخلفات النفسانية، ومرتبة الاخلاص المتحقق في هذه الهجرة، هي مرتبة الاخلاص الفقهي الصوري.

والاخرى، هي الهجرة المعنوية، والسفر الباطني الذي يبدأ من بيت النفس المظلم وينتهي الى الله تعالى ورسوله الذي يرجع بالنتيجة الى الحق ايضاً، فالرسول ـ بما هو رسول ـ ليس له استقلال بنفسه، بل إنه آية ومرآة ونائب، فالهجرة اليه هجرة للحق، فحبُّ خواص الله هو حب الله.

اذن لعلَّ حصيلة معنى الآية الكريمة: أن من خرج من بيت النفس ومنزل الأنانية بالهجرة المعنوية والسفر القلبي العرفاني، وهاجر الى الله دون الاكتراث بذاته ونفسانيتها واعتبارها، فإن أجره على الحق تعالى. اما اذا كان السالك ساعياً في سلوكه الى الله لتحقيق أحد الاهداف النفسانية ـ وإنْ كان المطلوب هو بلوغ المقامات، بل إنْ كان سعيه في الوصول الى قرب الحق هو من أجل إيصال ذاته الى قرب الحق ـ فإن هذا ليس سلوكاً الى الله، بل إن السالك لم يغادر البيت بعد، وهو ما يزال في جوف البيت ينتقل من جانب الى آخر ومن زاوية لأخرى فيه.

إذن فالسفر ضمن مراتب النفس ولأجل بلوغ الكمالات النفسانية ليس سفراً الى الله، بل من النفس الى النفس، غير أن على السالك أن يقوم بهذا السفر كمقدمة للسفر الى الله، فليس بإمكان احدٍ ـ سوى كُمَّل الأولياء عليهم السلام القيام بالسفر

---

(١) مستدرك الوسائل: ابواب مقدمة العبادات ـ الباب الخامس ـ الحديث الخامس.
(٢) النساء: ١٠٠.

الرباني دون السفر النفساني، فهو شأن مختص بالكُمّل ولعل في الآية الكريمة ﴿سلام هي حتى مطلع الفجر﴾[١] اشارة الى هذه السلامة من التصرفات الشيطانية والنفسانية في جميع مراحل السير في ليالي الطبيعة المظلمة - التي تمثل للكُمّل ليلة القدر - الى مطلع فجر القيامة الذي هو - عندهم - رؤية جمال الأحدية. واما من عداهم فليسوا بسلامةٍ من سيرهم في جميع المراتب، بل إن أي سالك لا ينجو من التصرفات الشيطانية في اوائل السير.

وعليه، يتضح أن هذه المرتبة من الاخلاص - المشفوعة بالسلامة منذ اولِ مرحلةٍ في السير الى الله الى آخر مرحلةٍ منه، حيث حصول الموت الحقيقي بل لما بعد «الحياة الحقانية الثانية» حيث الصحو بعد المحو - لا تتحقق لأهل السلوك واصحاب المعرفة والرياضة المتعارفة.

وعلامة هذا النحو من الاخلاص هو انعدام أثر غواية الشيطان في اهل هذا الإخلاص، فالشيطان يائس منهم تماماً بشهادة ذاك الخبيث الذي تنقل الآية الكريمة قوله: ﴿فبعزتك لأغوينّهم أجمعين*إلّا عبادك منهم المخلَصين﴾[٢].

وواضح أن الإخلاص - المشار اليه في الآية - منسوب الى ذات العبد لا الى عمله، وهو مقام فوق مقام الاخلاص في العمل. وقد يكون الحديث النبوي المعروف: «من أخلص لله أربعين صباحاً جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»[٣] مشيراً الى جميع مراتب الاخلاص: الافعالي والصفاتي والذاتي، وقد يكون فيه ايضاً ظهور الاخلاص الذاتي الذي تكون مراتب الاخلاص الاخرى من لوازمه.

وبيان المقصود من «ينابيع الحكمة» وكيفية جريانها من القلب على

---

(١) القدر: ٥.

(٢) ص: ٨٢، ٨٣.

(٣) عيون اخبار الرضا: ج٢، ص٢٤٩، ح٢٥، وعنه بحار الانوار: ج٦٧، ص٢٤٢ بتفاوت يسير.

اللسان ودور الاخلاص في هذا الجريان وخصوصية «**الأربعين صباحاً**» مما يخرج عن نطاق هذه الرسالة، ويحتاج الى رسالة مستقلّة.

ولكن تجدر الاشارة الى أن المحور الرئيس الذي دارت حوله الرسالة المعروفة بـ«تحفة الملوك في السير والسلوك» المنسوبة للعارف بالله المرحوم بحر العلوم هو شرح هذا الحديث، وهي رسالة لطيفة وإن كانت لا تخلو من بعض المناقشات، ولهذا نفى البعض أن يكون السيد الجليل هو مصنفها، وهذا ايضاً ليس بمستبعد.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الثالث

مجمل مراتب الإخلاص

نستعرض هنا ـ بما يناسب هذه الرسالة ـ بعض مراتب الاخلاص على نحو الاجمال.

فإحداها: تصفية العمل ـ سواءٌ القلبي او القالبي ـ مما يشوبه من الرغبة في الحصول على رضا المخلوقين واستمالة قلوبهم، وسواءٌ كـان ذلك مـن أجـل محمدةٍ او منفعةٍ او غيرها. ويقابل هذه الحالة: الإتيان بالعمل رياءً، وهو «الرياء الفقهي» الذي يعدُّ من أقبح مراتب الرياء، والمبتلى به من اشد المرائين ضـعةً وخسةً.

المرتبة الثانية: تصفية العمل من شائبة السعي للحصول على المـقاصد الدنيوية والمآرب الزائلة الفانية، وإنْ كان الدافع هو الحصول على الفضل الإلهي المتوقع نتيجة أداء هذا العمل كإقامة صلاة الليل من اجل زيادة الرزق، او الإتيان بصلاة اول كل شهر من اجل السلامة من آفات الشهر، او اعطاء الصدقة دفعاً للبلاء، الى غير ذلك من المقاصد الدنيوية الأخرى.

وقد اعتبر بعض الفقهاء عليهم السلام هذه المـرتبة مـن الاخـلاص شـرطاً لصـحة العبادات، اذا كان الاتيان بالعمل هـو الوصـول الى ذلك المـقصود. وهـو أمـر يخالف التحقيق بحسب القواعد الفقهية، وإن كان اهل المعرفة لا يرون أيّة قيمة

لمثل تلك الصلوات، ويعدونها كسائر انماط الكسب المشروع بل لعلهم يعدونها ادناها مرتبةً.

المرتبة الثالثة: تصفية العمل من شائبة الرغبة في الوصول الى الجنات الجسمانية والحور والقصور وامثال ذلك من اللذات الجسمانية، وتقابل هذه الحالة «عبادة الأُجراء» التي اشارت اليها بعض الاحاديث الشريفة. وهي ـ عند اهل الله ـ كسائر انماط الكسب مع فرق أن أجرة عمل هذا الكاسب اكثر واسمى إذا هو قام بالامر وخلّص اعماله من المفسدات الصورية.

المرتبة الرابعة: تصفية العمل من شائبة الشعور بالخوف من العقاب واشكال العذاب الجسماني الموعود، وتقابله «عبادة العبيد» كما تشير الى ذلك الاحاديث الشريفة، وهذه العبادة لا قيمة لها ايضاً عند اصحاب القلوب، وتعدّ خارجة من اطار عبودية الله، واهل المعرفة لا يفرّقون بين قيام الانسان بعمل ما خوفاً من الحدود والتعزيرات في الدنيا او خوفاً من العقاب والعذاب الاخروي، أو سعياً للحصول على نساء الدنيا او نساء الجنة، ذلك لأن أياً من هذه الدوافع ليست لله، إنما لأجل ما يخرج العمل عن البطلان طبقاً للقواعد الفقهية، وهذه بضاعةٌ كاسدة في سوق اهل المعرفة.

وهذه الدرجة وإن كانت درجة كبرىٰ ومقصداً رفيعاً مهماً أولاها الحكماء والمحققون أهمية بالغة، لكنها هي الاخرى تعدُّ ـ في مسلك اهل الله ـ من نقائص السلوك؛ والسالك ـ اذا كان من اهلها ـ يعدُّ كاسباً ايضاً ومن الأُجراء وإن كان يمتاز على الآخرين في المتجر والمكسب.

المرتبة الخامسة: والتي توازي سابقتها ـ: تصفية العمل من الشعور بالخوف من عدم الوصول الى تلك اللذات والحرمان من هذه السعادات، ويقابل ذلك العمل بدافع هذه المرتبة من الخوف.

وهي وإن كانت مرتبة عاليةً تفوق طموح أمثالي، إلا أنها ـ بنظر اهل الله ـ عبادة عليلة وعبادة عبيد ايضاً.

المرتبة السادسة: تصفية العمل من شائبة الرغبة في لذّات الجمال الإلهي وبلوغ اشكال البهجة بأنوار السبحات اللامتناهية، والتي هي جنة اللقاء، وهذه المرتبة ـ اي جنة اللقاء ـ من مهمات مقامات اهل المعرفة واصحاب القلوب، لا تصلها اماني عامة النوع البشري، والآحاد من اهل المعرفة هم الذين تشرفوا بشرف هذه السعادة، فضلاً عن كمّل اهل الله واصفيائه واهل الحب و«الجذبة».
وان كانت هذه المرتبة لا تعدُّ كمال مرتبة كمّل أهل الله واصفيائه، فهي من مقاماتهم العادية الكثيرة، وما ورد من السعي والحث على هذه المرتبة أو من الاشارة الى بلوغها في الادعية المأثورة عن الأئمة الاطهار ـ كالمناجاة الشعبانية ـ لا يعني انحصار مقاماتهم بهذه المرتبة، تماماً كما هو الحال مع **المرتبة السابعة** التي توازي هذه المرتبة، والمتمثلة في تصفية العمل من الشعور بالخوف من الفراق، فهي ليست من كمال مقامات الكُمل. وما يلهج به أمير المؤمنين عليه السلام: «**كيف أصبر على فراقك**»[1]، انما هو من المقامات العادية المستفيضة لديه ولدى امثاله عليهم السلام.

واجمالاً، فإن تصفية العمل طبقاً لهاتين المرتبتين هو أمرٌ واجب ـ عند اهل الله ـ والعمل مع وجودهما عليل، ومشوب بالنفسانية، وتخليص العمل بناءً عليهما يعدُّ كمال الاخلاص.

وهناك مراتب اخرى فوق ذلك يخرج البحث فيها عن اطار الاخلاص ليدخل تحت معيار التوحيد والتجريد والولاية، وبيان ذلك مما لا يناسب هذا المقام.

---

(١) فقرة من الدعاء الذي رواه كميل بن زياد رضي الله عنه عن امير المؤمنين عليه السلام والمعروف باسمه راجع: مصباح المتهجد: ص٧٧٨.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الرابع

منكرو المقامات وطوائفهم

والآن بعد أن عرفت ـ الى حدٍّ ما ـ مراتب الإخلاص ومقامات العبادات، فلتعدّ نفسك لبلوغها، فلا قيمة للعلم دون العمل، والحُجة قائمةٌ على العالِم بأتمّ منها على غيره، وهو محاسبٌ بأشدّ مما يحاسب به غيرُه.

إن لمما يدعو الى شديد الأسف؛ حرماننا كلياً من المعارف الإلهية والمقامات المعنوية لأهل الله ومن المدارج العالية لاصحاب القلوب. فطائفة منا منكرةٌ تماماً للمقامات، تخطّئ اهلها وتتّهمهم بالباطل والعاطل من الامور، وترى من يذكرهم او يدعو الى بلوغ مقاماتهم بأنه مخرّف، لا تعدو دعوته سوى شطحة من الشطحات. والأمل معدوم في تنبّه هذه الطائفة الى نقصها وعيبها أو استيقاظها من نومها العميق: ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾[1]، ﴿وما انت بمسمعٍ من في القبور﴾[2]، ولا شك أن من هم امثالي ـ أنا المسكين ـ من الجاهلين، وممن ليس لقلوبهم حياة بحياة المعرفة والمحبّة الإلهية، امواتٌ لا تمثل أبدانهم سوى قبور رفاتهم البالية، وهم محجوبون بغبار وظلمة ضيقه عن جميع عوالم النور،

---

(١) القصص: ٥٦.

(٢) فاطر: ٢٢.

والنور على النور، ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾[١].

وهذه الطائفة تعمدُ ـ كلما تُلي عليها من الاحاديث وآيات القرآن الكريم ما يتحدثُ عن المحبة والعشق الإلهي وحب اللقاء والانقطاع الى الحق ـ الى التأويل والتبرير والتفسير بما يوافق آراءهم. فهم يفسرون آيات لقاء الله وحبّه بالحياة بين اشجار الجنان والنساء الحسان!!

ولا ادري ما هو تفسير هذه الطائفة لفقرات المناجاة الشعبانية إذ تقول: **«إلهي هب لي كمال الانقطاع اليك، وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها اليك حتى تخرق ابصار القلوب حُجُب النور فتصل الى معدن العظمة وتصير ارواحنا معلّقة بعزّ قدسك، إلهي واجعلني ممن ناديته فأجابك ولاحظته فصعق لجلالك»**[٢].

فما هي ـ برأيهم ـ «حجب النور» هذه يا ترىٰ؟ هل المقصود من «النظر الى الحق» هو النظر الى ثمار الجنة؟ أم هل «معدن العظمة» هو قصورها؟ بل، هل «تعلّق الارواح بعزّ القدس» هو التوسل بالحور العين من أجل قضاء الشهوة؟ او هل «الصعق والمحو للجلال» يعني الصعق والمحو من جمال نساء الجنّة؟ وهل تلك الجذبات والغشوات التي غشيت رسول الله ﷺ في صلاة المعراج وأنوار العظمة وما فوقها مما رآه في ذلك المحفل الذي لم يُتَح لجبرئيل الامين عليه السلام وأعظم ملائكة الله دخوله، بل مما لم يجرؤ جبرئيل على التقدم نحوه قيد أنملة، كانت جذبةً بسبب احدىٰ النساء الفائقة الحسن والجمال؟ أم كان ﷺ يرى أنواراً كأنوار الشمس والقمر أو أشدّ نوراً منها؟ وهل كان ما يقصده الإمام المعصوم عليه السلام بقوله ـ حينما سُئل عن تفسير قوله تعالى: ﴿إلّا من أتى الله بقلب سليم﴾ ـ: القلب السليم الذي يلقىٰ ربه وليس فيه أحد سواه...

---

(١) النور: ٤٠.

(٢) بضعة فقرات من المناجاة التي أثر استحباب مناجاة الله بها في شهر شعبان. راجع بحار الانوار: ج ٩١، ص ٩٩.

الحديث[1]، و خلوّ القلب من غير «كرامة الحق» مما يرجع في معناه الى خلوه من مختلف ثمار الجنة من الأجاص والكمثرىٰ؟.

بئس ما فعلتُ! كيف افلت عنان القلم من يدي وراح ينشغل بالشطحيات؟ ولكن ـ لعمر الحبيب ـ فلا غاية لي من هذا الكلام سوى تنبيه الأخوة المؤمنين ـ لا سيما أهل العلم منهم ـ في الأقل الى عدم إنكار مقامات اهل الله، فهذا الإنكار اساس كافّة اشكال البؤس والشقاء.

إننا لا نهدف الى تشخيص أهل الله وإنما الحثُّ على تجنب انكار المقامات، أما مَن هم أهل تلك المقامات؟ فالله العالم وهو أمرٌ لا اطلاع لأحدٍ عليه «ومن تزوّد بالأخبار لم يُزوّدِ...»[2].

وطائفة اخرى: لا تنكر مقامات أهل المعرفة ولا تعاند اهل الله، غير ان انشغالها بالدنيا والسعي في اكتسابها واخلادها الى الملذات الفانيّة صدّها عن الكسب العلمي والعملي و «الذوقي» و «الاحوالي»، فهم مرضىٰ حالهم حال من لا شك لديه في انه مريض، إلا أن شهوة البطن تمنعه من التزام الحمية او شرب مُرِّ الدواء، تماماً مثل الطائفة الأولىٰ التي حالها حال المريض الذي لا يعتقد بوجود مثل هذا المرض او المريض في دار التحقق، فهم في الحقيقة منكرون لاصل وجود المرض رغم اصابتهم هم انفسهم به.

وطائفة اخرى عامدة الى التحصيل العلميّ، فهي مشغولة باكتساب المعارف كعلمٍ، مكتفية من حقائق المعارف ومقامات اهل الله بالمصطلحات والالفاظ والمزوّق من العبارات، وأفرادها يعتقلون أنفسهم ـ وبعض المساكين غيرهم ـ في قيود الالفاظ والمصطلحات، قانعون من جميع المقامات بالاقوال والالفاظ.

ومن بين هؤلاء هنالك ثُلّةٌ ممن يعرفون حقيقة انفسهم، لكنهم اتخذوا من تلك

---

(١) عن سفيان بن عيينة قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: «إلّا من أتى الله بقلب سليم» قال: القلب السليم الذي يلقى ربه وليس فيه أحد سواه. قال: وكل قلب فيه شرك أو شك فهو ساقط وإنما أرادوا الزهد في الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة. راجع الاصول من الكافي: كتاب الايمان والكفر ـ باب الاخلاص ـ الحديث ٥.

(٢) مضمون مصراع بيت من الشعر للشاعر سعدي الشيرازي .

المصطلحات الجوفاء ـ ولأجل الترأس على حفنةٍ من المساكين ـ وسيلة لكسب المعيشة والارتزاق. فهم يصطادون قلوب عباد الله النقيّة بشراك الالفاظ الخدّاعة والاقوال المزوّقة. وهؤلاء هم شياطين الإنس ممن لا يقلّون ضرراً ـ على عباد الله المساكين ـ عن ضرر إبليس اللعين؛ غافلين عن أن قلوب عباد الله هي منزل الحق الذي لا يحقُّ لأحد التسلط عليها، وهم والحال هذه غاصبون لمنزل الحق مخربون للكعبة الحقيقية، نحتوا أوثاناً وملأوا بها أروقة قلوب عباد الله التي تمثل الكعبة بل البيت المعمور. وهم مرضىٰ بأمراضٍ سارية، يدعون الطبابة فيصيبون عباد الله بشتىٰ أنواع الأوبئة المبيرة.

وعلامة أفراد هذه الطائفة: ميلهم الى ارشاد الاغنياء والوجهاء دون الفقراء والدراويش إذ إنك ترى اكثر مريديهم من اصحاب الجاه والمال، كما ترى انهم انفسهم من المتزيّين بزيّ الاغنياء وأصحاب الجاه والمال.

كذلك فإن كلامهم غاية في المخادعة والتضليل، وهم يطهّرون انفسهم أمام مريديهم، ويتظاهرون بأنهم من اهل الله رغم أنهم ملوثون بآلاف الأنواع من القذارات الدنيوية. وأتباعهم ـ هؤلاء المساكين المغفلين ـ عمّيت عليهم، فهم لا يبصرون عيوب اولئك وهي جلية محسوسة، سادرة قلوبهم مستأنسة بتلك المصطلحات والالفاظ الجوفاء.

ولا بأس ـ وقد جرّنا الحديث الى هذا الموضع ـ ان ننقل جانباً من الروايات الشريفة الواردة حول هذا الموضوع، وإنْ كان في ذلك خروج عن اطار الحديث، غير أن من المناسب التبرك بكلام أهل البيت عليهم السلام.

في خصال الصدوق (رحمة الله عليه) وبإسناده، قال أبو عبدالله عليه السلام: «إن من **العُلماء مَن يحبُّ أن يجمع علمه ولا يحب ان يؤخذ عنه، فذاك في الدرك الأول من النار.**

ومن العُلماء من إذا وعَظَ أنف وإذا وُعظ عَنَف، فذاك في الدرك الثاني من النار.

ومن العُلماء من يذهب في علمه مذهب الجبابرة والسلاطين، فإن رُدّ عليه وقُصِّرَ في شيءٍ من أمره غضب، فذاك في الدرك الثالث من النار.

ومن العُلماء من يطلب أحاديث اليهود والنصارىٰ ليعزر به علمه ويكثر به حديثه، فذاك في الدرك الرابع من النار.

ومن العُلماء من يضع نفسه للفتيا ويقول: سلوني. ولعلّه لا يصيب حرفاً واحداً والله لا يحبُّ المتكلفين، فذاك في الدرك الخامس من النار.

ومن العُلماء من يتخذُ العلم مروةً وعقلاً فذاك في الدرك السادس من النار»[1].

وعن الكليني (رحمة الله عليه) في جامعه الكافي، وبإسناده قال الباقر عليه السلام: «من طلب العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء أو يصرف [به خ ل] وجوه الناس إليه، فليتبوّأ مقعده من النار، إن الرئاسة لا تصلح إلا لأهلها»[2].

وفيه، عن الصادق عليه السلام: «اذا رأيتم العالم محباً للدنيا فاتّهموه على دينكم، فإن كل محبٍّ بشيءٍ يحوط ما أحبّ».

وقال عليه السلام: «أوحى الله تعالىٰ الى داود عليه السلام: لا تجعل بيني وبينك عالِماً مفتوناً بالدنيا، فيصدّك عن طريق محبتي، فإنَّ أولئك قطاع طريق عبادي المريدين. إن أدنىٰ ما أنا صانعٌ بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم»[3].

والبعض من أفراد هذه الطائفة، ممن هم ليسوا محتالين ولا نصابين بل سالكون لطريق الآخرة ساعون لاكتساب المعارف والمقامات، ولكن قد يحدث أن يقعوا احياناً فريسة الشيطان الذي يقطع الطريق عليهم فيتوهموا ان حقيقة المعارف والمقامات انّما تكمن في هذه المصطلحات العلمية التي حاكوها

(١) الخصال: ج٢، ص٣٥٢، الحديث ٣٣.
(٢) الاصول من الكافي: كتاب فضل العلم ـ باب المستأكل بعلمه ـ الحديث السادس.
(٣) المصدر السابق: الحديث الرابع.

بأنفسهم أو اقتبسوها مما نسجه الآخرون. وهؤلاء يقضون اعمارهم حتى آخرها ويصرفون شبابهم وايام حياتهم في الاستزادة من المصطلحات وحفظ الكتب والصفحات، كما هو حال البعض من علماء تفسير القرآن الكريم الذين حصروا الاستفادة من القرآن الكريم في ضبط وجمع اختلاف القراءات ومعاني المفردات وتصريف الكلمات والمحسّنات اللفظية والمعنوية ووجوه إعجاز القرآن والمعاني العرفية واختلاف أفهام الناس فيها، غافلين عن حقيقة دعوات القرآن وعن الجوانب المعنوية والمعارف الإلهية فيه، حالهم حال المريض إنْ انحصر اهتمامه بعد مراجعته الطبيب في حفظ الوصفة التي كتبها له وتعلّم كيفية تركيبها وموادها، فلا شك أن المرض سيفتك به ثم لن ينفعه العلم بالوصفة أو مراجعة الطبيب أبداً.

إيهٍ عزيزي، إن العلوم جميعاً علوم عمليّة، حتى علم التوحيد هو ممارسات قلبيّة وقالبية، فالتوحيد «تفعيلٌ» يُعبر عن ارجاع (الكثرة) الى (الوحدة)، وهو من الممارسات الروحية والقلبية وما زلتَ واقعاً في الكثرات الافعالية جاهلاً بالمسبب الحقيقي، لستَ على بصيرةٍ تؤهلك رؤية الحق، لم ترَ الله في الطبيعة بعد، ولم تدرك أن الكثرات الطبيعية وغير الطبيعية فانية في الحق وأفعاله، وما لم ترفرف راية سلطان وحدة فاعلية الحق في قلبك فأنت بعيدٌ تماماً عن الخلوص والاخلاص والصفاء والتصفية، قصيٌّ عن التوحيد. وكافة أنماط الرياء الافعالي وأغلب أشكال الرياء القلبي، تنشأ من ضعف التوحيد الافعالي. ومن يعتبر هؤلاء البشر ـ الضعفاء المساكين ـ ذوي تأثيرٍ في دار التحقق ولهم سلطة في مملكة الحق، كيف يمكنه الاستغناء عن السعي في استمالة قلوبهم، وكيف يوفق في تصفية عمله وتخليصه من شرك الشيطان!؟

فعليك يا عزيزي أن تسعىٰ في تصفية المنبع الاصلي لتحصل على ماءٍ زلالٍ صافٍ، وإلا فكيف يمكن لعينٍ كدرة ان تسيل ماءً نقياً؟ فلو أنك اعتقدت بأن قلوب عباد الله محكومة بسلطة الحق تعالىٰ، وتذوّقت بقلبك معنىٰ «يا مقلّب

القلوب» وأوصلته مسمعَ القلب، ما سعيت الى استمالة القلوب وانت بهذا الضعف والعجز، ولو أنك أفهمت قلبك حقيقة **«بيده ملكوت كلِّ شيءٍ وله الملك وبيده الملك»** لما شعرت بالحاجة لجذب القلوب، ولما اعتبرت نفسك محتاجاً لقلوب هذه المخلوقات الضعيفة، ولتحقق لك «الغنى القلبي». فأنت تحسُّ في نفسك احتياجاً، ولمّا ظننت بقدرة الناس على تلبية ذلك الاحتياج أصبحت محتاجاً لاستمالة القلوب، ولما توهمت بأنك بالتلبس بالقداسة يمكنك التأثير في القلوب، صرت محتاجاً للرياء. ولو أنك رأيت أن الحق هو المؤثر الحقيقي، وأنك لستَ ذا سلطةٍ في الكون لما وجدت نفسك محتاجاً لهذه الأنماط من الشرك.

فيا أيها المشرك المنتحل التوحيد، ويا ابن آدم، إنك ترث هذا كله من ابليس اللعين، الذي يرى نفسه ذا سلطة ويضجُّ بالقول: **﴿لأغوينهم أجمعين﴾**[1] والحال أنه بائس شقي واقعٌ في حجُب الشرك والعجب.

إن أولئك الذين يرون للعالم ولأنفسهم وجوداً مستقلاً غير مستظل، ويرون مالكيتها لا مملوكيتها إنّما ورثوا شيطنة ابليس، فلتستيقظ أنت من هذا السبات العميق، ولتوصل الى قلبك آيات الكتاب الإلهي الكريمة وبيّنات الصحيفة الربوبية النورانية. فهذه الآيات انما ارسلت لإيقاظي وإيقاظك، ونحن الذين نحصر انتفاعنا منها بمجرد التجويد والظاهر ونغفل عن معارفها حتى أصبح الشيطان حاكماً علينا وصرنا أسرىً لسلطته.

أكتفي بهذا القدر من الحديث في هذا الموضوع على أن أعود لمتابعته في مقامٍ آخر - إن شاءالله - فأتعرض الى نفحةٍ أخرى منه في موضوع آداب القراءة وأمهّد السبيل - بإذن الله وحُسن توفيقه - لنفسي ولعباد الله للاستفادة من القرآن الكريم. والسلام.

---

(١) ص: ٨٢.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الخامس

بعض درجات الإخلاص الأخرى

بعد أن امتدّ بنا الحديث الى حيث بلغنا، لابدّ لي من ذكر بعض درجات الاخلاص الاخرى بما يناسب المقام.

فإحدى درجات الاخلاص: تصفية العمل من الشعور باستحقاق الثواب والأجر، وفي مقابلها وجود تلك الشائبة من طلب الأجر والاعتقاد باستحقاق الأجر والثواب على العمل، وهذه الحالة لا تخلو من مقدارٍ من الإعجاب بالعمل، الذي ينبغي للسالك تخليص نفسه منه.

وتنشأ حالة الاعتقاد باستحقاق الاجر والثواب عن قصورٍ لدى السالك في معرفة حاله ومعرفة حق الخالق تعالى شأنه، وهذا ايضاً من فروع الشجرة الشيطانية الخبيثة، اذ يرجع الى حالة رؤية السالك نفسه وعمله وإنّيته وأنانيته.

ومادام الانسان المسكين في حجاب رؤية أعماله وعدّها راجعة اليه واعتبار نفسه ذا أثرٍ في الأمور، فإنه لن ينجو من هذا المرض ولن ينجح في تصفية اعماله وتخليصها من الشوائب.

إذن، على السالك أن يجتهد في السعي بالرياضات القلبيّة والسلوك العقلي والعرفاني لإفهام قلبه بأن الاعمال جميعاً انما هي من المواهب والنعم الإلهية التي أجراها الحق تعالى على يد العبد، واذا حصل هذا للسالك وحَلَّ التوحيد

الافعالي في قلبه فإنه لن يعتبر العمل صادراً عنه، ولن يسعى حينئذٍ في طلب الثواب، بل إنه سيرى الثواب والأجر تفضلاً وإن النعم هي ابتداء من الله تعالى.

وقد ورد ذكر هذه اللطيفة الإلهية في كلمات الأئمة الأطهار عليهم السلام خصوصاً في الصحيفة السجادية، ذلك السجل الإلهي النوراني النازل من سماء العرفان للعارف بالله والعقل النوراني لسيد الساجدين لإنقاذ عباد الله من سجن الطبيعة وإفهامهم أدب العبودية والقيام في خدمة الربوبية.

ففي الدعاء الثاني والثلاثين ورد قوله عليه السلام: «**فلك الحمدُ على ابتدائك بالنعم الجسام وإلهامك الشكر على الإحسان**». وفي موضع آخر «**نعمك ابتداءً وإحسانك التَّفضُّل**»[1].

كما ورد في «مصباح الشريعة» القول: «وأدنى حَدّ الاخلاص بذل العبدِ طاقته، ثم لا يجعل لعمله عند الله قدراً فيوجب على ربه مكافأةً لعمله»[2].

والدرجة الاخرى من الاخلاص: تصفية العمل من حالة الشعور بكثرته والفرح به والاعتماد عليه والتعلّق به.

والحالة المقابلة لها من الامور الخطيرة في السلوك بالنسبة للسالك، فهي تصدّه عن مواكبة قافلة السالكين في سيرهم الى الله وتحبسه في سجن الطبيعة المظلم.

وتنشأ هذه الحالة ايضاً من الشجرة الشيطانية الخبيثة ومن حب النفس الموروث من الشيطان الذي كان يقول: ﴿**خلقتني من نار وخلقته من طين**﴾[3].

وهي تمثل حالة جهل الانسان بمقامه وبمقام المعبود جلّت عظمته. وإلا لو أن هذا «الممكن الوجود» البائس المسكين أدرك مقام نقصه وعجزه وضعفه

(١) الصحيفة السجادية: الدعاء الثاني عشر.

(٢) مصباح الشريعة: الباب السادس والسبعون ـ في الاخلاص.

(٣) الاعراف: ١٢ و ص٧٦.

وانقطاع حيلته، وعرف مقام عظمة وكبرياء وكمال الحق تعالى، لما استعظم عمله ابداً، ولما حسب نفسه مؤدياً لمسؤوليته. والملفت أن هذا الانسان المسكين يتوقع ثواباً وأجراً لا متناهياً على ركعتين من الصلاة، والحال أن صلاة سنة كاملة لا يدفع لقضائها عن الميت الا بضعة دنانير، وهذا إذا اطمأنوا تماماً الى صحة أدائها والقيام بواجباتها.

إن هذا الإعجاب والرضا بالعمل واستكثاره يؤدي الى الكثير من المفاسد الاخلاقية والافعالية التي يطول ذكرها. وقد اشارت الاحاديث الشريفة الى هذا الموضوع في الكثير من المناسبات. ففي الكافي مسنداً الى الامام موسى بن جعفر عليه السلام أنه قال لبعض ولده: **«يا بني عليك بالجد ولا تخرجن نفسك من حدِّ التقصير في عبادة الله عزّ وجلّ وطاعته، فإن الله لا يُعبد حق عبادته»**[١].

وقال عليه السلام في حديث آخر: **«كل عمل تُريد به الله عزَّ وجل فكن فيه مقصّراً عند نفسك، فإن الناس كلهم في أعمالهم فيما بينهم وبين الله مقصّرون إلّا من عصمه الله»**[٢].

وعنه عليه السلام: **«لا تستكثروا كثير الخير»**[٣].

وفي الصحيفة السجادية، قال عليه السلام في وصف ملائكة الله: **«الذين يقولون، اذا نظروا الى جهنم تزفر الى اهل معصيتك: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك»**[٤].

وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله ـ وهو أعرف خلق الله، وعمله أشدُّ الاعمال نورانيّة وعظمة ـ يعترف بالعجز والتقصير ويقول: **«وما عرفناك حق معرفتك وما**

---

(١) الاصول من الكافي: كتاب الايمان والكفر ـ باب الاعتراف بالتقصير ـ الحديث الاول.

(٢) المصدر السابق: الحديث الرابع.

(٣) المصدر السابق: كتاب الايمان والكفر ـ باب استصغار الذنب ـ الحديث الثاني وباب محاسبة العمل ـ الحديث ١٧.

(٤) الصحيفة السجادية: الدعاء الثالث.

عبدناك حق عبادتك»[١]، ثم اذا كان الأئمة المعصومون عليهم السلام من بعده يعبّرون عن قصورهم وتقصيرهم، فما الذي ينبغي لك أيها الضعيف أن تفعله أنت في هذا المقام؟!

نعم، إن ما بلغوه (صلوات الله وسلامه عليهم) من مقام المعرفة بعجز (ممكن الوجود) وعزّة وعظمة (واجب الوجود) تعالىٰ هو الذي يدفعهم الى اطلاق تلك التصريحات والتعبير بتلك العبارات. أما نحن المساكين الذين نبادر الى الاستقلال والتفاخر والرياء انما يدفعنا الى ذلك الجهل والحجب المختلفة، فسبحان الله ما أصدق قول أمير المؤمنين عليه السلام: «عُجبُ المرء بنفسه أحد حُسّاد عقله»[٢].

وإلّا أليس من قلّة العقل أن يعتّم الشيطان علينا أمراً بديهياً، فيصدنا عن تقويمه بميزان العقل؟! فنحن نعلم أن أعمالنا وأعمال سائر البشر العاديين وكافة ملائكة الله والروحانيين لا قيمة لها مطلقاً مقارنة بأعمال رسول الله صلى الله عليه وآله وأئمة الهدىٰ عليهم السلام. فأعمالنا قبال تلك الأعمال لا تكاد تذكر، هذا من جهة، ومن جهة أخرىٰ فإن الاعتراف بالتقصير والتصريح بالعجز عن أداء الأمر كما ينبغي قد تواتر عن اولئك العظماء عليهم السلام، بل بلغ حداً يفوق التواتر. وهاتان القضيتان الواضحتان توصلاننا الى نتيجةٍ واضحة مفادها أننا لا ينبغي لنا أن نعجب بأيّ من اعمالنا، بل إن علينا أن نستشعر الخجل والحياء حتى لو اقمنا العبادة واطعنا الله مدىٰ اعمارنا في هذه الدنيا، بل أن نطأطئ رؤوسنا من شدة الحياء. ولكن رغم ذلك تجد أن الشيطان قد سيطر على قلوبنا وتحكّم في عقولنا الى درجةٍ أصبحنا معها عاجزين عن إدراك تلك النتيجة المستقاة من تلك المقدمات البديهية بل إن قلوبنا تعيش حالة معاكسة تماماً.

فعليٌّ بن أبي طالب عليه السلام ـ الذي شهد رسول الله صلى الله عليه وآله بأفضلية ضربة واحدة

---

(١) مرآة العقول: ج٨، ص١٤٦ (كتاب الايمان ـ باب الشكر).

(٢) نهج البلاغة (فيض الاسلام) ص١١٧٢ الحكمة رقم ٢٠٣.

منه يوم الخندق على جميع عبادات الجنّ والإنس[١] ـ كان يؤدي من العبادات والرياضات ما جعل علي بن الحسين عليهما السلام يُظهر ـ وهو أعبد خلق الله ـ عجزه عن التشبه به[٢] مع كل عباداته ورياضاته ومع كل ما كان يميزها من إظهار التذلل والاعتراف بالقصور والتقصير وبما يفوق كثيراً ما نعبر به نحن. بل أبعد من هذا، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله الذي لا يمثل علي المرتضى عليه السلام وجميع ما عدا الله سوى عبيدٍ في حضرته وطاعمين لفتات مائدة نعمة معارفه، متعلمين من تعاليمه، كان طائعاً لله متعبداً الى درجة أنه كان يقف ـ بعد أن خُلعت عليه خِلعةُ النبوة الخاتمة، التي تمثل كامل السير في دائرة الكمال واللبنة الاخيرة في المعرفة والتوحيد ـ في غار حراء يؤدي طاعاته على مدى عشرة أعوام، حتى تورّمت قدماه المباركتان وأنزل الله تعالى عليه الآية الكريمة: ﴿طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾[٣].

إن الله تبارك وتعالى انما يقول له صلى الله عليه وآله: ما انزلنا عليك القرآن لتشقى، فأنت الطاهر الهادي، واذا عصاك الناس فإن ذلك بسبب نقصهم وشقائهم، لا بسبب قصورٍ في سلوكك وهدايتك، ومع ذلك كله كان صلى الله عليه وآله يلهج بالتعبير عن عجزه وقصوره عن حق العبادة.

ينقل السيد ابن طاووس رحمه الله عن الامام علي بن الحسين عليهما السلام حديثاً، نبارك هذه الصفحات بنقله وإن كان طويلاً لما فيه من شرحٍ لبعض حالات ذلك السيد الجليل عليه السلام، ولكي تتعطر به مشامّ الأرواح وتلتذ به ذائقة القلوب.

ففي كتابه فتح الأبواب، وبإسناده عن الزهري قال: «دخلت مع علي بن الحسين عليهما السلام على عبدالملك بن مروان؛ قال: فاستعظم عبدُ الملِك ما رأى من أثرِ السجود بينَ عينَي علي بنِ الحسين [عليهما السلام] فقال: يا أبا محمّد، لقد

---

(١) «لضربة علي يوم الخندق خير من عبادة الثقلين». بحار الانوار: ج٣٩، ص٢ (تاريخ امير المؤمنين).

(٢) «... من يقوى على عبادة علي بن أبي طالب...» عن السجاد عليه السلام. بحار الانوار: ج٤٦، ص٧٥.

(٣) طه: ١ ـ ٢.

بيَّنَ عليكَ الاجتهادُ، وقد سبقتْ لكَ مِنَ اللهِ الحُسنىٰ، وأنت بَضْعَةٌ مِن رسول الله [صلى الله عليه وآله] قريبُ النسب وكيد السَّبب، وإنَّكَ لذو فضلٍ عظيمٍ على أهل بيتك وذوي عصرِك، ولقد أُتيتَ من الفضلِ والعِلمِ والدِّين والوَرَع ما لم يُؤتَ أحدٌ مثلك ولا قبلَك إلّا مَنْ مضى من سلَفِك. وأقبل يُثني عليه ويُطريه.

قال: فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: كلما ذكرتَهُ ووَصَفْتَه مِنْ فضلِ الله سبحانه وتأييده وتوفيقه: فأين شكره على ما أنْعَمَ يا أميرَ المؤمنين؟

كانَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله يقفُ في الصلاة، حتى ترِمَ قدَماهُ، ويظمأ في الصيّام حتى يعصبَ فوهُ. فقيل له: يا رسولَ الله، ألَمْ يغفِرِ اللهُ لكَ ما تقدَّمَ من ذنبِكَ وما تأخَّر؟!

فيقول صلى الله عليه وآله: أفلا أكونَ عَبْداً شكوراً؟!

الحمدُ للهِ على ما أولىٰ وأبلىٰ وله الحمدُ في الآخرة والأُولىٰ؛ والله لو تقطَّعتْ أعضائي وسالتْ مُقلتاي على صدري أنْ أقومَ لله جلَّ جلاله بشُكرِ عُشْرِ العشر من نعْمةٍ واحدةٍ من جميع نعمه التي لا يُحصيها العادُّون، ولا يبْلُغُ حدَّ نعمةٍ منها على جميع حمدِ الحامدين، لا والله أو يراني الله لا يشغلني شيءٌ عن شكرِه وذكرِه في ليل ولا نهار ولا سر ولا علانية.

ولولا أنَّ لأهلي عليَّ حقّاً ولسائر النّاس من خاصّهم وعامِّهمْ عليَّ حقوقاً لا يَسَعُني إلّا القيامُ بها حسب الوُسْعِ والطاقة حتى أوَدِّيها لهم، لَرَميْتُ بطرفي إلى السماء وبقلبي إلى الله ثم لم أردُدْهُما حتى يقضي الله على نفسي، وهو خير الحاكمين؛ وبكىٰ عليه السلام وبكىٰ عبدالملك... الخبر»[١].

ونكتفي بهذا القدر ونترك الخوض في ذكر بعض مراتب الاخلاص الاخرى مما قد يؤدي بنا الى الإطالة والإطناب تجنباً لبعث الملل في الخواطر.

---

(١) بحار الانوار: ج٤٦، ص٥٧.

الباب الرابع

نبذة من آداب القراءة ونفحة من أسرارها

نتعرض في هذا الباب

لتفسير سورة «الحمد» المباركة، ولعبقةٍ من تفسير

سورتي «التوحيد» و«القدر» المباركتين

وهو من أعزّ أبواب هذه الرسالة وقد جعلناه على عدّة مصابيح

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المصباح الأول

في الآداب العامة لتلاوة القرآن الكريم

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الأول

أدب التعظيم

من الآداب الهامة في قراءة الكتاب الإلهي العظيم، والذي يتساوىٰ فيه العارف والعاميّ، والمؤدي الى ظهور أطيب النتائج، والموجب لنورانية القلب وحياة الباطن، هو (التعظيم). ويتوقف تحققه على فهم عظمة الكتاب الإلهي وجلاله وكبريائه.

وهذا المعنىٰ في حقيقته خارج عن نطاق البيان ويفوق طاقة البشر لتوقُّف فهم عظمة أيّ أمرٍ على إدراك حقيقته، وحقيقة القرآن الإلهي المجيد قبل تنزُّله الى المنازل الخلقية وارتدائه أردية الفعليّة من الشؤون الذاتية والحقائق العلمية في «الحضرة الواحدية» وتلك حقيقة «الكلام النفسي» المتمثلة في «المقارعة الذاتية» في «الحضرات الاسمائية»، وهي حقيقة لا يحصل عليها أحدٌ بالعلوم المتعارفة ولا بالمعارف القلبية ولا بالمكاشفة الغيبية عدا ما حصل بالمكاشفة الإلهية التامة للذات المباركة للنبي الخاتم صلى الله عليه وآله في محفل أنس «قاب قوسين» بل في محل خلوة سرّ مقام «أو أدنىٰ». وآمال الأسرة الانسانية قاصرة عن بلوغ ذلك باستثناء الخلّص من أولياء الله عليهم السلام الذين اشتركوا مع روحانية ذات النبي الخاتم صلى الله عليه وآله المقدسة بحسب الأنوار المعنوية والحقائق الإلهية، وفنوا في تلك الحضرة بالتبعية التامة، فهم يتلقّون علوم المكاشفة بالوراثة عنه صلى الله عليه وآله،

فانعكست حقيقة القرآن في قلوبهم بنفس تلك النورانية والكمال اللذين تجلّت حقيقة القرآن بهما في قلبه المبارك صلى الله عليه وآله دون أن تتنزل بالمنازل او ترتدي أردية الاطوار وهذا هو القرآن الخالص من التحريف والتغيير، المأخوذ مباشرة من كتاب الوحي الإلهي.

وإنّ من يستطيع تحمّل هذا القرآن هو الوجود الشريف لوليّ الله المطلق علي بن أبي طالب عليه السلام والآخرون لا يقدرون على الحصول على هذه الحقيقة إلا بعد تنزّلها من مقام الغيب الى الشهادة ومرورها عبر الاطوار الملكية والاكتساء بكسوة الالفاظ والحروف الدنيوية، الأمر الذي يمثل واحداً من معاني «التحريف» الواقع في جميع الكتب الإلهية وفي القرآن الشريف.

فالآيات الكريمة بتمامها وُضعت في متناول البشر وهي تنطوي على بعض التحريفات، بل تنطوي على تحريفات كثيرة تتناسب مع المنازل والمراحل التي طوتها في سيرها من حضرة الاسماء حتى ادنى موضعٍ لها في عوالم الشهادة والملك.

ومراتب التحريف تنطبق مع مراتب بطون القرآن الكريم ـ حذو النعل بالنعل ـ مع فارق أنّ التحريف: تنزّل من الغيب المطلق الى الشهادات المطلقة وبحسب مراتب العوالم، في حين إن البطون: رجوع من الشهادات المطلقة الى الغيب المطلق. وعليه فمبدأ التحريف ومبدأ البطون متعاكسان في الاتجاه، والسالك الى الله يتخلّص ـ بوصوله كلّ مرتبةٍ من البطون ـ من مرتبةٍ من التحريف، حتى اذا وصل البطن المطلق ـ وهو البطن السابع بحسب المراتب العامّة ـ تخلّص من التحريف تماماً.

إذن فقد يكون القرآن الكريم ـ بالنسبة لشخصٍ ما ـ محرّفاً بجميع انواع التحريف، وببعض مراتب التحريف بالنسبة لآخر، وليس محرفاً اصلاً بالنسبة لثالث وهكذا.

ولا بأس بالاشارة هنا ـ رغم ما أسلفنا من القول بأن فهم عظمة القرآن خارج

عن نطاق الإدراك ـ وبشكل إجمالي الى عظمة هذا الكتاب المنزّل والموجود في متناول الناس جميعاً، فإن في ذلك فوائد جمّة:

إعلم أيّها العزيز أنّ عظمة كلام وكتاب تنشأ إما عن عظمة قائله وكاتبه أو عن عظمة المرسل اليه وحامله، او عن عظمة حافظه وحارسه، أو عن عظمة شارحه ومفسره، وإما عن عظمة الوقت الذي أرسل فيه وكيفيته.

فبعض هذه الأمور لها دور في تشكيل تلك العظمة ذاتاً وجوهراً، وبعضها الآخر عرضاً او بالواسطة (بشكل مباشر وغير مباشر)، وبعضها يلعب دور الكاشف لتلك العظمة؛ وهي ـ بعد ذلك ـ متحققة على أتمّ وجه وأوفاه في القرآن الكريم ـ هذه الصحيفة النورانية ـ بل هي من مختصاته لا يشاركه فيها كتابٌ آخر أما بشكل مطلق أو أنه لا يشاركه فيها بجميع المراتب.

أمّا عظمة القرآن بلحاظ قائله ومُنشئه وصاحبه، فهو تعالى العظيم المطلق، وكل ما يمكن تصوره من أشكال العظمة في الملك والملكوت وجميع القدرات المنزلة في عالم الغيب والشهادة، كلّها لا تمثل سوى رشحات من تجلّيات عظمة فعله جَلَّ وعلا. والحقُّ تعالى لا يمكن أن يتجلى لأحدٍ بتجلياته وعظمته إلا بعد آلاف الحجب والستائر، كما في الحديث الشريف: «إنَّ لله سبعين ألف حجاب [من نورٍ وظلمةٍ لو كُشفت لأحرقت سُبحات وجهه مَنْ دونَهُ]»[1]، وهذا الكتاب قد صدر ـ كما يرى اهل المعرفة ـ عن الحق تعالى بمبدئية جميع الشؤون الذاتية والصفاتية والافعالية وبجميع التجليات الجمالية والجلالية وهو بهذا أرفع منزلة من سائر الكتب السماوية.

وأما عظمة القرآن بلحاظ عظمة محتوياته ومقاصده وأهدافه، فالأمر يستلزم لبحثه عقد فصل مستقل بل فصولاً وأبواباً ورسالةً وكتاباً مستقلاً،

---

(١) بحار الانوار: ج٥٨، ص٤٤ وفيه «دون الله سبعون الف حجاب من نور وظلمة ما يسمع من نفس تلك الحجب الّا زهقت نفسه». وفي ص٤٥ عن جبرئيل عليه السلام قال: «لله من دون العرش سبعون حجاباً لو دنونا من أحدها لأحرقتنا سبحات وجه ربنا».

حتى يتضح جانب منه، وسوف نخصص فصلاً مستقلاً للاشارة الى هذا الموضوع اجمالاً مؤكدين عظمة القرآن بلحاظ نتائجه وثمراته.

واما عظمته بلحاظ رسول الوحي وواسطة الإيصال، فهو جبرئيل الأمين والروح الأعظم الذي يتصل به الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله بعد خروجه من جلباب البشرية وتوجيهه شطر القلب الى حضرة الجبروت. وجبرئيل أحد أركان دار التحقق الأربعة، وهو أعظمها وأشرف انواعها، إذ إنه ـ وهو الذات الشريفة النورانية ـ الملك الموكل بالعلم والحكمة وصاحب الارزاق المعنوية والاطعمة الروحانية، ونظرة الى ما ورد في كتاب الله وفي الاحاديث الشريفة تكفي لإدراك مدى الإجلال والتعظيم الذي حُبي به جبرئيل وكيف انه مقدم على سائر الملائكة.

واما عظمة القرآن بلحاظ عظمة المرسل اليه والحامل له، فهو القلب التقيُّ النقيُّ الأحمدي الأحدي الجمعي المحمدي، الذي تجلى فيه الحق تعالى بجميع الشؤون الذاتية والصفاتية والاسمائية والافعالية. وهو صلى الله عليه وآله صاحب ختم النبوة والولاية المطلقة وأكرم البرية وأعظم الخليقة وخلاصة الكون وجوهرة الوجود وعصارة دار التحقق واللبنة الاخيرة وصاحب «البرزخية» الكبرى والخلافة العظمى.

وأما عظمته بلحاظ حافظه وحارسه، فهو الذات المقدسة للحق جل جلاله، كما يقول في الآية الكريمة المباركة ﴿**إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾[1].

وأما بلحاظ شارحه ومبينه فهم المعصومون المطهرون بدءاً برسول الله صلى الله عليه وآله وانتهاءً بحجّة العصر(عجل الله تعالى فرجه)، وهم مفاتيح الوجود ومخازن الكبرياء ومعادن الحكمة والوحي واصول المعارف والعوارف

---

(١) الحجر: ٩.

واصحاب مقام الجمع والتفصيل.

وأما وقت الوحي، فهو ليلة القدر وهي أعظم الليالي فهي ﴿خير من الف شهر﴾[1]، وأشدُّ الازمنة نورانية، وفي الحقيقة فهي وقت وصول الولي المطلق والرسول الخاتم صلى الله عليه وآله.

وأما كيفية الوحي ومراسمه، فهو مما يضيق المجال ببيانه ومما يطول البحث فيه ويتشعب.

(١) القدر: ٣.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الثاني

بيان مقاصد ومطالب ومحتويات الكتاب الإلهي الكريم على نحو الإجمال

اعلم ان هذا الكتاب الشريف ـ كما هو جليٌّ من تصريحاته ـ كتاب الهداية وموجّه السلوك الانساني ومربي النفوس وشفاء للأمراض القلبية ونبراس السير الى الله تعالى.

وعموماً، فإن الله تبارك وتعالى وبناءً على سعة رحمته بعباده قد نزّل هذا الكتاب الشريف من مقام قربه وقدسه ـ بما يناسب العوالم المختلفة ـ حتى وصل الى سجن الطبيعة في العالم الظلماني هذا واكتسى بقوالب الألفاظ وأطر الحروف، سعياً في تخليص المسجونين في سجن الدنيا المظلم هذا، وتحرير المكبلين بسلاسل الآمال والأماني من أغلالهم، ورفعهم من حضيض النقص والضعف والحيوانية الى ذروة الكمال والقوّة الانسانية، ومن مجاورة الشيطان الى مرافقة الملكوتيين، بل للوصول بهم الى مقام القرب وتحقيق مرتبة «لقاء الله» التي تمثل أعظم المقاصد والمطالب عند اهل الله.

وعليه فإن هذا الكتاب، كتاب الدعوة الى الحق والسعادة، والمتكفل ببيان منهج بلوغ هذا المقام. وعلى الاجمال فإن محتوياته تتمثل في كلِّ ما له أثرٌ في

هذا السير والسلوك الالهي او كلّ ما يعين السالك والمسافر الى الله.

وعموماً فإن أحد الاهداف الرئيسة لهذا الكتاب هو الدعوة الى معرفة الله وبيان المعارف الإلهية من شؤون ذاتية واسمائية وصفاتية وافعالية. وأهم من هذا كلّه فإنه وفي سبيل تحقيق هذا الهدف يسعىٰ لإيجاد توحيد الذات والأسماء والأفعال، فقد ذكر بعضها فيه صراحةً، في حين ذُكر البعض الآخر على نحو الإشارة التي تحتاج للتقصي والتتبع.

والجدير بالعلم ان هذه المعارف ـ بدءاً من المعرفة بالذات وانتهاءً بالمعرفة بالافعال ـ وردت في هذا الكتاب الإلهي الجامع بصورة تتيح لكل طبقةٍ إدراك ما يمكنها منها، كما هو الحال في الآيات الواردة في التوحيد مثلاً ـ لاسيما توحيد الافعال ـ فعلماء الظاهر والمحدّثون والفقهاء (رضوان الله عليهم) يفسرونها ويشرحونها على نحوٍ يختلف ويتباين بصورة كاملة عما ينتهجه اهلُ المعرفة وعلماء الباطن من منحى في تفسيرها.

وأنا ـ العبد لله ـ اعتقد بصحة كلا التفسيرين، كلٌ في محلّه. فالقرآن الكريم شفاءٌ للامراض الباطنة، وهو يعالج كلَّ مريضٍ بنحوٍ خاص. فالآيات الكريمة: ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾(١) و﴿الله نور السماوات والأرض﴾(٢) و﴿هو الذي في السماء إلهٌ وفي الأرض إله﴾(٣) و﴿هو معكم﴾(٤) و﴿فأينما تولّوا فثمَّ وجهُ الله﴾(٥) وغيرها مما ورد في توحيد الذات، والآيات الكريمة الواردة في توحيد الصفات، كالآيات الاخيرة من سورة الحشر، و﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾(٦) و﴿الحمد لله رب

(١) الحديد: ٣.
(٢) النور: ٣٥.
(٣) الزخرف: ٨٤.
(٤) الحديد: ٤.
(٥) البقرة: ١١٥.
(٦) الانفال: ١٧.

العالمين﴾ و﴿يسبح لله ما في السماوات وما في الارض﴾[١] وغيرها مما ورد في توحيد الافعال، يدلُّ بعضها على نوع التوحيد بوجه دقيقٍ، في حين إن بعضها يدل على ذلك بنحوٍ عرفاني أدقّ، وهي كلها شفاء لأمراض بذاتها بالنسبة لكلِّ طبقةٍ من طبقات علماء الظاهر والباطن. كذلك فإن بعض الآيات الشريفة كالآيات الاولى من سورة الحديد وآيات سورة التوحيد المباركة قد وردت ـ كما يشير الى ذلك الحديث الشريف المروي في الكافي[٢] ـ للمتعمّقين من اهل آخر الزمان، مع ان اهل الظاهر ايضاً اخذوا منها ما ينفعهم وهذه من معجزات هذا الكتاب الشريف وجامعيته.

ومن مقاصد القرآن المجيد وأهدافه الاخرى، تهذيب النفوس وتطهير البواطن من ارجاس الطبيعة وتحصيل السعادة، وتوضيح كيفيّة السير والسلوك الى الله إجمالاً؛ الأمر العظيم الذي ينقسم الى قسمين هامين: **الأول:** التقوىٰ بجميع مراتبها بضمنها التقوىٰ عن غير الحق والإعراض المطلق عما سواه. **والثاني:** الإيمان بكافة المراتب والشؤون المدرجة فيه من الإقبال على الحق والرجوع والإنابة الى تلك الذات المقدّسة. وهذا من المقاصد المهمة لهذا الكتاب الشريف، واليه ترجع اكثر المطالب بشكل مباشر او غير مباشر.

ومن المطالب الأُخرىٰ في هذه الصحيفة الإلهيّة، قصص الانبياء والاولياء والحكماء وكيفية تربية الحقِّ لهم وكيفية تربيتهم للخلق، وفي ذلك من الفوائد ما لا يحصى ومن التوجيهات ما لا يعدُّ. فقد ورد في هذه القصص من المعارف الإلهية والتعاليم وأشكال الأساليب الإلهية التربوية ـ تصريحاً وتلويحاً ـ ما يحار العقل فيه، فسبحان الله وله الحمدُ والمنّة.

ففي قصّة خلق آدم عليه السلام وأمر الملائكة بالسجود وتعليمه الاسماء، وما جرىٰ بين إبليس وآدم عليه السلام، التي ذكرت كراراً في كتاب الله، قدر من التعاليم

(١) الجمعة: ١ والتغابن: ١.

(٢) راجع اصول الكافي: كتاب التوحيد ـ باب النسبة ـ الحديث الثالث.

والموضوعات التربوية والمعارف والمعالم مما يثير الحيرة حقاً ﴿لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾[١].

وأما العلّة في تكرار القصص القرآني ـ كقصة آدم وموسى وابراهيم وسائر الانبياء عليهم السلام ـ فتكمن في أن هذا الكتاب ليس كتاباً تاريخياً او قصصياً، بل كتاب سيرٍ وسلوكٍ الى الله، وكتاب توحيدٍ ومعارف ومواعظ وحكم، والتكرار في مثل هذه الأمور أمر لا غنى عنه، لضمان التأثير في النفوس القاسية وإيصال العظةِ الى القلوب. وبعبارةٍ اخرى، فإنَّ على من يريد أن يُربّي ويُعلّم وينذر ويبشّر، أن يعبّر عن مراده بتعابير متنوعةٍ وبأشكالٍ من البيان شتى، فبالقصةِ والحكاية تارة وبالتاريخ والنقل تارة اخرى، وبالتصريح المباشر مَرّة وبالتعريض والكناية والتلويح مرة اخرى كي يتحقق للنفوس المختلفة والقلوب الشتى الانتفاع والاستفادة من ذلك. فهذا الكتاب المجيد يهدف لتحقيق السعادة لجميع الطبقات من أبناء البشر، ولما كان بنو الانسان مختلفين في حالات قلوبهم وفي عاداتهم واخلاقهم، تتباين احوالهم بحسب الزمان والمكان، تعذّر تحقيق الهدف بدعوتهم جميعاً بأسلوب واحد، فربَّ نفوسٍ لا يمكنها الاستجابة وأخذ التعاليم بالدعوة المباشرة الصريحة وبعرض المطلوب بشكلٍ مباشر، فهي عديمة التأثر بذلك، لذا وجب اللجوء الى دعوة هذه النفوس وإفهامها المطلوب بطريقةٍ تتناسب وتركيبتها الذهنية.

في حين قد تكون هناك نفوس لا تميل الى القصص والحكايات والتواريخ، بل ترغب في عرض لبِّ المطالب ولُباب المقاصد المرادة من تلك القصص والحكايات، وهذه الطائفة لا يمكن معاملتها بأسلوبٍ مشابه لما تُعامل به الطائفة الأولى.

وقد تكون بعض القلوب مما ينفعها الترهيب والإنذار، فيما يكون الترغيب

(١) ق: ٣٧.

والتبشير مناسباً لقلوبٍ أخرى. ولكلّ ذلك تجد أن القرآن المجيد قد دعا الناس بأساليب مختلفةٍ مستخدماً فنوناً متعددة واساليب متباينة. والتكرار في كتابٍ كالقرآن المجيد أمر حتمي ضروري، والدعوة والموعظة تخرج عن حدّ البلاغة اذا خلت من التكرار والتفنن في العرض ولن يتحقق الهدف المطلوب منها وهو التأثير في النفوس؛ فضلاً عن كل هذا فإن الموضوعات المعروضة في هذا الكتاب الشريف جاءت بطريقةٍ تحول دون إصابة الانسان بالضجر نتيجة تكرارها. ففي كلّ مرّةٍ يتعرض القرآن لذكر الموضوع، يذكر جانباً وأموراً لا تكون مذكورة عند تعرضه له في موضعٍ آخر، فهو في كل مرة يتخذ من نكتةٍ عرفانيةٍ او اخلاقية هامة محوراً يدور الحديث حوله. وبيان هذا الأمر يستلزم استقصاءً كاملاً للقصص القرآني لا يسعه هذا المختصر، وإن لمن آمالي -أنا الضعيف العاجز- تصنيف كتاب بشأن القصص القرآني وحل اسرارها -بتوفيق الله- والاشارة الى اساليبها في التعليم والتربية بالقدر الميسور، وإنْ كان القيام بهذا الأمر أمنية سانحة وخيالاً باطلاً لمن هو مثلي.

على أيّة حال فإن ذكر قصص الانبياء عليهم السلام وطرق سيرهم وسلوكهم واساليب تربيتهم لعباد الله وحكمهم ومواعظهم ومجادلاتهم بالتي هي أحسن يمثل باباً من أوسع ابواب المعارف والحكم، واعظم مداخل السعادة والتعاليم التي فتحها الحقُّ تعالىٰ وجلّ مجده امام عباده. ولا غرو أن يكون -كما أن لأرباب المعرفة واصحاب السلوك والرياضة حظاً وافراً ونصيباً كافياً منها- للآخرين نصيبٌ وافٍ وحظٌ عميم منها ايضاً.

ففي حين يفهم اهل المعرفة من الآية الكريمة: ﴿فلما جنَّ عليه الليل رأى كوكباً... الآية﴾[1] منهج ابراهيم عليه السلام في السلوك والسير ويتعلمون منها طريق السلوك الى الله والسير الى حضرته تعالى، ويدركون منها حقيقة «السير

(١) الانعام: ٧٦.

الأنفسي» والسلوك المعنوي ـ من منتهى ظلمة الطبيعة المعبّر عنها في مسلكهم بـ(جنّ عليه الليل) الى الإلقاء المطلق للإنّية والأنانية والتخلي عن النفس وعن العجب وبلوغ المقام المقدس والدخول في محفل الأنس المشار اليه في مسلكهم بـ﴿وجهت وجهي للذي فطر السماوات﴾(١) ـ نرى أن الآخرين يفهمون منها «السير الآفاقي» وأسلوب خليل الرحمن عليه السلام في تربية أمته وتعليمها.

وعلى هذا المنوال تختلف استفادات اهل المعارف والرياضات والمجاهدات عن استفادات الآخرين عند الاطلاع على سائر القصص والحكايات، كقصة آدم وإبراهيم وموسى ويوسف وعيسى عليهم السلام ولقاء موسى الخضر عليهما السلام. ويدخل ضمن هذا القسم ـ او إنه يشكّل باباً مستقلاً ـ الحكم والمواعظ التي يعرضها الحقّ تعالى، فيدعو عباده اليها ـ كلما سنحت المناسبة ـ او الى المعارف الإلهية والتوحيد والتنزيه، كما في سورة التوحيد المباركة وأواخر سورة الحشر وأوائل سورة الحديد وسائر الموارد الأخرى في الكتاب الإلهي المجيد.

ولأصحاب القلوب والسابقين بالحسنى استفادات لا تحصى في هذا الباب. فمثلاً يستفيد اصحاب المعارف من الآية الكريمة: ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله﴾(٢) قرب النافلة والفريضة، في حين يفهم الآخرون منها الخروج بدنياً والهجرة الى مكة أو المدينة.

او يستفيدون من الآية الكريمة: ﴿قد أفلح من زكّاها * وقد خاب من دساها﴾(٣) الدعوة الى تهذيب النفوس وممارسة الرياضات الباطنية، او الدعوة الى العمل الصالح ـ كما هو معلوم ـ او التحذير مما يقابل كل واحدٍ من تلك الأمور.

---

(١) الانعام: ٧٩.

(٢) النساء: ١٠٠.

(٣) الشمس: ٩.

كما يدخلُ في هذا الباب حكم لقمان وسائر العظماء والمؤمنين المذكورة في هذه الصحيفة الإلهية في موارد مختلفة كقصة اصحاب الكهف وما تعرضوا له من احداث.

ومن الموضوعات الاخرى التي زخرت بها هذه الصحيفة النورانية، بيان احوال الكفار والجاحدين وأعداء الحقِّ والحقيقة والمعاندين للأنبياء والاولياء عليهم السلام، واستعراض عواقب امورهم وما يتعرضون له من البوارِ والهلاك، كما في قصة فرعون وقارون والنمرود وشدّاد واصحاب الفيل وغيرهم من الكفّار والفجّار، إذ إن في كلّ واحدةٍ من تلك القصص مواعظ وحِكماً، بل معارف لأهلها لا تحصىٰ.

ويدخل في هذا الباب قصص ابليس الملعون، وكذلك ـ ولعلّه باب مستقل ـ غزوات رسول الله صلى الله عليه وآله، الباب الذي ينطوي على مطالب سامية، أحدها: استعراض اساليب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في الجهاد، وذلك بهدف إيقاظ سائرالمسلمين من نوم الغفلة وتحريضهم على النهوض والجهاد في سبيل الله وإحياء كلمة الحق وإماتة الباطل.

ومن الموضوعات الاخرى التي تصدى لها القرآن الكريم، بيان الاحكام الخاصة بظاهر الشريعة، وتوضيح الآداب والسنن الإلهية؛ فقد تصدىٰ القرآن الكريم، الكتاب النوراني، لذكر أساسياتها. والاصل في هذا القسم، الدعوة الى أمهات المطالب والضوابط، كالصلاة والزكاة والخمس والحج والصوم والجهاد والنكاح والإرث والقصاص والحدود والتجارة وامثالها، ولما كان النفع المتأتي من هذا القسم ـ وهو علم ظاهر الشريعة ـ يعمُّ الجميع، وانه قد جُعل لإعمار الدنيا والآخرة لجميع الطبقات، وأُريد به تحقيق النفع للجميع وكلٌّ على قدره، فقد وردت الدعوة اليه بكثرةٍ في كتاب الله، كما عرضت الكثير من خصوصياته وتفصيلاته في الاحاديث والاخبار والروايات. وبالتالي صارت تصانيف علماء الشريعة في هذا الباب أوفر منها في الأبواب الاخرىٰ.

ومن الموضوعات الاخرى التي عُرضت في القرآن الكريم، أحوال المعاد والأدلة عليه واشكال العذاب والعقاب والجزاء والثواب الموافقة فيه، والتفاصيل المتعلّقة بالجنة والنار والتعذيب والتنعيم.

ويتصدىٰ هذا الباب لذكر درجات وحالات اهل السعادة من اصحاب المعرفة والمقربين ومن اهل الرياضة والسالكين ومن اهل العبادة والناسكين، وحالات ودرجات أهل الشقاء من الكفار والمحجوبين والمنافقين والجاحدين واهل المعصية والفاسقين، ولكن بأسلوبين، فما كان فيه نفع عام، ذُكر بكثرةٍ وبلغةٍ أكثر صراحةً، وأما ما ينفع فئةً بذاتها فقد ذكر على نحو الرمز والاشارة.

فمثلاً يتوجه قوله تعالى: ﴿ورضوان من الله اكبر﴾[1] وغيره من الآيات التي تتحدث عن لقاء الله الى هذه الطائفة، في حين إن قوله تعالى: ﴿كلا انهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون﴾[2] يتوجه الى الطائفة الاخرى.

وفي هذا الباب ـ الذي يتحدث عن المعاد والرجوع الى الله تعالى ـ ذُكرت معارف لا تُحصىٰ واسرار غاية في الخفاء لا تُنال إلا بالسلوك البرهاني او النور العرفاني.

ومن الموضوعات الاخرى الواردة في هذه الصحيفة الإلهية المباركة، أساليب الاحتجاجات والبراهين التي يقيمها الحق تعالىٰ لإثبات المطالب الحقّة والمعارف الإلهية، كإثبات وجود الحق تعالىٰ، والتدليل على التنزيه والعلم والقدرة وسائر صفاته الكمالية. وهنا ايضاً تارةً تطرح براهين دقيقة ينتفع منها أهل المعرفة تماماً، كما في قوله تعالىٰ: ﴿شهد الله أنه لا إله إلّا هو﴾[3]، وتارةً تطرح براهين يستفيد منها الحكماء والعلماء بنحوٍ خاصّ واهل الظاهر وعامّة

---

(١) التوبة: ٧٢.

(٢) المطففين: ١٥.

(٣) آل عمران: ١٨.

الناس بنحوٍ آخر كما في قوله تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهةٌ إلّا الله لفسدتا﴾[1] أو قوله تعالى: ﴿إذاً لذهب كلُّ إله بما خلقَ﴾[2]، او كما في قوله تعالى في الفواتح من سورة الحديد، وفي آيات سورة التوحيد المباركة وغيرها.

او عند الاحتجاج على إثبات المعاد ورجوع الأرواح وإنشاء النشأة الاخرى، أو الاحتجاج على اثبات وجود ملائكة الله، وعلى نبوّة الأنبياء العظام التي وردت في مواضع مختلفةٍ من هذا الكتاب الشريف.

هذا بالنسبة لما احتج به الحق تعالىٰ بذاته، إلا أنه تعالىٰ احياناً ينقل براهين الانبياء والعلماء في إثبات المعارف، كاحتجاجات خليل الرحمن عليه السلام وغيرها.

كانت تلك أمهات الموضوعات التي وردت في هذا الكتاب المجيد، وهناك موضوعات اخرى متفرقة يستلزم إحصاؤها وقتاً أطول.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) الانبياء: ٢٢.

(٢) المؤمنون: ٩١.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الثالث

القرآن كتاب تعليم وإفادة

الآن وقد عرفتَ أهداف هذه الصحيفة الإلهية المباركة وموضوعاتها، عليك أن تضع نُصب عينيك أمراً هاماً يُمهّد الاهتمام به سبيل الاستفادة من الكتاب المجيد ويفتح لقلبك ابواب المعارف والحِكَم، ألا وهو: النظر الى هذا الكتاب الإلهي الشريف نظرة التعلّم، واعتباره كتاب تعليم وإفادة، واعتبارك نفسك مكلفاً بالتعلّم والاستفادة.

ولابد من الاشارة هنا الى اننا لا نقصد بالتعليم والتعلّم والافادة والاستفادة، الجوانب الأُدبية والنحو والصرف او الفصاحة والبلاغة والنكات البيانية والبديعية التي وردت في القرآن الكريم، ولا النظر في قصصه وحكاياته على انها تمثل تاريخاً أو أمراً يراد من خلاله الاطلاع على احوال الامم الغابرة.

فأيٌّ من هذه الامور لايعدُّ من مقاصد القرآن، بل هي غاية في البُعد عن الهدف الاساسي للكتاب الإلهي، لا بل إن السرَّ في قلّة انتفاعنا من هذا الكتاب العظيم هو إما لأننا لا ننظر اليه بعين التعليم والتعلّم، كما هو حالنا غالباً، فنحن نقرأ القرآن لأجل الثواب والأجر، ولذا فنحن لا نهتم سوى بتجويده وقراءته بصورةٍ صحيحة، لكي يعمّنا الثواب، فنتوقف عند هذا الحدّ ونكتفي بهذا المقدار، لذلك نرى أننا قد نقرأ القرآن الكريم على مدى أربعين سنة مثلاً دون الحصول على

فائدة منه سوى أجر القراءة وثوابها. أو أننا قد ننظر اليه نظرة تعليم وتعلّم، غير اننا ننشغل بجوانبه البديعية والبيانية ووجوه الإعجاز فيه، او ما هو أرفع من ذلك قليلاً كالجوانب التاريخية واسباب نزول الآيات واوقاتها والمكيّ والمدني من الآيات والسور، واختلاف القراءات والاختلاف بين المفسرين من العامة والخاصة وسائر الامور الجانبية الاخرى، الخارجة عن اطار مقاصد القرآن الاصلية، والتي تؤدي بذاتها الى الوقوع في الاحتجاب والى الغفلة عن الذكر الإلهي. وقد وجّه كبار مفسري القرآن جُلَّ جهودهم لتصبَّ في واحدٍ او أكثر من هذه الجوانب، فلم يفتحوا للناس باب التعلّم من القرآن الكريم.

وفي اعتقادي انه لم يُكتب لحدِّ الآن تفسير لكتاب الله، فالمعنى العام للتفسير: هو شرح مقاصد ذلك الكتاب وتسليط المساحة الاساسية من الضوء الكاشف على بيان المعنى الذي يريده صاحب الكتاب، ولما كان هذا الكتاب السماوي الشريف ـ كما يشهد الله تعالى ـ كتاب هداية وتعليم ونبراس طريق السلوك الانساني، لذا وجب على المفسّر أن يوجّه المتعلّم ـ من خلال كل قصّة من قصصه، بل كل آية من آياته ـ نحو الاهتداء الى عالم الغيب والى حيث تكون العلامات التي تؤدي الى طريق السعادة وسلوك طريق المعرفة الانسانية.

والمفسّرُ إنما يكون مفسراً، عندما يفهمنا (الهدف) من النزول وليس (سببه) ـ كما هو المتعارف في التفاسير ـ فكم من المعارف والمواعظ الجليلة والخفيّة تكمن في قصة آدم وحوّاء مثلاً وما جرى لهما مع ابليس منذ بداية خلقهم وحتى نزولهم الى الارض، والتي ذكرها الحقُّ تعالى في كتابه مراراً، وكم توضحُ لنا من معايب النفس والاخلاق الإبليسية والكمالات النفسية والمعارف الانسانية، والحال اننا غافلون عنها!

وعموماً، فإن كتاب الله، هو كتاب المعرفة والاخلاق والدعوة الى السعادة والكمال، لذا وجب أن يكون كتاب «التفسير» كتاباً عرفانياً اخلاقياً مبيناً للجوانب العرفانية والاخلاقية وسائر الجوانب الداعية الى السعادة فيه،

والمفسِّرُ الذي يهمل هذه الجوانب او يغفل عنها او لا يهتم بها، غافل هو عن اهداف القرآن والغاية الاساسية من انزال الكتب وارسال الرسل؛ وهو خطأ فادح أدّى الى حرمان هذه الأمة ـ لقرون ـ من الاستفادة من القرآن الكريم وإغلاق طريق الهداية بوجه الناس.

ان علينا ـ فضلاً عن البحث العقلي البرهاني الذي يوصلنا الى فهم الهدف من التنزيل ـ ان نستدل هذا الهدف من الكتاب ذاته، فمصنّف الكتاب اعرف بأهدافه ومقاصده، فلنتأمل قليلاً الآن فيما يقوله المصنف بما يرتبط بشؤون القرآن.

يقول تعالى: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾[1] فقد وصفه بأنه كتاب هداية. ويقول تعالى في سورة قصيرة: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مُدّكر﴾[2].

ويقول: ﴿وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّل اليهم ولعلهم يتفكرون﴾[3].

ويقول: ﴿كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدَّبَّروا آياته وليتذكَّرَ أولو الألباب﴾[4] الى غير ذلك من الآيات الكريمة التي يطول ذكرها.

عموماً، لا نريد من هذا الكلام التعرض لنقد التفاسير، إذ إن كلَّ مفسر من المفسرين قد تحمل مشاق كثيرةً واشكالاً من العناء لكي يصنف كتاباً قيماً، فللّه درُّهم وعلى الله أجرهم، إنما نريد تأكيد ضرورة تمهيد سُبُل الاستفادة من هذا الكتاب الكريم أمام الناس، فهو الكتاب الفريد في السلوك الى الله، والوتر في تهذيب النفوس وفي الآداب والسنن الإلهية والوسيلة العظمى للارتباط بين الخالق والخلق، والعروة الوثقى والحبلُ المتين للتمسّك بعزِّ الربوبية.

---

(١) البقرة: ٢.

(٢) القمر: ١٧.

(٣) النحل: ٤٤.

(٤) ص: ٢٩.

لذا فإن على العلماء والمفسرين أن يصنّفوا تفاسير باللغة الفارسية والعربية يكون هدفهم فيها بيان التعاليم والمناهج العرفانية والاخلاقية وبيان اساليب ربط المخلوق بالخالق، وتوضيح المراد من الهجرة من دار الغرور الى دار السرور والخلود، وعلى النحو الذي أُودع في هذا الكتاب الكريم.

إن صاحب هذا الكتاب ليس «السكاكي» او «الشيخ» ليكون هدفه فيه جوانب البلاغة والفصاحة، ولا هو «سيبويه» او «الخليل» ليكون هدفه النحو والصرف، كما انه ليس «المسعودي» او «ابن خلكان» ليكون بحثه في تاريخ العالم.

ان هذا الكتاب ليس كعصا «موسىٰ» ويده البيضاء، ولا كأنفاس «عيسىٰ» الذي كان يحيي الموتىٰ، فهو لم ينزّل ليكون معجزة تدلل على صدق النبي الأكرم فقط، وانما هو كتابٌ لإحياء القلوب بحياة العلم والمعارف الإلهية السرمدية، إنه كتاب الله جلّ وعلا الداعي الى الشؤون الإلهية. وعلى المفسر أن يُعلّم الناس الشؤون الإلهية، كما أن على العباد أن يرجعوا اليه من اجل تعلّم الشؤون الإلهية لكي تتحقق الاستفادة منه، فقد قال تعالى: ﴿وننزِّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلّا خسارا﴾[1] وأيّة خسارة أكبر من المواظبة على قراءة هذا الكتاب الإلهي مدة ثلاثين أو أربعين عاماً ومراجعة التفاسير، ولكن دون الوقوف على أهدافه السامية؟ ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإنْ لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾[2].

---

(١) الاسراء: ٨٢.

(٢) الاعراف: ٢٣.

الفصل الرابع

إزالة الحجب المانعة من التعلّم

الآن، وقد توضحت عظمة كتاب الله من جميع جوانبه وتمهدت سبيل الاستفادة من مطالبه، وجب على المتعلّم والمستفيد من كتاب الله ان يتحلى بأدبٍ آخر من الآداب المهمّة في هذا الباب لكي تتحقق الاستفادة وهو: رفع موانع الاستفادة التي نعبّر عنها بالحجب الحائلة بين المستفيد والقرآن الكريم، وهي كثيرةٌ نشير الى بعضها:

أحد الحجب الكبيرة الذي يجعل الشخص المتعلّم يرى نفسه مستغنياً لا حاجة له للاستفادة، هو حجاب «العجب» الذي يعدُّ من مكائد الشيطان الخطيرة. فهو يصوّر للانسان دوماً وجود الكمالات الموهومة، ويقنعه بالرضا بما عنده، ويجعله يستهين بكل ما عدا ذلك، فيجعل اهل التجويد مثلاً قانعين بهذا الفن البسيط، ويصوّر لهم ان لهذا العلم محاسن كثيرة تفوق ما للعلوم الاخرى، وانهم يمثلون مصداق «حملةِ القرآن» فيحرمهم من فهم الكتاب الإلهي النوراني والاستفادة منه.

وهكذا يفعل بأهل النواحي الادبية فيقنعهم بهذا الجانب الأجوف، ويصوّر لهم أن كل الشؤون القرآنية تنحصر فيما يمتلكونه لا غير، كما يشغل اهل التفسير ـ بالنحو المشهور ـ بوجوه القراءات والآراء المختلفة للغويين وأوقات

النزول وشأن النزول والمدني والمكيّ من الآيات وعدد الآيات والحروف وأمثال هذه الأمور.

كما يقنع اهل العلوم بالاكتفاء بمعرفة الدلالات ووجوه الاحتجاجات وامثال ذلك فقط. بل إنه يحبس حتى الفلاسفة او الحكماء او العارفين ـ بالمعنى المصطلح عليه ـ في محبس الحجب الكثيفة للمصطلحات والالفاظ وامثالها.

إن على الساعي للاستفادة أن يخرق جميع هذه الحجب وينظر الى القرآن من خلف هذه الحجب، فعليه أن لا يتوقف عند أيٍّ منها لكي يلحق بقافلة السالكين الى الله، ولا يحرم من الدعوات اللطيفة التي يوجهها الله تعالىٰ اليه.

والأمر بعدم الوقوف عند حدٍّ معين والاقتناع به يُستفاد من القرآن الكريم نفسه، فقد وردت الكثير من الاشارات الى هذا المعنى في القصص القرآني، فلم يقنع موسىٰ كليم الله عليه السلام بمقام النبوة الشامخ، ولم يقف عند مقامه العلمي الرفيع، فهو ما إن التقىٰ شخصاً كاملاً كالخضر حتى بادرهُ بالطلب وبمنتهىٰ التواضع والخضوع: ﴿هل أتّبِعُكَ علىٰ أن تعلِّمَنِ مما عُلِّمت رُشداً﴾[1]، ولازمه حتى حصل على العلوم التي كان ينبغي له أن يستفيدها منه.

ولم يتوقف ابراهيم عليه السلام عند مقام الايمان والعلم العظيم الخاص بالانبياء عليهم السلام بل قال: ﴿ربِّ أرني كيف تحيي الموتىٰ﴾[2] ليرتقي من مقام الايمان القلبي الى مقام الاطمئنان الشهودي.

إن ما يأمر الله تبارك وتعالىٰ به «خاتم المراتب» صلى الله عليه وآله ـ أعرف خلقه على الاطلاق ـ بالآية الكريمة: ﴿وقُل رَبِّ زدني علماً﴾[3] وسائر الأوامر الواردة في الكتاب الإلهي، وقصص الانبياء عليهم السلام التي ينقلها، انما تستهدف توعيتنا وإيقاظنا من نوم الغفلة الذي نغطُّ فيه.

---

(١) الكهف: ٦٦.

(٢) البقرة: ٢٦٠.

(٣) طه: ١١٤.

من الحجب الاخرى حجاب الآراء الفاسدة والمسالك والمذاهب الباطلة، والذي ينشأ من سوء استعداد الشخص نفسه احياناً، ومن الاتباع والتقليد في أغلب الأحيان. وهو من الحجب التي تحجبنا عن خصوص معارف القرآن الكريم، فإذا ترسخ في قلوبنا اعتقاد فاسد نتيجة التلقي عن الأب او الأم او بعض الجُهّال من اهل المنبر مثلاً، فإن هذا الاعتقاد يصبح حاجباً بيننا وبين الآيات الإلهية الشريفة، ولو أن آلاف الآيات والاحاديث الشريفة وردت بما يعارض ذلك الاعتقاد لعمدنا الى صرفها عن ظاهرها، او عدم النظر اليها بنظرة فهم، والامثلة على هذه الاعتقادات والمعارف الباطلة كثيرة، أعرض عن ذكرها لعلمي أن هذا الحجاب لا يُخرقُ بأقوال أمثالي، ولكني اشير الى نموذج واحدٍ يسهل إدراكه عموماً.

فلو أنك نظرت الى الآيات التي تتحدث عن لقاء الله ومعرفته والأحاديث الواردة في هذا الشأن لوجدت أنها كثيرة جداً، أضف إليها الإشارات والتلميحات والتصريحات المتوافرة في أدعية الأئمة عليهم السلام ومناجاتهم، ولكن رغم ذلك ترى البعض -ونتيجة لبعض الاعتقادات التي ابتدعها وروّج لها بعض الجهّال من القول بإغلاق السبيل الى معرفة الله تماماً نتيجة قياس معرفة الله ومشاهدة الجمال بالتفكر بالذات الإلهية بذلك الشكل المنهيّ عنه، بل الممتنع اصلاً- يؤوّلون كل تلك الآيات والروايات او يحجمون عن دخول هذا الميدان اصلاً، فيُحرمون بذلك من المعارف التي تقرُّ بها عيون الانبياء والاولياء عليهم السلام.

إن لمما يبعث على عظيم الأسف لدى اهل الله، هو قيامَ تلك الفئة بإغلاق بابٍ من المعرفة -يمكن القول عنها بأنها تمثل غاية بعثة الانبياء ومنتهى مطلوب الاولياء- والاصرار على ذلك الى الحدِّ الذي يجعل الحديث عن ذلك كفراً محضاً وزندقةً صرفة. فهؤلاء يضعون معارف الانبياء والاولياء ومعارف العوام والنساء فيما يتعلّق بذات الحق وأسمائه وصفاته في مستوىً واحد، بل يرجّحون الاخيرة -احياناً- على الأولى، فيقولون: إن لفلانٍ عقائد عاميّة جيدة!

فياليت لي مثل تلك العقائد العامية!!

والمسكين محقٌّ فيما يقول، فهو فاقد للعقائد العامية من جانب، وينظر الى المعارف الاخرى ـ وهي معارف الخواص واهل الله ـ بنظرة البطلان من جانب آخر. فأمنيته تماماً كأمنية الكافر التي تنقلها الآية الكريمة: **﴿ويقول الكافر ياليتني كنت تُراباً﴾**[١].

ولو اردنا استقصاء الآيات والاخبار الواردة بخصوص موضوع لقاء الله، لإيضاح تهافت هذه العقيدة الفاسدة، الناشئة عن الجهل والغرور الشيطاني لاستلزم الأمر كتاباً مستقلاً، ناهيك عمّا يتطلبه الخوض في تفاصيل الموضوع لتبيان المعارف التي طوتها ستائر النسيان نتيجة هذا الحجاب الشيطاني الكثيف، ولإثبات أن ذلك هو الذي أدّى الى درجةٍ من درجات الابتعاد عن القرآن الكريم وهجره، بل لعلّهُ أكثر الامور مبعثاً للأسف كما تعبر الآية الكريمة: **﴿وقال الرسولُ يا ربِّ إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا﴾**[٢]. فلهجر القرآن مراتبُ ومنازل لا تُحصىٰ ولعلّنا متصفون بالأساسيّ منها، وإلّا أفَلَسنا نتخذ القرآن مهجوراً عندما نضع هذه الصحيفة الإلهية في جلدٍ ثمين ونقبله ونضعه على أعيننا فقط حين الاستخارة؟! وهل سنُخرج هذا الكتاب الشريف من حالة المهجورية اذا صرفنا جُلَّ أعمارنا في تجويده وفي جوانبه اللغوية والبيانية والبديعية؟! أم هل سنتخلص من عار الابتعاد عن القرآن اذا تعلّمنا قراءاته المختلفة وامثال ذلك؟

وهل سينقذنا تعلّم وجوه إعجاز القرآن وفنون محسناته من شكوىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله؟

هيهات هيهات، فليس في كلّ هذه الامور ما يمثل مُراد القرآن ومنزِّله العظيم جلَّ وعلا.

---

(١) النبأ: ٤٠.

(٢) الفرقان: ٣٠.

ان القرآن كتابٌ الهيٌّ يضمُّ الشؤون الإلهية، وهوَ الحبل المتصل بين الخالق والمخلوق، وبتعليماته يجب إقامة الرابطة المعنوية والارتباط الغيبي بين عباد الله ومرّبيهم، ومن القرآن ينبغي لنا تحصيل العلوم الإلهية والمعارف اللدنيّة، يقول رسول الله ﷺ: «انما العلمُ ثلاثة: آية محكمة وفريضةٌ عادلة وسُنّةٌ قائمةٌ»[1]. والقرآن المجيد حاملُ هذه العلوم، وإذا تعلمناها منه، اتخذنا القرآن غير مهجور، فإذا ما قبلنا دعوات القرآن الكريم، واخذنا بما يجب من قصص الانبياء عليهم السلام المشحونة بالمواعظ والمعارف والحكم، واذا تعظنا بمواعظ الله تعالى ومواعظ أنبيائه والحكماء المذكورة في القرآن الكريم، نكون حينئذٍ غير هاجرين للقرآن؛ وإلّا فإن التعمّق في صورة ظاهر القرآن، هو إخلادٌ الى الارض ايضاً، وهو بعد ذلك من وساوس الشيطان التي يجب الاستعاذة بالله منها.

من الحجب الاخرى الحائلة دون الاستفادة من هذه الصحيفة الإلهية المقدسة، الاعتقاد بعدم جواز تجاوز ما كتبه المفسرون او فهموه عن القرآن الكريم، وفي هذا الاعتقاد خلط بين التفكّر والتدبر في الآيات الكريمة من جهة وبين التفسير بالرأي المنهي عنه من جهة اخرى.

وبهذا الرأي الفاسد والعقيدة الباطلة يُجرّد القرآن الكريم من كافة فنون الإفادة ويُصبح مهجوراً تماماً، والحال ان الاستفادات الاخلاقية والايمانية والعرفانية لا ترتبط بالتفسير اساساً، فما بالك بارتباطها بالتفسير بالرأي!

فلو أن شخصاً قرأ وتأمل في المحاورة التي جرت بين موسىٰ والخضر وطبيعة التعامل فيما بينهما وقيام موسىٰ بشدّ رحاله ـ مع سمو مقام نبوته ـ طلباً لعلمٍ لم يكن عنده، وكيفية عرضه حاجته على الخضر بالنحو الوارد في الآية الكريمة: ﴿هل أتّبعك على أن تعلّمن مما عُلّمتَ رشداً﴾[2]، وجواب الخضر واعتذارات موسىٰ المتكررة، ثم استفاد من كلّ ذلك عظمة مقام العلم

(١) الاصول من الكافي: كتاب فضل العلم ـ باب صفة العلم وفضله ـ الحديث الاول.

(٢) الكهف: ٦٦.

وبعض آداب تعامل المتعلّم مع المعلم التي قد يصل ما ورد منها في تلك الآيات ما يقرب من العشرين أدباً، فما علاقة هذه الاستفادات بالتفسير حتى تكون تفسيراً بالرأي؟! وهكذا هو الحال مع الكثير من الاستفادات المستحصلة من القرآن الكريم.

كذلك في المعارف، فلو أن أحداً استفاد من قوله تعالى: ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾ ـ الذي يحصُر جميع المحامد ويخصص جميع اشكال الثناء بالحق تعالى ـ التوحيد الأفعالي، ثم قال: يستفاد من الآية الكريمة أن كلّ جمال وعزّة وجلال في العالم مما تنسبه العين الحولاء والقلب المحجوب الى الموجودات انما هو من الحقّ تعالى، وأن ليس لأيّ موجود شيءٌ من نفسه، لذا كان الحمد والثناء مختصاً بالحق تعالى لا يشاركه فيه أحدٌ.

فما علاقةُ مثل هذه الاستفادة بالتفسير اصلاً، حتى تكون تفسيراً بالرأي أم لا تكون؟

الى غير ذلك من الأمور المستفادة من معاني الكلام والتي لا ترتبط بالتفسير بأيّ وجه. فضلاً عن أن هناك كلاماً في التفسير بالرأي ايضاً، قد لا يكون مرتبطاً بآيات المعارف والعلوم العقلية الموافقة للمعايير البرهانية والآيات الاخلاقية التي يؤدي العقل فيها دوراً معيناً. إذ إن هذه التفاسير تطابق البرهان العقلي المتين او الاعتبارات العقلية الواضحة، بحيث لو خالفها ظاهر الآيات لوجب صرف الآيات عن ظواهرها.

فمثلاً الآيات الكريمة: ﴿**وجاء ربك...**﴾[1] و﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾[2] يخالف فهمهما عرفياً المنهج البرهاني، لذا فإن ردَّ هذا الظاهر وتفسير الآيات بما يطابق البرهان ليس تفسيراً بالرأي، وبالتالي فهو ليس أمراً منهياً عنه.

---

(١) الفجر: ٢٢.

(٢) طه: ٥.

ومن هنا، فإن من المحتمل، بل إنّ المظنون أن التفسير بالرأي يتعلق بآيات الاحكام التي لا تصلها الآراء والعقول، والتي يجب أخذها بحالة التعبد الصرف والانقياد التام من خُزّان الوحي ومهابط ملائكة الله، كما هو الحال مع اكثر الروايات الشريفة الواردة في هذا الباب والتي وردت لمواجهة فقهاء العامّة الذين أرادوا أن يفهموا دين الله بعقولهم وبالقياس.

كذلك فإن ما ورد في الروايات الشريفة من أنه «**ليس شيءٌ أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن**»[١] و«**ان دين الله لايصاب بالعقول**»[٢] دليل واضح على ان المراد من «دين الله» هو «الأحكام التعبدية» للدين، وإلّا فإن البحث في إثبات الخالق والتوحيد والتنزيه وإثبات المعاد والنبوّة بل مطلق المعارف، هي حقٌّ مطلق للعقول ومن مختصاتها، واذا كان قد ورد في كلام بعض المحدثين الكبار: «إن إثبات التوحيد يجب أن يكون بالاعتماد على الدليل النقلي» فإن ذلك من غرائب الامور بل من المصائب التي يجب الاستعاذة بالله منها، وهو كلام لا يحتاج الى الاستهجان والتضعيف، والى الله المشتكى.

ومن الحجب الاخرى المانعة من فهم القرآن الكريم والاستفادة من معارف هذا الكتاب السماوي ومواعظه، هو حجاب المعاصي والأدران المتراكمة نتيجة الطغيان والتمرّد على الحضرة المقدّسة لرب العالمين، والتي تحجب القلب عن إدراك الحقائق.

ولا يخفى أن لكلّ الاعمال الصالحة او السيئة صورةً في ملكوت النفس مثلما أن لها صورةً تناسبها في عالم الملكوت، وأن هذه الصورة إما أن تؤدي الى نورانيةٍ في باطن ملكوت النفس تطهّر القلب وتنوّره، وفي هذه الحالة تصبح النفس كمرآةٍ صقيلة صافية مؤهلة للتجليات الغيبية وظهور الحقائق والمعارف فيها، أو أن تؤدي الى أن يصبح ملكوت النفس ظلمانياً كَدِراً؛ وفي هذه

---

(١) بحار الانوار: ج٨٩، ص٩٥ وتفسير العياشي: ج١، ص١٢.

(٢) بحار الانوار: ج٢، ص٣٠٣.

الحالة يكون القلب كمرآةٍ صدئةٍ معتمةٍ لا تنعكس فيها المعارف الإلهية والحقائق الغيبية، والقلب ما إن يُصبح على هذه الحالة حتى يقع فريسةً لسلطة الشيطان الذي يصبح هو المتصرّف في مملكة الروح، فيُخضع السمع والبصر وسائر القوىٰ لسلطته، وعندها يُصمُّ السمع تماماً عن المعارف والمواعظ الإلهية، وتعجز العين عن رؤية الآيات الإلهية الباهرة، فتعمىٰ عن الحق وآثاره وآياته، ويفقد القلب الفقاهة في الدين ويحرم من الآيات والبينات ومن تذكر الحق وأسمائه وصفاته، كما في قوله تعالىٰ: ﴿**لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضلّ**﴾[1]، فتصبح نظرتهم الى العالم كنظرة الأنعام والحيوانات خالية من الاعتبار والتدبّر، وتصير قلوبهم كقلوب الحيوانات لا تنتفع من التفكر والتذكر، بل تتفاقم حالة الغفلة والاستكبار عن التفكّر في الآيات والاستماع للمواعظ والمعارف فيهم، فهم إذن أسوأ من الحيوان وأضلُّ سبيلاً.

ومن الحجب الكثيفة الأخرى حجاب حبّ الدنيا، وهو ستارة ثقيلة بيننا وبين معارف القرآن ومواعظه، ونتيجة لوجودها فإن القلب يصرف كلّ همه للدنيا، فتصير وجهته دنيوية تماماً، ويغفل بسبب هذا الحبّ عن ذكر الله، ويُعرض عن الذكر والمذكور، وكلما ازداد تعلّقه بالدنيا ومظاهرها ازداد حجاب القلب سمكاً وكثافة، حتى يطغىٰ هذا التعلّق على القلب ويستحكم سلطان حبِّ الشرف والجاه عليه، بحيث ينطفئ نور فطرة الله تماماً، وتغلق ابواب السعادة بوجه الانسان، ولعلّ (الأقفال) التي تشير اليها الآية الكريمة: ﴿**أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوبٍ أقفالها**﴾[2] يُراد بها أغلال وقيود التعلق بالدنيا هذه.

فإن مَن يُريد الاستفادة من معارف القرآن والانتفاع من المواعظ الإلهية، عليه أن يُطهّر القلب من هذه الأرجاس ويفرغه من لوث المعاصي القلبية

---

(١) الاعراف: ١٧٩.

(٢) محمد: ٢٤.

المتمثلة بالاشتغال بغير الحق، فغير المطهّر من القلوب لا يؤتمن على الأسرار، قال تعالىٰ: ﴿**إنه لقرآن كريم* في كتابٍ مكنون* لا يمسّهُ إلّا المطهرون**﴾(١)، فكما أن مسّ ظاهر هذا الكتاب أمرٌ محرَّمٌ ـ تشريعاً وتكليفاً ـ على غير طاهر الظاهر في عالم الظاهر، كذلك فإن معارف القرآن الكريم ومواعظه وباطنه وسرّه محرّمةٌ على من كان قلبه ملوثاً بأرجاس التعلقات الدنيوية. قال تعالىٰ: ﴿**ذلك الكتابُ لا ريب فيه هدى للمتقين**﴾(٢). فغير المتقي وغير المؤمن ـ بحسب تقوىٰ وإيمان العامّة ـ محروم من الأنوار الصوريّة لمواعظ القرآن وعقائده الحقّة، وغير المتقي وغير المؤمن ـ بحسب المراتب الاخرى للتقوىٰ وهي تقوىٰ الخاصة وخاصة الخاصة وأخصّ الخواص ـ محروم من المراتب الأخرى لمعارف القرآن ومواعظه، والتوسع في أطراف هذا الموضوع وذكر الآيات الدالة على المقصود يؤدي الى التطويل، لذا فإننا نختتم هذا الفصل بآية الهيّة كريمة، فيها الكفاية لأهل اليقظة، شريطة التدبر فيها:

قال تبارك وتعالىٰ: ﴿**قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبين* يهدي به الله من اتّبع رضوانه سُبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور ويهديهم الى صراط مستقيم**﴾(٣).

وخصوصيات هذه الآية الكريمة كثيرة، يستلزم استقصاؤها والحديث عنها رسالةً مستقلة مما لا تستوعبه هذه العجالة.

---

(١) الواقعة: ٧٧ ـ ٧٩.

(٢) البقرة: ٢.

(٣) المائدة: ١٥ ـ ١٦.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الخامس

التفكّر

من آداب تلاوة القرآن الكريم حضور القلب، وقد مرّ ذكره ضمن الآداب العامّة للعبادات من هذه الرسالة فلا ضرورة لإعادته. ونواصل هنا الحديث عن أدبٍ هامٍّ آخر من آداب تلاوة القرآن، وهو «التفكّر».

والمراد من التفكّر: البحث عن المقصد والمقصود في الآيات الكريمة، وحيث ان مقصد القرآن ـ كما تصرّح الصحيفة الإلهية ذاتها به ـ هو الهداية الى سُبُل السلام والخروج من كافة مراتب الظلمات الى عالم النور وهداية الطريق المستقيم، فعلى الانسان ان يعرف من خلال التفكّر في الآيات الكريمة مراتب السلام بدءاً من مرتبته الدنيا المرتبطة بالقوى الملكية وانتهاءً الى منتهى نهايته المتمثلة في حقيقة القلب السليم وفق التفسير الوارد عن أهل البيت وهو ملاقاة الحق وليس في القلب غيره[1].

كما يجب ان تكون سلامة القوى الملكية والملكوتية هي ضالّة القارئ للقرآن، والتي يجب ان يبحث عنها في هذا الكتاب السماوي للعثور عليها «بالتفكّر». فإن القوى الانسانية اذا سلمت من السلطة الشيطانية وعثر الانسان على سبيل

(١) راجع الاصول من الكافي: كتاب الايمان والكفر ـ باب الاخلاص ـ الحديث الخامس.

السلامة وعمل بمقتضاه فإنه سينجو ـ مع كل مرتبة من السلامة ـ من إحدى الظلمات ويتجلىٰ فيه نور الهيٌّ ساطعٌ، حتى اذا نجا من جميع انواع الظلمات ـ بدءاً من ظلمات عالم الطبيعة بجميع شؤونها وانتهاءً بظلمة التوجّه نحو الكثرة بكافة شؤونها ـ تجلى في قلبه النور المطلق، وهداه الى طريق الانسانية المستقيم، والمتمثل بطريق الرب في هذا المقام: **﴿إن ربي على صراطٍ مستقيم﴾**[1].

وقد أكثر القرآن المجيد من الدعوة الى التفكّر ومدحه والحثّ عليه، قالَ تعالى: **﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبيّن للناس ما نُزِّل اليهم ولعلهم يتفكرون﴾**[2].

ففي هذه الآية الكريمة مدح عظيم للتفكّر، حيث إنها جعلت من «احتمال التفكّر» الغاية من انزال هذا الكتاب السماوي العظيم والصحيفة النورانية العظمىٰ، وهذا دليل على شدّة الاهتمام بالتفكر، ذلك لأن الآية عدّت مجرد احتماله موجباً لمثل هذه الكرامة العظيمة.

ويقول تعالىٰ: **﴿فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾**[3]. وهناك كثيرٌ من الآيات التي تعضد هذا المعنىٰ او تقترب منه؛ أضف إلى ذلك الكثير مما ورد من الأحاديث حول موضوع التفكّر.

رُوي أن الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله عندما نزلت الآية الكريمة: **﴿إن في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار... الآية﴾**[4] قال: **«ويل لمن قرأها ولم يتفكّر فيها»**[5].

على أيّة حال، فإن مما لاشكَّ فيه أن التفكّر ممدوح في القرآن والسُنّة، غير أن

---

(١) هود: ٥٦.

(٢) النحل: ٤٤.

(٣) الاعراف: ١٧٦.

(٤) آل عمران: ١٩٠.

(٥) مثله في نور الثقلين: ج١، ص٣٥٠ بتفاوت يسير.

المهم هنا هو أن يعرف الانسان نوع التفكّر الممدوح، وافضل ما ورد في توضيح ذلك هو قول الخواجه عبدالله الأنصاري ﷺ إذ يقول: «إعلم أن التفكّر تلمّسُ البصيرة لاستدراك البغية»[1].

أي إنه بحث البصيرة ـ وهي عين القلب ـ سعياً في الوصول الى المقصود والنتيجة ـ وهي غاية كماله ـ ومعلوم ان المقصد والمقصود هو السعادة المطلقة التي تُستحصل بالكمال العلميّ والعملي.

اذن، على الانسان ان يحصل على السعادة وهي نتيجة الانسانية ومقصودها من آيات الكتاب الالهي الكريم وقصصه وحكاياته.

ولما كانت السعادة تتحقق ببلوغ السلامة المطلقة وعالم النور والصراط المستقيم، وجب على الانسان البحث عن سُبل السلامة ومعدن النور المطلق والطريق القويم، من القرآن الكريم، كما تشير الى ذلك الآية الكريمة المتقدمة.

فإذا عَثر القارئُ للقرآن على المقصد، صار يسعىٰ في تحصيله على بصيرةٍ، وتمهّدت له سبيل الاستفادة من القرآن الكريم، وشرّعت له ابواب رحمة الحقّ، فلا يضيّع عمره القصير العزيز ورأسماله في البحث عن السعادة في الأمور التي لا تستهدفها الرسالة، ويجتنب النافل من البحث والكلام في مثل هذا الأمر المهم.

فإذا حدّق ببصر قلبه بهذا المقصود ـ فترةً ـ وتفادىٰ النظر فيما سواه، انفتحت بصيرة قلبه، وصارت «حديداً» واصبح التفكّر في القرآن أمراً عادياً للنفس، وحينئذ تتمهد طرق الاستفادة وتفتح ابواب لم تكن مفتوحة من قبل. واذا به يستفيد من القرآن اموراً ومعارف لم يكن قد استفادها قبل ذلك ابداً، وعندئذٍ يدرك كيف يكون القرآن شفاءً للأمراض القلبية، ويدركُ ما ترمي اليه الآية الكريمة: ﴿**وننزل من القرآن ما هو شفاءٌ ورحمةٌ ولا يزيد الظالمين إلا**

---

(١) منازل السائرين: قسم البدايات ـ باب التفكر.

خساراً﴾[١]، ومعنى قول أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «**تعلّموا القرآن فإنه ربيع القلوب واستشفوا بنوره فإنه شفاءُ للصدور**»[٢]، فلا يبحث ـ بعد ذلك ـ في القرآن الكريم عن شفاء الامراض الجسمانية فحسب، وانما يبحث فيه عما يمثل الغاية الرئيسة له، وهي شفاء الامراض الروحية. فالقرآن لم ينزّل من اجل شفاء الامراض الجسمية أساساً ـ وان كان ذلك يُتحصل منه ايضاً ـ مثلما أن الانبياء عليهم السلام لم يبعثوا من اجل شفاء الامراض الجسمانية ـ وإنْ كانوا يقومون بذلك ـ فهم أطباء النفوس ومشافو القلوب والارواح.

---

(١) الاسراء: ٨٢.

(٢) نهج البلاغة (فيض الاسلام): الخطبة ١٠٩، ص ٣٣٠ وفيها: «وتعلّموا القرآن فإنه احسن الحديث، وتفقهوا فيه فإنّهُ ربيع القلوب. واستشفوا بنوره فإنه شفاء الصدور... الخطبة».

الفصل السادس

التطبيق

من الآداب المهمة لتلاوة القرآن الكريم، والذي يمكّن الانسان من تحقيق نتائج كثيرةٍ واستفادات لا تُحصىٰ، هو أدب «التطبيق»، ونعني به: تطبيق الانسان ما حصل عليه من التفكّر في كلِّ آية من الآيات الكريمة على نفسه، والسعي في سدِّ ما يظهر له من نقائص في نفسه ومعالجة ما يراه من امراض.

فلو نظر مثلاً في قصة آدم عليه السلام واستقصىٰ السبب الذي طُرد الشيطان بسببه من الحضرة المقدسة رغم طول سجوده وعبادته، ووجده، فعليه أن يطهّر نفسه منه لأن مقام القرب الإلهي محلٌّ للمتطهرين، لا يمكن دخوله مع وجود الصفات والاخلاق الشيطانية. والآيات الكريمة تدل على ان منشأ عدم سجود ابليس لآدم عليه السلام هو العُجب والغرور، فقد لجّ في القول: ﴿**أنا خيرٌ منه، خلقتني من نارٍ وخلقته من طين**﴾[1]، فهذا العُجب هو الذي أدى الى حبِّ النفس والفخر الذي يمثل حالة الاستكبار مما أدى الى الاستبداد بالرأي الذي يُمثل العصيان والتمرد، مما أفضىٰ الى طرده من الحضرة القدسية.

ونحن نكيل للشيطان ـ ومنذ نعومة أظفارنا ـ اللعنات ونعدّه مطروداً من

---

(١) الاعراف: ١٢.

الحضرة المقدسة، في حين إننا أنفسنا متّصفون بأوصافه الخبيثة، غافلون عن أن الأمور التي أدّت الى طرد إبليس من الحضرة المقدسة، تؤدي الى طرد غيره كائناً من كان إنْ هو اتصف بها، فلا قيد يجعلها تشمل الشيطان دون غيره، فلا شك أن ما أدى الى إبعاده عن حضرة القرب، سيؤدي الى الحيلولة بيننا وبين الوصول الى تلك الحضرة، وإني لأخشى أن نكون شركاء لإبليس في اللعنات التي نصبُّها عليه.

ولو تفكّرنا في جانب آخر من هذه القصة الشريفة وبحثنا عن علّة سموّ آدم عليه السلام وامتيازه على ملائكة الله، سعياً في الاتصاف ـ ما وسعنا السعي ـ بما أدى الى ذلك، سنرى أن العلّة في ذلك كانت في «تعليم الاسماء». يقول تعالى: ﴿وعلّم آدم الاسماء كلها﴾[1].

وأسمى مرتبة لتعلّم الاسماء هي التحقق بمقام اسماء الله، مثلما أن اسمى مرتبة لإحصاء الاسماء هي التحقق بحقيقتها، الأمر الذي يؤهل الانسان ـ اذا تحقق له ـ للفوز بجنة الاسماء. ورد في الحديث الشريف: «إن لله تسعاً وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة»[2].

والانسان يستطيع ـ بالارتياضات القلبية ـ أن يُصبح مظهراً لأسماء الله وآيةً الهيّة كبرى فيكون وجوده وجوداً ربانياً، وتكون يدُ الجمال والجلال الإلهية هي صاحبة السلطة في مملكة وجوده؛ وفي الحديث الشريف «إن روح المؤمن لأشدُّ اتصالاً بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها»[3] اشارة الى هذا المعنى.

كذلك ورد في الحديث الصحيح: «وإنه [العبد] ليتقرّب إليّ بالنافلة حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به

---

(١) البقرة: ٣١.

(٢) راجع بحار الانوار: ج ٤، ص١٨٦ ـ ١٨٧.

(٣) الاصول من الكافي: كتاب الايمان والكفر ـ باب اخوة المؤمنين بعضهم لبعض ـ الحديث الرابع.

ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها... الحديث»[١].

وجاء ايضاً: **«عليٌّ عين الله ويدُ الله»**[٢]، كما جاء في الحديث عنهم عليهم السلام: **«نحن أسماؤه الحسنى»**[٣]. والشواهد العقليّة والنقلية كثيرةٌ في هذا الباب.

واجمالاً، يجدر بمن يريد تحقيق الفائدة الكافية والحصول على نصيبٍ وافر من القرآن الكريم، تطبيق كل آية من آياته على نفسه، فإذا قرأ مثلاً قوله تعالى: **﴿إنما المؤمنون الذين اذا ذُكر الله وجِلت قُلوبُهُم وإذا تُليت عليهم آياتُهُ زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون... الآية﴾**[٤].

فعليه كسالكٍ أن ينظر في انطباق الأوصاف الثلاثة الواردة في الآية عليه.

فهل قلبه يوجل ويخشى عندما يُذكر الله؟

وهل يزداد نور الايمان في قلبه عندما تُتلى عليه الآيات الالهية الكريمة؟

وهل ثقته وتوكّله هي على الحق تعالى؟

أم هو متخلف عن كل هذه المراتب، محروم من كلّ هذه الخصال؟

ولكي يعرف هل هو يخشى الحق تعالى وهل قلبه خائف منه، عليه أن ينظر في اعماله. فالخائف في محضر الكبرياء لا يتجرأ على ارتكاب سيّئ في محضره المقدس، ولا يهتك الحرمات الالهية في حضور حضرة الحق تعالى.

كذلك فإنه لو كان ذا إيمان يتقوّى بالآيات الإلهية، لكان نور الايمان سارياً الى مملكته الظاهرية ايضاً، فمن غير الممكن ان يكون القلب نورانياً ويكون اللسان والقول والعين والنظر والأُذن والسمع ليس نورانياً. والانسان النورانيّ هو ذلك الذي تشعُّ قواه الملكية والملكوتية بأسرها بالنّور، وهي فضلاً عما تؤديه من دور في توجيه الانسان ذاته نحو السعادة والصراط المستقيم، فإنها تشعُّ

(١) المصدر نفسه: باب من آذى المسلمين واحتقرهم ـ الحديث السابع.

(٢) ورد في إحدى خطب أمير المؤمنين عليه السلام: «وأنا عين الله ولسانه الصادق ويده...». راجع معاني الاخبار: ص١٧ ـ الحديث ١٤ والتوحيد ص٦٥، الباب ٢٢ ـ الحديث الثاني.

(٣) الاصول من الكافي: كتاب التوحيد ـ باب النوادر ـ الحديث الرابع.

(٤) الانفال: ٢.

بالنور على الآخرين ايضاً وتهديهم الى طريق الانسانية.

وكذلك فإن من كان توكّله على الله تعالىٰ، فإنه يائسٌ من الآخرين، مُلقٍ بعبء حاجته وفقره في حضرة الغنيّ المطلق، معتقداً أن أمثاله من الفقراء البائسين عاجزون عن تلبية احتياجاته وسدِّ نقصه.

اذن، على السالك الى الله ان يعرض حاله على القرآن الكريم، وكما أن القرآن الكريم هو المعيار في تمييز الاحاديث والروايات، صحيحها وسقيمها ومعتبرها وغير معتبرها، فكلُّ ما خالف كتاب الله فهو باطل وزخرف، كذلك فإنه المعيار في تشخيص تحقق الاستقامة أو الاعوجاج او السعادة أو الشقاء، فالصحيح المستقيم هو المطابق لكتاب الله، وكما كان خُلق رسول اللهﷺ هو القرآن، كذلك على السالك أن يجعل خُلقه موافقاً للقرآن ليتطابق مع خُلق الولي الكاملﷺ ايضاً؛ والخُلق المخالف لكتاب الله زخرفٌ وباطل.

والأمر يصدق على جميع المعارف وعلى أحوال القلوب والأعمال، باطنها وظاهرها.

فعلى السالك أن يطبّقها جميعاً على ما في كتاب الله ويعرضها عليه لكي يتحقق بحقيقة القرآن، ويصبح هذا الكتاب السماوي صورته الباطنية.

وأنت الكتاب المبين الذي بأحرفه يظهرُ المضمرُ[1]

وهناك آداب اخرى في هذا المقام نُعرض عن ذكرها تجنّباً للإطالة، والله العالم.

---

(١) بيت شعر منسوب الى امير المؤمنينعليه السلام ضمن قصيدة مطلعها:

أتحسبُ أنك جرمٌ صغير وفيك انطوى العالم الأكبر؟

خاتمة

نورد هاهنا طائفةً من الأحاديث الشريفة إتماماً للفائدة وتبركاً بكلام العترة الطاهرة عليهم السلام.

في الكافي وبسند الكليني الى سعد عن الامام الباقر عليه السلام قال: «**يا سعد، تعلّموا القرآن، فإن القرآن يأتي يوم القيامة في أحسن صورة نظر اليها الخلق، والناس صفوف عشرون ومئة ألف صف، ثمانون ألف صف أمّة محمد وأربعون ألف صفّ من سائر الأمم فيأتي على صف المسلمين في صورة رجل فيسلّم، فينظرون اليه ثم يقولون: لا إله إلّا الله الحليم الكريم إن هذا الرجل من المسلمين نعرفه بنعته وصفته....**

الى أن يقول: **ثم يجاوز حتى يأتي صف النبيين والمرسلين في صورة نبي مرسل فينظر النبيون والمرسلون اليه فيشتد لذلك تعجبهم ويقولون: لا إله إلّا الله الحليم الكريم إن هذا النبي مرسل نعرفه بسمته وصفته غير أنه أعطى فضلاً كثيراً.**

قال: **فيجتمعون فيأتون رسول الله صلى الله عليه وآله فيسألونه ويقولون: يا محمد من هذا؟ فيقول لهم: أوَ ما تعرفونه؟ فيقولون ما نعرفه هذا ممن لم يغضب الله عليه، فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله: هذا حجّة الله على خلقه... الحديث**»(١).

والأحاديث بهذا المضمون كثيرةٌ، تدلل جميعها وبوضوح على صحة ما يقوله أهل المعرفة من أنّ لموجودات هذا العالم صوراً أخروية في عالم الآخرة.

وفي الكافي ايضاً، وبسنده الى الامام الباقر عليه السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا أول وافدٍ على العزيز الجبار يوم القيامة، وكتابه وأهل بيتي، ثم أمتي، ثم أسألهم: ما فعلتم بكتاب الله وأهل بيتي**»(٢).

---

(١) الاصول من الكافي: كتاب فضل القرآن ـ الباب الأول ـ الحديث الاول.

(٢) الاصول من الكافي: كتاب فضل القرآن ـ الباب الأول ـ الحديث الرابع.

وفي حديث آخر عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «**اذا جمع الله عزّ وجلّ الأولين والآخرين، إذا هم بشخصٍ قد أقبل لم يُرَ قطُّ أحسن صورة منه، فإذا نظر اليه المؤمنون وهو القرآن قالوا: هذا منا، هذا أحسن شيء رأينا...**

الى أن يقول: **حتى يقف عن يمين العرش فيقول الجبار: وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لأكرمنّ اليوم من أكرمك ولأهيننّ من أهانك**»[1].

ولا يخفى أننا اذا لم نحيِ أحكام القرآن ومعارفه بالعمل بها والتحقق بحقيقتها، فإننا سنعجز في ذلك اليوم عن إعطاء الجواب المناسب لرسول الله صلى الله عليه وآله.

وأيّة إهانة للقرآن الكريم أشدُّ من الإعراض عن مقاصده وعما يدعو اليه؟

إن إكرام القرآن وأهله ـ من أهل بيت العصمة عليهم السلام ـ لا يتحقق فقط بتقبيل غلافه أو تقبيل الأضرحة المقدسة لأهل بيت العصمة عليهم السلام، فهذه مرتبة دانية من الاحترام والإكرام تكون مقبولةً فقط اذا التزمنا بأوامرهم وتوجيهاتهم، وإلّا فإنها ستكون أشبه بالسخرية والاستهزاء؛ كذلك فقد حذّرت الاحاديث الشريفة بشدةٍ من قراءة القرآن وعدم العمل به.

ففي كتاب (عقاب الاعمال) للشيخ الصدوق (رضوان الله عليه) وبسنده الى رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**من تعلّم القرآن فلم يعمل به وآثر عليه حبَّ الدنيا وزينتها استوجب سخط الله، وكان في الدرجة مع اليهود والنصارى الذين ينبذون كتاب الله وراء ظهورهم.**

ومن قرأ القرآن يريد به سمعةً والتماس دنيا، لقي الله يوم القيامة ووجهه عظم ليس فيه لحم، وزَجَّ القرآن في قفاه حتى يُدخله النار، ويهوى فيها مع من هوى.

ومن قرأ القرآن ولم يعمل به حشرهُ اللهُ يوم القيامة أعمى، فيقول:

---

(١) الاصول من الكافي: كتاب فضل القرآن ـ الباب الأول ـ الحديث الرابع عشر.

﴿يارَبّ لِمَ حشَرْتَني أعمى وقد كنتُ بصيراً قال كذلك أتتك آياتُنا فنسيتَها وكذلك اليومَ تُنْسىٰ﴾، فيُؤمرُ به إلى النار.

ومن قرأ القرآن ابتغاء وجه الله وتفقُّهاً في الدين كان له من الثواب مثل جميع ما أُعطي الملائكةُ والانبياءُ والمرسلون.

ومن تعلّم القرآن يريدُ به رياءً وسمعةً، ليُماري به السُّفهاءَ ويُباهي به العلماء ويطلبُ به الدُّنيا، بدَّد الله عظامَهُ يوم القيامة، ولم يكنْ في النار أشدُّ عذاباً منه، وليسَ نوعٌ من أنواع العذاب إلّا يُعذَّبُ به من شدّة غضب الله عليه وسخطه.

ومن تعلّم القرآن وتواضع في العلم وعلّم عباد الله وهو يريدُ ما عندَ الله، لم يكن في الجنَّة أعظمُ ثواباً منه ولا أعظمُ منزلةً منه، ولم يكن في الجنّة منزلٌ ولا درجةٌ رفيعةٌ ولا نفيسة إلّا وكان له فيها اوفرُ النصيب وأشرَفُ المنازل»[1].

وهناك كثير من الروايات الحاثّة على التفكر في القرآن الكريم والاتعاظ والتأثر به.

في الكافي ايضاً، مسنداً الى الامام الصادق عليه السلام قال: «إن هذا القرآن فيه منارُ الهدىٰ ومصابيح الدُجىٰ، فليجل جالٍ بصره، ويفتح للضياء نظره، فإن التفكّر حياةُ قلب البصير كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور»[2].

وهو عليه السلام يشير الى أن على الانسان ـ وكما يستنير وهو يمشي في الظلام بنور السراج لكي يأمن من السقوط في الحفر والمزالق ـ أن يستنير بالقرآن الكريم عند سيره في الطريق المظلمة التي تقوده للآخرة لكي ينجو من السقوط في المهاوي المُهلكة.

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «الفقيهُ من لا يترك القرآن رغبة عنه

---

(١) عقاب الاعمال: ص٣٣٢ ـ ٣٤٦ وما اوردناه مقاطع من الحديث.

(٢) الاصول من الكافي: كتاب فضل القرآن ـ الباب الاول ـ الحديث الخامس.

ويتوجه الى غيره، ألا لا خير في علم ليس فيه تفهّم، ولا خير في قراءة ليس فيها تدبّر، ولا خير في عبادة ليس فيها تفقّه»[١].

ورُوي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «حملةُ القرآن عرفاءُ أهل الجنة»[٢].

ولا يخفى أن المراد من هذا «الحمل» هو حمل معارف القرآن، الأمر الذي سيجعل الانسان في الآخرة من أهل المعرفة واصحاب القلوب، وإلا فإنه لو حمل ظاهر القرآن دون الاتعاظ بمواعظه وإدراك معارفه وحكمه والعمل بأحكامه وسننه، فسيكون مصداقاً من مصاديق الآية الشريفة: ﴿مثلُ الذين حمّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً﴾[٣].

والأحاديث المأثورة عن شؤون القرآن الكريم وآداب قراءته، أكثر من أن تُحاط في هذا الموضع. والسلام على محمد وآله.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

(١) معاني الاخبار: ص٢٢٦ ـ باب معنى التفقه حقاً ـ الحديث الاول.
(٢) معاني الاخبار: ص٣٢٣ ـ باب معنى عرفاء اهل الجنة؛ والخصال: باب الواحد ـ الحديث ١٠٠ (ج١، ص٢٨).
(٣) الجمعة: ٥.

المصباح الثاني

آداب تلاوة القرآن

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الأول

آداب القراءة في الصلاة

اعلم أن لقراءة القرآن في هذا السّفر الرُّوحاني والمعراج الإلهي، العديدَ من المراتب والمدارج، يتوزع الناس على أساسها الى طوائف مختلفة نكتفي بذكر ما يناسب هذه الرسالة، منهم:

الطائفة الأولى والتي يكون القارئ فيها ساعياً لتجويد القراءة وتحسين مخارج الكلمات لا غير ، فهمُّه منحصر فقط في التلفظ بهذه الكلمات وصحة إخراج الحروف، لكي يتم أداء التكليف وإسقاط الواجب.

ولا يخفى مدى ما يقترن مع التكاليف من مشقةٍ وتكلّف عند امثال هؤلاء، وما سيكتنف قلوبهم من ضجر وبواطنهم من نفرةٍ من تلك التكاليف. ولا شك أن هؤلاء لا حظَّ لهم من العبادة سوى سقوط العقاب المقرر لتاركها عنهم، إلّا إذا شملهم فضل من خزائن الغيب وصاروا موضعاً للإحسان والإنعام على مجرد لقلقة ألسنتهم تلك.

وقد يحدث لأفراد هذه الطائفة أحياناً أن تكون ألسنتهم لاهجةً بذكر الحق تعالى، في حين تكون قلوبهم ساهيةً غافلةً خاليةً من ذلك الذكر الذي يلهجون به، بل متعلّقة بالكثرات الدنيوية والمشاغل «الملكية»، والحقيقة أنهم مشغولون بالصلاة ظاهرياً منشغلون بالدنيا ومآربها وشهواتها باطنياً.

وقد يحدث أحياناً اخرى أن تكون قلوبهم منهمكةً بالتفكر في تصحيح صورة الصلاة، وعندها يكونون منشغلين بصورة الصلاة ـ قلباً ولساناً ـ فتكون صورة الصلاة حينئذٍ مرضيةً مقبولةً منهم.

أما الطائفة الثانية، فهم أولئك الذين لم يقنعوا بذلك الحدّ، بل تخطّوا ذلك وبلغوا مرتبة معرفةِ أن الصلاة وسيلة لتذكر الحق، وأنّ القراءة حمد للحق وثناء عليه.

وأفراد هذه الطائفة على مراتب كثيرة يطول ذكرها، ولعل أهمّها ما يشير إليه الحديث القدسي الشريف الآتي:

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **قال الله عزّ وجلّ: قسمت فاتحة الكتاب بيني وبين عبدي فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل. إذا قال العبد: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قال الله عزّ وجلّ: بدأ عبدي باسمي، وحقٌّ عليّ أن أتمم له أموره، وأبارك له في أحواله. فإذا قال: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ قال الله جلّ جلاله: حمدني عبدي، وعلم أن النعم التي له من عندي، وأن البلايا التي دُفعت عنه بتطوّلي، أشهدكم أني أضيف له الى نعم الدنيا نعم الآخرة، وأدفع عنه بلايا الآخرة كما دفعت عنه بلايا الدنيا. فإذا قال: ﴿الرحمن الرحيم﴾ قال الله عزّ وجلّ: شهد لي بأني الرحمن الرحيم، أشهدكم لأوفّرنّ من رحمتي حظّه، ولأجزلن من عطائي نصيبه. فإذا قال: ﴿مالك يوم الدين﴾ قال الله جلّ جلاله: أشهدكم كما اعترف عبدي إليّ مالك يوم الدين، لأسهّلنّ يوم الحساب حسابه ولأتقبلنّ حسناته، ولأتجاوزنّ عن سيئاته. فإذا قال: ﴿إياك نعبد﴾ قال الله عزّ وجلّ: صدق عبدي إياي يعبد، أشهدكم لأثيبنّه على عبادته ثواباً يغبطه كل من خالفه في عبادته لي.**

فإذا قال: ﴿وإياك نستعين﴾ قال الله عزّ وجل: بي استعان وإليّ التجأ، أشهدكم لأعيننّه على أمره ولأغيثنه في شدائده، ولآخذنّ بيده يوم نوائبه.

فاذا قال ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ الى آخر السورة، قال الله عزّ وجل: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل، فقد استجبت لعبدي وأعطيته ما أمّل، وأمنته عمّا منه وجل»[١].

اذن ولما تبيّن أن الصلاة ـ بناءً على الحديث المتقدم ـ تقسّم بين الحق والعبد، لزم العبد أن يسعى في أداء حقّ المولى، مادام له تعالى حق، وأن يحرص على التحلّي بأدب العبودية المشار اليه في الحديث الشريف، لكي يعامله الحق تعالى بلطائف الربوبية، استناداً الى قوله تعالى: **﴿وأوفوا بعهدي أوفِ بعهدكم﴾**[٢].

عموماً فإن الحديث القدسي يشير الى قيام أدب العبودية في القراءة على أربعة أركان:

الركن الأول: الذكر، والذي يلزم أن يكون حصوله في **﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾**.

فعلى السالك أن ينظر الى جميع «دار التحقق» كاسم فانٍ في المسمى، ويعوّد القلب على البحث عن الحق والسعي اليه في جميع ذرات الممكنات. وأن ينقل من القوة الى الفعل، فطرة «تعلّم الأسماء» المودعة في خميرة ذاته بمقتضى جامعيّة النشأة والظهور من حضرة اسم الله الاعظم والمشار اليها في قوله تعالى: **﴿وعلّم آدم الأسماء كلها﴾**[٣]، ويحرص على اظهارها.

وهذا المقام يتحقق من خلال الخلوة بالحقّ وكثرة الذكر وشدة التفكّر في الشؤون الإلهية، حتى يبلغ الأمر ان يصبح القلب حقانياً (الهياً)، فيخلو تماماً من غير ما كان للحق تعالى. وهي مرتبة من الفناء في الإلهية التي لا يمكن حتى لقلوب الجاحدين القاسية المنكوسة ـ وبناءً على ما بيناه ـ إنكارها، اللهم إلا أن يكون جحودها ابليسياً، فقلوبٌ كهذه ـ والعياذ بالله ـ متنفرة بطبعها من اسم

---

(١) امالي الصدوق: ص١٠٥ وعنه بحار الانوار: ج٩٢، ص٢٢٦.

(٢) البقرة: ٤٠.

(٣) البقرة: ٣١.

الحق وذكره، وهي تنقبض اذا ورد كلامٌ عن المعارف الإلهية أو ذكرٌ لأسماء الله، ولا يلفت انتباهها سوى شهوات البطن والفرج.

والبعض من أفراد هذه الطائفة لا يعتقدون بغير المقامات والجنة الجسمانية للانبياء والاولياء عليهم السلام التي يُقضىٰ فيها الوطر الحيواني، فهم يعتقدون أن عظمة المقامات الأخروية كعظمة المقامات الدنيوية، إنّما تُقاس بسعة الرياض والأنهار الجارية وكثرة حور العين والغلمان والقصور؛ ولو طرق أسماعهم حديث عن العشق الإلهي والمحبة والجذبة الإلهية، هبّوا لمواجهة المتحدثِ بأقبح الألفاظ وركيك الكلمات وكأنّهم يردّون على إساءةٍ وُجّهت اليهم!!

وهؤلاء هم العقبة في طريق الانسانية، وأشواك سبيل معرفة الله، وشياطين الإنس الغاوون، يصدون عباد الله فوجاً بعد آخر عن الحق وأسمائه وصفاته وذكره، ويسوقونهم نحو الحيوانية والشهوات البطنية والفرجية، فهم جنود ابليس القاعدون، بمقتضىٰ قوله: ﴿ولأقعدنّ لهم صراطك المستقيم﴾[1]، على قارعة الطريق الإلهي القويم، يحولون دون حصول أحد على الأنس بربه والتحرر من ظلمات التعلّق بالشهوات الحيوانية بما فيها التعلق بحور العين والقصور.

وهؤلاء قد يستدلون بشواهد من ادعية الانبياء والاولياء عليهم السلام على انهم هم عليهم السلام يطلبون الحور والقصور ايضاً.

وهذا بذاته انما هو دليل على قصورهم وضيق أفقهم، فهم لا يفرقون بين حُبّ كرامة الله الذي يمثل نظراً الى كرامة المحبوب وعطائه، الذي يعدُّ علامة على المحبة والرعاية، وبين حُبّ ذات الحور والقصور وامثالها، وهو الحبُّ المودع في خميرة الشهوة الحيوانية.

إن حبَّ كرامة الله، هو حب الله الذي سرىٰ الى كرامته وألطافه.

---

(١) الاعراف: ١٦.

أعشق كلَّ العالم فالعالم كلُّ منه[١].

أو بعبارة أخرى:

وما حبُّ الديار شغفن قلبي ولكن حبُّ من سكن الديارا[٢]

وإلّا ما علاقة أمير المؤمنين عليه السلام بالحور والقصور؟ وما هو وجه الارتباط بين ذلك العظيم عليه السلام وبين الأهواء والميول النفسانية والشهوات الحيوانية؟ ومن كانت عبادته عبادة الأحرار لا يمكن أن يكون ثوابه ثواب التجّار... جمح القلم واسترسل المداد ونأيت عن صلب الحديث.

على أيّة حال، إن من يعوّد نفسه قراءة الآيات والأسماء الإلهية من كتاب التكوين والتدوين الإلهي، لابد أن يتّخذ قلبه تدريجياً صورة الذكر والآية التي تكررت عليه، ولابد أن يتحقق باطن ذاته بذكر الله واسمه وآيته تعالى. لذا ورد تفسير «الذكر» بالرسول الأكرم وعلي بن أبي طالب (صلوات الله عليهما وآلهما) و«الاسماء الحسنى» و«آية الله» بأئمة الهدى العظام عليهم السلام.

فهم الآيات الإلهية والأسماء الحسنى وذكر الله الأكبر.

ومقام «الذكر» من المقامات الشامخة العظمى التي لا يسعها البيان ولا يمكن للكلمات والعبارات الإحاطة بها. ولكن يكفي أهل المعرفة والجذبة الإلهية وأصحاب المحبة والعشق ما نورده من الآيات والروايات أدناه:

قال تعالى: **﴿فاذكروني أذكركم﴾**[٣].

وقال تعالى مخاطباً موسى عليه السلام: **«أنا جليس من ذكرني»**[٤].

---

(١) مضمون عجز بيت شعري للشاعر سعدي الشيرازي.

(٢) من أشعار الشاعر العربي قيس بن الملوح العامري.

(٣) البقرة: ١٥٢.

(٤) الاصول من الكافي: كتاب الدعاء ـ باب ما يجب من ذكر الله ـ الحديث الرابع عن أبي جعفر عليه السلام قال: مكتوب في التوراة التي لم تغيّر أن موسى عليه السلام سأل ربه فقال: يا ربّ أقريب أنت مني فأناجيك أم بعيد فأناديك؟ فأوحى الله عزّ وجلّ اليه: يا موسى أنا جليس من ذكرني ـ الحديث.

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «من أكثر ذكر الله أحبّه الله»(١).

وعن الصادق عليه السلام قال: «قال الله عزّ وجلّ: يا ابن آدم اذكرني في نفسك، أذكرك في نفسي، يا ابن آدم اذكرني في ملأ اذكرك في ملأ خير من ملئك، وقال: ما من عبد يذكر الله في ملأ من الناس إلا ذكره الله في ملأ من الملائكة»(٢).

الركن الثاني: الحمد، وهو الحاصل من قول المصلي ﴿الحمد لله ربّ العالمين﴾.

فلتعلم ان المصلي اذا تحقق بمقام «الذكر» وأيقن أن جميع ذرات الكائنات والموجودات العليا والدنيا هي اسماء إلهية، واخرج من قلبه أيّ اعتقاد بوجود الموجودات على نحو الاستقلال، ورمق موجودات عوالم الغيب والشهادة بأسرها بنظرة الاستظلال، تحققت له عندئذٍ مرتبة «الحمد»، وأقرّ قلبه باختصاص جميع المحامد بالذات الأحدية، وبعدم مشاركة سائر الموجودات لها في ذلك. فلما كانت تلك الموجودات تفتقر ذاتها الى الكمال لزم ان لاتختص بأيّ حمدٍ أو ثناء.

وسنفصل الحديث عن هذه اللطيفة الإلهية اكثر عند الحديث عن تفسير سورة الحمد المباركة إن شاء الله تعالى.

الركن الثالث: التعظيم، وهو الحاصل في ﴿الرحمن الرحيم﴾.

فاذا حصر العبد السالك الى الله المحامد ـ في ركن الحمد ـ بالحق تعالى، ونزع عن الكثرات الوجودية أي كمال او حمدٍ، اقترب حينئذٍ الى أفق الوحدة وعميت عينه الناظرة الى الكثرة تدريجياً، وتجلت على قلبه صورة الرحمانية التي تمثل بسط الوجود، والرحيمية التي تمثل بسط كمال الوجود، وراح يصفه بالاسمين الجامعين المحيطين اللذين تضمحل فيهما الكثرات. وحصل قلبه ـ وبفعل

---

(١) المصدر السابق: كتاب الدعاء ـ باب ذكر الله عزّ وجلّ كثيراً ـ الحديث الثالث.

(٢) وسائل الشيعة: كتاب الصلاة ـ ابواب الذكر ـ باب استحباب ذكر الله في الملأ(٧) ـ الحديث الرابع.

التجلي الكمالي ـ على الهيبة الناجمة عن الجمال، وحلّت فيه بعد ذلك عظمة الحق.

ثم اذا حصل التمكين لهذه الحالة، انتقل الى: الركن الرابع.

الركن الرابع: وهو مقام «التقديس»، الذي يمثل حقيقة التمجيد، او تفويض الأمر الى الله بعبارة اخرى، وذلك برؤية مقام مالكية الحق وقاهريته، وزوال غبار الكثرة وتحطّم أوثان كعبة القلب وظهور مالك بيت القلب وسيطرته عليه دون مزاحم شيطاني.

ويكون السالك في هذه الحالة قد بلغ مقام الخلوة، فلا يكون ـ عندئذٍ ـ أي حجاب بين الحق والعبد، وتقع ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ في تلك الخلوة الخاصة وفي مجمع الأنس، لذا يقول تعالى في الحديث القدسي المار ذكره: «**هذا بيني وبين عبدي**».

ثم اذا شملت الألطاف السالكَ، وجعلته يفيق، طلب الاستقامة في هذا المقام وسأل حضرة الحق التمكين وذلك بقوله: ﴿**إهدنا الصراط المستقيم**﴾، لهذا فُسرت «اهدنا» بـ«الزمنا وادمنا وثبتنا».

ولاشك أن كلّ هذا انما يقع لأولئك الذين خرجوا من الحجاب ووصلوا المطلوب الأزلي، اما أمثالنا نحن من اهل الحجب، فإن علينا ان نطلب الهداية ـ بمعناها ـ من الحق تعالى ولعلنا نعود لنتابع الحديث في هذا الموضوع عند التعرض لتفسير سورة الحمد المباركة ان شاء الله تعالى.

تتمة

يتضح من الحديث القدسي الذي افتتحنا به هذا الفصل، أن الصلاة قد قسّمت بتمامها بين الحق والعبد، وقد ذكرت سورة الحمد على سبيل المثال لا اكثر.

عليه يمكن القول: ان تكبيرات الصلاة مثلاً ـ سواءً الافتتاحية منها او غيرها ـ والتي تقال في مفاصل الصلاة، هي حفظ الربوبية وسهم الذات المقدسة، ولو أنَّ العبد السالك الى الله، قام بواجب العبودية هذا، وأدىٰ ـ ما أمكنه ـ حق الربوبية، فإن الحق تعالىٰ سيؤدي ـ بالمقابل ـ للعبد حقه، وذلك بأن يفتح له باب المراودة والمكاشفة بألطافه الأزلية الخاصة، وقد وردت الاشارة الى ذلك في الحديث الشريف المروي في كتاب مصباح الشريعة، إذ يقول الصادق عليه السلام: «... **فإذا كبّرت فاستصغر ما بين السماوات العلا والثرىٰ دون كبريائه، فإن الله تعالى اذا اطلع على قلب العبد وهو يكبّر، وفي قلبه عارض عن حقيقة تكبيره، قال: يا كاذب أتخدعني، وعزتي وجلالي لأحرمنك حلاوة ذكري، ولا حجبتك عن قربي، والمسارة بمناجاتي ـ الحديث**»[1].

«**فاعتبر أنت من قلبك حين صلاتك، فإن كنت تجد حلاوتها وفي نفسك سرورها وبهجتها وقلبك مسروراً بمناجاته ملتذاً بمخاطبته فاعلم أنه قد صدقك في تكبيرك، وإلا فقد عرفت من سلب لذة المناجاة وحرمان حلاوة العبادة أنه دليل على تكذيب الله لك وطردك عن بابه**»[2].

وعلى هذا الاساس، يتضح أن في كلِّ حالٍ من أحوال الصلاة وافعالها حقاً للحق تعالىٰ، على العبد ان يؤديه؛ وهو آداب العبودية في ذلك المنزل، كما ان للعبد حظاً ونصيباً فيه يمنُّ الحق تعالىٰ بأدائه الى العبد بخفيّ لطفه وجليّ رحمته اذا ما تحلى العبد بأدب العبودية.

---

(١) مستدرك الوسائل: كتاب الصلاة ـ ابواب افعال الصلاة ـ الباب الثاني ـ الحديث التاسع.

(٢) مصباح الشريعة: الباب الثالث عشر ـ في اختتام الصلاة.

فاذا رأى العبد نفسه محروماً من الألطاف الإلهية الخاصة ـ في هذه المواقيت الإلهية ـ فليعلم أنه لم يتحل بآداب العبودية. وعلامة ذلك لدى المتوسطين هي عدم تذوّق القلب لذّة المناجاة وحلاوة العبادات، وحرمانهم من بهجة وسرور الانقطاع الى الحق.

ولا شك أن العبادة اذا خلت من اللذة والحلاوة، أضحت بلا روح، وفقدَ القلب الانتفاع منها.

اذن، فلتجعل قلبك ـ يا عزيزي ـ مستأنساً بآداب العبودية، ولتذِقَ الروح حلاوة ذكر الله، ولتسعَ منذ البداية لتحقيق هذه اللطيفة الإلهية بوسيلة كثرة التذكر والأنس بذكر الحق، شريطة أن لا يكون القلب ميتاً عند الذكر، وأن لا تكون الغفلة مستحوذة عليه. فإنك اذا وُفّقت لجعل القلب مستأنساً بالذكر، شملتك الالطاف الازلية تدريجياً، وفتحت على قلبك أبواب الملكوت. وعلامة ذلك **«التجافي عن دار الغرور والإنابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل حلول الفوت»**[١].

اللّهم لا تحرمنا لذة مناجاتك وحلاوة مخاطبتك... واجعلنا من الذاكرين والمنقطعين الى عزِّ قدسك... واحيِ قلوبنا الميتة بالحياة الخالدة، واجعلنا منقطعين عما سواك متوجِّهين اليك، إنك وليُّ الفضل والإنعام.

(١) مقطع من دعاء الامام السجاد عليه السلام.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الثاني

آداب الاستعاذة

قال تعالى: ﴿فإذا قرأتَ القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم* إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكلون* انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون﴾(١).

من آداب القراءة الهامة ـ لاسيّما القراءة في الصلاة التي تمثل السفر المعنوي الى الله والمعراج الحقيقي ومرقاة وصول اهل الله ـ أدب الاستعاذة من الشيطان الرجيم، شوكة طريق المعرفة وعقبة السير والسلوك الى الله، باعترافه هو على ما يخبر به الله تعالى في سورة الاعراف إذ يقول: ﴿فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾(٢). فلقد أقسم الشيطان على القعود لذرية آدم على الصراط المستقيم ليصدّهم عنه، ولذا لا يمكن تحقيق الأمان من شرّ قاطع الطريق هذا في الصلاة ـ وهي طريق الانسانية المستقيم ومعراج الوصول الى الله تعالى ـ دون الاستعاذة بالله واللجوء الى حصن الالوهية الحصين.

وهذه الاستعاذة وهذا التحصّن لا يتحققان ـ كما هو واضح ـ بمجرد لقلقة اللسان وبالصورة المجردة من الروح وبالدنيا دون الآخرة، فهناك من راحوا

---

(١) النحل: ٩٨ ـ ١٠٠.

(٢) الاعراف: ١٦.

يرددون الاستعاذة بالله أربعين أو خمسين عاماً دون ان يحققوا لانفسهم النجاة من شرّ قاطع الطريق هذا، بل على العكس أصبحوا تابعين مقلدين له في الاخلاق والاعمال، بل في العقائد القلبية.

فلو أننا كنا صادقين في طلب الاستعاذة بالله من شرّ هذا الخبيث لكان الحق تعالى -وهو تقدست ذاته الفياض المطلق وصاحب الرحمة الواسعة والقدرة الكاملة والعلم المحيط والكرم الشامل- قد أعاذنا، ولصلح ايماننا وسَمَت أخلاقنا وأعمالنا.

اذن، ينبغي لنا الالتفات الى أن أيّ تخلّف يصيبنا في هذا السير الملكوتي والسلوك الإلهي انما هو نتيجة إغواء الشيطان، والوقوع تحت السلطة الشيطانية، بسبب قصورنا وتقصيرنا في إقامة الآداب المعنوية والشروط القلبية لهذا السير الملكوتي. وهي العلّة الخفيّة نفسها في عدم حصولنا على النتائج المعنوية والآثار الظاهرية والباطنية لسائر الاذكار والأوراد والعبادات.

وللاستعاذة آداب كثيرة تستفاد من الآيات القرآنية الكريمة والاحاديث الشريفة للمعصومين عليهم السلام، ويحتاج تعدادها الى تحقيق كامل يطول الحديث فيه، لذا نكتفي بذكر البعض منها:

أحد أهمّ آداب الاستعاذة: الاخلاص، ينقل تعالى عن الشيطان قوله: ﴿فبعزّتك لأغوينهم أجمعين*إلّا عبادك منهم المخلصين﴾[1].

وحسبما يظهر من الآية الكريمة، فإن هذا الاخلاص أعلى من الاخلاص الأعمالي -سواءٌ عمل الجوانح او الجوارح- ذلك لأنه ورد بصيغة المفعول، ولو كان المراد هو «الاخلاص الاعمالي» ذاته لجاء التعبير عنه بصيغة الفاعل.

فالمقصود من هذا الاخلاص إذن: خلوص الهوية الانسانية بجميع شؤونها الغيبية والظاهرية التي يكون الاخلاص الاعمالي رشحة من رشحاته.

---

(١) ص: ٨٢ و٨٣.

وهذه الحقيقة واللطيفة الإلهية وإن كانت لا تحصل للعامّة في بداية السلوك، إلا بشدّة الرياضات العملية وخصوصاً القلبية منها ـ التي تعدُّ الاصل فيها ـ كما يشير الى ذلك الحديث الشريف: **«من أخلص لله أربعين صباحاً جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»**[1]. فمن أخلص لله أربعين صباحاً ـ وهي مدة تخمير طينة آدم، والعلاقة بين الاثنين واضحة لدى اهل المعرفة واصحاب القلوب ـ وجعل أعماله القلبية والقالبية خالصة للحق، أصبح قلبه إلهياً، لا يتفجّر سوىٰ بينابيع الحكمة، لذا فإن لسانه ـ وهو أهم ترجمان للقلب ـ سينطق بالحكمة ايضاً.

إخلاص العمل يؤدي في بداية الأمر اذن الى خلوص القلب، فإذا خلص القلب ظهرت وتجلت في مرآته أنوار الجلال والجمال المودعة في الطينة الإلهية بالتخمير الإلهي، ثم سرت بعد ذلك من باطن القلب الى ظاهر «الملك».

وعموماً، فإن هذا الخلوص الموجب للخروج من السلطة الشيطانية هو خلوص هوية الروح وباطن القلب لله تعالىٰ.

وفي كلام امير المؤمنين عليه السلام في المناجاة الشعبانية إشارة الى هذه المرتبة، اذ يقول عليه السلام: **«إلهي هب لي كمال الانقطاع اليك»**[2]. فإذا بلغ القلب هذه المرتبة من الاخلاص وانقطع عما سوىٰ الله تماماً، ولم يجعل لغير الحق سبيلاً الى مملكة وجوده، فلن يكون للشيطان الذي يدخُل على الانسان من طريق غير الحق سبيل إليه. وحينئذٍ يُعيذه الحق تعالىٰ، فيدخل في حصن الالوهية الحصين، يقول تعالى: **«كلمة لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي»**[3]. والدخول في حصن **«لا إله الا الله»** له مراتب، مثلما ان للأمن من العذاب مراتب ايضاً.

---

(١) مستدرك الوسائل: ابواب مقدمة العبادات ـ الباب الخامس ـ الحديث الخامس.

(٢) المناجاة الشعبانية، راجع بحار الانوار: ج ٩١، ص ٩٩.

(٣) راجع كتاب التوحيد للصدوق: ص ٢٥ وبحار الانوار: ج ٣، ص ١٣ وج ٩٠، ص ١٩٢.

فمن يستعيذ بالله إذن ويدخل في حصنه ـ باطناً وظاهراً وقلباً وقالباً ـ فإنّه يأمن من جميع مراتب العذاب ـ التي يمثل عذاب الاحتجاب عن جمال الحق والفراق عن وصال المحبوب جلّ وعلا أشدّها ـ ومن يصل هذه المرتبة فإنّه يصبح عبداً حقيقياً لله ويدخل تحت قباب الربوبية فيكون الحق تعالى هو صاحب السلطة في مملكة وجوده، ويخرج بذلك من ولاية الطاغوت. وهذا المقام من اشرف مقامات الاولياء، واخصّ مدارج الاصفياء، التي لا حظّ لسائر الناس فيها، بل لعلّ ذوي القلوب القاسية الجاحدة، والنفوس المجادلة المتحجرة، ممن تفصلهم عن هذه المرتبة فواصل وفواصل، ينكرون هذه المقامات ويعتبرون الحديث عنها باطلاً، بل انهم ـ والعياذ بالله ـ يعدّون هذه الامور ـ رغم انها مما يفيض بها الكتاب والسنّة ومما تقرُّ بها عيون الأولياء ـ خرافات صوفية وأراجيف حشوية.

حتى نحن إذ نتحدث عن هذه المقامات ـ وهي في الحقيقة مقامات الكمل ـ ليس لأن لنا حظاً منها أو أملاً في بلوغها، وانما لأننا لا نرى أن من المناسب إنكارها، كما اننا نعتقد بأنّ لذكر الاولياء ومقاماتهم دوراً في تصفية القلوب وخلوصها وإعمارها، فذكر اصحاب الولاية والمعرفة بالخير، يؤدي الى خلق المحبة والتواصل والتقارب، الأمر الذي يبعث على حصول التجاذب ثم التشافع، وهو بظاهره، الإخراج من ظلمات الجهل الى انوار الهداية والعلم، وبباطنه الظهور بالشفاعة في عالم الآخرة، فشفاعة الشفعاء لا تأتي جزافاً، ولا تتحقق دون وجود هذا القرب.

عموماً، فإن الاخلاص بهذه المرتبة الكاملة، وإنْ كان لا يتحقق لغير الكمل من الأولياء والاصفياء(عليهم الصلاة والسلام) ـ بل إن مقام كمال هذه المرتبة انما هو من مختصات النبي الخاتم والقلب النوراني الأحدي الجمعي المحمدي الخالص صلى الله عليه وآله بالأصالة ومن مختصات كُمّل وخُلص اهل بيته عليهم السلام بالتبعية ـ غير انه لا ينبغي للمؤمنين والمخلصين أن يغفلوا عن جميع مراتب الاخلاص،

ويقنعوا بالإخلاص الصوري الاعمالي والخلوص الفقهي الظاهري، ذلك لأن الوقوف في المنازل هو من أخطر مكائد إبليس القاعد للانسان والانسانية طريقهم قاصداً صدّهم عن العروج الى الكمالات والوصول الى المدارج بأيّة وسيلة كانت.

لذا وجب شحذ الهمم وتقوية الإرادة، لعلّ هذا النور الإلهي واللطيفة الربانية تنتقل من الظاهر الى الباطن ومن الملك الى الملكوت، فإن الانسان يدخل في حصن الحق وتتحقق فيه حقيقة الاستعاذة وتنحسر عنه سلطة الشيطان ذلك العفريت الخبيث بمقدار المرتبة التي يفوز بها من الاخلاص.

اذن، فأنت اذا جعلت الصورة الملكية الانسانية خالصة لله، وألجأت جيوش النفس الظاهرية الدنيوية ـ وهي القوى المنتشرة في ملك البدن ـ الى حصن الحق، وطهّرت الأقاليم الأرضية السبعة ـ وهي العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والقدم ـ من قذارات المعاصي، وجعلتها تحت تصرّف ملائكة الله ـ وهم الجيش الإلهي ـ اصبحت هذه الاقاليم تدريجياً حقانية (الهية) وراحت تتحرك تبعاً لسلطة الحق، حتى تصبح هي ذاتها من ملائكة الله ايضاً، أو كملائكة الله الذين ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾[1].

وهنا تتحقق المرتبة الاولى من الإستعاذة فيغادر الشيطان وجيوشه مملكة الظاهر ويتوجهون نحو مملكة الباطن، ليهاجموا القوى النفسانية الملكوتية. وهنا تصبح مهمة السالك أصعب وسلوكه أكثر حساسية، فعليه أن يجعل خطواته اكثر ثباتاً ومراقبته لنفسه اكثر تكاملاً، وان يستعيذ بالله من المهالك النفسانية، كالعجب والرياء والكبر والتفاخر وغيرها. ويعمد تدريجياً الى الاشتغال بتصفية الباطن من الكدورات المعنوية والقذارات الباطنية.

ومن الامور الهامة في السلوك ـ بل من اهم اركان العروج ـ في هذا المقام ـ بل

(١) التحريم: ٦.

في جميع المقامات ـ الحرص على تحقيق التوحيد الافعالي وتذكير القلب بهذه اللطيفة الإلهية والمائدة السماوية، وإذاقة القلب حقيقة مالكية الحق تعالى للسماوات والارض، والباطن والظاهر والملك والملكوت لكي يختمر القلب ـ المرتاض على التوحيد الإلهي ونفي الشريك في التصرف ـ بالخُمرة الإلهية ويتربىٰ بالتربية التوحيدية، فلا يرىٰ عندئذٍ ولا يعرف مفزعاً وملجأً وملاذاً ومعيناً سوىٰ الحق تعالىٰ فيجد عندها الإستعاذة بالحق ومقام الالوهية المقدس بشكل طوعي وحقيقي.

والفؤاد ما لم يخرج من تحت سلطة الآخرين ويستشعر اليأس من الموجودات، فإنه لا يعدُّ لائذاً بالحق، بل هو كذّاب في دعواه، وهو ـ لدىٰ اهل المعرفة ـ مخادع مكّار وفي زمرة المنافقين.

وفي هذا الوادي السحيق والبحر العميق، المحفوفَين بالمخاطر، تكون الاستعانة بحكيم رباني أو عارف نوراني يتّصل علمه بالاولياء الكمّل، للاستفادة من علمه في معنىٰ التوحيدات الثلاثة، أمراً ذا دورٍ فعّال في إعانة باطن القلب، شريطة أن يكون الاشتغال بها قائماً على أساس اعتبارها آيةً وعلامةً وسيراً وسلوكاً الى الله، وإلا فإنها ذاتها تصبح اشواكاً في الطريق وحجاباً دون وجه القيّوم. وقد وصف رسول الله ﷺ هذا العلم بأنّه «آية محكمة» على ما ورد في الحديث الشريف المرويّ في الكافي[1].

إجمالاً، فإذا ترسّخت جذور التوحيد الافعالي للحق في القلب، ورويت بماء العلم المقترن بالعمل الصالح ـ اللذين يقرعان باب القلب ـ فستكون نتيجة ذلك تذكّر مقام الالوهية، وصفاء القلب للتجلّي الافعالي للحق تدريجياً، فإذا خلت

(١) دخل رسول الله ﷺ المسجد فإذا جماعة قد أطافوا برجل فقال: ما هذا؟ فقيل: علاّمة. فقال: وما العلاّمة؟ فقالوا له: أعلم الناس بأنساب العرب ووقائعها، وأيام الجاهلية، والاشعار العربية. قال: فقال النبي ﷺ: ذلك علم لا يضرُّ من جهله، ولا ينفع من علمه، ثم قال النبي ﷺ: انما العلم ثلاثة: آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سنّة قائمة وما خلاهن فهو فضل.

راجع الاصول من الكافي: كتاب فضل العلم ـ باب صفة العلم وفضله وفضل العلماء ـ الحديث الاول.

الدار من الغاصب الذي حلَّ فيها وتطهر البيت من وجود الغريب النازل فيه، اصبح صاحب البيت هو صاحب السلطة فيه، واصبحت ولاية الحق تعالى مهيمنة على القوى الملكوتية والملكية بدءاً من ملكوت الباطن والقلب وحتى الملك وظاهر البدن، وحينئذٍ تُطرد الشياطين بصورة كاملة وتعود مملكة الباطن الى استقلالها المتمثل في عين الاستظلال بالحق. وهذه هي المرتبة الثانية من مراتب الاستعاذة تلك اللطيفة الربانية.

وبعد هذه المرتبة هناك استعاذة الروح، واستعاذة السرّ ومراتب اخرى، يخرج البحث فيها عن اطار هذه الرسالة، بل لعلّ ما حررناه حتى الساعة ـ في هذا الباب ـ كان من جموح قلم العبد الفقير أو انسياب قلم المولى جلَّ وعلا، واليه المفزع.

من آداب الاستعاذة وشروطها الاخرى: الايمان؛ الذي تشير اليه الآية الكريمة التي افتتحنا بها هذا الفصل: ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكلون﴾[1].

والإيمان المشار اليه غير العلم، وإن كان مستحصلاً بالبرهان الاستدلالي «خشبيّة هي قدم اهل الاستدلال»[2]، فالشيطان الرجيم رغم ما كان لديه من علمٍ بالمبدأ والمعاد ـ كما نصَّ عليه القرآن الكريم ـ لكنه عُدَّ ضمن زمرة الكفار.

ولو ان الايمان كان عبارةً عن هذا العلم البرهاني، وجب ان يكون اصحاب هذا العلم خارجين عن سلطة الشيطان، يتألق في قلوبهم نور هداية القرآن، غير اننا نرى ان هذه الآثار لا تحصل بالايمان البرهاني، لذا لزمنا ـ للخروج من تحت سلطة الشيطان والدخول في حصن الحق تعالى ـ إيصال الحقائق الايمانية الى القلب ليصبح الهيّاً، وذلك بتشديد الارتياض القلبي والمداومة على التوجه وزيادته والإكثار من المراودة والخلوة.

---

(١) النحل: ٩٩.

(٢) مضمون صدر بيت شعري للعارف جلال الدين الرومي.

وعندما يُصبح القلب الهيأ، فإنه يخرج من سلطة الشيطان، لذا يقول تـعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا يُخرجهم من الظلمات الى النـور﴾[1]، فـالمؤمنون الذين يسيطر الحقُّ تعالى ويـتولىٰ ظـاهرهم وبـاطنهم وسـرّهم وعـلنهم هـم خارجون من سلطة الشيطان داخلون تحت سلطة الرحمن، وهو تعالى الكفيل بإخراجهم من جميع مراتب الظلمات الى مُـطلق النـور، ومـن ظـلمة المـعصية والتمرد وكدورات رذائل الاخلاق وظـلمة الجـهل والكـفر والشـرك والعُـجب والانانية والرضا عن النفس، الى انوار الاخلاق الفاضلة، ونور الطاعة والعبادة والعلم وكمال الايمان والتوحيد والانقطاع لله تعالىٰ والرغبة اليه.

ومن آداب الاستعاذة الاخرى: التوكل؛ وهو من شُعب الايمان ايضاً ومـن انوار اللطيفة الإيمانية الحقيقية، وهو عبارة عن تفويض الامور الى الحق تعالى، ويحصل من إيمان القلب بالتوحيد الافعالي. وتفصيل ذلك مما يخرج عن نطاق هذا البحث.

فإذا رأى السالك ان لا مفزع ولا ملاذ سوى الحق تعالي وأدرك أن التصرّف في الأمور منحصرٌ بذاته المقدسة، ظهرت في قـلبه حـالة الانـقطاع والالتـجاء والتوكل، واكتست استعاذته برداء الحقيقة، فـإذا صـارت اسـتعاذته بـحصن الربوبية والإلهية الحصين حقيقية، لابد آنئذٍ أن يعيذه الحـق تـعالىٰ، ويشـمله بفضله الواسع ورحمته الكريمة ـإنه ذو فضلٍ عظيم ـ.

---

(١) البقرة: ٢٥٧.

تتمة ونتيجة

اتضح مما مَرَّ معنا في هذا الفصل، أن الاستعاذة في حقيقتها: كيفية وحالة نفسانية تحصل نتيجة العلم البرهاني الكامل بمقام التوحيد الافعالي للحق تعالىٰ، ومن الايمان بهذا المقام.

أي ان الانسان وبمجرد أن يدرك ـ عن طريق العقل المنوّر بالبرهان الاستدلالي المتين والشواهد النقلية المستفادة من النصوص القرآنية والاشارات واللطائف المبثوثة في الكتاب الإلهي والاحاديث الشريفة ـ أن السلطة الإيجادية والاستقلال في التأثير ـ بل اصل التأثير ـ منحصرةٌ بالذات الإلهية المقدّسة ولا نصيب لسائر الموجودات في ذلك ـ كما تمّ إيضاحه في موضعه ـ يلزمه أن يُطلع قلبه على هذه الحقيقة وأن يخطّ بقلم العقل على لوح القلب حقيقة «لا إله إلا الله ولا مؤثر في الوجود إلا الله».

ثم إن القلب ما ان يؤمن بهذه اللطيفة الايمانية والحقيقة البرهانية، إلا وتحصل لديه حالة الانقطاع والالتجاء، وما ان يدرك أن الشيطان هو قاطع طريق الانسانية وعدوّها اللدود، إلا وتحصل فيه حالة «الاضطرار». وهذه الحالة القلبية هي حقيقة الاستعاذة.

ولما كان اللسان ترجمان القلب، فإنه سينطق وهو في هذه الحالة القلبية وبكامل الاضطرار والاحتياج وبصدقٍ فيقول: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

اما اذا لم يكن من أثر لهذه الحقائق في قلب الانسان، وكان الشيطان متصرفاً في قلبه وفي سائر مملكة وجوده، فإن الاستعاذة ستكون مستندةً الى سلطة الشيطان وتدبيره فيستعيذ الانسان حينها بالله بلسانه فقط، إذ إنه في الحقيقة ـ ولأنه تحت سلطة الشيطان ـ سيستعيذ في الحقيقة بالشيطان من الله، فتحقق الاستعاذة عندها نتيجة معكوسة، ويتخذ الشيطان ذلك المستعيذ سخرياً.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الثالث

أركان الاستعاذة

للاستعاذة أركان أربعة: المستعيذ، والمستعاذ منه، والمستعاذ به، والمستعاذ لأجله.

اعلم ان هذا الموضوع واسع ومتشعب، قد يخرج بنا الحديث حول مختلف تفصيلاته عن الحدود التي التزمناها في هذه الرسالة، لذا سنكتفي بعرض الموضوع بشكل مختصر.

١ ـ المستعيذ

وهو الحقيقة الانسانية بدءاً من أول منزل السلوك الى الله، وحتى منتهى نهاية الفناء الذاتي، واذا تمّ الفناء المطلق هلك الشيطان وتمّت الاستعاذة.

ولتوضيح ذلك نقول: إن الانسان مادام مقيماً في بيت النفس والطبيعة، غير مبادرٍ الى القيام بالسفر الروحاني والسلوك الى الله، ومادام خاضعاً للسلطة الشيطانية بكافّة شؤونها ومراتبها، فهو مايزال غير متلبّسٍ بحقيقة الاستعاذة بعد، ولقلقة لسانه لا فائدة ترتجى منها، اللهم في تثبيت وترسيخ السلطة الشيطانية، إلا اذا شملته الألطاف والأفضال الإلهية.

اما اذا تأهب للسير والسلوك الى الله وشرع بالسفر الروحاني، فإن ما يعترض طريقه مادام في هذا السير والسلوك هو شيطانه، سواءٌ كان من قوى

وهذه السخرية ستظهر يوم ينكشف الغطاء وتُزال حجب الطبيعة وستائرها.

الروح الشيطانية او من الجن والإنس، ذلك لأن الجنّ والإنس لا يصبحان عقبة في الطريق وسدّاً أمام السلوك الى الله، إلا بدفعٍ من الشيطان ونتيجة لسلطته عليهما، والاشارة الى هذا المعنى واضحة في سورة الناس المباركة، اذ يقول جل وعلا: ﴿...شرِّ الوسواس الخنّاس*الذي يوسوس في صدور الناس*من الجنة والناس﴾[1]، حيث يستفاد من الآيات الكريمة أن الشيطان اذا كان من الجن، فإن الوسواس الخناس -وهو الشيطان- جنيٌّ بالأصالة وإنسيٌّ بالتبعية. اما اذا كان الشيطان حقيقة اخرى شبيهة بالجن، يكون المستفاد من الآيات الكريمة أن هذين النوعين -اي الجن والإنس- انما هي مظاهر وتمثلات شيطانية، وهناك اشارة اخرى الى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿شياطين الإنس والجن﴾[2]. والاشارة جليّة في سورة الناس الى اركان الاستعاذة التي قدمنا ذكرها في بداية الحديث.

على أيّة حال، فإن الانسان لا يعدُّ مستعيذاً في حالتين: الأولى قبل شروعه بالسلوك والسير الى الله، والثانية بعد أن يكتمل السير وتنتفي آثار العبودية تماماً، ويفوز الانسان بالفناء الذاتي المطلق، فحينئذٍ لن يظلَّ أثرٌ للاستعاذة ولا للمستعاذ منه ولا للمستعيذ، اذ ان قلب العارف يخلو تماماً من كل ما سوى الحق والسلطة الإلهية، بل ان العارف ذاته يُصبح في هذا المقام جاهلاً بحال قلبه ونفسه، وتختفي هنا حتى «أعوذ بك منك»[3].

ثم، ما أن تحصل حالةُ الصحو والأنس والرجوع، إلا وتعود الاستعاذة لتصبح حقيقة من جديد، غير أنها هذه المرة تختلف عن استعاذة السالك، لذا أمر الرسول الخاتم ﷺ هو الآخر بالاستعاذة، وذلك بقوله تعالى: ﴿قل أعوذ برب

---

(١) سورة الناس.

(٢) الأنعام: ١١٢.

(٣) من دعاء الرسول في السجود، راجع الفروع من الكافي: كتاب الصلاة - باب السجود والتسبيح والدعاء فيه... - ج١٢.

الفلق﴾(١)، ﴿قل أعوذ برب الناس﴾(٢)، ﴿قل ربِّ أعوذ بك من همزات الشياطين*وأعوذ بك ربّ أن يحضرون﴾(٣).

إذن فالإنسان لا يكون مستعيذاً في مقامين؛ الأول: قبل السلوك وهي حالة الاحتجاب المحض التي يكون الانسان فيها واقعاً تحت تصرّف الشيطان وسلطته؛ والثاني: بعد اكتمال السلوك، حيث حصول الفناء المطلق وتلاشي المستعيذ والمستعاذ منه والمستعاذ لأجله والاستعاذة.

ويكون (الانسان) مستعيذاً في مقامين؛ الأول: أثناء السلوك الى الله، فهو يستعيذ ممن قعدوا له صراط الانسانية المستقيم، والذين يمثّلون أشواك طريق الوصول، فالشيطان ـ على ما نصّ به القرآن ـ يقول: ﴿فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾(٤).

والثاني، عند الصحو والرجوع من الفناء المطلق، إذ تكون الاستعاذة من «الاحتجابات السلوكية» وغيرها.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

٢ ـ المستعاذ منه

وهو إبليس اللعين والشيطان الرجيم الذي يحول ـ بالاستفادة من مختلف الشباك والشراك ـ دون وصول الانسان الى مقصده وحصوله على مقصوده. وفي اعتقادي فإن ما ذكره بعض الاعلام من اهل المعرفة من أن «حقيقة الشيطان هي عبارة عن جميع العالم بجنبته السوء» تعريف غير تام؛ لأن جنبة السوء ـ وهي الصورة الوهمية العارية عن الحقيقة والمتجردة من التحقق والواقعية ـ هي من حبائل إبليس التي يشغل بها الانسان، ولعلّ قوله تعالى: ﴿ألهاكم التكاثر، حتى زرتم المقابر﴾(٥) اشارة الى هذا المعنى، في حين إن

---

(١) الفلق: ١.

(٢) سورة الناس.

(٣) المؤمنون: ٩٧ و٩٨.

(٤) الاعراف: ١٦.

(٥) التكاثر: ١ و٢.

ابليس نفسه حقيقة، لها تجردٌ مثاليّ، والحقيقة الابليسية الكليّة هي رأس الأبالسة وإبليس الكلّ، تماماً كما ان الحقيقة العقلية الكلية المجردة ـ وهي آدم الأول ـ هي عقل الكل.

كذلك فإن مختلف اشكال الواهمة الجزئية الملكية هي من مظاهر وشؤون تلك الحقيقة الابليسية، تماماً كما أن العقول الجزئية هي من شؤون ومظاهر العقل الكلي. والتفصيل في هذا الموضوع يخرج بنا عن اطار هذه الرسالة.

عموماً، فإن ما يمثل حائلاً دون هذا السلوك الالهي، ومصدّاً عن السير الى الله، وشوكة في الطريق، هو الشيطان او مظاهره وتمثلاته التي يكون دورها هو دور الشيطان ايضاً.

وكلُّ ما هو من عوالم الغيب والشهود وكل العوارض التي تحصل النفس، وجميع الحالات التي تكون النفس عليها، هي حجابٌ عن وجه القيّوم، سواءٌ كان ذلك من العوالم الملكية الدنياوية كالفقر والغنى والصحة والمرض والقدرة والعجز والعلم والجهل والآفات والعاهات الى غير ذلك، او كان من العوالم الغيبية التجردية والمثالية كالجنة والنار والعلم المتعلق بها، وصولاً الى العلوم العقلية البرهانية المرتبطة بتوحيد الحق وتقديسه. فكلُّ ذلك من شباك ابليس التي تشغل الانسان وتصدّه عن الحق والأنس والخلوة به، بل إن الانشغال بالمقامات المعنوية والوقوف في المدارج الروحانية، والتي يمثل ظاهرها الوقوف في صراط الانسانية وباطنها الوقوف في صراط الحق ـ وهو عبارة عن جسر جهنم الفراق والبعد الروحاني وهو الجسر الخاص بثلةٍ قليلةٍ من أهل المعرفة واصحاب القلوب، والذي ينتهي الى جنة اللقاء ـ هي من حبائل إبليس الأبالسة الكبرى التي يجب الاستعاذة منها بالذات المقدسة للحق تعالى.

على العموم، فإنّ ما يصدُّك عن الحق ويحجبك عن الجمال الجميل للمحبوب جل جلاله، هو شيطانك، سواءٌ كان بصورة إنسٍ او جان، كذلك فإن كل ما يُعدُّ وسيلة لصدِّك عن هذا المقصد والمقصود هو من شباك الشيطان، وسواء في

ذلك أكان من سنخ المقامات والمدارج أم العلوم والكمالات أم الحرف والصنائع أم اللهو والراحة أم المشقّة والذلّة أم غيرها.

فهذه جميعاً عبارة عن الدنيا المذمومة، وهي فخّ الشيطان، ومما يجب الاستعاذة منها، ولعل هذا المعنى هو المراد من قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله، التي لايجاوزهن برٌّ ولا فاجر، من شرِّ ما ينزل من السماء وما يعرج فيها، وشرِّ ما ينزل من الارض وما يخرج منها، ومن شرِّ فتن الليل والنهار، ومن شرِّ طوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخير**»[1].

فالاستعاذة «بوجه الله» و«كلمات الله» هي استغراقٌ في بحر الجمال والجلال، ولما كان ما يصدُّ الانسان عنها هو الشرور المرتبطة بعالم الشيطان ومكائده، لذا وجبت الاستعاذة بوجه الله منها، وسواء في ذلك أكان من الحقائق السماوية الكاملة او من الحقائق الارضية الناقصة، إلا أن يكون طارقاً بخير، فهو والحال هذه لابد أن يكون طارقاً الهياً لأنه يدعو الى الخير المطلق وهو الحق تعالى.

٣ ـ المستعاذ به

اعلم ان «المستعاذ به» كالاستعاذة، حقيقة تتحقق في السالك الى الله، وتستحصل في السير والسلوك الى الحق، بمعنى: أن الاستعاذة مختصّة بالسالك في مراتب السلوك.

اذن فحقيقة الاستعاذة والمستعيذ منه والمستعاذ به تختلف تبعاً لمقامات ومراتب السائرين وتبعاً لمدارج ومنازل السالكين. ولعلّ في قوله تعالى: ﴿**قل أعوذ برب الناس*ملك الناس*إله الناس**﴾[2] اشارة الى هذا المعنى، فهي إشارة الى الاستعاذة بمقام الربوبية بدءاً ببدايات السلوك وانتهاءً بحدود مقام

---

(١) بحار الانوار: ج٩١، ص٢١٥.

(٢) سورة الناس: ١ ـ ٣.

القلب، ويمكن ان تكون هذه الربوبية المشار اليها في مطلع السورة، هي الربوبية الافعالية فتطابق حينها: «**اعوذ بكلمات الله التامات**»[١].

اما اذا بلغ سلوك السالك مقام القلب، فإن مقام السلطة الإلهية سيظهر في قلبه وحينئذٍ فإنه سيستعيذ بمقام «ملك الناس» من شرِّ تصرفات إبليس القلبية وسلطته الباطنية الجائرة، مثلما استعاذ في المقام الاول من شرّ تصرفاته «الصدريّة»، ولعلّ قوله تعالى: ﴿**الذي يوسوس في صدور الناس**﴾[٢] مُخصِصاً الوسوسة بالصدور بالخنّاس مع أن الوسوسة التي تقع في القلوب والارواح هي من الخناس ايضاً، إنما هو لأن التعريف بالشأن العمومي والصفة الظاهرة مما يناسب الجميع.

اما اذا جاوز السالك مقام القلب الى مقام الروح التي هي من النفحة الالهية والتي يكون اتصالها بالحق تعالى أشدّ من اتصال شعاع الشمس بها، فسوف تبدأ بالظهور في هذا المقام الحيرة والهيام والجذبة والعشق والشوق، وهنا ستكون استعاذة السالك بمقام ﴿**إله الناس**﴾. أما اذا ترقى عن هذا المقام، فسيشاهد الذات دون مرآة الشؤون، بمعنى أنه وصل مقام السرّ، فسيكون مناسباً له حينئذٍ «**أعوذ بك منك**»[٣]، وفي هذه المقامات تفصيلات يخرجنا الخوض فيها عن إطار هذه الرسالة.

ولكن اعلم أن الاستعاذة باسم «الله» تناسب جميع المقامات بحكم جامعية هذا الاسم وهي في الحقيقة استعاذة مطلقة، في حين إن الأنماط الاخرى من الاستعاذة أنماط مقيدة.

٤ ـ المستعاذ لأجله أو غاية الاستعاذة

اعلم ان ما هو مطلوب بذاته للانسان المستعيذ، هو من سنخ الكمال

---

(١) دعاء اليوم الأول من شهر رجب، راجع إقبال الأعمال للسيد ابن طاووس: ص ٦٤٠.

(٢) الناس: ٤.

(٣) من دعاء للرسول ﷺ في السجود، راجع الفروع من الكافي: ج٣، ص ٣٢٤.

والسعادة والخير، وهو يتفاوت كثيراً بتفاوت مراتب السالكين ومقاماتهم.

فالسالك، مادام في بيت النفس وحجاب الطبيعة فإن غاية سيره هي الحصول على الكمالات النفسانية والسعادات الطبيعية الخسيسة. وهذه حالة في بدايات السلوك، لكنه ما إن يخرج من بيت النفس ويتذوق شيئاً من المقامات الروحانية والكمالات التجردية، حتى يصير مقصده أعلىٰ ومقصوده أكمل، فيُعرض عن المقامات النفسانية وتُمسي قبلة مقصوده الحصول على الكمالات القلبية والسعادات الباطنية.

ثم إنه ما أن يحثَّ السير مرتقياً عن هذا المقام، ويصل منزل سرّ الروح، إلّا وتظهر بدايات التجلّيات الالهية في باطنه، ويكون لسانُ حال باطنه في بداية الأمر «وجهت وجهي لوجه الله» وبعدها «وجهت وجهي لأسماء الله أو لله» ثم «وجهت وجهي له» وقد يكون قوله: ﴿وجهت وجهي للذي فطر السماوات والارض﴾[1] مختصاً بالمقام الاول نتيجة صفة «الفاطرية».

على ايّة حال، فإن الغاية الحقيقية للسالك في كلّ مقام، هي الحصول على كمالٍ وسعادةٍ بذاتهما، ولما كانت السعادة والكمالات مقترنة في كل مقام بشيطانٍ قرين وفخ من فخاخه يحول دون تحققها، لذا لزم السالك أن يستعيذ بالحق تعالى من الشيطان وشروره وحبائله لكي يصل مقصوده الاصلي ومطلوبه الذاتي.

اذن، غاية الاستعاذة في الحقيقة ـ بالنسبة للسالك ـ هي الحصول على الكمال المرتقب والسعادة المطلوبة. ولما كانت غاية الغايات ومنتهىٰ المطاليب هو الحق تعالى جلت عظمته كانت الاستعاذة ـ تبعاً لذلك ـ من الشيطان. والحمد لله أولاً وآخراً.

---

(١) الانعام: ٧٩.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الرابع

آداب التسمية

روي عن الرضا عليه السلام، أنه حين سُئل عن تفسير «البسملة» قال: «**معنى قول القائل بسم الله، أي: أسمُ على نفسي سمةً من سمات الله وهي العبادة. قال الراوي: فقلت له: ما السمة؟ قال: العلامة**»[1].

اعلم ـ جعلك الله وإيانا من المتسمين بسمات الله ـ أنّ الدخول في منزل «التسمية» لا يتيسر للسالك إلا بعد الدخول في منزل «الاستعاذة» واستيفاء نصيبه من ذلك المنزل، والانسان ما دام مقهوراً تحت سلطة الشيطان وتصرّفه، فهو متّسمٌ بالسمات الشيطانية، والشيطان اذا سيطر تماماً على باطن الانسان وظاهره، جعل من الانسان آيةً وعلامة له بجميع المراتب، فإذا نطق بالتسمية في هذا المقام، كان ينطق بقوة وإرادة الشيطان وبلسانه، وحينها لن تثمر استعاذته وتسميته سوى تعزيز سلطة الشيطان.

اما اذا استيقظ ـ بالتوفيق الالهي ـ من نومة الغفلة وحصلت له حالة «اليقظة» وأدرك ضرورة السير والسلوك الى الله في منزل اليقظة بنور الفطرة الإلهية وانوار التعاليم القرآنية وسنن الهداة الى طريق التوحيد، وعرف قلبه عقبات

---

(١) التوحيد: ص٢٢٩ ـ باب ٣١ ـ الحديث الاول، ومعاني الاخبار: ص٣.

السير، تحصل لديه حينئذٍ حالة الاستعاذة بصورةٍ تدريجية، ويدخل بعدئذٍ منزل الاستعاذة بالتوفيق الرباني.

ثم، ما أن يتطهر من القذارات الشيطانية، الا وتتجلى الانوار الإلهية على مرآته، وبما يتناسب مع مقدار التطهير الباطني والظاهري الحاصل من تلك القذارات، غير أن تلك الانوار تكون في بداية الأمر مشوبة بالظلمات، بل قد تكون الظلمات هي الطاغية: ﴿خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً﴾[1]. إلا أنها تزداد قوّةً كلما استقوى السلوك، فتغلب على الظلمة، وتظهر سمات الربوبية على السالك تدريجياً، فتكتسب تسميته حقيقةً الى حدٍّ ما، وتختفي عن مملكة باطن السالك وظاهره شيئاً فشيئاً العلامات الشيطانية المتمثلة في الظاهر بنقض أنظمة المدينة الفاضلة، وفي الباطن بالعجب والاستكبار وأمثالها، وفي باطن الباطن بالأنانية وحب النفس وأمثالها. لتحلّ محلّها سمات الله المتمثلة في الظاهر بحفظ نظام المدينة الفاضلة، وفي الباطن بالعبودية وذلّة النفس، وفي باطن الباطن بالربانية والحكمة.

فإذا أصبحت مملكة وجود السالك الهية وخلت من شياطين الجن والإنس وظهرت فيها السمات الإلهية، تحقق السالك نفسه عندئذ بمقام «الإسميّة».

اذن، فتسمية السالك تكون ابتداءً عبارة عن الاتصاف بالسمات والعلامات الإلهية، فاذا ارتقى السالك هذه المرتبة فإنه سيصل الى مقام الإسميّة، وهذه طلائع «قرب النافلة»، ثم انه اذا تحقق بقرب النافلة، فاز بتمام «الاسميّة» حيث تلاشي كل أثرٍ عن العبد والعبودية. والواصل الى هذا المقام، تكون صلاته بكاملها بلسان الله، وهذا الأمر لا يتحقق إلا في ثلّةٍ من الاولياء. اما بالنسبة للمتوسطين وأمثالنا من الناقصين، فإن الأدب يكون بالسعي لنقش سمة العبودية وعلامتها على القلب عند التسمية، وإطلاع القلب على السمات والآيات

(١) التوبة: ١٠٢.

والعلامات الإلهية، وعدم الاكتفاء بمجرد لقلقة اللسان، عسىٰ أن يؤدي ذلك الى شمولنا بنفحةٍ من الألطاف الإلهية فنجبر ما سبق، ونمهّد لقلوبنا سبيلاً الى تعلّم الاسماء وفتح طريقٍ نحو المقصود.

وقد يكون المراد من «سمة من سمات الله» الواردة في الحديث الشريف، سمة وعلامة الرحمة «الرحمانية» والرحمة «الرحيمية».

وعموماً، فإن السالك الذي يريد أن تصبح تسميته حقيقيةً، عليه أن يُعرّف قلبه أشكال رحمه الحق وأن يتحقق بالرحمة الرحمانية والرحيمية.

وعلامة حصول جذوةٍ من ذلك في القلب، هو ظهور حالة النظر الى عباد الله بعين الرحمة، والرفق وطلب الخير والصلاح للجميع، وهي نظرة الانبياء العظام والاولياء الكمل عليهم السلام، غاية ما في الأمر أنهم ينظرون الى أمرين اثنين: سعادة المجتمع والنظام الأسري ونظام المدينة الفاضلة من جهة، وسعادة الفرد من جهة اخرى، وهم يطمحون الى تحقيق كلتا هاتين السعادتين بشكل كامل؛ لذا فإن القوانين الالهية التي تم إرساؤها وتطبيقها وتحديدها وتنفيذها على ايديهم عليهم السلام تراعي هذين النوعين من السعادة بدقة وعناية فائقة، فحتى إيقاع القصاص وإقامة الحدود والتعزيرات وأمثالها من قبلهم، مما يبدو وكأنه شُرّع وقُنّن مِن أجل حفظ نظام المدينة الفاضلة فقط، يهدف ايضاً الى تحقيق ذينك النوعين من السعادة، فتلك الامور غالباً ما تكون ذات أثرٍ فعال في إصلاح الجاني وتربيته وإيصاله الى السعادة، بل ما يقع من القتل بحق أولئك الذين يفتقدون نور الايمان والسعادة ـ بحكم الجهاد وأمثاله ـ كيهود بني قريظة هو صلاحٌ وإصلاح لهم، ويمكن القول ان قتلهم يمثل مظهراً من مظاهر الرحمة الكاملة للنبي الخاتم صلى الله عليه وآله، فهم ببقائهم في هذا العالم يوماً آخر سيعرّضون أنفسهم لمزيد من أشكال العذاب الذي سيلاقونه في العالم الآخر، مما لا يمكن مقارنة يوم واحدٍ منه مع كلّ ما يقع من العذاب في هذا العالم ولو على مدى وجوده. وهذا الأمر من الواضحات لدى أولئك الذين يعرفون شدّة عذاب الآخرة

وعقابها وأسبابه ومسبباته؛ عليه، فلابد أن يكون السيف الذي عَمِل في رقاب يهود بني قريظة وأمثالهم، هو أقرب الى الرحمة منه الى الغضب والسخط، وهو يمثل باباً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلحاظ الرحمة الرحيمية، لذا فإن على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يُذيق قلبه الرحمة الرحيمية وأن يحرص على أن لا يكون هدفه في الأمر والنهي، حبّ الظهور والكبر وفرض أوامره ونواهيه هو، إذ لو كان هذا منطلقهُ فإن الهدف من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ وهو تحقيق سعادة العباد وإجراء أحكام الله في البلاد ـ لن يتحقق، بل قد يحدث العكس احياناً نتيجة قيام إنسان جاهل بأمر بمعروف، وقد تزداد المنكرات أحياناً بسبب عملية أمرٍ ونهي جاهلة مبعثها هوى النفس وسلطة الشيطان.

وأمّا اذا كان حسُّ الرحمة والشفقة وحسُّ الأخوّة في الانسانية هو الدافع الى ارشاد الجاهلين وتنبيه الغافلين، فإن اسلوب البيان والارشاد المناسب من القلب الرحيم، يُحدثُ عند اللجوء اليه في الظروف المؤاتية تأثيراً حتمياً، وقوياً، فيُليّن القلوب القاسية المتحجرة ويستنزلها عن عتوها وغيها.

ويا حسرةً على إعراضنا عن القرآن الكريم وإشاحتنا نظر التدبّر والتعلم عن هذا الذكر الحكيم، فما نستفيده منه قليل بل يكاد يكون معدوماً.

ولو تفكرنا في الآيات التي تحدثت عن قصة موسى وفرعون فما بالك سنجد! إن ذلك سيفتح لقلب الانسان سبلاً الى المعرفة وأبواباً من الأمل والرجاء.

فهذا فرعون الذي وصل طغيانه حدّاً لأن يقول: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾[1]، وبلغ من عتوّه وفساده درجة جعلت الباري تعالى يقول عنه: ﴿يُذبّح أبناءهم ويستحيي نساءهم﴾[2]، حيث اندفع ـ لمجرد رؤيا رآها في المنام، عبّرها له

(١) النازعات: ٢٤.

(٢) القصص: ٤.

الكهنة والسحرةُ بظهور موسىٰ بن عمران عليه السلام - يفرق بين الأزواج ويذبح الأطفال الأبرياء ويرتكب كلّ تلك المفاسد.

وفي المقابل، نرى أن الرحمن جلّت عظمته نظر برحمته الرحيمية الى جميع مَن على الأرض ليختار أشدَّ بني الانسان آنذاك تواضعاً وأعلى كمالاً، النبي العظيم والرسول المكرم موسى بن عمران (على نبينا وآله وعليه السلام) والذي كان قد ربّاه وعلّمه ورعاه، فهو القائل بحقِّه: ﴿ولما بلغ أشدّهُ واستوىٰ آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين﴾[1]، وشدَّ أزره بأخيه العظيم هارون عليه السلام.

نعم، لقد انتخب الباري جلَّ وعلا ذينك العظيمين اللذين كانا يمثلان صفوة الانسانية في عصرهم، فهو القائل جلَّ وعلا: ﴿وأنا اخترتك﴾[2] و﴿ولتصنع على عيني﴾[3] و﴿اصطنعتك لنفسي اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري﴾[4] وآيات أخر لا يسعها البيانُ، مما ينال منها قلب العارف نصيبٌ لا يمكن التحدث عنه، لا سيما في هاتين العبارتين الكريمتين: ﴿ولتصنع على عيني﴾ و﴿اصطنعتك لنفسي﴾.

ولو أنك فتحت أحداق بصيرة قلبك لسَرَت نغمة روحانية رقيقة وراحت تملأ مسامع قلبك وزوايا وجودك بأسره بسرِّ التوحيد.

على أيّة حال، لقد أعدَّ الله تعالى موسى الكليم عليه السلام وربّاه بالرياضات الروحانية وبكل تلك الظروف والملابسات، فهو القائل جل من قائل: ﴿وفتنّاك فتوناً﴾[5]، فأرسله ليقضي سنينَ في خدمة الشيخ الكبير شعيب، رجلُ الهداية وخبير عالم الانسانية، يقول تعالى: ﴿فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت

(١) القصص: ١٤.

(٢) طه: ١٣.

(٣) طه: ٣٩.

(٤) طه: ٤٠ ـ ٤١.

(٥) طه: ٤٠.

على قدرٍ يا مُوسىٰ﴾[١]، ثم بعثه الى صحراء في طريق الشام ليعرضه لامتحان وافتتان اسمائي، فأضلّه في طريقه وأهطل عليه الأمطار وأحاطهُ بالظلمةِ وجعل ألم المخاض يجيء زوجته؛ وعندما أُغلقت أبواب الطبيعة كلها بوجهه وأصبح قلبه الشريف متضجراً من الكثرات، وانقطع الى الحق بالفطرة النقية وأكمل السفر الإلهي الروحاني في تلك الصحراء الموحشة: **﴿آنس من جانب الطور ناراً﴾﴿فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسىٰ إني أنا الله ربُّ العالمين﴾**[٢].

ولماذا كل هذه الامتحانات واشكال المنعطفات التربوية المعنويّة؟ كل ذلك من أجل دعوة وهداية وإرشاد وإنقاذ فردٍ واحد طاغٍ شرير كان ما يفتأ يقول: «**أنا ربكم الأعلى**» ولا يتوانىٰ عن ارتكاب كل ذلك الإفساد في الأرض. ألم يكن من الممكن أن يحرقه الله تعالىٰ بصاعقة غضبه؟ ولكنه تعالىٰ لرحمته الرحيمية بعث اليه نبيَّينِ من الأنبياء العظام وأوصاهما بأن يقولا له قولاً ليناً: **﴿اذهبا الى فرعون إنه طغى فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكّر أو يخشى﴾**، لعلّه يذّكر او يخشى من عاقبة أمره وفعله!

هذا هو منهاج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذه هي طريقة ارشاد شخصٍ كفرعون الطاغوت.

فعليك أنت يا مَن تريد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإرشاد خلق الله، أن تتخذ هذه الآيات الكريمة ـ التي أُنزلت من أجل التذكير والتعليم ـ تذكرةً لك وتتعلم منها كيفية استقبال عباد الله بالقلب المملوء بالمحبة والعطف، وكيفية السعي في خيرهم من صميم قلبك.

فإذا أيقنت أن قلبك صار رحمانياً ورحيمياً، فتبادر بالأمر والنهي والرشاد، لكي تليّن القلوب المتحجرة بدفء رأفة قلبك، وتذيب حديد النفوس بموعظتك

---

(١) طه: ٤٠.

(٢) القصص: ٢٩ ـ ٣٠.

الممزوجة بنار المحبة.

وهذا وادٍ غير وادي البغض في الله والحبّ فيه، مما يوجب عليك أن تكون عدوّاً لأعداء الدين، كما تشير اليه الاحاديث الشريفة والقرآن الكريم، فكلٌّ في محله صحيح، وليس في هذا الموضع متَّسعٌ لبيان ذلك.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الخامس

بيان مجمل في تفسير سورة «الحمد» المباركة ونبذة من آداب التحميد والقراءة

اعلم ان للعلماء آراءً مختلفة حول متعلق «الباء» في ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾؛ فقد ذكر كل واحد منهم متعلقاً لها بحسب مشربه من العلم والعرفان، تماماً كما هو حال علماء العربية، فقد اختلفوا في اشتقاق متعلق (للباء) مقدراً من مادة «الابتداء» او «الاستعانة» مثلاً.

أما ما ورد في بعض الروايات من أن «بسم الله» تعني «أستعين» فهو محمول، إما على التوضيح بما ينسجم مع ذوق العامة، وهذا من الأمور الشائعة كثيراً في الروايات، بل إن الاختلاف الملموس في كثير من الأحاديث محمول على نفس هذا الأمر، فنحن نجد أن الإمام الرضا عليه السلام في تفسير «بسم الله» يقول: «أسِمُ نفسي بسمةٍ من سِمات الله»[1].

وإما أن يكون المقصود بـ «الاستعانة» معنىً أدقّ من المعنى المتبادر الى أذهان العامة. فبعض اهل المعرفة اعتبروا أنَّ «الباء» تعود على فعلٍ مقدر هو

---

(١) كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص٢٢٩ ـ الباب ٣١ ـ الحديث الاول ومعاني الاخبار: ص٣.

«ظهر»، ولذا يكون التقدير: «ظهر الوجود ببسم الله»[١]، وهذا بناء على مسلك اهل المعرفة واصحاب السلوك والعرفان ممن يعتبرون أن كافة الموجودات وذرات الكائنات وعوالم الغيب والشهادة انما ظهرت بتجلي الاسم الإلهي الجامع أي «الإسم الأعظم».

وعلى هذا، يكون «الاسم» ـ الذي هو بمعنى العلامة او العلوّ والارتفاع ـ عبارة عن التجلي الانبساطي الافعالي للحق، وهو الذي يطلقون عليه «الفيض المنبسط» و «الإضافة الإشراقية» وبناءً على هذا المسلك، فإن دار التحقق بأسره، بدءاً بالعقول المجردة وحتى آخر مراتب الوجود، عبارة عن تعيّنات هذا الفيض وتنزلات هذه اللطيفة.

وفي الآيات الإلهية الشريفة والاحاديث الكريمة المأثورة عن اهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، كثيرٌ من النصوص المؤيدة لهذا المسلك. فعن الصادق عليه السلام قال: «إن الله خلق المشيئة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئة»[٢]. وقد فُسّر هذا الحديث الشريف بتفسيراتٍ عدّةٍ بحسب المسالك المختلفة، إلا أن أظهرها التفسير الموافق لهذا المسلك والذي يقول: إن المراد بـ«المشيئة» هو المشيئة الافعالية التي تُعبّر عن «الفيض المنبسط»، والمراد من «الاشياء» هو مراتب الوجود التي تمثّل تعيّنات وتنزلات هذه اللطيفة، وبذا يُصبح معنى الحديث: ان الله تعالى خلق المشيئة الافعالية ـ وهي ظلُّ المشيئة الذاتية القديمة ـ بنفسها بغير واسطة، ثم خلق سائر موجودات عالم الغيب والشهادة تبعاً لها.

وقد ذكر السيدُ المحقق الداماد رحمه الله ـ مع علوّ مقامه في التحقيق والتدقيق ـ

(١) هذا التفسير هو ما يقول به الشيخ محي الدين بن عربي. راجع الفتوحات المكية: ج١، ص١٠٢.

(٢) الاصول من الكافي: كتاب التوحيد ـ باب الارادة انها من صفات الفعل... ـ الحديث الرابع. وبحار الانوار: ج٤، ص١٤٥.

تفسيراً غريباً[١] لهذا الحديث الشريف، كذلك فإن الفيض ﷺ هو الآخر قد جانب الصواب بتفسيره[٢] لهذا الحديث.

عموماً، «الاسم» يُعبّر عن نفس التجلّي الافعالي الذي تحققت به دار التحقق بأسرها، وإطلاق الاسم على الأمور العينية من الأمور المتكررة بكثرةٍ في كلام الله وكلام رسوله وأهل بيت العصمة (صلوات الله عليهم أجمعين)، كما في قولهم عليهم السلام: «نحن الأسماء الحسنىٰ»[٣]، او ما يكثر في أدعيتهم من نظائر قولهم: «وباسمك الذي تجليت به [على فلان]»[٤].

ويحتمل ان تكون «بسم الله...» المتصدرة لكل سورة من القرآن الكريم، متعلقة بنفس تلك السورة. فمثلاً «بسم الله...» في مطلع سورة الحمد المباركة متعلقة بسورة الحمد ذاتها، وهذا ينسجم مع الذوق العرفاني ومسلك اهل المعرفة؛ ذلك لأن الإشارة هي الى أن حمد وثناء الحامدين انما يكون ايضاً بقيومية اسمِ «الله»؛ وعليه فإن «التسمية» المستحبة شرعاً قبل كل قول أو فعل، هي للتذكير بأن كل قولٍ او فعلٍ يصدر عن الانسان انّما يتمّ بقيومية اسم الله، وبذا فإن معنى «بسم الله الرحمن الرحيم» مختلف من سورة الى اخرى. والفقهاء يقولون بوجوب تعيين «بسم الله...» لكلِّ سورة، واذا قيلت «البسملة» لسورة معينة، فلا يجوز قراءة سورة غيرها بعدها.

وهذا القول المنسجم مع المنحى الفقهي لا يخلو من وجاهةٍ، كما انه قولٌ وجيه وفقاً لما قدمناه ايضاً.

من جهةٍ اخرى، فإن اضمحلال الكثرات في حضرة اسم الله الاعظم، تجعلنا نقول بمعنى واحد لجميع «التسميات»، فكما أن هذين النمطين من التحليل -

---

(١) راجع بيان صاحب مرآة العقول: ج٢، ص١٩ والوافي: ج١، ص١٠٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) راجع الاصول من الكافي: كتاب التوحيد ـ باب النوادر ـ الحديث الرابع.

(٤) راجع «دعاء السمات» مثلاً، مصباح المتهجد: ص٣٧٤.

بالكثرات من جهة والتحليل باضمحلالها من جهة اخرى ـ ينطبقان على مراتب الوجود ومنازل الغيب والشهود، فإنهما ينطبقان على تعينات الموجودات المتكثرة ومراتب وجود وتعينات عالم الاسماء المختلفة، الرحمانية والرحيمية والقهرية واللطفية.

وكذا في اعتبار الاضمحلال وانمحاء الأنوار الوجودية في نور الفيض الأزلي المقدّس، اذ لا يبقىٰ هناك من أثر سوىٰ للفيض المقدّس والاسم الإلهي الجامع.

وكلا هذين النمطين من التحليل يسريان على الاسماء والصفات الإلهية، فبناءً على التحليل الاول تكون حضرة واحدية مقام كثرة الاسماء والصفات وجميع الكثرات، من تلك الحضرة.

واما بناءً على التحليل الثاني فليس من اسم ولا رسم إلا لحضرة اسم الله الاعظم.

والتحليلان حكيمان ويستندان الى قاعدة فكرية.

اما اذا اصبح التحليل عرفانياً واستند الى فتح ابواب القلب، والى السلوك والرياضات القلبية، وتجلى الحق تعالىٰ ـ عندئذٍ ـ لقلوب اصحاب ذلك المنحى بالتجليات الافعالية والاسمائية والذاتية، نبعت الكثرة تارةً ونبعت الوحدة تارةً اخرى.

وقد تعرض القرآن الكريم الى هذه التجليات، بصراحةٍ تارةً كما في قوله تعالىٰ: ﴿**فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخَرَّ موسىٰ صعقاً**﴾[1]، وعلى نحو التلميح والإشارة تارةً اخرى، كما في سرده تعالى لمشاهدات إبراهيم عليه السلام ومشاهدات رسول الله صلى الله عليه وآله في سورتي «الأنعام» و«النجم» الكريمتين.

كذلك فقد وردت في أحاديث المعصومين وأدعيتهم عليهم السلام اشارات كثيرة الى

(١) الاعراف: ١٤٣.

هذا الأمر، خصوصاً في دعاء السِمات العظيم، الذي لا يتجرأ المنكرون على إنكار سنده ومتنه، فهو مقبول لدى العامّة والخاصة والعارف والعامّي، وهو بعدُ ينطوي على مضامين رفيعة ومعارف سامية، فقلب العارف يُصعق لهذا الدعاء، ونسيمه ينفخ في روح السالك نفخة الهية، تأمل في قوله عليه السلام: «...**وبنور وجهك الذي تجلّيت به للجبل فجعلته دكّاً وخرَّ موسى صعقاً، وبمجدك الذي ظهر على طور سيناء فكلّمت به عبدك ورسولك موسىٰ بن عمران** عليه السلام، **وبطلعتك في ساعر وظهورك في جبل فاران**...»[1].

عموماً، على السالك حين التسمية، أن يُفهم قلبه أن جميع الموجودات الظاهرة والباطنة وكافة عوالم الغيب والشهادة خاضعة لتدبير اسماء الله، بل إنها ظاهرة بظهور اسماء الله، وإن جميع حركاتها وسكناتها وجميع العالم، تحت قيومية اسم الله الاعظم. أي إن جميع تحميده للحق وجميع عباداته وطاعاته وتوحيده وإخلاصه تحت قيومية اسم الله.

فإذا استقرت هذه اللطيفة الالهية واستحكم هذا المقام في قلبه، وذلك من خلال الدأب على التذكير ـ وهو الغاية من العبادات، فالباري تعالىٰ يخاطب كليمه موسىٰ بن عمران عليه السلام في خلوة الأنس ومحفل القدس بقوله: ﴿**إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقِم الصلاة لذكري**﴾[2]، فقد جعل تعالىٰ «الذكر» هو الغاية من إقامة الصلاة ـ انفتح لقلب العارف سبيل آخر من المعارف وانجذب نحو عالم الوحدة وصار لسان حاله وقلبه: «**بالله الحمد لله**» و«**أنت كما أثنيت على نفسك**»[3] و«**أعوذ بك منك**»[4].

كان هذا عرضٌ اجمالي حول تعلق وعائدية «الباء» في «بسم الله...» ونفحة

---

(١) مصباح المتهجد: ص٣٧٦.

(٢) طه: ١٤.

(٣) من دعاء الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله في السجود. راجع عوالي اللئالي: ج١، ص٣٨٩، الحديث ٢١.

(٤) من دعاء الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله في السجود ايضاً. راجع مصباح المتهجد: ص٣٠٨.

من المعارف المستفادة من ذلك.

اما اسرار «الباء» و«النقطة التي تحت الباء» التي تبطّنُ مقام الولاية العلوية ومقام جمع الجمع القرآني، فيحتاج الخوض فيها مجالاً أوسع.

وأمّا حقيقة الاسم فإن لها مقاماً غيبياً وغيبَ غيبيٍّ، وسراً وسرَّ سريٍّ، ومقاماً ظهورياً وظهورَ ظهوريّ.

ولما كان الاسم علامة الحق والفاني في الذات المقدسة، فإن الاسلام كلّما كان أقرب الى أفق الوحدة وأبعد عن عالم الكثرة، كان أكمل في الاسميّة؛ وأتمّ الأسماء هو الإسم المنزّه عن الكثرات حتى الكثرة العلمية منها، وهو التجلّي الغيبي الأحدي الأحمدي في حضرة الذات بمقام «الفيض الأقدس»، والذي ربما كانت الآية الكريمة «او أدنىٰ»[1] اشارةً اليه.

ويليه التجلّي بحضرة اسم الله الاعظم في حضرة الواحدية ثم التجلي بـ«الفيض المقدس» وتليه التجلّيات بنعت الكثرة في حضرات الأعيان والى آخر مراتب دار التحقق.

وقد فصّلتُ الحديث عن هذا المجمل في رسالتي «مصباح الهداية» و«شرح دعاء السحر»[2].

و«الله» هو مقامُ الظهور بـ«الفيض المقدّس»، إذا كان المراد من «الاسم» هو التعينات الوجودية.

وإطلاق «الله» عليه انما كان نتيجة اتحاد الظاهر والمظهر وجواز فناء الاسم في المسمىٰ، ولعل الآيات الكريمة: ﴿الله نور السماوات والارض﴾[3] و﴿هو الذي في السماء إلهٌ وفي الارض إله﴾[4] تشير الى هذا المقام وتؤيد هذا

---

(١) «فكان قاب قوسين او أدنىٰ» النجم: ٩.

(٢) رسالة ألّفها الامام الخميني(رضوان الله عليه) باللغة العربية في شرح بعض وجوه دعاء المباهلة وقد تم تأليفه سنة ١٣٤٩هـ.

(٣) النور: ٣٥.

(٤) الزخرف: ٨٤.

الإطلاق ومقام الواحدية وجمع الأسماء.

وبعبارة اخرى فإنه مقام الإسم الأعظم، اذا كان المقصود بالإسم مقام التجلي بالفيض المقدس ولعلّ هذا هو الأظهر من سائر الاحتمالات، أو إنه مقام الذات او مقام «الفيض الأقدس» اذا كان المقصود بالإسم هو الإسم الأعظم، وكما هو واضح فإن مقام «الرحمن» و«الرحيم» سيختلف باختلاف هذه الاحتمالات.

ويحتمل أن تكون «الرحمن» و«الرحيم» صفتين للإسم، او لعلهما صفتان للفظ الجلالة «الله». والأقرب اعتبارهما صفتين للإسم، لأنهما في سورة الحمد صفتان للفظ الجلالة «الله»، وهذا ينفي احتمال التكرار، وإن كان من الممكن تفسير الأمر بطريقة اخرى ايضاً اذا بُني على اعتبارهما صفتين للفظ الجلالة «الله» بتوجيه التكرار بلاغياً.

اما اذا اعتبرناهما صفتين للأسم فإن هذا يؤيد ان المراد من الاسم هو الاسم العينيّ، لأن المتصف بصفات الرحمانية والرحيمية ليس الا الاسماء العينية.

إذن، إذا كان المراد من (الاسم) الاسم الذاتي والتجلي بالمقام الجمعي، تكون الرحمانية والرحيمية من الصفات الذاتية الثابتة لحضرة «اسم الله» في التجليات بمقام الواحدية، وتكون الرحمة الرحمانية والرحيمية الافعالية من تنزلاتها ومظاهرها.

اما اذا كان المراد من (الاسم) التجلّي الجمعي الافعالي وهو مقام المشيئة، فالرحمانية والرحيمية هي من صفات الفعل.

فالرحمة الرحمانية هي بسط أصل الوجود وهي عامة لكافة الموجودات لكنها من الصفات الخاصة بالحق تعالىٰ، لأنه ما من شريك للحق تعالىٰ في بسط اصل الوجود؛ وسائر الموجودات قاصرة عن الرحمة الإيجادية اذ لا مؤثر في الوجود إلا الله ولا إله في دار التحقق إلا الله.

واما الرحمة الرحيمية والتي تعدُّ هدايةُ الهداة من رشحاتها، فهي خاصة

بالسعداء وأولي فطرة «عليين»، لكنها من الصفات العامّة حيث للموجودات الاخرى حظٌّ ونصيب منها؛ وقد أشرنا فيما سبق الى عمومية الرحمة الرحيمية، وقلنا بأن عدم شمولها الأشقياء انما هو نتيجة نقصهم هم، لا نتيجة محدودية الرحمة.

لذا كانت الهداية والدعوة شاملة لعموم بني الانسان، وهذا ما يدُلُّ عليه القرآن الكريم.

ويمكن ايضاً اعتبار ان الرحمة الرحيمية مختصة بالحق تعالى، لا يشاركه فيها أحد، وقد اختلف بيان الرحمة الرحيمية في الاحاديث الشريفة باختلاف النظرة والاعتبار، فقد ورد عنهم عليهم السلام القول: «**إن الرحمن اسمٌ خاصٌ لصفةٍ عامة والرحيم اسم عامٌ لصفةٍ خاصة**»[1].

كما ورد عنهم: «**الرحمن بجميع خلقه والرحيم بالمؤمنين خاصةً**»[2].

وقالوا: «**يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة**»[3].

وقالوا: «**يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما**». الى غير ذلك.

---

(١) مجمع البيان: ج١، ص٢١ عن الامام الصادق عليه السلام.

(٢) المصدر السابق عن بعض التابعين.

(٣) المصدر السابق عن النبي الاكرم صلى الله عليه وآله.

تحقيق عرفاني

يقول علماء اللغة والأدب: ان «الرحمن» و«الرحيم» مشتقان من «الرحمة» ويراد بهما المبالغة. غير ان المبالغة في «الرحمن» أشدُّ منها في «الرحيم». والقياس يقتضي تقدُّم «الرحيم» على «الرحمن» ولكن لما كان «الرحمن» بمنزلة العلم الشخصي، ولا يطلق على سائر الموجودات فقد تمَّ تقديمهُ.

كما قال بعضهم: إنهما بمعنىً واحد، معتبرين التكرار لمجرد التأكيد.

غير أن الذوق العرفاني ـ والذي نزل القرآن بأعلى مراتبه ـ يقتضي ان يكون «الرحمن» مقدّماً على «الرحيم» لأن القرآن عند اصحاب القلوب: هو نازلة التجليات الإلهية والصورة الكتابية لأسماء الربوبية الحسنى. ولما كان اسم «الرحمن» اكثر الاسماء الإلهية إحاطةً بعد الاسم الاعظم، وقد ثبت تحقيقاً عند اصحاب المعرفة أن التجلّي بالاسماء المحيطة مقدّم على التجلي بالاسماء المحاطة، كما أن الاسم الأكثر إحاطةً يكون التجلي به مقدماً، لذا كان التجلّي أولاً في الحضرة الواحدية، هو التجلي باسم الله الاعظم، ثم يليه التجلّي بمقام الرحمانية ثم التجلي بالرحيمية.

وهكذا هو الحال في التجلي الظهوري الافعالي ايضاً، حيث يكون التجلي بمقام المشيئة ـ وهو الاسم الاعظم في هذا المشهد ـ وظهور الاسم الاعظم الذاتي مقدماً على كافة التجليات الاخرى، والتجلي بمقام الرحمانية ـ والمحيطة بجميع موجودات عالم الغيب والشهادة التي وردت الاشارة اليها في ﴿ورحمتي وسعت كلَّ شيءٍ﴾[1] ـ مقدّم على سائر التجليات الاخرى.

و«سبقت رحمته غضبه»[2] اشارة الى هذا المعنىٰ من بعض الوجوه.

اجمالاً، لما كانت «بسم الله...» ـ بحسب الباطن والروح ـ صورة للتجليات

---

(١) الاعراف: ١٥٦.

(٢) راجع علم اليقين: ج١، ص٥٧.

الافعالية وصورة ـ بحسب السرّ وسرّ السرّ ـ للتجليات الاسمائية، بل الذاتية؛ ثم لما كانت هذه التجليات تتم بمقام «الله» اولاً ثم بمقام «الرحمن» ثم بمقام «الرحيم»، لذا وجب أن تكون صورتها اللفظية الكتابية على هذا النحو ايضاً لتكون مطابقة للنظام الإلهي والرباني.

اما تأخر «الرحمن» و«الرحيم» على «رب العالمين» في سورة الحمد المباركة، فلعلّ السرّ فيه يكمن في أن المراد في «بسم الله...» هو ظهور الوجود من مكامن غيب الوجود، في حين إن المراد في السورة المباركة هو الرجوع والبطون ـ وإن كان في هذا الاحتمال إشكالٌ! ـ.

أو لعلّ ذلك التأخر يراد به الإشارة الى إحاطة الرحمة الرحمانية والرحيمية، او قد يكون هناك احتمال آخر.

على أية حال فإن النكتة التي ذكرت في «بسم الله...» جديرة بالتصديق، ولعلّ هذا التصديق من بركات الرحمة الرحيمية على قلب هذا الحقير، وله الحمد على ما أنعم.

مركز تحقيقات كامپيوتر علوم اسلامی

بحثٌ وتحصيل

يقول علماء الظاهر إن «الرحمن» و«الرحيم» مشتقان من الرحمة ويُراد بهما العطف والرأفة. روي عن ابن عباس (رضي الله عنه): «**إنهما إسمان رقيقان، أحدهما أرقُّ من الآخر، فالرحمن: الرقيق، والرحيم: العطوف على عباده بالرزق والنعم**»[1].

وقد فُسِّرت وأوّلت عند إطلاقها على الذات المقدسة واعتبرت مجازاً لما يستلزمه العطف والرقة من انفعال.

وبعضهم استند على قاعدة «أخذ الغايات وترك المبادئ» فقالوا بإطلاق هذه الأوصاف. واعتبروا أن اطلاقها على الحق، انما هو بلحاظ الآثار والافعال، لا بلحاظ المبادئ والاوصاف. وبذا يكون معنى «الرحيم» و«الرحمن» في الحق تعالى: «هو ذلك الذي يتعامل مع عباده بالرحمة».

بل إن المعتزلة اعتبروا ان جميع اوصاف الحق على هذا النحو او قريبة منه، وعلى هذا الرأي يكون اطلاقها على الحق مجازياً ايضاً.

وعلى كلِّ حال فالاستخدام المجازي من الامور المستبعدة هنا، خاصةً مع صفة «الرحمن» التي تستلزم امراً عجيباً اذا أريد بها المجاز، فهذه الكلمة قد وضعت لمعنىً لا يجوز ـ بل لا يمكن ـ استعماله فيه، وفي الحقيقة فإنَّ هذا المجاز سيكون بلا حقيقة، فتأمل!

وللإجابة عن أمثال هذه الإشكالات يقول اهل التحقيق: ان الالفاظ موضوعة لمعانٍ عامةٍ وحقائق مطلقة، فالتقييد بالعطف والرقّة لا يدخل فيما وضع له لفظ «الرحمة»، بل ان اذهان العامة هي التي اخترعته دون ان يكون له دورٌ في أصل وضع اللفظ.

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي: ج١، ص٩.

وهذا التحليل بعيدٌ ـ كما يبدو ـ عن التصديق، إذ إن من المعلوم أن الواضع للفظ كان من بين الاشخاص العاديين، وهو لم يأخذ في اعتباره ـ حين وضع اللفظ ـ المعاني المجردة والحقائق المطلقة.

نعم، لو كان الواضع هو الحق تعالى او الانبياء عليهم السلام ـ عن طريق الوحي والالهام الإلهي ـ لكان هذا التحليل وجيهاً، لكنّ هذا الأمر ليس ثابتاً هو الآخر.

ومهما يكن الحال، فإن ظاهر هذا التحليل مخدوش، ولكن ليس معلوماً أن يكون هذا الظاهر هو مراد اهل التحقيق. فمن الممكن أن يقال في بيان هذا الموضوع: إن واضع الالفاظ والكلمات وإنْ كان لم يلاحظ المعاني المطلقة المجردة حين الوضع، إلا أن ما وضعت له هذه الالفاظ هو هذه المعاني المجردة المطلقة بالضبط.

فمثلاً عندما أراد الواضع أن يضع لفظة «النور»، فإنه اراد الاشارة الى جهة «النورية» لا الى جهة اختلاط النور بالظلمة، رغم انَّ الذي رآه من الانوار هي هذه الانوار الحسية الجزئية ـ لأنه لا يعرف غير هذه الانوار ـ ولو أنه سُئل السؤال الآتي:

ان هذه الانوار الجزئية المحدودة ليست نوراً صرفاً، بل هي أنوار مختلطةٌ بالظلمة والضعف، فهل لفظ «النور» الذي وضعته يُراد به محضُ النورية، او النورية المختلطة بالظلمة؟

لأجاب ـ بالضرورة ـ بأنه وضعه للنورية ولا دور للظلمة في المعنى الموضوع له اللفظ بأيّ وجه كان.

كذلك، فنحن نعلم ان الذي وضع لفظة «النار» لم يرَ سوىٰ هذه النيران الدنيوية، وهي التي سببت التفاته الى هذه الحقيقة، فهو ليس مطلعاً على نار الآخرة ﴿نار الله الموقدة*التي تطلع على الأفئدة﴾[1]، ويشتد احتمالنا لذلك

---

(١) الهمزة: ٦ و٧.

اذا كان الواضع غير معتقد بالعالم الآخر؛ ولكن مع ذلك فإن هذا لا يؤدي الى انتقال التقييد الى الحقيقة المجردة، بل ان لفظة النار يُلحظ فيها هذه الجنبة «النارية»، ونحن لا نقول بأن الواضع هو شخصياً الذي جرّد المعاني فيكون الأمر مستغرباً مستبعداً، انما نقول: إن الالفاظ انما وقعت في نفس جهة المعاني ـ دون ان تتقيد بقيدٍ ما ـ وبذا فلا وجه للاستغراب والاستبعاد.

وكلما كان المعنى اكثر خلواً من الغرائب والمعاني الدخيلة كان اقرب للحقيقة وأبعد عن المجازية. فكلمة «النور» مثلاً والموضوعة لتلك «النوريّة» الظاهرية بالذات والمظهرية للغير، رغم ان اطلاقها على الانوار الجزئية الدنيوية لا يخلو من حقيقة ـ لعدم منظورية جهة المحدودية والاختلاط بالظلمة في اطلاقها، بل ان المنظور في ذلك هو الظهور الذاتي والمظهرية ـ ولكن الأشدّ قرباً من الحقيقة اطلاقها على الانوار الملكوتية؛ فظهورها أكمل وأقرب الى الذاتية، كما أن مظهريتها اشدّ كمّاً وكيفاً، فضلاً عن أن اختلاطها بالظلمة والنقص أقلُّ كثيراً.

وكذا الحال مع الانوار الجبروتية، فإطلاقها هنا ايضاً أقرب الى الحقيقة وفق الاستدلال المتقدم؛ وهكذا الى أن تصل الى إطلاق هذه اللفظة على الذات المقدسة للحق تعالى، حيث إن هذا الاطلاق سيمثل الحقيقة الخالصة النقيّة لأنه جلَّ وعلا هو نور الانوار والخالص من كل معنىً للظلمة، وهو صرف النور والنور الصرف، بل يمكن القول: إن كلمة «النور» اذا كانت قد وضعت «للظاهر بذاته المظهر لغيره» فإن اطلاقها على غير الحق تعالى، حقيقي لذي العقول الجزئية، مجازيٌّ لذي العقول المؤيَّدة واصحاب المعرفة، والحقيقي هو اطلاقها على الحق تعالى فقط!

وهكذا هي الحال مع جميع الالفاظ الموضوعة للمعاني الكمالية، يعني الامور التي هي من سنخ الوجود والكمال.

على هذا نقول: ان في «الرحمن» و«الرحيم» و«العطوف» و«الرؤوف»

وامثالها جهةَ كمالٍ وتمامية وجهة انفعال ونقص، والالفاظ ـ أعلاه ـ موضوعة لهذه الجهة الكمالية التي تمثل اصل تلك الحقيقة، اما الجهات الانفعالية ـ وهي من مستلزمات النشأة والامور الدخيلة والغريبة على تلك الحقيقة والتي تلازمت واختلطت مع تلك الحقائق بعد تنزلّها الى البقاع الامكانية والعلوم الدنيوية النازلة، كاختلاط الظلمة بالنور في النشأة النازلة دون ان يكون لها دخل في المعنىٰ الذي وضعت له الالفاظ ـ فإطلاقها على الموجود الواجد لمحض جهة الكمال المنزّه عن جهات الانفعال والنقص، هو محضُ الحقيقة والحقيقة المحضة.

وهذا الرأي قريب من وجدان اهل الظاهر، فضلاً عن قربه لذوق اهل المعرفة. وبناءً عليه يتّضح أن إطلاق مطلق اوصاف الكمال وما هو من نمطها ـ والتي اختلطت وتلازمت من خلال التنزل في بعض النشآت مع أمور اخرى تنزه عنها الذات المقدسة للحق جلّت عظمته ـ على الحق تعالى ليس إطلاقاً مجازياً، والله الهادي.

الحمد لله...

قوله تعالى: «الحمد لله» يعني: أن جميع انواع المحامد مختصّة بالذات الألوهية المقدسة.

اعلم، أيّها العزيز، أن هذه العبادة الشريفة تنطوي على سرّ التوحيد الخاص، بل سرّ توحيد أخصّ الخواص.

واختصاص كافّة محامد الحامدين بالحق تعالى عند اصحاب الحكمة وأئمة الفلسفة العالية أمرٌ واضح وبيّن استناداً الى البرهان، فمن الثابت برهانياً أن دار التحقق كافة هي ظلّ حضرة الحق المنبسط وفيضه المبسوط، وأن جميع النعم الظاهرة والباطنة من أيّ منعم كانت ـ بحسب ظاهرها وفي انظار العامّة ـ هي من الحق تعالى جلّ وعلا، لايشاركه في ذلك أحدٌ من الموجودات، حتى «مشاركة إعدادية»، ذلك عند اهل الفلسفة العامية، ناهيك عن الفلسفة العالية.

اذن، لمّا كان الحمد بإزاء النعمة والإنعام والإحسان، ولمّا لم يكن من منعم في دار التحقق سوى الحق تعالى، لذا فإن جميع المحامد تختص بالحق تعالى.

ولمّا لم يكن من جمالٍ وجميلٍ سوى جماله وسواه، لذا صارت المدائح ترجع اليه ايضاً.

وبعبارة اخرى نقول: ان كلّ حمدٍ ومدحٍ ومن أيّ حامد او مادح كان صادراً، انما هو في إزاء تلك الجهة من النعمة والكمال دون ان يكون لمحل ومورد النعمة والكمال الذي ينقُص النعمة والكمال ويحددها اي نصيبٍ من الثناء والمدح بأيّ وجه. بل لعلّ ذلك مما ينافي المدح والثناء ويضادهما.

اذن فجميع المحامد والمدائح هي من نصيب الربوبية ـ الذي هو الكمال والجمال ـ ولا نصيب للمخلوق ـ وهو النقص والتحديد ـ منه.

وبأسلوبٍ آخر فإن الثناء على الكامل والشكر والحمد للمنعم هي من الامور الفطرية الإلهية التي فُطر عليها الخلق جميعاً، كما إن التنفّر من النقص والناقص

ومنتقص النعمة من الامور الفطرية الإلهية، ولما كانت النعمة الخالصة من شائبة اي نقص، والجمال والكمال التام المنزه عن كل نقص، تختص بالحق تعالى، وان سائر الموجودات تنقص النعم المطلقة والجمال المطلق وتحددها ولا تزيدها وتؤيدها، لذا فإن فطرة كل الناس هي الثناء والمدح لذاته المقدسة والتنفر من سائر الموجودات، إلا أن تكون ـ تلك الموجودات ـ قد فنت في ذات ذي الجلال ـ بحسب سيرها في ممالك الكمال ومدن العشق ـ فيكون عشقها وحبها والثناء عليها ومدحها هو عين العشق للحق تعالى والثناء عليه «حبُّ خاصة الله هو حُبُّ الله».

وتجدر الاشارة الى أن ما ذكرناه الى الآن هو ضمن نطاق مقامات المتوسطين الذين مازالوا في حجاب الكثرة حتى الآن غير متخلصين تماماً من جميع مراتب الشرك الخفي والشرك الأخفى، وغير بالغين كمال مراتب الخلوص والاخلاص.

اما اذا أردنا عرض الأمر بما يتناسب مع عرفان أصحاب القلوب الفانية، نقول: ان النعم وكلّ كمالٍ وجمال وجلال تكون في بعض الحالات الخاصة صورة للتجلي الذاتي، وتكون المحامد والمدائح كافة متعلقة بالذات المقدسة للحق تعالى، بل ان المدح والحمد منه وله[1].

هذا بالنسبة الى ما يشير الى تعلّق «بسم الله...» بـ«الحمد لله»، ولكن لتعلم انه ينبغي للسالك الى الله والمجاهد في سبيله أن لا يقنع بحدّ العلم بهذه المعارف فيقضي عمره بطوله في مجرد الاستدلال الذي يعدُّ حجاباً ـ بل إنه الحجاب الاعظم ـ فهذه المرحلة مما لا يمكن طيّه بالقدم الخشبية[2]، بل مما لا يمكن طيّه

---

(١) يجب أن لا يخفى أن اختصاص المحامد كلها او جنس الحمد باحتمالين في الالف واللام يناقض السببية. حتى ان كانت بمعناها الدقيق. فلا يمكن توجيه المطلب إلا بلسان القرآن وعرفان اولياء الله (صلوات الله عليهم) ـ المؤلف ـ.

(٢) اشارة الى بيت شعري للعارف جلال الدين الرومي ترجمته: «إن قدم اهل الاستدلال خشبية. والقدم الخشبية ضعيفة».

حتى بطائر سليمان[١]، فهو وادي المقدسين، وهي مرحلة الاحرار، وما لم تُخلع نعلا حبّ الجاه والشرف والزوج والبنين، وتُلقَ عصا الاعتماد والتوجه الى الغير من اليد اليمنى فلن يمكن التقدم خطوة واحدة في هذا الوادي المقدس، فهو محلُّ المخلصين ومنزل المقدسين.

ولو أن السالك تقدم في هذا الوادي بحقائق الاخلاص معرضاً عن الكثرات والدنيا ـ وهي وهمٌ في وهم ـ فإن المعونة ستصله من عالم الغيب ـ اذا كانت بقايا من الانانية قد تخلفت لديه ـ وسيندكُّ جبل «إنّيته» بالتجليات الالهية وتغشاه حالة «الصعق» و«الفناء».

اما بالنسبة لذوي القلوب القاسية ممن لا همَّ لهم سوى تحصيل الدنيا وحظوظها، وممن لم يتعودوا ولم يعرفوا سوى الغرور الشيطاني، فإن هذه المقامات مما لا يستساغ ابداً ومما يُنسب الى التخريف، والحال أن فناءنا في الطبيعة والدنيا وغفلتنا الكاملة عن كافة عوالم الغيب ـ رغم انها أشدُّ ظهوراً من هذا من جميع الجهات وعلى كافة الاعتبارات ـ بل غفلتنا عن ذات وصفات الذات المقدسة للحق تعالى وهي الظهور المختص بذاته، وتشبثنا بأذيال البرهان والاستدلال من أجل إثبات وجود تلك العوالم والذات المقدّسة للحق جل وعلا، وهي أغربُ وأعجب بمراتب من الفناء الذي يدّعيه اصحاب العرفان والسلوك.

حيرةٌ في حيرةٍ تبعتها هذي القصص

كيف يُغشى على الخاصة من الأخس[٢]

ولا شك ان الكلمة في آخر البيت هي «أخسّ» (بالسين) ولو كانت «أخصّ»

(١) اشارة الى بيت شعري للعارف حافظ الشيرازي ترجمته: «إنني لم أصل منزل العنقاء بنفسي، بل طويت الدرب مع طير سليمان».

(٢) مضمون بيت شعري للعارف جلال الدين الرومي، وهو من قصيدة يروي فيها الشاعر حادثة طلب الرسول الاعظم ﷺ من جبرئيل ان يريه صورته الحقيقية، ثم عندما ظهر بتلك الصورة التي ملأت المشرقين غُشي على الرسول ﷺ. وقد ورد هذا البيت الشعري في بعض نسخ ديوان الشاعر مختوماً بكلمة «أخص» وهذا ما اعترض عليه الامام ﷺ مرجحاً كلمة «أخس»، علماً ان الكلمتين تردان باللغة الفارسية بنفس معناهما في اللغة العربية ـ المترجم.

(بالصاد) لما كان الأمر مدعاةً لهذا القدر من الحيرة. ففناء الناقص في الكامل امر طبيعي يطابق السنّة الالهية، في حين إن الصعق والفناء في الأنزل هو المتحقق فينا جميعاً، فقد انغمرت وفنت أسماعنا وأبصارنا في عالم الطبيعة حتى صرنا لا نسمع كل ذلك الدوي المنطلق من عالم الغيب.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

نقلٌ وتحقيق

اعلم ان علماء اللغة، وعلماء الظاهر، يقولون: أنَّ الحمد؛ ثناء اختياري باللسان على الجميل، وقد حملوا تسبيح وتحميد الحق تعالى، بل مطلق كلامه جل وعلا على نوعٍ من المجاز وذلك لغفلتهم عما سوى هذا اللسان اللحمي من الالسنة الاخرى، كما انهم حملوا كلام وتسبيح وتحميد الموجودات على نوع من المجاز ايضاً، فهم يحسبون التكلّم بالنسبة للحق تعالى: عبارة عن ايجاد الكلام، وفي الموجودات الاخرى، عبارة عن التسبيح والتحميد الذاتي التكويني.

وفي الحقيقة فهم يحصرون النُطق بنوعهم متوهمين ان الذات المقدسة للحق جل وعلا، وسائر الموجودات ليست ناطقة، بل هي ـ والعياذ بالله ـ خرساء تماماً. وهم يتصورون أن في ذلك تنزيهاً للذات المقدسة في حين إنه تحديدٌ وتعطيل. والحق تعالى منزّهٌ عن هذا التنزيه، وتنزيهات العامّة في معظمها تحديد وتشبيه. وقد أسلفنا الحديث عن كيفية وضع الالفاظ للمعاني العامة المطلقة، ونضيف هنا:

إننا لسنا مقيدين الى هذا الحدِّ بلزوم حصول الصدق اللغوي او الحقيقة اللغوية على الحقائق الإلهية، فصحّةُ الاطلاق والحقيقة العقلية هي المعيار في هذه المباحث ـ وإنْ كانت الحقيقة اللغوية ثابتةً ايضاً حسبما أوردنا في المبحث السابق ـ لذا نقول: إن اللسان والتكلّم والكلام والكتابة والكتاب والحمد والمدح مراتب تتفاوت بتفاوت النشآت الوجودية، وكل مرتبة منها تناسب نشأةً من النشآت ومرتبة من مراتب الوجود.

ولمّا كان الحمد في كل مورد يتمُّ على جميلٍ ما، ولما كان المدح يطلق لجمال وكمال معينين، اذن فالحق جل وعلا ـ وحيث انه تعالى قد شاهد جماله الجميل بحسب علمه الذاتي في حضرة غيب الهوية وبأتم مراتب العلم والشهود ـ ابتهج بذاته الجميلة بأشد مراتب الابتهاج، فهو يتجلى للذات بالتجلي الازليّ بأعلى

مراتب التجلّيات في حضرة الذات، وهذا التجلّي وإظهار ما في المكنون الغيبي والمقارعة الذاتية هو «الكلام الذاتي» الذي يقع بلسان ذاتي في حضرة الغيب، ومشاهدة هذا التجلي الكلامي هو سمع الذات[١]. وهذا هو ثناء الذات المقدّسة على ذات الحق، وهو ما تعجز عن إدراكه سائر الموجودات، فهاهو ذا النبي الخاتم بذاته المقدسة وصلوات الله عليه يعترف ـ وهو اشرف المخلوقات واقربها للحق تعالى ـ بهذا العجز فيقول: «**لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك**»[٢]، ولا يخفى ان «احصاء الثناء» هو فرع من المعرفة بالكمال والجمال، والثناء الحقيقي لن يتحقق ما لم تحصل المعرفة التامّة بالجمال المطلق. فغاية معرفة اصحاب المعرفة العرفان بالعجز.

واهل المعرفة يقولون: ان الحق تعالى يحمد ويثني على نفسه بالألسنة الخمسة وهي: لسان الذات من حيث هي ـ لسان أحدية الغيب ـ لسان الواحدية الجمعيّة ـ لسان الأسماء التفصيلية ـ ولسان الأعيان.

وهي غير لسان الظهور الذي يبدأ بلسان المشيئة ويصل الى لسان الكثرات الوجودية الذي يمثل لسان آخر مراتب التعينات.

ولتعلم ان الموجودات جميعاً لها حظّ، بل حظوظ من عالم الغيب ـ وهو الحياة المحضة ـ وحظوظ من الحياة السارية في سائر أرجاء دار الوجود، الأمر الثابت لدى ارباب الفلسفة العالية بالبرهان، ولدى اصحاب القلوب والمعرفة بالمشاهدة والعيان.

كما ان الآيات الإلهية الكريمة واخبار اولياء الوحي عليهم السلام تدل عليه دلالة تامة،

---

(١) قولنا مبتهجٌ بذاته يجب أن لا يدفع القارئ الى الذهاب الى اطلاق لفظ الابتهاج في حقه تعالى، وكذا هو الحال مع الفاظ «العشق» و«الحب» وامثالها مما يلازم نوعاً من التجدد والحدوث والانفعال والامكان بحسب معانيها العامة المتعارفة، فهي من الالفاظ الموضوعة للمعاني المجردة واطلاقها على الحق تعالى هو على نحو اطلاق العطوف والرحمن وامثالها. وهذه المطالب ليست من الامور التي تسعها الاذهان المعتادة لعامة الناس، فهي تحتاج الى بحثٍ فلسفي دقيق وذوق عرفاني متوقد، رزقنا الله وإياكم ذلك ـ المؤلف ـ.

(٢) مصباح الشريعة: الباب الخامس ـ وعوالي اللئالي: ج ١، ص ٣٨٩.

الا أن المحجوبين - من أهل الفلسفة العامية ومن اهل الظاهر الذين لم يتعقلوا نطق الموجودات - عمدوا الى تأويلها وتوجيهها.

والعجيب أن أهل الظاهر ورغم انهم يؤاخذون على اهل الفلسفة تأويلهم كتاب الله وفق عقولهم، إلا أنهم هم أنفسهم يقومون في هذه الموارد بتأويل كل تلك الآيات الصريحة والاحاديث الصحيحة، لمجرد عدم فهمهم نطق الموجودات مع انهم لا يمتلكون برهاناً على ذلك، فهم يؤوّلون القرآن دون دليل لمجرد الاستبعاد.

اجمالاً، فإنّ دار الوجود هي اصل الحياة وحقيقة العلم والشعور، وتسبيح الموجودات هو تسبيح نطقيٌّ شعوريٌّ اراديٌّ، وليس تكوينياً ذاتيا كما يقول المحجوبون. وإن لجميع الموجودات - وكلٌّ بحسب حظّه من الوجود - معرفةً بمقام الباري جلت عظمته. غير أن الانسان ولما كان اكثر الموجودات اشتغالاً بالطبيعة وانغماساً في الكثرة فهو أكثرها محجوبية، إلا إذا خرج من جلباب البشرية، وخرق حجب الكثرة والغيرية وعمد الى مشاهدة جمال الجميل دون حجاب، عندها فقط يكون حمده ومدحه أكثر جامعية من جميع المحامد والمدائح، وسوف يثني على الحق تعالى ويعبده بكافة الشؤون الالهية وبجميع الاسماء والصفات.

تتميم

اعلم ان العبارة الشريفة «الحمد لله» هي من الكلمات الجامعة ـ على ما بيّنا ـ، ولو أنَّ شخصاً حمد الحق تعالى بها ـ مشتملة على كل لطائفها وحقائقها ـ يكون قد أدّىٰ حق الحمد بالقدر الذي تسعه الطاقة البشرية.

وقد أشارت الأحاديث الشريفة الى هذا المعنىٰ. رُوي أن الامام الباقر عليه السلام **«خرج من منزل فلم يجد مطيته، فقال: لئن ردها الله تعالى لأحمدنّه بمحامد يرضاها. فما لبث أن أُتي بها، وعندما استوى عليها وضمّ اليه ثيابه قال: الحمد لله»**[1].

وروي ان الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله قال: **«لا إله إلّا الله نصفُ الميزان، والحمد لله يملؤه»**[2]. والسبب في ذلك ـ كما أوضحنا ـ أن «الحمد لله» جامعة للتوحيد ايضاً.

وروي عن الرسول الله صلى الله عليه وآله قوله: **«إن قول العبد «الحمد لله» أرجح في ميزانه من سبع سماوات وسبع أرضين»**[3].

وروي عنه صلى الله عليه وآله قوله: **«لو أن الله أعطى الدنيا بأسرها لعبد من عبيده، فيقول العبد: الحمد لله، لكان الذي أتى به أفضل مما أعطي»**[4].

وروي عنه صلى الله عليه وآله: **«ليس شيءٍ أحبّ الى الله من قول القائل: الحمد لله، ولذلك أثنى به على نفسه»**[5] والاحاديث في هذا الباب كثيرة.

---

(١) مستدرك الوسائل: كتاب الصلاة ـ ابواب الذكر ـ باب استحباب كثرة حمد الله عند تظاهر النعم ـ الحديث ١٨ بتفاوت يسير.

(٢) وسائل الشيعة: كتاب الصلاة ـ ابواب الذكر ـ باب استحباب كثرة حمد الله عند تظاهر النعم ـ الحديث الاول.

(٣) مستدرك الوسائل: الحديث ٢٦.

(٤) المصدر السابق: الحديث ٢٤.

(٥) المصدر السابق: الحديث ٣١.

ربّ العالمين

قوله تعالى: «ربّ العالمين». اذا كانت «ربّ» بمعنى «المتعالي» و«الثابت» و«السيد» فهو من الاسماء الذاتية.

واذا كانت بمعنى «المالك» و«الصاحب» و«الغالب» و«القاهر» فهو من الاسماء الصفاتية.

واذا كانت بمعنى «المربي» و«المنعم» و«المتمّ» فهو من الاسماء الافعالية.

ولكن اذا كان «العالَم» بمعنى «ما سوى الله» فإن ذلك يشمل كافة مراتب الوجود ومنازل الغيب والشهود، وعليه يجب اعتبار «رب» من اسماء الصفات.

واذا كان المراد من «العالم» هو «عالم الملك» التدريجي الحصول والكمال، فإن المراد من «الرب» هو اسم الفعل.

وعلى أيّة حال فليس المقصود هنا «اسم الذات».

ولعلّ المراد من «الربّ» ـ بناء على كون أن «العالمين» هي هذه العوالم الملكية التي تصل الى الكمال المناسب لها تحت التربية والتدبير الالهيين ـ هو المربي، وهو من الاسماء الافعالية.

وتجدر الاشارة هنا الى اننا لا نتعرض في هذه الرسالة الى ذكر الجوانب التركيبية واللغوية والأدبية للآيات الشريفة، فهذا مما تعرض له الآخرون في الغالب، اما ما نحرص على ذكره هنا فهو بعض ما لم يُتَعرَّض له أصلاً، او ما ذكر بصورةٍ ناقصة.

ولتعلم ان تقسيم الاسماء الى اسماء «الذات» و«الصفات» و«الافعال» ـ كما قدمنا ـ انما هو على وفق ما اصطلح عليه اربابُ المعرفة.

فقد اورد بعض مشايخ اهل المعرفة في كتاب «انشاء الدوائر» تقسيماً للاسماء الى «اسماء الذات» و«اسماء الصفات» و«اسماء الافعال» كما يلي:

أسماء الذات، وهي: «هو الله، الربُّ، الملك، القدوس، السلام، المؤمن،

المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، العليُّ، العظيم، الظاهر، الباطن، الأول، الآخر، الكبير، الجليل، المجيد، الحقُّ، المبين، الواحد، الماجد، الصمد، المتعالي، الغني، النور، الوارث، ذو الجلال، الرقيب.

وأسماء الصفات، وهي: الحيُّ، الشكور، القهار، القاهر، المقتدر، القوي، القادر، الرحمن، الرحيم، الكريم، الغفار، الغفور، الودود، الرؤوف، الحليم، الصبور، البرُّ، العليم، الخبير، المحصي، الحكيم، الشهيد، السميع، البصير.

وأسماء الافعال، وهي: المبدئُ، الوكيل، الباعثُ، المجيب، الواسع، الحسيب، المقيت، الحفيظ، الخالق، البارئُ، المصوّر، الوهاب، الرازق، الفتاح، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعزُّ، المذلُّ، الحكيم، العدول، اللطيف، المعيد، المحيي، المميت، الوالي، التواب، المنتقم، المقسط، الجامع، المغني، المانع، الضارُّ، النافع، الهادي، البديع، الرشيد»[1].

وقد قيل في شأن المعيار في هذا التقسيم: ان الاسماء وان كانت جميعاً اسماء للذات ولكنها تسمىٰ اسماء ذاتية بلحاظ ظهور الذات، وتسمىٰ صفاتية وافعالية بلحاظ ظهور الصفات والافعال.

أي ان الاسم يتبع الاعتبار الأظهر، لذا قد يحدث أن يجتمع في بعض الاسماء اعتباران او أكثر، فيكون الإسم احياناً من الاسماء الذاتية الصفاتية الافعالية، او من نوعين منها كما هو الحال مثلاً مع اسم «الرب» ـ كما تقدم ذكره ـ.

وإني لا أستسيغ هذا الرأي، كما أنه لا يطابق الذوق العرفاني، وما يمكن ان يقال بشأن هذا التقسيم: هو ان المعيار في هذه الاسماء يعتمد على تحقيق الفناء الافعالي للسالك بقدم المعرفة، إذ إن الحق تعالى سيتجلى بعدها في قلبه تجلياتٍ بأسماء الأفعال.

أما بعد الفناء الصفاتي، فإنه تعالى سيتجلى بالتجليات الصفاتية.

---

(١) انشاء الدوائر لابن عربي: ص٢٨.

وكذا فإنه تعالى سيتجلى له بتجليات اسماء الذات بعد الفناء الذاتي.

فاذا كان قلبه قادراً على الحفظ، فإنّ ما يخبر عنه ـ بعد الصحو من المشاهدات الافعالية ـ هو اسماء الافعال، وما يخبر عنه في المشاهدات الصفاتية، هي اسماء الصفات، وهكذا هو الحال مع اسماء الذات. وفي المقام تفصيل يخرج عن وسع هذه الصفحات.

يبقى أن نقول بأن المذكور في «انشاء الدوائر» لا يصحُّ بناءً على نفس المعيار الذي وضعه صاحبه، كما يتضح ذلك من خلال ملاحظة الاسماء.

ويمكن القول بأن القرآن الكريم، قد اشار الى هذا التقسيم ـ الى «الاسماء الثلاثة» ـ وذلك في الآيات الأواخر من سورة الحشر الشريفة. يقول تعالى: ﴿هو الله الذي لا إله إلّا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم... الآيات﴾[1].

فلعلّ أولى الآيات ـ المقصودة ـ تشير الى الاسماء الذاتية، وثانيها، تشير الى الاسماء الصفاتية، وثالثتها تشير الى الاسماء الافعالية.

وتقديم (الذاتية) على (الصفاتية)، والاخيرة على (الافعالية)، انما هو بحسب ترتيب الحقائق الوجودية والتجليات الالهية، لا بحسب ترتيب مشاهدات اصحاب المشاهدة، والتجليات الحاصلة في قلوب أرباب القلوب.

وتجدر الاشارة الى ان في هذه الآيات الكريمة أسراراً اخرى لا يناسب ذكرها المقام.

اما كون الآية الثانية تشير الى الاسماء الصفاتية والثالثة الى الأسماء الافعالية فأمر واضح.

اما كون «عالم الغيب والشهادة» و«الرحمن» و«الرحيم» من الاسماء الذاتية، فيستند الى كون «الغيب» و«الشهادة» عبارة عن الاسماء الباطنة والظاهرة، وأن

(١) الحشر: ٢٢ وما بعدها.

«الرحمانية» و«الرحيمية» هي من تـجلّيات «الفـيض الاقـدس» وليس «الفـيض المقدس».

وتخصيص هذه الاسـماء «بـالذكر» رغـم أن «الحـيّ» و«الثـابت» و«الربّ» وامثالها تبدو أقرب للاسماء الذاتية، لعلّهُ ناشئٌ من إحاطتها، إذ إنها من أمـهات الاسماء. والله العالم.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تنبيه

اعلم انه قد وقع اختلاف كبيرٌ في تفسير لفظة «العالمين» واشتقاقها ومعناها.

فالبعض قالوا: انها جمعٌ يشتمل على جميع صنوف الخلق من ماديّة ومجردة، وكلُّ صنفٍ يُمثل بنفسه «عالماً» لوحده، وهذا الجمع لا مفرد له من جنسه، وهذا هو القول المشهور.

وبعضٌ آخر قالوا: ان «العالَم» (بفتح اللام) هو اسم مفعول و«العالِم» (بكسر اللام) هو اسم فاعلٍ، فـ«العالمين» بمعنى «المعلومين». وهذا القول، علاوة على انه بعيدٌ ويفتقد الشاهد، فإن اطلاق وصف «رب المعلومين» باردٌ للغاية ولا محل له.

وبعض آخر اعتبرها مشتقة من «العلامة» وفي هذه الحال فهي تطلق على جميع الموجودات ذلك لان هذه الموجودات باسرها هي علامات وآيات وآثار للذات المقدسة. واستخدام «الواو» و«النون» هو باعتبار اشتمالها على ذوي العقول وتغليبهم على سائر الموجودات الاخرى.

وبعضٌ اعتبرها مشتقةً من «العلم». وعلى كلّ حال، فإطلاقها على كافّة الموجودات صحيحٌ كما ان إطلاقها على ذوي العقول إطلاقٌ وجيه.

اما مفردة «العالَم» فتطلق على ما سوى الله، وتطلق احياناً على كلّ صنفٍ وكلّ فردٍ ايضاً، فإذا كان مطلقُها من اهل العرف واللغة، فإطلاقها انما هو باعتبار كلّ فردٍ علامة لذات الباري: «وله في كل شيءٍ آية»[1].

واذا كان مطلِقُها عارفاً الهياً، فعلى اعتبار ان كلّ موجودٍ هو ظهور الاسم الجامع المشتمل على كل الحقائق بطريق ظهور احديّة الجمع وسرّ الوجود.

---

(١) وفي كل شيءٍ له آيةٌ (شاهدٌ)　　يدل على أنه واحدُ
بيت من الشعر ينسب الى الشاعر أبي العتاهية. راجع كشف الاسرار: ج١، ص٤٣٦.

وعلى ذلك يمكن اعتبار جميع العالم وأي جزءٍ من أجزائه هو الاسم الاعظم بمقام أحدية الجمع «والاسماء كلّها في الكلّ وكذا الآيات».

وبناءً على ما تقدم فإن إشكال الفيلسوف العظيم صدر الملّة والدين ﵀ إشكال وارد على أمثال البيضاوي، فهؤلاء لم يتذوقوا من هذا المشرب.

لكنه لا يصحُّ - أي الإشكال - على مسلك اصحاب العرفان، ولم نذكر كلام البيضاوي وكلام الفيلسوف لطولهما، ومن اراد فليراجع تفسير سورة الفاتحة للفيلسوف المرحوم.

واذا كان «الربُّ» من اسماء الصفات، بمعنى «المالك» و«الصاحب» ونظائر ذلك، فمن المحتمل ان يكون المراد من «العالمين»: جميع ما سوى الله سواءً أكانت موجودات عالم الملك أم الموجودات الغيبية المجرّدة.

واذا كان من اسماء الافعال - ولعلّ هذا هو الاظهر - فالمراد من «العالمين» هو: عالم الملك فقط، لأن «الرب» في هذه الحالة بمعنى «المربي» وهذا المعنى يستلزم التدرج والعوالم المجردة منزهة عن التدرج الزماني، وإنْ كنت أرى أن «روح التدرج» متحققة بشكل ما في «عالم الدهر».

وبهذا المعنى نكون قد اثبتنا الحدوث الزماني - بمعنى روح الزمان ودهرية التدريج - في العوالم المجردة؛ والحدوث الزماني يعدُّ في المسلك العرفاني ثابتاً لجميع العوالم ولكن ليس بذلك المعنى الذي يفهمه المتكلمون واصحاب الحديث.

تنبيه آخر

لما كان «الحمد» في مقابل «الجميل»، ولما كان المستفاد من الآية الشريفة ثبوت «الحمد» لمقام الإسم الأعظم، وهو الاسم الجامع الذي له مقام ربوبية العالمين والرحمة «الرحمانية» و«الرحيمية» وانه «مالك يوم الدين»، وجب ان يكون لهذه الاسماء الشريفة ـ الرب والرحمن والرحيم والمالك ـ دور رئيس في التحميد. وسنتطرق الى هذا الموضوع بشكل مفصل عند الحديث عن تفسير قوله تعالى «مالك يوم الدين».

اما هنا فسوف نتحدث عن علاقة مقام ربوبية العالمين مع التحميد، فهما مرتبطان من جهتين:

الاولى: لمّا كان الحامد من العالمين ـ بل لعلّة عالم بذاته، لا بل ان اهل المعرفة يرون ان كلاً من الموجودات هو عالم بذاته ـ لذا فهو يحمد الحق الذي يخرجه ـ بيد مقام الربوبية ـ من ضعف العدم الهيولاني ونقصه ووحشته وظلمته الى قوّة عالم الانسانية وكماله وطمأنينته ونورانيته، ويجعله يعبر المنازل الجسمية والعنصرية والمعدنية والنباتية والحيوانية، ومن خلال نظام مرتب وبحركاتٍ ذاتيةٍ وجوهرية وبأنماطٍ من العشق الفطري والجبّلي ويوصله الى منزل الانسانية وهو اشرف منازل الموجودات، ثم يستمر في تربيته ليوصله الى:

حيث أصِلُ الى ما لا يخطر في أوهامك
واصير عدماً مثلما تتلاشى النغمة
فأقول: إنّا اليه راجعون[1]

الثانية: لما كانت تربية نظام عالم الملك من الفلكيات والعنصريات

(١) مضمون مقطوعة شعرية للعارف جلال الدين الرومي.

والجوهريات والعرضيات هي مقدمة وجود الانسان الكامل الذي هو في الحقيقة وليدُ عصارة عالم التحقق والغاية القصوىٰ للعالمين وهو آخر وليدٍ على هذا الأساس؛ ولما كان عالم الملك متحركاً بالحركة الذاتية الجوهرية، وإن هذه الحركة تكاملية تمثل نهايتها غاية الخلقة ونهاية السير، وإننا لو نظرنا الى الجسم الكلي والطبع الكلي والنبات الكلي، والحيوان الكلي والانسان الكلي - بصورة عامة - نرى ان الانسان هو الوليد الاخير الذي ظهر الى الوجود بعد الحركات الذاتية الجوهرية للعالم وانتهى اليها.

اذن، فيد تربية الحق تعالى، تقوم بتربية الانسان في جميع دار التحقق، والانسان هو الاول وهو الآخر.

وما تقدم ذكره يصدق على الافعال الجزئية بلحاظ مراتب الوجود، وإلا فلا غاية لفعل الحق تعالى بحسب الفعل المطلق؛ سوى ذاته المقدسة - كما هو الثابت في محله -.

فإذا نظرنا الى الافعال الجزئية، نرى ان غاية خلق الانسان هو عالم الغيب المطلق، كما تشير الى ذلك الاحاديث القدسية **«يا ابن آدم خلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي»**[١]، كما ان الباري تعالى اشار الى ذلك في القرآن الكريم، حينما خاطب موسى بن عمران عليه السلام بالقول: **﴿واصطنعتك لنفسي﴾**[٢] و**﴿وأنا اخترتك﴾**[٣].

فالإنسان إذن مخلوق لأجل الله ومصنوع لذاته المقدسة، وهو المصطفى المختار من بين جميع الموجودات، وغاية سيره الوصول الى باب الله والفناء في ذات الله والاعتكاف في فناء الله، وان معاده الى الله ومن الله وفي الله وبالله. يقول

---

(١) علم اليقين: ج١، ص٣٨١.

(٢) طه: ٤١.

(٣) طه: ١٣.

تعالى: ﴿إن الينا إيابهم﴾[١].

اما الموجودات الأخرى فترجع الى الحق تعالى بتوسط الانسان، بل ان مرجعها ومعادها الى الانسان كما وردت الاشارة في الزيارة الجامعة الكاشفة لنفحة من مقامات الولاية، يقول: «**وإياب الخلق اليكم وحسابهم عليكم**»[٢] ويقول: «**بكم فتح الله وبكم يختم**»[٣]، كما يقول تعالى في الآية الكريمة: ﴿**إن الينا إيابهم*ثم إن علينا حسابهم**﴾[٤].

وفي العبارة التي اوردناها من الزيارة الجامعة: «**وإياب الخلق اليكم وحسابهم عليكم**» سِرٌّ من اسرار التوحيد وإشارةٌ الى ان الرجوع الى الانسان الكامل هو رجوعٌ الى الله، لان الانسان الكامل هو الفاني المطلق والباقي ببقاء الله، فليس له تعيُّن وإنّية وانانية من ذاته، بل هو من الاسماء الحسنى والاسم الاعظم. وقد ورد كثير من الاشارات الى هذا المعنى في القرآن الكريم والاحاديث الشريفة.

فالقرآن الكريم جامعٌ للطائف التوحيد واسراره ودقائقه الى درجةٍ تحار بها عقول اهل المعرفة، وفي الحقيقة فإن هذا هو الاعجاز الاكبر لهذه الصحيفة السماوية النورانية، فإعجازه لا ينحصر في حسن التركيب ولطف البيان وغاية الفصاحة وذروة البلاغة فقط، او في كيفية الدعوة والاخبار عن المغيبات، ولا في إحكام الأحكام وإتقان تنظيم الأسرة وامثال ذلك، مما يمثل ـ مستقلاً ـ اعجازاً يفوق الطاقة ويخرق العادة.

بل يمكن القول: إن اشتهار القرآن الشريف بالفصاحة وذيوع إعجازه في هذا الجانب دون سائر جوانبه الإعجازية الأخرى، يرجع الى أنّ العرب في الصدر

---

(١) الغاشية: ٢٥.

(٢) عيون اخبار الرضا: ج٢، ص٢٧٢ «الزيارة الجامعة الكبيرة».

(٣) نفس المصدر السابق.

(٤) الغاشية: ٢٥ ـ ٢٦.

الأول كانوا خبراء... بهذا الجانب البلاغي، فأدركوا هذا الجانب دون غيره، فهم لم يدركوا الجوانب الاعجازية الأخرى في القرآن والتي تـزيد أهـميةً وسـمواً وتحتاج الى مستوى ادراكي ارفع مما يحتاجه الجانب الاعجازيُّ البلاغي.

وفي عصرنا الحاضر ايضاً ترى ان اولئك المشتركين مع عرب الجاهلية في أفقهم الإدراكي لا يفهمون من هذه اللـطيفة الالهـية سـوى التـركيبات اللـفظية والمحسنات البديعية والبيانية.

واما العـارفون بـاسرار المـعارف ودقـائقها، العـالمون بـلطائف التـوحيد والتجريد فإنّ وجهة نظرهم في هذا الكتاب الالهي وقبلة آمالهم في هذا الوحي السماوي، هي ذات هذه المعارف، ولا يهتمون كثيراً بالجوانب الاخرى، وكلّ من ينظر في العرفان القرآني وفي عرفاء الاسـلام الذيـن اكـتسبوا مـعارفهم مـن القرآن، ثم يقارن بينهم وبين علماء سائر الاديان ومؤلفاتهم ومعارفهم يدرك الاصل في المعارف الاسلامية والقرآنية والتي تمثل أسّ اساس الدين والديانة والغاية القصوىٰ لبعث الرسُل وإنزال الكتب.

وعندها لا يحتاج الى كبير جهدٍ لإدراك أنَّ هذا الكتاب هو وحيٌ الهيٌّ وأن هذه المعارف هي معارف الهية.

إيقاظ إيماني

اعلم ان ربوبية الحق (تعالى وجل شأنه) للعالمين على نمطين:

الأول: «الربوبية العامة» التي تشترك فيها كافّة موجودات العالم، وهي تشكل انواع التربية التكوينية التي تنقل كلَّ موجودٍ من حدِّ النقص الى الكمال الذي يناسبه وذلك تحت تدبير الربوبية.

فجميع الترقيات الطبيعية والجوهرية والحركات والتطورات الذاتية والعرضية تقع تحت تصرفات الربوبية وتدبيرها.

وإجمالاً، فبدءاً من منزل مادة المواد والهيولا الأولية وانتهاءً بمنزل الحيوانية وحصول القوىٰ الجسمانية والروحانية الحيوانية، هي المشمولة بالربوبية التكوينية (العامة)، وكل واحدة من هذه المراتب تشهد بأن «الله جل جلاله ربّي».

الثاني: «الربوبية التشريعية» والتي يختصُّ بها النوع الانساني دون ان يكون فيها للموجودات الأخرى نصيب وهي تربية الهداية الى طريق النجاة والتوجيه الى سبل السعادة والانسانية والتحذير مما يعوق التقدم نحوها؛ الأمر الذي يتمُّ على يد الانبياء عليهم السلام.

فمن يجعل نفسه خاضعاً لتربية وتصرّف ربّ العالمين مختاراً، ويُصبح مربوباً لهذه الربوبية بحيث تصير تصرّفات أعضائه وقواه الظاهرية والباطنية تصرّفاتٍ الهية وربوبية وليست نفسانية، فإنّه يصل الى مرتبة كمال الانسانية الخاصة بالنوع الانساني.

فالانسان مادام في منزل الحيوانية فهو يتحرك كما تتحرك سائر الحيوانات، وأمامه طريقان عليه ان يطوي احدهما مختاراً:

الأول: منزل السعادة وهو الصراط المستقيم لرب العالمين ﴿انّ ربي على

صراطٍ مستقيم﴾[1].

والثاني: طريق الشقاء، طريق الشيطان الرجيم المنحرف.

فاذا جعل قوى مملكة وجوده وأعضاءها تحت تصرّف رب العالمين وتربى بتربيته فإنَّ القلب ـ الذي يمثل سلطان هذه المملكة ـ سيستسلم لرب العالمين تدريجياً، ثم ما ان يصبح مربوباً لرب العالمين الا وتقتدي به سائر الجنود، فتصبح المملكة مربوبة، برمتها للربِّ، وفي هذه الحال يمكن للسانه الغيبي ـ وهو ظلُّ القلب ـ أن يجيب (عندما يسأله ملائكة عالم القلب: مَنْ ربك؟): ربي الله جلَّ جلاله.

ولما كان لابد لمثل هذا الشخص ان يكون مطيعاً لرسول الله مقتدياً بأئمة الهدىٰ عاملاً بكتاب الله، لذا فإن لسانه سينطلق بالقول: محمد ﷺ نبيي وعليّ واولاده المعصومون أئمتي والقرآن كتابي.

اما إذا لم يجعل الانسان قلبه الهياً وربانياً، ولم يخُطَّ على صفحته عبارة «لا إله الا الله محمد رسول الله عليٌّ ولي الله» ولم يصيّر منها صورةً لباطن النفس، واذا لم ينتسب الى القرآن الكريم من خلال العمل به والتفكر والتذكر والتدبر فيه، ولم يؤسس بذلك ارتباطاً روحياً معنوياً به فإن كافّة المعارف ستمحىٰ حينئذٍ من ذهنه عند اشتداد مرض الموت وسكراته، وهذه هي الطامّة الكبرى.

عزيزي، ان الانسان ينسىٰ ـ بسبب اصابته بمرض «الحصبة» ونتيجة لضعف قوىٰ الدماغ ـ جميع ما لديه من المعلومات، ولا يبقى عنده عندئذٍ سوى تلك المعلومات التي أصبحت ـ من خلال شدّة التذكر لها والأنس بها ـ جزءاً ثانوياً من «فطرته».

كذلك فإنه اذا تعرّض لحادثةٍ مفجعة، ذَهَل عن شؤونه الاخرى، وشُطب على معلوماته بخطِّ النسيان، فما بالك اذا اشتدت عليه اهوال الموت وشدائده

---

(١) هود: ٥٦.

وسكراته؟!

فإذا لم يكن سمع قلبه مرهفاً ولم يكن فؤاده سميعاً، فإن تلقينه العقائد حين الموت وبعده، لن يغيّر من حاله شيئاً، فالتلقين انما ينفع اولئك الذين عرفت قلوبهم العقائد الحقة، وانفتحت أسماع قلوبهم، فإذا حلّت سكرات الموت واشتدت وطأته وسببت لهم غفلة ما، جاء التلقين ليكون وسيلة توصل ملائكة الله بواسطتها العقائد الحقّة لأسماع قلوبهم، ولكن اذا كان الانسان أصمّ فاقداً لحاسة السمع المناسبة لعالم البرزخ والقبر، فإنّه لن يسمع التلقين أبداً، ولن يغيّر التلقين من حاله شيئاً. وفي الاحاديث الشريفة اشارات كثيرة الى بعض ما تقدم عرضه.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الرحمن الرحيم

اعلم ان لجميع اسماء الحق (تعالى وجلّ وعلا) وصفاته مقامين ومرتبتين بصورة عامة:

الاولى: مقام الاسماء والصفات الذاتية الثابتة في حضرة الواحدية، كالعلم الذاتي وهو من الشؤون والتجليات الذاتية، والقدرة والارادة الذاتية وسائر الشؤون الذاتية.

الثانية: مقام الاسماء والصفات الافعالية الثابتة للحق بالتجلّي بالفيض المقدس، كالعلم الافعالي الذي اعتبره الاشراقيون ثابتاً وعدوّه مناطاً للعلم التفصيلي.

وقد قدّم سماحة أفضل الحكماء الخواجة نصير الدين ـ نضّر الله وجهه ـ البرهان على ذلك، وتابع الاشراقيين على ان العلم الافعالي هو الميزان في العلم التفصيلي.

وهذا المطلب وإنْ كان خلافاً للتحقيق ـ فالعلم التفصيلي ثابتٌ في مرتبة الذات، وكشف العلم الذاتي وتفصيله يمثل درجة أعلى وأكثر من العلم الافعالي، كما هو ثابت في محله وكما هو محقق بالبرهان النوري ـ ولكن اصل المطلب، هو: كون نظام الوجود يمثل علماً افعالياً تفصيلياً للحق تعالى، ثابت ومحقق على وفق سُنّة البرهان ومشرب العرفان، وإنْ كان المسلك الاعلى والذوق العرفاني الأحلى هو طريقة غير هذه الطرق إذ إن «مذهب العاشق مستقل عن باقي المذاهب»[1].

إجمالاً، فللرحمة الرحمانية والرحيمية مرتبتان وتجلّيان:

الاول: التجلي بالفيض الاقدس في مجلى الذات في حضرة الواحدية.

---

(١) مضمون بيت شعري للعارف جلال الدين الرومي.

الثاني: التجلي بالفيض المقدس في مجلى الاعيان الكونية.

وفي سورة «الحمد» المباركة، يمكن ترجيح اعتبار هاتين الصفتين ـ «الرحمن» و«الرحيم» ـ تابعتين للإسم على كونهما من الصفات الافعالية، اذا كانتا من الصفات الذاتية ـ كما هو الاظهر ـ في الآية الشريفة: ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم**﴾. وعليه لا يكون في هذا المقطع ايّ تكرار اصلاً، لكي يقال انه للتأكيد والمبالغة.

وبناءً على هذا الاحتمال يكون ـ والعلم عند الله ـ معنى الآيات الشريفة كالآتي: «بمشيئة الرحمانية والرحيمية يكون الحمد لذاته الرحمانية والرحيمية».

ولما كان مقام «المشيئة» هو مظهر الذات المقدّسة، فإن مقام «الرحمانية» و«الرحيمية» ـ وهو من تعينات مقام المشيئة ـ هو مظهر الرحمانية والرحيمية الذاتية.

وهناك احتمالات اخرى تركنا الخوض فيها لأظهرية الاحتمال المتقدّم.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

مالك يوم الدين

قرأ كثير من القراء «مَلِك» (بفتح الميم وكسر اللام) وقد ذُكرت لكلتا القراءتين «مالك» و«ملك» مرجحات معينة، وقد بلغ الأمر أن صنف أحد كبار العلماء رسالة في ترجيح «مَلِك» على «مالِك». غير ان ما ذكره كلا الطرفين من المرجحات ليس مما يولّد الاطمئنان.

والذي يبدو لي هو أرجحية القراءة بـ«مالك» بل انها هي المتعينة، فسورة الحمد المباركة وسورة التوحيد المباركة ليستا كسائر السور القرآنية، إذ إن المسلمين يتلونهما في الفرائض والنوافل، مما يؤكد سماع مئات الملايين من المسلمين لها من مئات الملايين الآخرين وهؤلاء سمعوها من الملايين من أسلافهم وهكذا. وبذا يثبت أن سماعهما وتناقلهما بين المسلمين بهذه الصورة يبعث على الاطمئنان الى انها قُرئت وسمعت على هذه الصورة من أئمة الهدى والنبي الأكرم ﷺ دون زيادة او نقصان ولو حرفٍ واحد. وجليٌّ عدم أهمية القراءة الثانية «ملك» رغم قراءة اكثر القراء بها، وترجيح الكثير من العلماء لها، اذ بقيت القراءة الاولى «مالك» قطعية ثابتة متواترة فلم يُتابِع أحدٌ من اولئك القرّاء او العلماء. ورغم ان العلماء اجازوا اتّباع ايٍّ من القرّاء إلا أن أحداً ـ إلا من شذّ ومن لا يُعتنى بقوله ـ لم يلتزم بالقراءة «ملك» ـ في مقابل القراءة المشهورة ـ في صلواته، حتى اذا كان قد التزم قراءتها فمن باب الاحتياط، كأن يقرنها بالقراءة الثانية «مالك» كما كان يفعل شيخنا في العلوم النقليّة العلامة الحاج الشيخ عبدالكريم اليزدي الحائري ﵀ وذلك استجابة لطلب احد العلماء الاعلام العصريين. غير ان هذا الاحتياط ضعيف للغاية بل انه في رأيي مقطوع الخلاف.

وبناءً على الايضاح المتقدم، يتضح ضعف ما قيل من أنّ الاشتباه قد وقع بين «ملك» و«مالك» في الخط الكوفي، فمثل هذا الادعاء قد يمكن القول به بشأن السور غير المتداولة على الألسن بكثرة ـ وإنْ كان القول بذلك فيه اشكالٌ ايضاً ـ

امّا بشأن هذه السورة الثابتة الشكل من خلال كثرة التسامع والقراءة فهو ادّعاءٌ أجوف وقول غير معتبر كما هو واضح.

والكلام المتقدم يصدقُ على كلمة «كفواً» ايضاً، فلابدَّ ان قراءتها بالواو المفتوحة والفاء المضمومة ثابتةٌ ايضاً بالتسامع، رغم انها قراءة «عاصم» فقط، والقراءات الاخرى المعارضة لم تقدح بأهمية هذه القراءة، وإنْ كان البعض يتوهمون انهم يعملون بالاحتياط عندما يلتزمون قراءة الاكثرية وهي القراءة بضم الفاء وبالهمزة، غير ان هذا احتياطٌ في غير محله.

واذا اردنا مناقشة الأمر الذي تحثُّ عليه الروايات بالتزام القراءة كما يقرأ الناس[1] ـ والمناقشة هنا واردة ـ فقد نصل الى أن المراد من هذه الروايات هو «القراءة كما يقرأ نوع عموم الناس» وليس «انكم مخيّرون بين القراءات السبع مثلاً». وعليه سيكون من الخطأ قراءة «ملك» و«كُفؤاً» بغير النحو المشهور بين المسلمين والمسطور في الصحف.

وعلى أيّة حال فالاحتياط انما يكون في قراءتها وفق النحو المتداول بين الناس والمشهور على الألسن والمسطور في القرآن، لأن هذا النحو من القراءة صحيح في كلّ مسلك، والله العالم[2].

(١) وردت بهذا المضمون روايات كثيرة، منها: «... اقرأكما يقرأ الناس» و«اقرأوا كما تعلمتم». راجع في هذا الموضوع وسائل الشيعة: كتاب الصلاة ـ ابواب القراءة في الصلاة ـ الباب ٧٤ الحديث ١ ـ ٣.

(٢) وإنْ كان جواز القراءة المطابقة لإحدى قراءات القراء اجماعياً على الظاهر ـ المؤلف.

تحقيق حَكَميٌّ

اعلم ان مالكية الحق تعالى تختلف عن مالكيّة العباد لممتلكاتهم، ومالكيّة السلاطين لممالكهم، فهذه إضافات اعتباريّة، في حين إن إضافة الحق الى الخلق ليست من هذا القبيل، وإنْ كان هذا النحو من المالكية ثابتاً طولياً للحق تعالى عند علماء الفقه، غير ان هذا لا ينافي الملحوظ والمذكور في هذا الرأي ايضاً.

كما ان مالكيّة الحق تعالى ليست من نوع مالكيّة الانسان لأعضائه وجوارحه، ولا من نمط مالكيته لقواه الظاهرية والباطنية، وإنْ كان هذا النمط أقرب لمالكية الحق تعالى من سائر انماط المالكية.

كذلك فهي ايضاً ليست كمالكية النفس لأفعالها الذاتية التي هي من شؤون النفس، كفعلها في ايجاد الصور الذهنية التي يخضع قبضها وبسطها لإرادة النفس -الى حدٍّ ما-.

وهي ليست كمالكية العوالم العقليّة لما دونها وإنْ كانت هذه متصرفة في تلك العوالم بالإعدام والإيجاد؛ لأن جميع موجودات دار التحقق الإمكاني - الثابت على نواصيها ذُلُّ الفقر -محدودةٌ بحدود ومقدّرة بقدر ولو بحدّ الماهيّة. وكلُّ ما كان محدوداً بحدٍّ فله بينونة عزلية عن فعله بقدر محدوديته دون ان تكون له إحاطة قيوميّة حقانيّة؛ فتمام الاشياء متباينة ومتقابلة -بحسب مرتبة ذاتها -مع منفعلاتها. ولهذا السبب لا تكون لها احاطة ذاتية قيوميّة.

اما مالكية الحق تعالى -وهي بإضافة إشراقية وإحاطة قيومية -فهي المالكية الذاتية الحقيقية الحقّة، وهي تخلو من ايّة شائبة لبينونةٍ عزلية في ذاته وصفاته تعالى عن أيّ موجودٍ من الموجودات.

ومالكية الحق تعالى لجميع العوالم هي مالكية متجانسة متساوية ليس فيها تفاوت بين موجود وموجود مطلقاً، ودون أن تكون أكثر إحاطة أو أقرب الى عوالم الغيب والمجردات منها الى العوالم الاخرى؛ لأن ذلك يستلزم المحدودية

والبينونة العزلية وهو ملازم للافتقار والامكان ـ تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً ـ.

ولعلّ الإشارة الى ذلك واضحة في قوله تعالى: ﴿نحن أقرب اليه منكم﴾(١) و﴿نحن أقرب اليه من حبل الوريد﴾(٢) و﴿الله نور السماوات والارض﴾(٣) و﴿هو الذي في السماء إلهٌ وفي الارض إله﴾(٤) و﴿له ملك السماوات والارض﴾(٥).

وكذا في قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «لو دليتم بحبل الى الارضين السفلى لهبطتم على الله»(٦). وقول الامام الصادق عليه السلام: «فلا يخلو منه مكان، ولا يشتغل به مكان، ولا يكون الى مكانٍ أقرب منه الى مكان»(٧).

وقول الامام علي النقي عليه السلام: «واعلم أنّه إذا كان في السماء الدنيا فهو كما هو على العرش والاشياء كُلها له سواءٌ علماً وقدرةً وملكاً وإحاطةً»(٨)

ولكن ومع أن مالكية الذات المقدّسة هي على السواء لجميع الاشياء وكافة العوالم إلا أنّه تعالى يقول في الآية الشريفة: «مالك يوم الدين». فما هذا التخصيص؟

لعلّه يرتبط بكون «يوم الدين» هو «يوم الجمع»، وعليه فإن المالك ليوم الدين ـ وهو يوم الجمع ـ يكون بالضرورة مالكاً للايام المتفرقات الاخرى «والمتفرقات في النشأة الملكية مجتمعاتٌ في النشأة الملكوتية».

او لعلّه يستند الى ان ظهور مالكية الحق ـ تعالى مجده وقاهريته ـ يكون يوم الجمع، الذي يمثل يوم رجوع الممكنات الى باب الله، وصعود الموجودات الى

(١) الواقعة: ٨٥.
(٢) ق: ١٦.
(٣) النور: ٣٥.
(٤) الزخرف: ٨٤.
(٥) البقرة: ١٠٧.
(٦) علم اليقين: ج١، ص٥٤.
(٧) الاصول من الكافي: كتاب التوحيد ـ باب الحركة والانتقال ـ الحديث الثالث.
(٨) المصدر السابق: الحديث الرابع.

فنائه.

ويمكن القول ـ في تفصيل هذا المجمل وبما يناسب المقام ـ: ان نور الوجود وشمس الحقيقة مادامت في سير تنزّلي من مكامن الغيب باتجاه عالم الشهادة، فهو متوجه نحو الاحتجاب والغيبة. وبعبارة اخرى، ففي كلّ تنزّل تعيّن، وفي كل تعيّن وتقيّد حجاب. ولما كان الانسان مجمع التعيّنات والتقيّدات، فهو محتجب بجميع الحجب الظلمانية السبعة والحجب النورية السبعة، والتي تؤوّل بالأرضين السبع والسماوات السبع. ولعلّ الرد الى «أسفل السافلين» هو الاحتجاب بجميع انواع الحجب، ويمكن التعبير عن هذا الاحتجاب لشمس الوجود والنور الصرف في أفق التعينات بـ«الليل» وبـ«ليلة القدر».

وما دام الانسان محتجباً في هذه الحُجب، فهو محجوبٌ عن مشاهدة جمال الأزل ومعاينة النور الأول، ولكن لما كانت جميع الموجودات في سيرٍ صعودي من منازل عالم الطبيعة السفلية من خلال الحركات الطبيعية المودعة في جبلّتِها والناتجة عن نور جاذبة الفطرة الالهية وفقاً لتقدير «الفيض الاقدس» في «الحضرة العلمية»، فهي ترجع الى الوطن الاصلي والميعاد الحقيقي.

وهذا ما أشارت اليه الآيات الكريمة بكثرة، وعندها ستتخلص مرّةً اخرى من الحجب النورانية والظلمانية، فتتجلى مالكية وقاهرية الحق تعالى، ويتجلى الحقُّ بالوحدة والقهارية.

وأذا تحقق ـ في تلك المرحلة ـ رجوع الآخر الى الاول واتصل الظاهر بالباطن، وسقط حكم الظاهر، وظهرت حكومة الباطن، يأتي الخطاب عندئذٍ من حضرة المالك على الاطلاق ـ ولا مخاطِب هناك سوى الذات المقدّسة ـ **﴿لمن الملك اليوم﴾**[1]، ولما لم يكن من مجيب سوى الحق تعالى، فإنه يجيب **﴿لله الواحد القهار﴾**[2].

(١) غافر: ١٦.

(٢) غافر: ١٦.

وذلك اليوم المطلق ـ وهو يوم خروج شمس الحقيقة من حجاب أفق التعينات ـ هو ـ بأحد المعاني ـ «يوم الدين» لأنَّ كلَّ موجودٍ من الموجودات يفنى في ظلّ الاسم المناسب له في الحق تعالىٰ.

فإذا انطلقت «نفخة الصور»، ظهر من هذا الاسم واقترن بتوابع ذلك الاسم ﴿فريق في الجنّة وفريقٌ في السعير﴾[1].

والانسان الكامل في هذا العالم يخرج من هذه الحجب بحسب سلوكه الى الله وهجرته اليه، فتظهر احكام القيامة والساعة ويوم الدين وتثبت له.

اذن، فإن الحق سيظهر مع مالكيته لقلبه في هذا المعراج الصلاتي، ويكون لسانه مترجماً لقلبه، ويكون ظاهره لسان مشاهدات باطنه. وهذا احد اسرار اختصاص المالكية بيوم الدين.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) الشورى: ٧.

إلهامٌ عرشيٌّ

اعلم ان هناك اختلافاً حول مفهوم «العرش» و«حملة العرش»، يمتد حتى الى ظواهر الاخبار الشريفة ايضاً، وان كانت الروايات متفقة حسب بواطنها.

فالعرش ـ وفقاً للنظرة العرفانية والطريقة البرهانية ـ كلمة تطلق على العديد من المعاني.

أحدُ معانيها ـ مما لم أجدهُ على لسان القوم ـ: الحضرة الواحدية؛ وهي مستوى «الفيض الاقدس»، وحملة العرش بناءً على هذا المعنى أسماءٌ أربعة هي من امهات الاسماء وهي «الاول» و«الآخر» و«الظاهر» و«الباطن».

والمعنى الآخر ـ مما لم اجده لدى القوم ايضاً ـ: «الفيض المقدس»؛ وهو مستوى الاسم الاعظم، وحملته هم «الرحمن» و«الرحيم» و«الرب» و«المالك».

والآخر: جملة «ما سوى الله»، وحملة العرش هنا: هم الملائكة الاربعة؛ «اسرافيل» و«جبرائيل» و«ميكائيل» و«عزرائيل».

والآخر: «الجسم الكلّ» وحملته الملائكة الاربعة الذين هم صُوَرُ «ارباب الانواع»، وقد روي في الكافي ما يشير الى ذلك[1].

كما اطلق حيناً على «العلم»، وقد يكون المراد من «العلم»: العلم الفعلي للحق والمتمثل بمقام الولاية الكبرى، وحملته: أربعةٌ من الاولياء الكمل في الامم السابقة وهم: نوح وابراهيم وموسى وعيسى (على نبينا وعليهم السلام)، وأربعة من الكُمّل في هذه الأمة وهم: الرسول الخاتم وامير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام[2].

بعد أن عرفت هذه المقدمة، اعلم ان تخصيص الاسماء الشريفة الاربعة: «الرب» و«الرحمن» و«الرحيم» و«المالك» بعد ذكر اسم «الله» في سورة الحمد

---

(١) راجع الاصول من الكافي: كتاب التوحيد ـ باب العرش والكرسي.

(٢) المصدر السابق.

الشريفة والذي يشير الى الذات، قد يكون لكون هذه الاسماء الاربعة الشريفة ـ بحسب الباطن ـ هي الحاملة لعرش «الوحدانية» ومظاهرها هم الملائكة الاربعة المقربون للحق، الحاملون لعرش «التحقق». وبذا يكون:

اسم «الرب» المبارك، هو باطن «ميكائيل» الموكل بمظهرية الرب، بالارزاق ومربّي دار الوجود.

واسم «الرحمن» الشريف، هو باطن «اسرافيل» منشئ الارواح ونافخ الصور وباسط الارواح والصور، كما ان بسط الوجود هو باسم «الرحمن» ايضاً.

واسم «الرحيم» الشريف، هو باطن «جبرائيل» الموكل بتعليم الموجودات وتكميلها.

واسم «المالك» الشريف، هو باطن «عزرائيل» الموكل بقبض الارواح والصور وإرجاع الظاهر الى الباطن.

اذن فالسورة الشريفة ـ الى «مالك يوم الدين» ـ تشتمل على عرش الوحدانية وعرش التحقق، وتشير الى حملتها.

وعليه فإن كامل دائرة الوجود وتجليات الغيب والشهود التي يترجمها القرآن الكريم، مذكورة في هذه السورة الشريفة الى هذا المقطع، والمعنى موجود بأجمعه في «بسم الله...» وهو الاسم الاعظم، كما انه موجود في «الباء» وهي مقام السببية، وفي «النقطة» التي تحت «الباء» وهي سرُّ السببيّة، وإن علياً عليه السلام هو سرُّ الولاية والسببية، فهو النقطة التي تحت «الباء»[1]، والله العالم.

---

(١) الاسفار الاربعة: ج٧، ص٣٢، واسرار الحكم: ص٥٥٩.

تنبيه عرفاني

لعلّ في تقديم «الرب» وذكر «الرحمن» و«الرحيم» بعده، وتأخير «المالك» عنهما، اشارة لطيفة الى كيفية السلوك الانساني، من النشأة الملكية الدنياوية الى الفناء الكلّي، او الى مقام الحضور عند مالك الملوك.

فالسالك مادام في مبادئ السير، فهو خاضع للتربية التدريجية لـ«رب العالمين»، فهو نفسه من العالمين، وسلوكه خاضع لتصرف الزمان والتدريج.

فإذا انسلخ ـ بواسطة السلوك ـ من عالم الطبيعة المتصرّم تجلّت في قلبه مرتبة «الاسماء المحيطة» التي لا تتعلق بالعالم الذي تغلب عليه جنبة السوء فقط.

ولما كان للإسم الشريف «الرحمن» مزيد من الاختصاص من بين «الاسماء المحيطة» فقد ورد ذكره.

ولما كان «الرحمن» هو ظهور الرحمة ومرتبة البسط المطلق، لذا تقدم ذكره على «الرحيم» الذي هو اقرب الى افق البطون.

اذن، ففي السلوك العرفاني تتجلى اولاً الاسماء الظاهرة ثم تليها الاسماء الباطنة ـ لأن سير السالك هو من الكثرة الى الوحدة ـ وهكذا حتى ينتهي الى الاسماء الباطنة المحضة ـ ومنها اسم «المالك» ـ وعندها تضمحلّ ـ في التجلي بالمالكية ـ كثرات عالم الغيب والشهادة ويحصل الفناء الكلّي والحضور المطلق. فإذا تخلّص من حجب الكثرة ووصل الى الوحدة والسلطنة الإلهية وفاز بمشاهد الحضور، عندها يقوم بالمخاطبة الحضورية فيقول «إياك نعبد».

إذن فتمام دائرة سر السائرين مذكورة في هذه السورة الشريفة، بدءاً بآخر حجب عالم الطبيعة وانتهاءً برفع كافة الحجب الظلمانية والنورانية وحصول الحضور المطلق، الذي يمثل القيامة الكبرى للسالك وقيام ساعته.

ولعلّ المقصود من الذين استثنتهم الآية الكريمة: ﴿فصعق مَن في

السماوات ومن في الأرض إلّا من شاء الله﴾[١]، هم أفراد هذا النوع من اهل السلوك؛ لأن الصعق والمحو قد حصل لهم قبل النفخ في الصور.

ولعلّ هذا المعنى هو أحد الاحتمالات المرادة من الحديث المأثور عن الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله عندما قال: **«أنا والساعة كهاتين»** وجمع بين سبابتيه[٢].

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) الزمر: ٦٨.
(٢) كتاب الاشقريات: ص٢١٢ «باب ما يوجب الصبر». وبحار الانوار: ج٢، ص٣٩، من ٣٩.

تنبيه لغوي

ورد في التفاسير المتداولة او التي يُنقل عنها، اعتبار معنى «الدين» هو: الجزاء والحساب. وقد ذُكر هذا المعنى في كتب اللغة ايضاً، وقد استدلّ علماء اللغة على صحّة تفسيرهم بشواهد من اقوال شعراء العرب، كقول الشاعر: «واعلم بأنك ما تدين تُدان» وكذلك القول المنسوب الى سهل بن ربيعة: «ولم يبقَ سوى العدوان دناهم كما دانوا»[١]، لذا قالوا بأن «الديّان» ـ وهو من الاسماء الإلهية ـ هو بهذا المعنى ايضاً.

ولعل المراد من «الدين»: هو الشريعةُ الحقّة. ولما كانت آثار الدين تظهر في يوم القيامة وتخرج الحقائق الدينية من الحجاب، وجب أن يقال لذلك اليوم: «يوم الدين»، مثلما أن يومنا هذا هو «يوم الدنيا» لأنّه يوم ظهور آثار الدنيا وعدم ظهور الصورة الحقيقية للدين.

وهذا نظير قوله تعالى: ﴿وذكرهم بأيام الله﴾[٢]، وتلك هي الأيام التي يتعامل فيها الحق تعالى بالقهر والسلطنة مع قوم ما.

ويوم القيامة هو «يوم الله» وهو «يوم الدين» لأنه يوم ظهور السلطنة الالهية ويوم بروز حقيقة دين الله.

---

(١) راجع جامع الشواهد: باب الفاء مع اللام ـ ص ١٨٥ عن سهل بن شيبان، وكامل البيت هو:

فلما اصبح الشرّ امسى وهو عريانُ ... ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا.

(٢) ابراهيم: ٥ .

إيّاك نعبدُ وإياك نستعين

اعلم أيها العزيز، أن السالك بعد أن يدرك في طريق المعرفة، أن جميع المحامد والمدائح مختصّة بذات الحق المقدسة، وبعد أن يوقن أن قبض الوجود وبسطه منه تعالى، ويعرف أنّ أزمّة الأمور في الأول والآخر والمبدأ والمنتهى، بيد مالكيته تعالى، وبعد أن يتجلّى توحيد الذات والأفعال في قلبه، فإنه سيحصر عندها العبادة والاستعانة بالحق تعالى، وسيرى أن جميع دار التحقق خاضع للذات المقدسة ـ طوعاً وكرهاً ـ وأنه ليس من قادر في دار التحقق حتى ينسب الإعانة اليه.

غير ان بعض اهل الظاهر يقولون: بأن حصر العبادة حقيقي فيما أن حصر الاستعانة ليس حقيقياً، بدليل أن الاستعانة بالغير ممكنة ايضاً، والقرآن المجيد يقول: ﴿تعاونوا على البرّ والتقوى﴾[1] ويقول أيضاً: ﴿استعينوا بالصبر والصلاة﴾[2]، ويضيفون بأن من المعلوم ـ بالضرورة ـ بأن سيرة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأئمة الهدى عليهم السلام وصحابتهم وسائر المسلمين كانت تقوم على الاستعانة بغير الحق في غالبية الأمور المباحة، كالاستعانة بالدابة والخادم والزوجة والرفيق والرسول والأجير وغير ذلك.

وهذا وفقاً لمنحى اهل الظاهر.

في حين إنّ مَن له اطلاعٌ على التوحيد الافعالي للحق تعالى، ويرى أن نظام الوجود إنما هو صورة فاعلية الحق تعالى، ويدرك حقيقة «لا مؤثر في الوجود إلا الله» ـ إما عن طريق البرهان أو عن طريق المشاهدة ـ سيحصر الاستعانة ـ وبعين البصيرة والقلب النوراني ـ بالحق تعالى حصراً حقيقياً، وسيرى أن إعانة الموجودات الأخرى هي صورةٌ لإعانة الحق.

---

(١) المائدة: ٢.

(٢) البقرة: ٤٥.

كذلك فإنه، وبناءً على قول اهل الظاهر، سيفقد اختصاص المحامد بالحق تعالى معناه، لأن سائر الموجودات لها - بناءً على هذا المنحى - تصرفات واختيارات وجمال وكمال، فهي اذن تليق بالمدح والحمد، بل إن الإحياء والإماتة والرزق والخلق وغيرها، ستكون اموراً مشتركةً بين الحق والخلق.

وهذا - في نظر اهل الله - شركٌ، عبّرت عنه الروايات بـ«الشرك الخفي» حتى انها عَدّت إدارة الخاتم من اجل تذكر أمرٍ ما من الشرك الخفي(١).

اجمالاً، فإنّ «إياك نعبدُ وإياك نستعين» من متفرعات «الحمد لله» التي تشير الى التوحيد الحقيقي. فمن لم تتجلَّ حقيقة التوحيد في قلبه، ولم يطهّر قلبه من مطلق الشرك، لا يكون لقوله «إياك نعبد» حقيقة، ولا يمكنه حصر العبادة والاستعانة بالحق، ولن يصبح متوجهاً لله، طالباً له تعالى.

اما اذا تجلى التوحيد في قلبه، انصرف - بمقدار ذلك التجلّي - عن الموجودات، وتعلّق بقدس الحق حتى يُشاهد أن «إياك نعبد وإياك نستعين» تقع باسم الله، وتتجلى في قلبه بعضٌ من حقائق «أنت كما أثنيت على نفسك»(٢).

---

(١) قال الصادق عليه السلام: ان الشرك اخفى من دبيب النمل، وقال: منه تحويل الخاتم ليذكّر الحاجة وشبه هذا. راجع: بحار الانوار: ج ٧٢، ص ٩٦ ومعاني الاخبار: ص ٣٧٩.

(٢) من دعاء الرسول في السجود، راجع عوالي اللئالي: ج ١، ص ٣٨٩.

تنبيه إشراقيّ

يتضح مما تقدم سرُّ العدول في الخطاب من الغائب الى الحاضر في هذه السورة المباركة.

فهذا الأمر وإن كان في ذاته من محسّنات الكلام ومن المزايا البلاغية المتداولة كثيراً في كلام الفصحاء والبلغاء، ومما يؤدي الى حُسن الكلام، فضلاً عن أن الانتقال من حالٍ الى حالٍ ـ بحدِّ ذاته ـ يُزيل السأم عن المخاطب، ويبعث في روحه نشاطاً متجدداً؛ غير انه ولكون الصلاة هي معراج الوصول الى حضرة القدس ومرقاة الحصول على مقام الأنس، فإنَّ المُراد في هذه السورة الشريفة انما هو الأمر بالترقي الروحاني والسفر العرفاني.

إذ لمّا كان العبد في بداية السلوك الى الله مسجوناً ومحجوباً بالحجب الظلمانية لعالم الطبع والحجب النورانية لعالم الغيب، وإن السفر الى الله هو خروجٌ من هذه الحجب بواسطة السلوك المعنوي، وإنَّ الهجرة الى الله هي ـ في الحقيقة ـ رجوع الى الله من بيت النفس والخلق وترك للكثرات ونفض غبار الغيرية وحصول التوحيدات والغيبة عن الخلق والحضور لدى الرب؛ فهو اذا رأىٰ في الآية الشريفة: «**مالك يوم الدين**» انطواءً للكثرات تحت سطوع نور المالكية والقاهرية، فستحصل له عندئذٍ حالة المحو عن الكثرة، ويتحقق له الحضور في الحضرة، فيعرض العبودية حينها بالمخاطبة الحضورية ومشاهدة الجمال والجلال ويبلغ محضر القدس ومحفل الأنس بتوجهه الى الله وسعيه في طلبه تعالىٰ.

فلعلَّ السرّ في أداء هذا المقصد بالضمير «إيّاك» يكمن في أن هذا الضمير متعلق بالذات، والكثرات مضمحلة فيه. لذا أمكن حصول حالة التوحيد الذاتي للسالك في هذا المقام، وانصراف قلبه عن كثرة الاسماء والصفات ايضاً، فتصبح وجهة القلب هي حضرة الذات ودون حجب الكثرات.

وهذا بالذات هو «كمال التوحيد» الذي يقول عنه إمام الموحدين وسيّد العارفين وأمير العاشقين ورائد المجذوبين والمحبوبين أمير المؤمنين (صلوات الله عليه وعلى أولاده المعصومين): «**وكمال التوحيد نفي الصفات عنه**»[1]، لأن الصفة هي وجهة الغيرية والكثرة.

وهذا التوجه للكثرة ـ حتى الاسمائية منها ـ بعيد عن سرائر التوحيد وحقائق التجريد، ولعلّه هو السرُّ في خطيئة آدم عليه السلام عندما توجه نحو الكثرة الأسمائية المتمثلة في روح الشجرة المنهي عنها.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) الاصول من الكافي: كتاب التوحيد ـ باب جوامع التوحيد ـ الحديث السادس.

تحقيق عرفاني

اعـلم ان أهـل الظـاهر، ذكـروا تسـويغات عـدّة فـي تـعليل ورود «نـعبد» و«نستعين» بصيغة (جمع المتكلم) مع أنّ العابد واحد.

فمنها قولهم: إن العابد رأىٰ فيها حيلة شرعية يضمن بواسطتها وقوع عبادته موقع القبول لدى حضرة الحق تعالى، وذلك عند تقديمه عبادته ـ ضمن عبادة سائر المخلوقين بما فيهم كُمّل الاولياء ممن يقبل الحق تـعالى عـبادتهم ـ الى حضرة القدس ومنبع الرحمة، لكي تُقبل عبادته ضمنياً، فليس من عادة الكريم تبعيض الصفقة الواحدة.

ومنها: أن أداء العبادة جاء بصيغة الجمع لأنّ تشريع الصلاة جاء في البداية جماعة.

غير أنّا كنّا قد ذكرنا في مبحث «السرّ الإجمالي للأذان والإقامة» مطلباً قـد يكشف ـ الى حدٍّ ما ـ سرّ ورود صيغة الجمع هنا. فقد قلنا إن الأذان: هو إعلام لقوىٰ السالك الملكية والملكوتية للحضور في المحضر، وإن الإقامة: هي إيقاف تلك القوىٰ على أهبة الاستعداد في ذلك الحضور. فإذا تم للسالك إحضـار قواه الملكية والملكوتية في المحضر، وقدّم قلبه ـ وهو زعيمها ـ ليؤمّها فقد قـامت الصلاة «**والمؤمن وحده جماعة**»[1]. وعليه فإن «نعبد» و«نستعين» و«اهدنا» تشير الى هذه المجموعة الحاضرة في محضر القدس.

وقد أشارت الروايات والأدعية المأثورة عن اهل بيت العصمة والطـهارة ـ وهم ينابيع العرفان والشهود ـ الى هذا المعنىٰ.

والوجه الآخر الذي أراه هو الآتي:

لما كان السالك قد خصّ وقصر جميع المحامد وكل فناء من ايّ حامد ومُثني

---

(١) وسائل الشيعة: كتاب الصلاة ـ ابواب صلاة الجماعة ـ باب ان اقل ما تنعقد به الجماعة... ـ الحديث ٢ و٥.

في الملك والملكوت على الذات المقدسة للحق تعالى، وذلك بقوله «الحمد لله». ثم لما كان قد ثبت ظاهراً في أدلة أئمة البرهان وقلوب أصحاب العرفان، أن دائرة الوجود بأسرها ـ بملكها وملكوتها وقضّها وقضيضها ـ لها حياة شعورية إدراكية حيوانية ـ بل إنسانية ـ وأنها حامدة ومسبحة للحق تعالى عن إدراك واستشعار، ولما كان الخضوع في الحضرة المقدسة للكامل والجميل المطلق منقوشاً في فطرة جميع الموجودات ـ والنوع الانساني خاصة ـ فإن نواصيها ساجدة على أعتاب حضرته القدسية، يؤيد هذا البرهان الحكمي المتين قوله تعالى: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾[1] كما تعضده آيات كريمة اخرى، وأخبار مأثورة عن المعصومين تفيض بهذه اللطيفة الالهية.

فإذا ادرك السالك الى الله هذه الحقيقة بالاستدلال البرهاني او بالذوق الايماني او المشاهدة العرفانية، أدرك حينئذٍ ـ وفي ايّ مقامٍ كان ـ بأنّ جميع ذرات الوجود وسكنة الغيب والشهود عابدةٌ للمعبود المطلق، طالبةٌ لموجدها، وعندها سيعلن بصيغة الجمع أن جميع الموجودات عابدة للذات المقدسة للحق تعالى ومستعينة بها في جميع حركاتها وسكناتها.

---

(١) الاسراء: ٤٤.

تنبيه ونكتة

اعلم أنهم ذكروا في تقديم «إياك نعبد» على «إياك نستعين» ـ رغم أن القاعدة تقضي تقدم الاستعانة في العبادة على العبادة نفسها ـ عدّة مسوّغات منها:

ـ أن العبادة مقدّمة على «الاستعانة» لا على «الإعانة»، وقد تكون الإعانة دون استعانة.

ـ وقالوا: لما كانت العبادة والاستعانة مرتبطتين، فلا فرق في التقديم والتأخير بينهما، تماماً كما لو قلت: «قضيتَ حقي فأحسنتَ إليّ» او «أحسنتَ إليَّ فقضيتَ حقي».

ـ وقالوا أيضاً: إن الاستعانة المتأخرة في السياق هي للعبادة اللاحقة لا للعبادة الحالية.

ولا يخفى على أرباب الذوق برودة هذه المسوّغات.

ولعلّ السرَّ في ذلك التقديم يكمن في أن حصر الاستعانة بالحق تعالىٰ ـ بحسب مقام السلوك الى الله ـ متأخر عن حصر العبادة به تعالى، كما هو واضح. اذ من المعلوم ان الكثير من الموحّدين والحاصرين للعبادة بالحق تعالى هم مشركون في الاستعانة، فهم لا يحصرون الاستعانة به تعالى، نظير ما نقلناه عن بعض أرباب التفسير من قولهم «إن حصر الاستعانة ليس حقيقياً».

إذن، فحصر العبادة بالحق ـ بالمعنى المتعارف ـ هو من اوائل مقامات الموحدين، في حين إن حصر الاستعانة: هو ترك غير الحق مطلقاً. ولا يخفىٰ أن المقصود بـ«الاستعانة» هو الاستعانة في مطلق الامور لا بـ«الاستعانة» في العبادة فقط. وهذه لا تكون إلا بعد رفض الاسباب وترك الكثرات والإقبال التام على الله.

وبعبارة اخرى: فإن حصر العبادة: هو التوجه الى الحق وطلبه تعالى وترك طلب غيره، اما حصر الاستعانة: فهو رؤية الحق تعالى وترك رؤية غيره. وترك

رؤية الغير - في مقامات العارفين ومنازل السالكين - متأخر عن ترك طلب الغير.

فائدة عرفانية

اعلم أيّها العبد السالك، أن حصر العبادة والاستعانة بالحق، ليس من مقامات الموحدين ومدارج السالكين الكاملة. لأن فيه ادّعاءً ينافي التوحيد والتجريد، بل إن رؤية العبادة والعابد والمعبود والمستعين والمستعان به والاستعانة تتنافى مع التوحيد. ففي التوحيد الحقيقي الذي يتجلّى لقلب السالك تتلاشى هذه الكثرات وتضمحل رؤية هذه الامور.

نعم، الكثرة لا تكون حجاباً لأولئك الذين تحقق لهم مقام الصحو من الجذبة الغيبية وعادوا الى انفسهم منها. فالناس طوائف عدّة:

فطائفة «محجوبون» أمثالنا نحن الغارقين في حجب الطبيعة الظلمانية.

وطائفة «سالكون» وهم المسافرون الى الله والمهاجرون الى حضرته القدسية.

وطائفة «واصلون» وهم الخارجون من حجب الكثرة، المشتغلون بالحق، الغافلون المحجوبون عن الخلق، الذين حصل لهم الصعق الكلّي والمحو المطلق.

وطائفة هم «الراجعون الى الخلق» الذين لهم سمة «المكملين والهادين» كالأنبياء العظام وأوصيائهم عليهم السلام. وهؤلاء وإنْ كانوا واقعين في الكثرة مشغولين بإرشاد الخلق، إلا أن الكثرة لا تحجبهم، فهم في مقام البرزخيّة.

وبناء على هذا فإن «**إياك نعبد وإياك نستعين**» تختلف باختلاف حالات هذه الطوائف.

فهي منّا - نحن المحجوبين - مجرد ادّعاء وشكل ظاهري. واذا انتبهنا لحجابنا وأدركنا نقصنا، اكتسبت عباداتنا نورانية - بمقدار معرفتنا بنقصاننا -

وشملتنا ألطاف الحق تعالى.

وهي من السالكين، قريبة من الحقيقة بمقدار قِدم سلوكهم.

وهي من الواصلين نسبةٌ الى رؤية الحق، حقيقةٌ، ونسبةٌ الى رؤية الكثرة، صورةٌ صرفة وجري على العادة.

وهي من الكاملين، صرف الحقيقة، فهم ليسوا محجوبين لا بحجابٍ حقيّ ولا بحجابٍ خلقي.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

إيقاظٌ إيمانيّ

اعلم أيّها العزيز، اننا مادمنا في حجب عالم الطبيعة السميكة، مستهلكين اعمارنا في إعمار الدنيا وتحصيل لذائذها، غافلين عن الحق تعالى وذكره والتفكر به تعالى، فإن جميع عباداتنا وأذكارنا وقراءاتنا مجردةٌ عن الحقيقة، ولا يمكننا حصر المحامد بالحق تعالى من خلال «الحمد لله»، أو الاهتداء الى سبيلٍ من الحقيقة من خلال «إياك نعبد وإياك نستعين»، فنحن منكوسو الرؤوس يلبسنا العار من هذه الدعاوى الجوفاء في محضر الحق تعالى وملائكته المقربين وانبيائه المرسلين واوليائه المعصومين.

وإلّا كيف يمكن لمن دأب على مدح اهل الدنيا بفعله وقوله أن يقول الحمد لله؟ وبأي لسان يمكن لمن كان قلبه متعلقاً بالطبيعة الخالية حتى من عرف الالوهية، وكان توكّله على الخلق وثقته بهم أن يقول: «إياك نعبد وإياك نستعين»؟!

إذن، اذا كنت أهلاً لهذه المنازلة، فلتشدّ أحزمة العزم، ولتسعَ ابتداءً في ايصال هذه الحقائق واللطائف التي ذكرناها في طيّات هذه الرسالة، الى قلبك من خلال كثرة التذكر والتفكر في عظمة الحق وذلّة وعجز وفقر المخلوق، ولتحيِ فؤادك بذكر الحق تعالى، لعلّ نفحةً من التوحيد تصل بذلك الى شامّة قلبك، وعسى ان تجد سبيلاً الى صلاة أهل المعرفة.

اما اذا لم تكن اهلاً لتلك المنازلة، فلتجعل ـ في الأقل ـ نقصك نُصب عينيك، ولتلتفت الى ذلتك وعجزك، ولتمارس عبادتك مستشعراً العار والخجل، وإياك أن تدّعي العبودية. ولتكن قراءتك تلك الآيات الشريفة التي لم تتحقق بلطائفها بلسان الاولياء الكمّل، وإلا فاجعل قراءتك ناظرةً الى صرف صورة القرآن، حتى لا تكون دعواك باطلةً وادعاؤك كاذباً ـ في الأقل ـ.

فرعٌ فقهيّ

إعلم ان بعض الفقهاء لم يُجز قصد الانشاء في أمثال «**إياك نعبد وإياك نستعين**» مثلاً، معتبرين ذلك ينافي القرآنية، والقراءة، على اعتبار أن القراءة هي نقل كلام الآخر.

وهذا القول ليس وجيهاً، فالإنسان يمكنه أن يمدح شخصاً بكلامٍ من عنده او بكلام الآخرين، فلو أننا مدحنا شخصاً بشعرٍ لـ «حافظ» مثلاً، فسيصدق علينا (أننا مدحنا) كما يصدق علينا (أننا قرأنا شعراً لحافظ). عليه فإذا أنشأنا حصر جميع المحامد ـ حقاً ـ بالحق تعالى بقولنا «الحمد لله رب العالمين»، وحصرنا العبادة به تعالى بقولنا «إياك نعبد» فسيصدق علينا «أننا حمدنا الله بكلامه تعالى) و(حصرنا العبادة به تعالى بكلامه) أيضاً. بل لو أنَّ أحداً جَرّد الكلام من معنى الانشاء فسيكون عمله مخالفاً للاحتياط، إذا لم نقل أنَّ قراءته باطلة.

نعم، لو أنّ شخصاً لم يكن يعرف معنى ما يقرأ، فلا يجبُ عليه تعلّم معانيها، بل يكفيه قراءة ما يقرأ بما لها من معنى.

والروايات الشريفة تشير الى حالة الانشاء لدى القارئ، نظير قوله في الحديث القدسيّ: «**فإذا قال [أي العبد] في صلاته «بسم الله الرحمن الرحيم»، يقول الله: ذكرني عبدي. وإذا قال: الحمد لله، يقول الله: حمدني عبدي... الخ**»[1]. فما لم يتحقق إنشاء «التسمية» و«الحمد» من قبل العبد، فلا معنى لقوله «ذكرني» و«حمدني».

او نظير قوله في أحاديث المعراج: «**الآن وصلت فسَمِّ باسمي**»[2].

ويستنتج من الحالات التي كانت تنتاب أئمة الهدى عليهم السلام في الصلاة عند

---

(١) المحجة البيضاء: ج١، ص٣٨٨ وصحيح مسلم: ج٢، ص٩٢ بتفاوت يسير. والحديث بكامله ورد معنا في مبحث آداب القراءة تراجع.

(٢) علل الشرائع: ص٣١٥ ـ حديث صلاة المعراج.

قولهم «**مالك يوم الدين**» و«**إياك نعبد**»، وقيام بعضهم عليهم السلام بتكرار هذه الآيات، أنهم كانوا ينشئون ولم يكن الأمر مجرد القراءة او من قبيل «**إسماعيل يشهد أن لا إله إلّا الله**»[١].

واختلاف مراتب صلاة اهل الله، إنما يرجع في الأساس الى الاختلاف في مراتب قراءتهم، كما اشرنا الى نبذةٍ من ذلك فيما مَرّ. وهذا لا يتحقق إلا أن يكون للقارئ قصد الإنشاء في القراءة والأذكار. والشواهد على هذا المعنى كثيرة جداً.
على أيّة حال، لا إشكال في جواز قصد الإنشاء لهذه المعاني بالكلام الإلهيّ.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) روي ان الامام الصادق عليه السلام كتب هذه العبارة على كفن ولده إسماعيل. راجع: وسائل الشيعة: كتاب الطهارة ـ ابواب التكفين ـ الباب ٢٩ ـ الحديث ٢.

فائدة

يعتبر أهل اللغة أنّ «العبادة» تعني: غاية الخضوع والتذلل، وهم يقولون: إن العبادة مادامت تمثل أعلى مراتب الخضوع، فهي لا تليق إلا بمن هو في أعلى مراتب الوجود والكمال وعلى أعظم مراتب النعم والاحسان، لذا فإن عبادة غير الحق تكون شركاً.

غير أنّ من الممكن ان يكون المراد من (العبادة) في الحقيقة معنى أوسع مما ذُكر، وذلك عند اعتبارها خضوعاً للخالق وللربّ، مما يستلزم اتخاذ المعبود الهاً وربّاً أو مشابهاً له او نظيراً له او مظهراً له مثلاً، ومن هنا تكون عبادة غير الحق تعالى شركاً وكفراً. وإلّا فإن مطلق الخضوع، دون اقترانه بهذا الاعتقاد او الجزم بهذا المعنى ـ ولو تكلفاً ـ لا يصير ـ وإنْ بلغ غايته ـ سبباً للكفر او الشرك، وإنْ كانت بعض انواعه محرّمةً، كوضع الجبهة على الارض تخضّعاً للغير، فهذا وإنْ كان لا يعدُّ عبادةً فهو ـ على الظاهر ـ محرّم شرعاً.

اذن، اذا اقترنت مظاهر التعظيم والاحترام التي يبديها اصحاب الأديان تجاه عظمائهم، بالاعتقاد بكونهم عباداً محتاجين للحق تعالى في كل شيء ـ في اصل الوجود وكماله ـ وبكونهم عباداً صالحين لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة، وانهم مقربون لحضرة الحق تعالى مشمولون بألطافه نتيجة عبوديتهم، وهم بعد ذلك وسيلة لاستجلاب عطاياه تعالى، فلن يكون فيها أيّة شائبة للشرك والكفر، فتعظيم خاصة الله تعظيم لله تعالى وحبُّ خاصّة الله حُبُّ لله.

وبين الطوائف التي تؤمن بـ«أُشهد الله وكفى به شهيداً» طائفة تمتاز ـ ببركة أهل بيت الوحي والعصمة وخزّان العلم والحكمة ـ عن جميع طوائف الأسرة الانسانية بتوحيدها وتقديسها وتنزيهها للحق تعالى، وهي طائفة الشيعة الاثني عشرية التي تشهد كُتب اصول عقائدها، ككتاب «الكافي» وكتاب

«التوحيد» للشيخ الصدوق (رضوان الله عليه)، وسائر التراث المجتمع لديها من خطب وأدعية الأئمة المعصومين ـ معادن الوحي والتنزيل ـ على انفرادهم بمثل هذه العلوم التي لم يشهد التاريخ البشري لها نظيراً. فالحقّ تعالى لم يُقدّس ولم يُنزَّه ـ بعد الكتاب المقدس للوحي الالهي، ذلك القرآن الكريم الذي سطرته يد القدرة الالهية ـ بمثل ما ظهر منهم من التقديس والتنزيه له تعالى.

ورغم أنَّ الشيعة ـ في جميع الأمصار والأعصار ـ يتابعون أئمة الهدى المعصومين المنزهين الموحدين أولئك، ويعرفون الحق وينزهونه ويوحدونه بما قيّض لهم اهل البيت عليهم السلام من البراهين الواضحات، إلا أن بعض الطوائف ممن يتجلى إلحادها من عقائدها وكتبها، فتحت باب اللعن على الشيعة فاتّهمت ـ بدافع من مناصبة العداء التي تنطوي عليها سرائرهم ـ أتباع أهل بيت العصمة بالشرك والكفر. وهذا الأمر وإنْ كان بضاعة كاسدةً في سوق اهل المعرفة والحكمة، إلا أنّه يعدُّ ـ ونتيجة لما يترتب عليه من مفسدة تتمثل في إبعاد العوام والبسطاء والجهّال من الناس عن معادن العلم وسوقهم نحو الجهل والشقاء ـ جريمة كبرى بحق بني الانسان لا يمكن تجاوزها ابداً.

من هنا ـ ووفقاً للموازين العقليّة والشرعية ـ فإن المسؤولية والوزر المترتب على انحراف هذه المجموعة القاصرة الجاهلة اليائسة، تتوجه الى هؤلاء الجائرين الذين حالوا دون نشر المعارف والأحكام الإلهية من أجل تحقيق أطماعهم الدنيئة ولأيامٍ معدودات، فتسببوا بذلك في تعريض بني الانسان للشقاء والبؤس وضيّعوا هباءً جميع الجهود التي بذلها خير البشر صلى الله عليه وآله وأبطلوا آثارها، وأغلقوا باب الوحي والتنزيل بوجه الناس. اللهم العنهم لعناً وبيلاً وعذّبهم عذاباً أليماً.

اهدنا الصراط المستقيم*صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضآلين

اعلم ايّها العزيز، ان سورة «الحمد» المباركة ـ وكما قدمنا ـ تنطوي على اشارةٍ الى منهج سلوك ارباب المعرفة والارتياض. ففيها ـ بدءاً من «التسمية» وحتى «إياك نعبد...» ـ بيان لكافة مراحل السلوك من الخلق الى الحق. فإذا ترقّى السالك من التجلّيات الافعالية الى التجليات الصفاتية ومنها الى التجليات الذاتية، وخرج من الحجب النورانية والظلمانية وبلغ مقام الحضور والمشاهدة، حصلت له حينئذٍ مرتبة الفناء التام والاستهلاك الكلّي.

فإذا انتهى السير نحو الله الى غروب أفق العبودية وشروق سلطة المالكية في «مالك يوم الدين» حصلت ـ في نهاية هذا السلوك ـ حالة التمكّن والاستقرار ورجع السالك الى نفسه وتحقق مقام الصحو، فينتبه السالك الى مقامه ولكن تبعاً للتوجه الى الحق، وعلى عكس حالة الرجوع الى الله حيث يكون التوجه للحق تبعاً للتوجه الى الخلق.

وبعبارةٍ اخرى، فإن السالك يرى الحق ـ اثناء السلوك الى الله ـ في الحجاب الخلقي ويشاهد الخلق بعد الرجوع من مرتبة الفناء الكلّي ـ الحاصلة في «مالك يوم الدين» ـ في حجاب الحق.

عندها يقول «إياك نعبد» مقدماً الضمير «إيّا» مع كاف المخاطب، على ذاته وعبادته.

ولما كانت هذه الحالة محتملة الزوال، وكان الانزلاق في هذا المقام محتملاً، لذا فإن السالك يطلب الثبات والإلزام لنفسه من الحق تعالى، وذلك بقوله «اهدنا» اي «الزمنا» ـ كما فُسّرت بذلك ـ.

والجدير بالذكر أن المقام الذي ذكرناه والتفسير الذي قدمناه يختصّ بالكمّل من اهل المعرفة، ممن يصبح الحق تعالى حجاباً لهم عن الخلق في المقام الأول ـ

مقام الرجوع من السير الى الله ـ في حين يكون مقام كمالهم، هو حالة البرزخية الكبرى التي لا يكون الخلق فيها حجاباً لهم عن الحق ـ كما هو حالنا نحو المحجوبين ـ كما لا يكون الحق حجاباً لهم عن الخلق ـ كما هو حال الواصلين المشتاقين والفانين المجذوبين ـ فيكون «الصراط المستقيم» بالنسبة لهم: عبارة عن تلك الحالة البرزخية المتوسطة بين النشأتين وهي صراط الحق.

وبناءً على هذا يكون المراد من «الذين أنعمت عليهم» هم أولئك الذين قدّر الحق تعالى ـ بالتجلي بالفيض الأقدس في الحضرة العلمية ـ حملهم للاستعداد واللياقة المناسبة، فأرجعهم الى مملكته بعد فنائهم التام.

أمّا «المغضوب عليهم» فهم ـ بناءً على نفس التفسير ـ المحجوبون قبل الوصول، و«الضالّون» هم الفانون في الحضرة.

أمّا غير الكمل، فإذا لم يكونوا من اهل السلوك، فلا تصدق عليهم هذه المعاني، «فالصراط» بالنسبة لهم هو صراط ظاهر الشريعة، ولهذا فُسِّر «الصراط المستقيم» بالدين والاسلام وامثال ذلك.

اما اذا كانوا من اهل السلوك، فسيكون المراد من «الهداية» بالنسبة لهم هو الارشاد، والمراد بـ«الصراط المستقيم»: هو أقرب طرق الوصول الى الله المتمثل في طريق رسول الله واهل بيته (صلوات الله عليهم اجمعين).

كذلك فقد يُفسَّرُ «الصراط المستقيم» برسول الله وأئمة الهدى وأمير المؤمنين (عليهم الصلاة والسلام). فقد روي أنَّ رسول الله ﷺ خطَّ خطاً مستقيماً وحوله خطوطاً اخرى، ثم اشار الى ان الخط المستقيم الأوسط يمثلُه هو ﷺ[1]. ولعل المراد من «الأمة الوسط» في قوله تعالى: ﴿جعلناكم أمةً وسطاً﴾[2] هو الوسطية بالقول المطلق وبجميع المعاني، فمنها الوسطية في المعارف والكمالات الروحية التي تمثل مقام البرزخية الكبرى، والوسطية

(١) راجع علم اليقين: ج٢، ص٩٦٧.

(٢) البقرة: ١٤٣.

العظمى. لذا فقد اختصّ هذا المقام بالكمل من أولياء الله، وعليه فقد ورد في الحديث أن المقصود ـ في الآية ـ هم أئمة الهدى عليهم السلام. يقول الامام الباقر عليه السلام، ليزيد بن معاوية العجلي: «**نحن الأمة الوسط ونحن شهداء الله على خلقه**»[١].

ويقول عليه السلام: «**إلينا يرجع الغالي، وبنا يحلقُ المقصِّر**»[٢] وفيه اشارة واضحة الى ما تقدم.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) الاصول من الكافي: كتاب الحجة. باب ان الائمة شهداء الله على خلقه. الحديث الثاني.

(٢) تفسير العياشي: ج ١، ص ٦٢، ح ١١١.

تنبيه إشراقي وإشراق عرفاني

اعلم ايُّها الطالب للحق والحقيقة، أنّ الحق تعالى قد أودع وأبدع الحبَّ الذاتي والعشق الجبلّي في فطرة الموجودات جميعاً، لكي تتوجه بهذه الجذبة الالهية ونار العشق الرباني الى الكمال المطلق، وتكون طالبة للجميل على الاطلاق، عاشقةً له؛ ذلك لأنه تعالى خلق نظام الوجود ومظاهر الغيب والشهود بناءً على الحب الذاتي والمعروفية في حضرة الاسماء والصفات بمقتضى الحديث القدسي: «**كنت كنزاً مخفياً فأحببتُ أن أُعرف، فخلقتُ الخلق لكي أُعرف**»[1].

إذن، فالله تعالى قد جعل في كلِّ موجودٍ من الموجودات نوراً الهياً فطرياً يدرك به سبيل الوصول الى المقصد والمقصود. والنار والنور هذان، أحدهما «رفرف الوصول» والآخر «براق العروج». ولعلّ «براق» و«رفرف» رسول الله ﷺ رقيقة هذه اللطيفة والصورة الملكية الممثلة لهذه الحقيقة، لهذا نزلت من الجنة، وهي باطن هذا العالم.

ولما كانت الموجودات قد تنزلت في مراتب التعينات وحجبت عن الجمال الجميل للمحبوب (جلت عظمته)، فإنَّ الحق تعالى يخرجها بتلك النار والنور من حجب التعينات الظلمانية و«الانّيات النورانية» بالإسم الهادي المبارك الذي يمثل حقيقة هذه الرقائق، ويوصلها الى أقرب الطرق المؤدية الى المقصد الحقيقي وجوار محبوبها. فذاك «النور» هو «هداية» الحق تعالىٰ، وتلك «النار» هي «التوفيق الالهي» والسلوك نحو الطريق الاقرب للصراط المستقيم. والحق تعالى هو على هذا الصراط المستقيم، ولعلَّ في قوله تعالى:

﴿**ما من دابةٍ إلّا هو آخذٌ بناصيتها إنَّ ربي على صراطٍ مستقيم**﴾[2]

اشارة الى هذه الهداية وهذا السير وهذا المقصد كما هو جليٌّ لاهل المعرفة.

---

(١) أسرار الحكم: ص ٢٠.

(٢) هود: ٥٦.

ولتعلم ايُّها العزيز، بأنَّ لكلّ موجودٍ من الموجودات صراطاً خاصاً به ونوراً وهدايةً معيّنة، «والطرق الى الله بعدد أنفاس الخلائق»[1]، ولما كان في كلِّ تعيُّنٍ حجاب ظلماني، وفي كلّ وجود وإنّية حجاب نوراني، ولما كان الانسان مجمع التعينات وجامع الوجودات، فهو أشدُّ الموجودات محجوبية عن الحق تعالى، ولعلَّ الآية الكريمة: ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾[2] تشير الى هذا المعنى.

من هنا فإنَّ الصراط الانساني أطولُ وأشدُّ ظلمة من الطرق الاخرى.

كذلك، لما كان «ربُّ» الانسان هو حضرة اسم الله الاعظم الذي تكون كافة الاسماء المتقابلة كالظاهر والباطن والاول والآخر والرحمة والغضب وسائر الاسماء على السواء بالنسبة له، لذا وجب ان يحصل الانسان في منتهى سيره على مقام البرزخية الكبرى، وعليه كان صراطه أدقّ من كلِّ صراط.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

(١) منسوب الى النبي الاكرم ﷺ. راجع جامع الأسرار ومنبع الأنوار للسيد حيدر الآملي: ص٨، ٩٥، ١٢١.

(٢) التين: ٥.

تنبيه إيماني

يتضح مما تقدم، ان للهداية مراتب ومقاماتٍ تتناسب مع مسارات السائرين ومراتب سلوك السالكين الى الله، وهاهنا نشير الى بعض هذه المراتب والمقامات على نحو الاجمال ليتبيّن ضمنياً وبما يتناسب مع كل مرتبةٍ من المراتب معنى «الصراط المستقيم» و«صراط المفرطين» و«صراط المفرِّطين» ـ وهما «المغضوب عليهم» و«الضالين» على التوالي ـ.

المرتبة الاولى: نور الهداية الفطرية، وقد تقدمت الاشارة اليه في المبحث السابق، ويكون «الصراط المستقيم» في هذه المرتبة من الهداية، عبارةً عن السلوك الى الله دون الاحتجاب بالحجب المُلكية أو الملكوتية او دون الاحتجاب بحجب المعاصي القالبية او القلبية، أو دون الاحتجاب بحجب الغلوّ أو التقصير، او دون الاحتجاب بالحجب النورانية أو الظلمانية، او دون الاحتجاب بحجب الوحدة او الكثرة، ولعلّ الآية الكريمة: ﴿يُضِلُّ من يشاء ويهدي من يشاء﴾[1] تشير الى هذه المرتبة من الهداية والى الاحتجابات التي ذكرناها، الأمرين اللذين يقدّران بالتجلّي بحضرات الاعيان الثابتة في «حضرة القدر» وهي عندنا «مرتبة الواحديّة»، وتفصيل ذلك يخرج عن اطار هذه الرسالة، بل إنه مما لا يحاط بالتحرير والبيان وهو «سرٌّ من الله وسترٌ من ستر الله»[2].

المرتبة الثانية: الهداية بنور القرآن؛ ويقابلها الغلوّ والتقصير في معرفته او الوقوف عند ظاهره، او الوقوف عند باطنه، كما هو الحال مع بعضٍ من اهل الظاهر الذين يرون أن علوم القرآن الكريم، هي مجرد هذه المعاني العرفية العامية والمفاهيم السياقية الوضعية. وبذا فهم لا يتفكّرون في القرآن الكريم

---

(١) النحل: ٩٣ وفاطر: ٨.

(٢) قال أمير المؤمنين عليه السلام في القدر: «الا ان القدر سرٌّ من سرّ الله وسترٌ من ستر الله». راجع التوحيد: ص٣٨٣ ـ باب القضاء والقدر ـ الحديث ٣٢.

ولا يتدبرون آياته ويحصرون الاستفادة من هذه الصحيفة النورانية ـ المتكفلة بالسعادة الروحيّة والجسمية والقلبية والقالبية ـ بتلك الأوامر الشكلية الظاهرية، فيُعرضون عن كلِّ تلك الآيات الدالّة على وجوب او على رجحان التفكر في القرآن وتدبّر آياته، ويشيحون بأنظارهم عن الاستنارة بنوره، الأمر الذي يفتح بتحققه ابواباً من المعرفة، وكأن القرآن الكريم قد نزل من أجل الحثِّ على الدنيا والملذات الحيوانية، ومن أجل تأكيد مقام الحيوانية والشهوات البهيمية.

او كما هو الحال مع بعضٍ من اهل الباطن الذين ينصرفون ـ كما يتصورون ـ عن ظاهر القرآن الكريم ودعواته الشكلية الظاهرية، والتي تنطوي على منهج التأدب بآداب المحضر الإلهي وكيفية السلوك الى الله، وإذا بهم يغفلون عن ذلك كلّه وينحرفون ـ نتيجة تلبيسات إبليس اللعين والنفس الأمّارة بالسوء ـ عن ظاهر القرآن ويتمسكون ـ بحسب أوهامهم ـ بعلومه الباطنية، والحال ان الطريق للوصول الى الباطن انما تمرُّ عبر التأدب بالظاهر.

فكلتا هاتين الطائفتين اذن، خارجتان عن جادة الاعتدال، محرومتان من نور الهداية الى الصراط القرآني المستقيم، منسوبتان الى الافراط والتفريط.

فالعالم المحقق والعارف المدقق ينبغي له أن يكون قائماً بالظاهر والباطن متأدباً بالآداب الصورية والمعنوية، ومثلما يُنوّرُ ظاهره بنور القرآن، عليه أن يجعل باطنه نورانياً بأنوار المعارف والتوحيد والتجريد ايضاً.

وليعلم اهل الظاهر، أنَّ تحجيم القرآن وحصر معارفه على الآداب الصورية الظاهرية وعلى مجموعة من الاوامر العملية والاخلاقية والعقائد العامّية في باب التوحيد والاسماء والصفات، انما هو جهل بحقّ القرآن وعدّ الشريعة الخاتمة ـ التي لا ينبغي لنا تصوُّرُ أكمل منها ـ ناقصة، وإلا لكان اعتبارها الختمية أمراً محالاً في سُنة العدل.

فما دامت هذه الشريعة هي خاتمة الشرائع، وما دام القرآن الكريم خاتم

الكتب النازلة وآخر رابطٍ بين الخالق والمخلوق، فلابدّ ان يكون على أعلى مرتبةٍ من المراتب وفي غاية الكمال من حيث تبيانه لحقائق التوحيد والتجريد والمعارف الالهية التي تعدُّ المقصد الاصلي والغاية الذاتية للأديان. والشرائع والكتب الالهية النازلة، وإلا للزم ان تكون الشريعة ناقصةً، وهذا خلاف العدل الالهي واللطف الربوبي، الأمر المحال بذاته والعار الفضيع القبيح الذي لا يَطهُر دنسه عن الأديان الحقّة حتى لو غسلت بالأبحر السبعة ـ والعياذ بالله ـ.

كما ليعلم اهل الباطن، أن الوصول الى المقصد الاصلي والغاية الحقيقية لا يكون إلا بتطهير الظاهر والباطن، وأن الوصول الى اللبِّ والباطن لا يمكن ان يتحقق الا بالتمسك بالصورة والظاهر، كما لا يُمكن الغوص إلى باطن الشريعة إلا بارتداء لباس ظاهرها.

ففي ترك الظاهر إذن، إبطالٌ لظاهر الشرائع وباطنها وهو من تلبيسات شيطان الجنِّ والإنس، وقد تعرضنا لهذا الموضوع في كتابنا «شرح الأربعين حديثاً».

المرتبة الثالثة: الهداية بنور الشريعة.

المرتبة الرابعة: الهداية بنور الإسلام.

المرتبة الخامسة: الهداية بنور الإيمان.

المرتبة السادسة: الهداية بنور اليقين.

المرتبة السابعة: الهداية بنور العرفان.

المرتبة الثامنة: الهداية بنور المحبّة.

المرتبة التاسعة: الهداية بنور الولاية.

المرتبة العاشرة: الهداية بنور التجريد والتوحيد.

ولكلِّ واحدةٍ من هذه المراتب، طرفان من الافراط والتفريط والغلوّ والتقصير، وتفصيل ذلك قد يطول، ويكفي القول إن من الممكن أن تكون الاشارة الى بعض تلك المراتب او اليها جميعاً واردةً في الحديث الشريف

المروي في الكافي، حيث يقول الامام الرضا عليه السلام: «نحن آل محمد النمط الأوسط الذي لا يدركنا الغالي ولا يسبقنا التالي... الحديث»(١).

وقال صلى الله عليه وآله: «خير هذه الأمة، النمط الأوسط يلحق بهم التالي ويرجع إليهم الغالي»(٢).

مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

(١) الاصول من الكافي: كتاب التوحيد ـ باب النهي عن الصفة بغير ما وصف به نفسه تعالى ـ الحديث الثالث.

(٢) عن أمير المؤمنين عليه السلام، راجع لسان العرب ـ مادة «نمط».

تنبيه عرفاني

اعلم أنّ لكلّ موجودٍ من موجودات عوالم الغيب والشهادة والدنيا والآخرة مبدأً ومعاداً، وإن كان المبدأ والمرجع لجميع الموجودات هو الهوية الالهية، ولكن لمّا كانت الذات المقدسة للحق جلَّ وعلا لا تتجلى ـ لأي من الموجودات العالية او السافلة ـ من حيث «هو» بلا حجاب الاسماء ـ وبحسب هذا المقام فلا مقام دون اسم ـ ولا رسم دون الاتصاف بالأسماء الذاتية والصفاتية والأفعالية، ولما كان أيّ موجودٍ من الموجودات لا علاقة له به وليس له ارتباط أو اختلاط معه «أين التراب ورَبُّ الارباب»[1] ـ لقد فصلت الحديث عن هذه اللطيفة في كتاب «مصباح الهداية» ـ فإن مبدئية ومصدرية ذاته المقدسة هي في الحجب الاسمائية، كما أن الاسم ـ وفي نفس الوقت الذي يُمثل به عين المسمى ـ هو حجابه ايضاً. وعليه فالتجلّي في عوالم الغيب والشهادة يكون بحسب الاسماء وفي حجابها.

على ذلك فإن للذات المقدسة في ظهورات الاسماء والصفات، تجليات في الحضرة العلمية، يسمي اهل المعرفة تعيناتها «الاعيان الثابتة». وبذا يلزم أن يكون لكلٍّ من التجليات الاسمائية عينٌ ثابتة في الحضرة العلمية، وأن يكون لكلِّ اسم ـ التعيّن العلمي ـ مظهر في النشأة الخارجية، بحيث يكون مبدأ هذا المظهر ومرجعه هو ذلك الاسم الذي يناسبه، ورجوع كلّ موجودٍ من الموجودات من عالم الكثرة الى غيب الاسم الذي هو مصدره ومبدؤه، عبارة عن صراطه المستقيم. وعليه يكون لكل موجودٍ سير وصراط مخصوص ومبدأ ومرجع مقدّر في حضرة العلم ـ طوعاً او كرهاً ـ واختلاف المظاهر وانواع الصراط انما يكون بحسب اختلاف الظاهر وحضرات الاسماء.

---

(١) حديث نبوي، راجع كتاب «تمهيدات عين القضاة»: ص٢٧٦.

وتجدر الاشارة الى أنّ «تقويم» الإنسان في أعلىٰ عليين هو «الجمع الاسمائي»، لذا رُدَّ الى «اسفل سافلين». فصراطهُ يبدأ من «أسفل سافلين» وينتهي الى «أعلى عليين». وهذا صراط الذين أنعم الحق تعالى عليهم بالنعمة المطلقة وهي نعمة كمال الجمع الاسمائي التي هي أسمىٰ النعم الالهية.

وبذا تكون أنواع الصراط الاخرى ـ سواءٌ صراط السعداء و«المنعم عليهم» او صراط الاشقياء ـ داخلةً في أحد طرفي الإفراط والتفريط وبما يتناسب مع النقصان من فيض النعمة المطلقة.

وعليه يكون «صراط الانسان الكامل» هو صراط المُنعم عليهم مطلقاً فقط، فهو يختص بالذات المقدسة للنبي الخاتم أصالةً ولسائر الأولياء والأنبياء بالتبعيّة.

ولفهم الكلام المتقدم وربطه مع حقيقة أن النبيّ الأكرمﷺ هو خاتم النبيين، يلزم فهم حضرات «الاسماء» و«الاعيان». وهذا ما يتوضح في رسالة «مصباح الهداية». والله الهادي الى سبيل الرشاد.

توضيح

يقول الشيخ الجليل البهائي ﵀ في رسالة العروة الوثقى: «... ونعمُ الله (سبحانه) وإنْ جلّت عن أن يحيط بها نطاق الإحصاء، كما قال جلّ شأنُه: ﴿وإنْ تَعُدُّوا نعمةَ الله لا تُحصوها﴾[1]. إلّا أنّها جنسان دنيويّ وأخرويّ، وكلٌّ منهما إمّا موهبيّ أو كسبي، وكلٌّ منهما إمّا روحانيّ أو جسماني؛ فهذه ثمانية أقسام:

الأوّل: دنيوي موهبي روحاني، كنفخ الروح وإفاضة العقل والفهم.

الثاني: دنيوي موهبي جسماني، كخلق الأعضاء وقواها.

الثالث: دنيوي كسبي روحاني، كتخلية النفس عن الأمور الدنية وتحليتها بالأخلاق الزكيّة والملكات السنيّة.

الرابع: دنيوي كسبي جسماني، كتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلي المستحسنة.

الخامس: أخروي موهبي روحاني، كأن يغفر ذنوبنا ويرضى عنّا من غير سبق توبة.

السادس: أخروي موهبي جسماني، كالأنهار من اللبن والأنهار من العسل.

السابع: أخروي كسبي روحاني، كالغفران والرّضا مع سبق التوبة، وكالملذات الروحانيّة المستجلبة بعمل الطاعات.

الثامن: أخروي كسبي جسماني، كالملذات الجسمانيّة المستجلبة بالفعل المذكور.

والمراد ـ هنا ـ الأربعة الأخيرة، وما يكون الى نيلها من الأربعة الأوَل»[2]، انتهى كلام الشيخ ﵀.

---

(١) ابراهيم: ٣٤ والنحل: ١٨.

(٢) رسالة العروة الوثقى للشيخ البهائي: في تفسير سورة الحمد ـ ص١٢٨ ـ ١٢٩ طبعة دار القرآن الكريم قم ـ سنة ١٤١٢هـ.ق.

وتقسيمات الشيخ هذه وإنْ كانت لطيفة، إلا أنها لا تعدُّ كاملة، فأهم النعم الالهية واعظم مقاصد الكتاب الالهي الشريف، سقطت من قلم الشيخ الجليل، وقد اكتفى بذكر نِعم الناقصين أو المتوسطين، وإنْ كان ذكر اللذة الروحانية المعنوية، ولكن اللذة الروحانية الأخروية التي تُنال بفعل الطاعات هي حظُّ المتوسطين إنْ لم نقل أنها حظُّ الناقصين.

على ايّة حال، هناك غير النعم المتعلقة باللذات الحيوانية والحظوظ النفسانية، مما ذكره الشيخ الجليل، نعمٌ أخرى أهمها ثلاث:

الاولى: نعمة معرفة الذات والتوحيد الذاتي، وأصلها السلوك الى الله ونتيجتها «جنة اللقاء»، والسالك لو كان هادفاً الى تحقيق هذه النتيجة فسلوكه ناقصٌ؛ لأن هذا المقام هو مقام ترك الذات ولذّاتها، في حين ان التوجه نحو الحصول على النتيجة هو توجه نحو الذات، وهذا عبادة للنفس، لا عبادة لله، وتكثير لا توحيد، وتلبيسٌ لا تجريد.

الثانية: نعمةُ معرفة الاسماء، وهي نعمة تتشعب بحسب الكثرة الاسمائية، تبلغ ـ اذا أحصيت مفرداتها ـ الألف، ويخرج الأمر عن حدّ الاحصاء اذا أحصيت مع عَدّ تركيباتها: ﴿وإنْ تعدّوا نعمةَ الله لا تحصوها﴾[1].

والتوحيد الاسمائي في هذا المقام، هو نعمة معرفة الاسم الاعظم وهو مقام أحدية جمع الاسماء، ونتيجته «جنة الاسماء» ولكلٍّ بما يتناسب مع معرفته لاسمٍ او عدة أسماءٍ مفردة او مجتمعة.

الثالثة: نعمة المعرفة الافعالية، والتي تتفرع هي الاخرى الى شعبٍ كثيرة لا متناهية. ومقام التوحيد في هذه المرتبة هو احدية جمع التجليات الافعالية، وهو مقام «الفيض المقدس» ومقام «الولاية المطلقة»، ونتيجته «الجنة الافعالية» حيث حصول التجليات الافعالية للحق في قلب السالك. ولعل التجلّي لموسى بن

---

(١) ابراهيم: ٣٤.

عمران في بداية الأمر وحيث قال: ﴿آنست ناراً﴾[1]، كان بالتجلّي الافعالي، اما التجلي المشار اليه بقوله تعالى: ﴿فلما تجلىٰ ربه للجبل جعله دكاً وخرّ موسىٰ صعقاً﴾[2] فقد كان من التجليات الاسمائية او الذاتية.

فصراط «المنعم عليهم» هو ـ في المقام الاول ـ صراط السلوك الى ذات الله. والنعمة في هذ المقام هي التجلي الذاتي.

وهو ـ في المقام الثاني ـ صراط السلوك الى اسماء الله، والنعمة في هذا المقام هي التجليات الاسمائية.

وهو ـ في المقام الثالث ـ صراط السلوك الى فعل الله، والنعمة في هذا المقام هي التجليات الافعالية.

وأصحاب هذه المقامات لا ينظرون الى الجنان واللذائذ المتعارفة ـ سواءٌ المعنوية منها أم الجسمانية ـ. وفي الاحاديث الشريفة كثيرٌ مما يشير الى القول بهذا المقام لبعض المؤمنين[3].

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

---

(١) طه: ١٠، النمل: ٧، القصص: ٢٩.

(٢) الاعراف: ١٤٣.

(٣) راجع بحار الانوار: ج٧٧، ص٢٣.

خاتمة

اعلم ان سورة «الحمد» المباركة وفضلاً عن اشتمالها على جميع مراتب الوجود، فإنها تشتمل على جميع مراتب السُّلوك، وعلى كافة مقاصد القرآن على نحو الإشارة أيضاً.

والغور في هذه المطالب وإن كان يستلزم تفصيلاً كاملاً ومنطقاً غير هذا المنطق، إلا أن الإشارة الإجمالية الى كلّ ذلك لا تخلو من فائدةٍ بل فوائد لاصحاب المعرفة واليقين.

اولاً، نقول: يُحتمل ان تكون «بسم الله الرحمن الرحيم» إشارة الى تمام دائرة الوجود وقوسي النزول والصعود، فـ«اسم الله» مقام احديّة القبض والبسط.

و«الرحمن» مقام البسط والظهور، وهو قوس النزول.

و«الرحيم» مقام القبض والبطون، وهو قوس الصعود.

ويمكن ان تكون «الحمد لله» إشارة الى عالم الجبروت والملكوت الاعلى التي تكون حقائقها المحامد المطلقة.

و«رب العالمين» وهي مقام السوائية، اشارة الى عوالم الطبيعة المتحركة والمتصرمة بجوهر الذات في ظلّ التربية.

و«مالك يوم الدين» إشارة الى مقام الوحدة والقهارية، ورجوع دائرة الوجود، وبذا تختم الى هنا دائرة الوجود نزولاً وصعوداً.

وثانياً نقول: قد تكون «الاستعاذة» المستحبّة، اشارة الى ترك غير الحق والفرار من السلطنة الشيطانية، لذا فهي ليست جزءاً من المقامات وانما مقدمة للدخول فيها، فالتخلية مقدّمة التحلية، وهي بذاتها ليست من المقامات الكمالية. وعليه لم تكن الاستعاذة جزءاً من السورة بل مقدمة للدخول فيها.

ولعلّ في «التسمية» إشارةً الى مقام التوحيد الافعالي والذاتي والجمع بينهما. و«الحمد لله» الى آخر «ربّ العالمين» إشارة الى «التوحيد الافعالي»، فيما

أنّ «مالك يوم الدين» اشارة إلى «الفناء التامّ» و«التوحيد الذاتي»، ثم تكون حالة الصحو والرجوع بدءاً من «إياك نعبد».

وبعبارة اخرى، فإن الاستعاذة هي سفر من الخلق إلى الحق وخروج من بيت النفس، والتسمية اشارة الى التحقق بالحقانية بعد خلق الخلقيّة وعالم الكثرة. «الحمد لله» الى «رب العالمين» اشارة الى السفر من الحق الى «بالحق في الحق» حتى ينتهي (هذا السفر) في «مالك يوم الدين»، ثم يبدأ السفر من الحق الى الخلق في «إياك نعبد» بحصول الصحو والرجوع، حتى ينتهي هذا السفر في «اهدنا الصراط المستقيم».

وثالثاً نقول: إن هذه السورة الشريفة تنطوي على اساسيات المقاصد الالهية للقرآن الكريم، لأن اصل مقاصد القرآن هو تحقيق التكامل في معرفة الله وتحصيل التوحيدات الثلاثة، وتحقيق الارتباط بين الحق والخلق، وتعليم كيفية السلوك الى الله وكيفية رجوع الرقائق الى حقيقة الحقائق، وتبيان التجليات الإلهية جمعاً وتفصيلاً وإفراداً وتركيباً، وإرشاد الخلق سلوكاً وتحقيقاً، وتعليم العباد علماً وعملاً وعرفاناً وشهوداً.

هذه الحقائق جميعاً موجودة في هذه السورة الشريفة وبمنتهى الإيجاز والاختصار.

فهذه السورة الشريفة إذن «فاتحة الكتاب» و«أمُّ الكتاب» وهي صورة إجمالية عن مقاصد القرآن. ولمّا كانت جميع مقاصد الكتاب الإلهي ترجع الى مقصد واحد هو «حقيقة التوحيد» الذي يُمثل الغاية لكافة النبوات ومنتهى مقاصد جميع الأنبياء العظام عليهم السلام، فإن حقائق التوحيد وأسراره كامنة في الآية المباركة «بسم الله الرحمن الرحيم» فهي أعظم الآيات الالهية، وهي الشاملة لجميع مقاصد الكتاب الالهي كما اشارت الى ذلك الروايات الشريفة[1].

(١) راجع بحار الانوار: ج٩٢، ص٢٣٨.

ولما كانت «الباء» هي ظهور التوحيد، ولما كانت «النقطة التي تحتها»(١) هي سرّ التوحيد، فإن الكتاب بأسره ـ ظهوراً وسرّاً ـ موجود في تلك «الباء». والانسان الكامل يعني الوجود العلوي المبارك(عليه الصلاة والسلام) هو نقطة سرّ التوحيد تلك(٢)، وليس في العالم آية اعظم من ذلك الوجود المبارك بعد الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله كما اشار الى ذلك الحديث الشريف(٣).

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) اذا أُشكل على قولنا «النقطة التي تحت الباء» واستدل على ذلك بأن رسم الخط الكوني الذي كان سائداً وقت نزول القرآن لم يكن فيه نقاط. قلنا ان ذلك لا يضر بالحقيقة والواقع وان كان رسم النقطة متأخراً في الظهور. ولا يوجد دليل مقنع على الادعاء المذكور بصورة مطلقة فمجرد كون ذلك كان سائداً لا يشكل دليلاً مطلقاً على العدم. تأمل. «المؤلف».

(٢) روي عن امير المؤمنين عليه السلام قوله: «انا النقطة تحت الباء». راجع اسرار الحكم: ص٥٥٩.

(٣) راجع تفسير الصافي: ج٢، ص٧٧٩ ذيل الآية الكريمة «عن النبأ العظيم».

تتمة

فضل سورة «الحمد»

روي عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله انه قال لجابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه: «يا جابر ألا أعلّمك أفضل سورة انزلها الله في كتابه؟ فقال له جابر: بلى بأبي أنت وأمي يا رسول الله، علمنيها. قال: فعلّمه «الحمد» أمّ الكتاب.

ثم قال: يا جابرُ ألا أُخْبِرُكَ عنها؟

قال: بلى بأبي أنْت وأمّي يا رسولَ الله، أخْبِرني.

قال: هي شفاء من كلّ داء إلّا السام»[1].

وروى ابن عبّاس عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: «لكلّ شيءٍ اساسٌ وأساسُ القرآن الفاتحة وأساس الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم»[2].

ورُويَ عنه صلى الله عليه وآله: «فاتحةُ الكتاب شفاءٌ عن كلِّ داء»[3].

وروي عن الامام الصادق عليه السلام «مَنْ لم تُبْرِئْهُ الحمدُ لم يبرئهُ شيء»[4].

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إنّ الله (تعالى) قال لي: يا مُحَمّدُ، ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾[5]، فأفردَ الامتنان عليّ بفاتحة الكتاب وجعلها بازاء القرآن. وإنّ فاتحة الكتاب أشرف ما في كنوز العرش، وإن الله خصّ محمداً وشرفه بها، ولم يشرك فيها أحداً ما خلا سليمان، فإنّه أعطاه منها بسم الله الرحمن الرحيم.

ألا تراه يحكي عن بلقيس حين قالت: ﴿إنّي ألقي إليَّ كتابٌ كريمٌ إنّه من

(١) تفسير العياشي: ج١، ص٢٠ الحديث التاسع.

(٢) مجمع البيان: ج١، ص١٧.

(٣) المصدرين السابقين.

(٤) تفسير العياشي: ج١، ص٢٠ الحديث العاشر وبحار الأنوار: ج٨٩، ص٢٣٧ الحديث ٣٤.

(٥) الحجر: ٨٧.

سليمان وإنّه بسم الله الرحمن الرحيم﴾[1].

ألا فمن قرأها معتقداً لموالاة محمد وآله منقاداً لأمرها مؤمناً بظاهرها وباطنها أعطاه الله بكل حرف منها حسنةً كلُّ واحدة منها أفضلُ له من الدنيا بما فيها من أصناف أموالها وخيراتها.

ومن استمع الى قارئ يقرؤها كان له ثُلُث ما للقارئ.

فليستكثر أحدكم من هذا الخير المعرّض له، فإنّه غنيمة، لا يذهبنَّ أوانه فتبقىٰ في قلوبكم الحسرة»[2].

وعن الصادق عليه السلام قال: «لو قرئت الحمدُ على ميت سبعين مرةً ثم رُدّتْ فيه الرُوحُ ما كان عجيباً»[3].

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «أيُّما مُسلم قرأ فاتحة الكتاب، أعطي من الأجر كأنّما قرأ ثُلُثي القرآن»[4].

وفي رواية أخرى: «كأنّما قرأ القرآن»[5].

وعن أُبي بن كعب قال: «قرأت على رسول الله فاتحةَ الكتاب، فقال: والذي نفسي بيده ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها، هي أمُّ الكتاب وهي السبعُ المثاني، وهي مقسومةٌ بين الله وعبده، ولعبده ما سأل»[6].

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «إنَّ القوم ليبعث اللهُ عليهم العذاب حتماً مقضياً، فيقرأ صبيٌ من صبيانهم في الكتاب «الحمد لله

---

(١) النمل: ٢٩ ـ ٣٠.

(٢) عيون أخبار الرضا: ج١، ص٣٠١ «فيما جاء عن الإمام علي بن موسى من الأخبار المتفرقة» الحديث رقم ٦٠. وبحار الأنوار: ج٨٩، ص٢٢٧ الحديث ٥.

(٣) تفسير نور الثقلين: ج١، ص٤، تفسير سورة الحمد، الحديث٨.

(٤) بحار الأنوار: ج٨٩، ص٢٥٩ ومجمع البيان: ج١، ص١٧.

(٥) المصدر السابق.

(٦) مجمع البيان: ج١، ص١٧.

ربّ العالمين» فيسمعه الله(تعالىٰ) فيرفع عنهم بذلك العذاب أربعين سنة»[١].

وعن ابن عباس قال: «كنّا عند النبي صلى الله عليه وآله إذ أتاه ملكٌ فقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبيٌّ قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لم يقرأ حرفاً إلا أعطيته»[٢].

وفي «مجمع البيان» قريب منها[٣].

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج١، ص١٧٨.

(٢) مستدرك الوسائل: كتاب الصلاة، ابواب القراءة، باب ٤٤، الحديث الثالث.

(٣) مجمع البيان: ج١، ص١٨.

الفصل السادس

نفحة من تفسير سورة «التوحيد» المباركة

لما كانت سورة التوحيد تمثل (نسب) الحق تعالى، كما اشارت الى ذلك الاحاديث الشريفة، فقد روي عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال: «إن اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: انسب لنا ربك! فلبث ثلاثاً لا يجيبهم، ثم نزلت: قل هو الله أحد... الى آخرها»[١].

لذا فإن العقول البشرية عاجزة عن فهم حقائقها ودقائقها وأسرارها، ولكن مع ذلك فإن ما يناله اهل المعرفة، وما تستفيده قلوب اهل الله منها مما لا يسعه ميزان العقل المجرد.

ولَعمر الحبيب، فإنّ هذه السورة الشريفة من الأمانات التي تعجز عن حملها سماوات الارواح وأراضي الأشباح وجبال الإنّيات، فليس من أهلٍ لحملها سوى الإنسان الكامل صلى الله عليه وآله الذي عبر الحدود الإمكانية وتجرد عن ذاته.

غير ان هناك بشارة تقرُّ لها أعين أهل آخر الزمان وتطمئن لها قلوب أهل المعرفة، وهي البشارة التي يزفها الحديث المروي في الكافي. يقول: «سُئل الإمام علي بن الحسين عليه السلام عن «التوحيد» فقال: إن الله عزَّ وجلَّ علم انه يكون

---

(١) الاصول من الكافي: كتاب التوحيد ـ باب النسبة ـ الحديث الأول

في آخر الزمان أقوامٌ متعمقون فأنزل الله تعالى «قل هو الله أحد...» والآيات من سورة الحديد الى قوله (وهو عليم بذات الصدور) فمن رام وراء ذلك فقد هلك»[1].

يتّضح من هذا الحديث الشريف، أن فهم هذه الآيات الشريفة وهذه السورة المباركة، هو من حق المتعمقين واصحاب الانظار الدقيقة، وأن دقائق التوحيد وأسراره مطوية فيها، وأن الحق تعالى قد أرسل لطائف العلوم الإلهية لأهلها، فلا يحقُّ لمن ليس له نصيب من أسرار التوحيد والمعارف الالهية إبداء رأيه في هذه الآيات، كما لا يحق له حملها وقصرها على المعاني العامية السياقية التي يفهمها هو.

إن في الآيات الكريمة الأوائل من سورة «الحديد» دقائق من التوحيد ومعارف جليلةً من الاسرار الالهية والتجريد، لا نظير لها في ايٍّ من الكتب الالهية او صحف اهل المعرفة واصحاب القلوب.

ولو لم يكن ما يدلُّ على صدق نبوة النبي الخاتم وكمال شريعته إلّا هذه الآيات لكفى أهل الفكر والمعرفة.

وإنَّ لمن أقوى الشواهد على خروج هذه المعارف عن طاقة البشر وعن دائرة الفكر الانساني، هو عدم وجود هذا النمط من المعارف لدى بني الانسان قبل نزول هذه الآيات الكريمة وامثالها من الآيات المطوية على المعارف التي يزخر بها القرآن الكريم، وعدم تمكنهم من بلوغ تلك الاسرار.

فكُتب أعاظم فلاسفة العالم ومصنفاتهم الموجودة حالياً ـ رغم تحدّر علومهم من ينابيع الوحي الالهي ـ إلا أنها لا تنطوي على مثل هذه المعارف والعلوم. ولعلّ من أسمىٰ تلك الكتب والمصنفات وأدقّها كتاب «الاثولوجيا»[2] ذلك التأليف القيم الذي سطرهُ الفيلسوف العظيم والحكيم الجليل «أرسطو

(١) الاصول من الكافي: كتاب التوحيد ـ باب النهي عن الكلام في الكيفية ـ الحديث الرابع.
(٢) الاثولوجيا: الإلهيات.

طاليس» عارضاً فيه المنطق ومنظماً لقواعده، والذي طأطأ بالخضوع والتعظيم أعاظم الحكماء أمثال الشيخ الرئيس ابن سينا ـ مع أنه هو الآخر أعجوبة الدهر ونادرة الزمان ـ فهو يقول عن أرسطو وعن كتابه: «منذ أن وضع هذا العظيم قواعد المنطق لم يستطع أحد أن يخدشها أو يضيف إليها».

ولكن ورغم كلّ ذلك، ومع أن ذلك الكتاب «الاثولوجيا» قد وضع ونُقّح لمعرفة الربوبية، إلا أن المتأمل فيه لا يجد في ثناياه ـ من أوله الى آخره ـ مثيلاً للآية الكريمة الاولى من سورة «الحديد» في تعريفها لمقام الربوبية او ما يقرب من مفادها او ما يشعُّ ولو بقبسٍ من سرّ التوحيد العظيم الكامن فيها.

ثم اذا تأمل المتأمل في ذلك الكتاب فهل سيجد فيه نظيراً لقوله تعالى: ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾(١).

او هل سيجد في جميع أقوال الحكماء والفلاسفة شبيهاً لقوله تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾(٢).

في حين إن المتعمقين واصحاب الفكر والمعرفة يدركون أيّة أسرار تنطوي عليها هذه الآيات، ويعرفون بأي كلام كريم وسرٍّ عظيم كرّم الله تعالى اهل آخر الزمان ومَنَّ عليهم.

إن من يطالع كلَّ ما يتعلق بالمبدأ والمعاد في ضوء المعارف التي تعرضها الأديان الرائجة في العالم والمعارف التي يطرحها كبار فلاسفتها، ويقارنها بالمعارف الموجودة في الدين الاسلامي الحنيف وبما يطرحه حكماء الاسلام العظماء وعرفاء هذه الأمّة الأجلاء، يدرك تماماً أنّ هذه المعارف هي من نور معارف القرآن الكريم واحاديث النبي الخاتم وأهل بيته(صلى الله عليهم) والتي استفادوها وأخذوها من ينبوع النور القرآني المغداق، وعندها سيفهم أن الحكمة والعرفان الاسلامي ليسا من اليونان واليونانيين، لا بل إنه لا وجه

---

(١) الحديد: ٣.

(٢) الحديد: ٤.

للمقارنة بينهما اصلاً.

نعم! قد يكون بعض حكماء الاسلام ـ كالشيخ الرئيس ـ قد نحى منحى الحكمة اليونانية، غير أن حكمة الشيخ الرئيس لا تعدُّ من البضائع الرائجة في سوق اهل المعرفة وفي باب معرفة الربوبية والمبدأ والمعاد، فهي مما لا قيمة له عند اهل المعرفة.

واجمالاً، فإن نَسْبَ الفلسفة الحالية لحكماء الاسلام والمعارف الجليلة لاهل المعرفة، الى الحكمة اليونانية انما يدلل على عدم الاطلاع على كتب القوم ومصنفاتهم، مثل كتب الفيلسوف الاسلامي العظيم صدر المتألهين قدس سره وأستاذه العظيم المحقق الداماد قدس سره وتلميذه الجليل الفيض الكاشاني قدس سره والتلميذ العظيم للفيض، العارف الإيماني الجليل القاضي سعيد القمي قدس سره.

إن عدم الاطلاع على المعارف الالهية وما روي عن المعصومين عليهم السلام هو الذي أدى الى نَسْبَ كل فلسفة الى اليونان وعَدِّ الحكماء الاسلاميين تابعين للحكمة اليونانية.

لقد اوضحنا جانباً من الامور الدقيقة في سورة «التوحيد» الكريمة واشرنا الى بعض الاشارات التي تعكسها تلك الآيات الشريفة في كتاب «شرح الاربعين حديثاً»، كما اوردنا تفسيراً مختصراً لهذه السورة الشريفة في كتاب «سرّ الصلاة»، وسنعرض هاهنا تفسيراً اجمالياً لها وعلى الله نتوكل.

اعلم انه اذاكانت «بسم الله الرحمن الرحيم» المتصورة لهذه السورة متعلقة بها ذاتها ـ كما ألمحنا الى احتمال ذلك عند الحديث عن تفسير سورة «الحمد» المباركة ـ فقد يكون في ذلك اشارة الى عدم امكانية توضيح نَسَبْ الحق وبيان أسرار التوحيد بأنانية نفس السالك وبلسانه.

فالسالك ما لم يخرج من حجاب نفسه وما لم يتحقق بمقام المشيئة المطلقة وحضرة الفيض المقدس وما لم يفنى في الهوية المطلقة، فإنه لن يُدرك اسرار التوحيد.

«قُل»: أمرٌ من حضرة احديّة الجمع الى مقام البرزخية الكبرى ومرآة الجمع والتفصيل، بمعنى: قُل يا محمد ـ يا مرآة ظهور احديّة الجمع في مقام التدلي الذاتي أو المقام المقدس «أو أدنى» (ولعل ذلك اشارة الى مقام «الفيض المقدس») ـ قل باللسان الفاني منك والباقي ببقاء الله «هو الله احد».

اعلم ايها السالك لسبيل المعرفة والتوحيد والعارج في معارج التنزيه والتجريد، أنَّ الذات المقدسة للحق تعالى ـ من حيث هي ـ منزهة عن التجليات الظاهرة والباطنة ومبرأة من الاشارة والرسم والصفة والاسم، وأن آمال أهل المعرفة قاصرة عن بلوغ أذيال كبرياء تلك الذات المقدسة، وأن خُطى سلوك أصحاب القلوب عاجزة عن الوصول الى حضرة قدسها، فغاية معرفة الاولياء الكُمّل هي «ما عرفناك»[1] ومنتهى سير اصحاب الاسرار هو «ما عبدناك»[2]. يقول امام اهل المعرفة وأمير اصحاب التوحيد عن هذا المقام الرفيع: «كمال الإخلاص نفي الصفات عنه»[3]. ويقول زعيم أهل السلوك وسيد الساجدين والعارفين بشأن هذه الحضرة المنيعة: «ضلّت فيك الصفات، وتفسخت دونك النعوت»[4].

اما اصحاب السلوك العلمي والمصطلحات فيقولون عن الذات المقدسة: «الغيب المصون» و«السرّ المكنون» و«العنقاء المُغرِب» (بضم الميم وكسر الراء) و«المجهول المطلق». ويقولون: إن الذات ـ ودون حجاب الاسماء والصفات ـ لا تتجلى في أيّة مرآة وليس لها ظهور في أيّة نشأة من نشآت الوجود وعوالم الغيب والشهود، ولكن وبحسب ﴿كلُّ يوم هو في شأن﴾[5].

---

(١) اشارة الى الحديث المروي عن الرسول الأكرم ﷺ: «ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك». راجع مرآة العقول: كتاب الايمان والكفر ـ باب الشكر (ج٨، ص١٤٦).

(٢) المصدر السابق.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة الاولى.

(٤) الصحيفة السجادية: الدعاء ٣٢.

(٥) الرحمن: ٢٩.

فإن لذاته المقدسة أسماء وصفات وشؤوناً جمالية وجلالية، وله تعالى اسماء ذاتية في مقام الأحدية الذي يمثل مقام الغيب.

ولابد من القول بأن تلك الاسماء هي الاسماء الذاتية، فهو تعالى يتجلى بالفيض الاقدس وبتعيّن تلك الاسماء الذاتية، ومن هذا التجلي في كسوة الاسماء الذاتية يظهر ويتعين مقام «الواحدية» وحضرة «الاسماء والصفات» ومقام «الالوهية».

يتضح اذن، أنّ بعد الذات المقدسة ـ من حيث هي ـ ثلاثة مقامات ومشاهد اخرى هي:

ـ مقام الغيب «الأحدي».

ـ مقام التجلي «بالفيض الأقدس»، ولعل كلمة «عماء» الواردة في الحديث النبوي الشريف[1] تشير الى هذا المعنى.

ـ ومقام «الواحدية» وهو مقام الاسم الاعظم بأحدية الجمع، ومقام الاسماء والصفات بالكثرة التفصيلية.

والحديث عن هذه المقامات يستلزم تفصيلاً لا يُدرك في هذه العجالة.

والآن، وبعد اتضاح هذه المقدمة نقول: من الممكن ان تكون «هو» إشارة الى مقام «الفيض الأقدس» وهو تجلي الذات بتعيّن الاسماء الذاتية، و«الله» اشارة الى مقام «احدية الجمع الاسمائي» وهو حضرة الأسم الاعظم. و«أحد» إشارة الى «مقام الاحديّة». وعليه فالآية في صدد اثبات أن هذه المقامات الثلاثة ورغم أن لها كثرة في مقام التكثير الاسمائي، هي في الحقيقة في منتهى الوحدة، وأن التجلّي بالفيض الأقدس هو «الله» بحسب مقام الظهور و«أحد» بحسب مقام البطون.

وقد تكون «هو» إشارة الى مقام الذات، وحيث انها إشارة غيبية فهي في

(١) سُئل رسول الله ﷺ: «أين كان ربنا قبل خلق السماوات والارض؟ فقال: كان في عماء». راجع عوالي اللئالي: ج١، ص٥٤ ـ الفصل الرابع ـ الحديث ٧٩.

الحقيقة إشارة الى مجهول.

و«الله» و«أحد» إشارة الى مقامي «الواحدية» و«الاحدية»، وعليه فالآية الكريمة تعرّف الذات ـ وهي المجهول المطلق ـ بالاسماء الذاتية والاسماء الواحدية الصفاتية.

وهي في الحقيقة اشارة الى ان الذات غيبٌ فلا تبلغها الآمال وأن صرف العمر في التفكر في الذات المقدسة يؤدي الى الضلالة.

اما معرفة أهل الله وعلم العلماء بالله فيقتصر على مقام «الواحدية» ومقام «الاحدية» و«الواحدية» لعام اهل الله، و«الاحدية» للخلّص من اهل الله.

تنبيه حكمي

اعلم ان الحكماء يرون أن للحق تعالى صفاتٍ ثبوتية وصفاتٍ سلبية فيقولون: إن الصفات السلبية تعني سلب النقص.

ويقول بعضُ منهم: ان الصفات الثبوتية هي صفات الجمال، والصفات السلبية هي صفات الجلال، وإن «**ذا الجلال والإكرام**» جامع لجميع الصفات السلبية والثبوتية.

وهذا الكلام بشقّيه يخالف التحقيق.

فأمّا في القول الأول؛ فلأنه اذا كان كما قالوا فسوف لا تكون الصفات السلبية صفاتاً على التحقيق، إذ لا سلب في ذات الحق تعالى ولا سلب السلب. فالحق تعالى ليس متصفاً بالاوصاف السلبية، لأن الاتصاف بالسلب انما يكون في القضايا «المعدولة»، والقضية المعدولة لا يجوز عقدها مع الحق تعالى، لأن ذلك يصحح الجهات الامكانية ويستلزم التركيب في الذات المقدسة، في حين إن الاوصاف السلبية تثبت بطريق سلب الصفة، لا بإثبات صفة سلب السلب.

وبعبارة اخرى، أن النقائص مسلوبة عن الحق تعالى بالسلب البسيط، لا أن سلب النقائص ثابت له عن طريق الإيجاب العدولي. وفي الحقيقة إن صفات التنزيه ليست صفاتاً، والحق تعالى متصف بالصفات الثبوتية فقط.

أما القول الثاني، فغير ثابت على التحقيق ايضاً؛ لأن صفات الجمال ـ عند أهل المعرفة ـ هي الصفات التي تجلب الأنس والتعلّق، وصفات الجلال هي الصفات التي تجلب الرهبة والحيرة والهيمان.

وعليه فإن ما يتعلّق باللطف والرحمة هو من صفات الجمال، كالرحمن والرحيم واللطيف والعطوف والرب ونظائرها. اما المتعلق بالقهر والكبرياء، فهو من صفات الجلال، كالمالك والملك والقهار والمنتقم وامثالها وإنْ كان في سرّ كلّ جمال، جلالٌ؛ لأن لكل جمال حيرةً وهيماناً في باطنه، وهو يظهر على

القلب بسرِّ العظمة والقدرة. كما ان لكلّ جلال رحمة في باطنه، يأنس القلب بها أنساً باطنياً، فمثلما أنّ القلب مجذوب بالفطرة للجمال والجميل، كذلك فهو مجذوب للقدرة والعظمة والقادر والعظيم.

فهذان النوعان من الصفات ثبوتيان، وليسا سلبيّين.

فإذا اتضح لك هذا المطلب، فاعلم ان «الله» وإنْ كان هو «الاسم الاعظم» الشامل لصفات الجمال والجلال والمحيط بها، لكنه يُطلقُ احياناً على صفات الجمال في مقابل صفات الجلال، كما هي الحال في اعتبار أنَّ الإلهية والألوهية ترتبط بصفات الجمال عموماً، خصوصاً إذا وقعت في مقابل صفة الجلال.

وعليه يمكن ان يكون «أحد» في الآية الشريفة: ﴿قل هو الله أحد﴾ إشارةً الى إحدى أمهات صفات الجلال، وهو مقام كمال بساطة الذات المقدسّة، و«الله» إشارة الى إسم الجمال.

إذن فنسبة الحق تعالى في الآية الكريمة قد عُرِّفت بحسب المقامات ـ الأحدية والواحدية والتجلي بالفيض الاقدس ـ الثلاثة التي تمثل تمام الشؤون الالهية.

اما بناءً على الاحتمال الاول الذي ذكرناه قبل هذا التنبيه، فإن تعريف نسبة الحق تعالى يكون بحسب مقام الاسماء الجمالية والجلالية المحيطة بجميع الاسماء. والله العالم.

تنبيه عرفاني

اعلم ان كلام ايّ متكلم هو تجلٍّ لذاته بحسب مقام الظهور، وبروز لملكاته الباطنية في مرآة الالفاظ بمقدار استعداد نسيج الالفاظ. فإذا كان القلب نورانياً نقياً من أدران عالم الطبيعة وكدوراته، يكون كلامه نورانياً بل نوراً ايضاً، فنورانية القلب تلك تتجلى في رداء الالفاظ وقد ورد في شأن أئمة الهدى عليهم السلام: «**كلامكم نور**»[1]. وورد ايضاً: «**لقد تجلّىٰ الله في كلامه لعباده**»[2]. وفي نهج البلاغة ورد قوله عليه السلام: «**إنما كلامه فعله**»[3]. فالفعلُ تجلي ذات الفاعل دون كلام.

اما اذا كان القلب ظلمانياً كدراً، كان فعله وقوله ظلمانياً كدراً ايضاً فمثل ﴿**كلمة طيبة كشجرةٍ طيبة**﴾[4] و﴿**مثل كلمة خبيثة كشجرةٍ خبيثة**﴾[5].

ولما كانت الذات المقدسة تتجلىٰ واستناداً الى ﴿**كل يومٍ هو في شأن**﴾[6] في رداء الاسماء والصفات على قلوب الانبياء والاولياء، وتختلف تجلياتها بحسب اختلاف قلوبهم، فتختلف الكتب السماوية النازلة على قلوبهم بواسطة ملك الوحي حضرة جبرائيل بحسب اختلاف تلك التجليات وبحسب اختلاف الاسماء التي تكون مبدأً لتلك الكتب، كذلك فإن اختلاف الانبياء وشرائعهم انما هو باختلاف درجة إحاطة وشمول الاسماء.

اذن، فالاسم الاكثر إحاطة وجامعية تكون الشريعة التابعة له اكثر إحاطة واكثر دواماً.

---

(١) مقطع من الزيارة الجامعة الكبيرة. راجع عيون اخبار الرضا: ج٢، ص٢٧٧.

(٢) راجع بحار الانوار: ج٨٩، ص١٠٧.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ٢٢٨، ص٧٣٧ من طبعة فيض الاسلام.

(٤) ابراهيم: ٢٤.

(٥) ابراهيم: ٢٦.

(٦) الرحمن: ٢٩.

ولما كانت النبوة الخاتمة والقرآن الكريم وشريعة ذلك القائد العظيمﷺ من مظاهر ومجالي او تجليات وظهورات المقام الأحدي الجامع وحضرة الاسم الاعظم، لذا كانت اكثر النبوات والكتب والشرائع احاطة وجامعية، فلا يتصور وجود نبوةٍ او شريعة أكمل وأشرف منها، ولن يتنزل من عالم الغيب الى بسيطة الطبيعة اسمى منها او شبيهاً لها. فهي آخر ظهور كمالي علمي فيما يتعلق بالشرائع، وليس من امكانية لنزول اسمى منها الى عالم الملك.

فالرسول الخاتمﷺ هو أشرف الموجودات والمظهر التام للاسم الاعظم، كما ان نبوّته أتمّ النبوات الممكنة وهو يَعدُ صورة هيمنة الاسم الاعظم الأزلية الأبدية.

كما أن الكتاب المنزل اليهﷺ، نزل من مرتبة الغيب بتجلي الاسم الاعظم، ولهذا كان لهذا الكتاب الشريف أحدية الجمع والتفصيل وكان من «جوامع الكلم»[1]، كما هو حال كلام ذاك السيد العظيمﷺ.

وليس المراد من القول بأن القرآن الكريم او كلام الرسول الاكرمﷺ هو من «**جوامع الكلم**»، أنه يبيّن الكلّيات والضوابط الجامعة ـ وإنْ كانت أحاديثهﷺ وفق هذا المعنى هي من الجوامع والضوابط كما هو معلوم في علم الفقه ـ إنما المراد بجامعيته هو المعنى الآتي:

لما كان القرآن الكريم قد أُنزل من اجل جميع طبقات البشر، في جميع أدوار العمر البشري وليلبّي جميع احتياجات بني الانسان؛ ولما كانت حقيقة النوع الانساني حقيقةً جامعةً وواحدةً لكافة المنازل، بدءاً من المنزل المُلكي الأسفل حتى أعلى مراتب الروحانية والملكوت والجبروت؛ ثم لما كان أفراد هذا النوع ـ بناءً على ما تقدم ـ مختلفين تماماً في هذا العالم الملكي الاسفل الى درجة يمتنع وجود مثلها بين أفراد أيّ من انواع الموجودات الاخرى، إذ يوجد بين بني

---

(١) اشارة الى الحديث النبوي الشريف: «وأعطيت جوامع الكلم». راجع الخصال: الباب الخامس ـ الحديث ٥٦.

الانسان الشقي منتهى الشقاء، والسعيد غاية السعادة، ومن هو أضل من البهائم، ومن هو أشرف من جميع الملائكة المقربين عموماً، حيث إن أفراد النوع الانساني مختلفون في الادراكات والمعارف، فإن القرآن الكريم قد أُنزل بصورةٍ تحقق الفائدة لجميع هؤلاء وكلٌّ حسب كمال إدراكه ومعارفه وبحسب درجته من العلم.

فالآية الكريمة: ﴿لو كان فيهما آلهةٌ إلا الله لفسدتا﴾[1] مثلاً، يفهم اهل العرف واللغة منها جانباً يختلف عما يستفيده منها علماء الكلام وعما يستفيده الفلاسفة والحكماء او العرفاء والاولياء، فكلٌّ يفهم منها أمراً معيناً.

اهل العرف يفهمون منها ـ بحسب ذوقهم ـ بياناً خطابياً، فيقولون مثلاً: إن المملكة الواحدة لا تتسع لسلطانين أو إن وجود رئيسين في طائفةٍ واحدة يؤدي الى الفساد، كما أن وجود عمدتين في قرية واحدة يؤدي الى الاختلاف والفوضى والنزاع.

وعليه لو كان في العالم إلهان لأدى ذلك الى التنازع والاختلاف والتخاصم، ولما كان هذا الاختلاف غير موجودٍ فعلاً في العالم، وإن نظام السماوات والارض محفوظ، فلابد أن يكون مدبّرُ العالم واحداً لا شريك له.

أمّا الكلاميون فيستفيدون من هذه الآية الكريمة برهان «التمانع»، فيما يقيم الفلاسفة والحكماء برهاناً حكمياً متيناً استناداً الى هذه الآية الشريفة، فيقولون: إن «الواحد لا يصدرُ منه إلّا الواحد، والواحد لا يصدر إلا من الواحد»[2]. في حين يستفيد اهل المعرفة من الآية الشريفة «الوحدانية» وذلك بناءً على أن العالم هو مرآة ظهور الحق ومجلى تجلّيه! وهلمّ جرّا من الاستفادات التي يطول ذكر كل واحدةٍ منها.

---

(١) الانبياء: ٢٢.

(٢) قاعدة في الفلسفة. راجع شرح الخواجة نصير الدين الطوسي للاشارات والتنبيهات: ج٣، ص١٢٢ والاسفار الاربعة: ج٢، ص٢٠٤، الفصل ١٣.

فإذا اتضحت لك هذه المقدمة، فاعلم ان سورة التوحيد، ولكونها كسائر ما في القرآن الكريم، هي من جوامع الكلم، فكلٌّ فردٍ يستفيد منها على نحو معيّن. فعلماء اللغة وعلماء الظاهر يرون أن الضمير «**هو**»: ضمير شأن، و«**الله**»: علم الذات، و«**أحد**»: بمعنى «واحد» او بمعنى المبالغة في الوحدة. اي أنّ الله واحد او لا شريك له في الإلهية، او بمعنى ﴿**ليس كمثله شيء**﴾[1]، او أنّه لا شريك له في الإلهية والقدم الذاتي، أو أن أفعاله واحدة، أي انها تكون إصلاحاً وإحساناً فلا تجر نفعاً اليه تعالىٰ.

و«**الله الصمد**»: يعني السيد العظيم الذي يرجع اليه الناس في حوائجهم، أو أن «**الصمد**» هو الذي لا جوف له، وبذا فلا يتولد منه شيء، كما انه لم يتولد من شيء، فلا نظير له ولا شبيه، وهذا التفسير تفسيرٌ عرفي في مقابل ما كان للكفار من آلهة متعددة، موصوفة جميعها بالصفات الامكانية، لذا فقد أُمر الرسول الأكرم بأن يقول لهم: إنّ إلهنا ليس كآلهتكم، فإلهنا صفاته كذا وكذا.

وهذا تفسير للسورة وفقاً للطريقة العرفية المعتادة، وهو تفسير طائفة ما، وهو لا يتنافىٰ مع المعنىٰ أو المعاني الأدق لهذه السورة، والتي ذكرنا بعضاً منها فيما تقدم.

---

(١) الشورىٰ: ١١.

تفسير حكمي

يمكن تفسير سورة التوحيد المباركة والواردة لمتعمقي آخر الزمان، تفسيراً حكمياً يوافق الموازين الحكمية والبراهين الفلسفية كما يلي (علماً بأني قد استفدته من الشيخ الجليل العارف الشاه آبادي):

هو: اشارة الى صرف الوجود والهوية المطلقة، وفيه برهان على ستّة امور حكميّة سامية أثبتتها السورة المباركة للحق تعالى بعد ذلك.

الاول: مقام (الألوهية)، وهو مقام تمركز جميع الكمالات، ومقام احدية جمع الجمال والجلال. فمن الثابت المبرهن عليه ـ في مظانه من مصنفات الحكماء ـ أن صرف الوجود والهوية المطلقة هو صرف الكمال وإلا لزم انتفاء صرف الوجود. ونكتفي هنا بالاشارة الى هذه الموضوعات، فبيانها مما يطول ويحتاج الى مقدمات.

الثاني: مقام (الأحدية)، وهو إشارة الى البساطة (اي: غير المركبة) التامّة، العقلية، او الخارجية والماهوية الوجودية، والتنزه عن مطلق التركيبات العقلية سواء كانت جنساً أو فصلاً او مادة وصورة عقليّة، وعن التركيبات الخارجية سواء المادة والصورة الخارجية او الأجزاء المقدارية.

والبرهان على هذا المطلب هو نفس برهان صرف الوجود والهوية المطلقة، فلو لم يكن «الصرف» أحديَّ الذات لاستلزم خروجه من الصرفية وانسلاخه من ذاتيته.

الثالث: مقام (الصمدية)، وهو اشارة الى نفي الماهية وانعدام الجوف، وهذا اشارة ايضاً الى عدم الماهية والنقص الإمكاني فيه، لأن جميع الممكنات تنطوي على مرتبة من الذات هي بمنزلة وسطها وجوفها وهي فارغة، ولما كانت الذات المقدسة هي صرف الوجود والهوية المطلقة لذا فليس فيها إمكانٌ ـ والذي تكون الماهية أصله ـ لأن الماهيّة منتزعة من الحدود الوجودية، واعتبارها انما هو من

تعيّن الوجود، في حين ان صرف الوجود منزّه ومبرّأ من الحدّ والتعيّن، لأن كل محدود هو هويّة مقيّدة ووجودٌ مركب وليس مطلقاً وصرفاً.

الرابع: عدم انفصال شيء منه، لأن انفصال شيء من شيء يستلزم «الهيولوية» بل يستلزم الأجزاء المقدارية، وهذا يتنافى مع الهوية المطلقة وصرف الوجود.

اما وجود المعلولات من العِلّة فلا يتمّ عن طريق الانفصال، وانما عن طريق التجلّي والظهور والشأنية والصدور، بحيث لا يؤدي ذلك الصدور الى نقصان شيءٍ من العلّة، ولا يضيف اليها شيئاً برجوعه.

الخامس: عدم انفصاله هو عن شيء، فهذا إضافة الى ترتب المفسدة السابقة عليه ـ اذا أُفترض ـ فإنه ينافي صرف الوجود وإطلاق الهوية، فهو يستلزم وجود شيء مقدّم على صرف الوجود، في حين ثبت في الفلسفة العالية أن صرف الوجود هو أقدم الاشياء وأن المتعيّن متأخر عن المطلق.

السادس: عدم وجود الكفؤ والنظير له، ونفي المِثل والشبيه. وهذا ثابت ايضاً ببرهان «صرف الوجود»، اذ لا يُتصور وجود هويتين مطلقتين، كما أن «المطلق» و«المقيّد» ليسا متشابهين ولا متناظرين.

ولكلٍّ من هذه الموضوعات مقدمات وأسس لا يتّسع المجال لعرضها.

حكمة مشرقية

اعلم ان هذه السورة المباركة مع كمال الاختصار الذي هي عليه، تشتمل على جميع الشؤون الالهية في مراتب التسبيح والتنزيه، وهي في الحقيقة نسبة للحق تعالى بما أمكن أن يرد في قالب الالفاظ ونسيج العبارات.

فـ«**هو الله أحد**» تنطوي على جميع حقائق صفات الكمال وتشتمل على كافّة الصفات الثبوتية، وأما «**الله الصمد**» حتى آخر السورة فهي «الصفات التنزيهية» والاشارة الى سلب النقائص، كما أن في السورة الشريفة إثبات الخروج من حديّ «التعطيل» و«التشبيه» وكلاهما خروج عن حدّ الاعتدال وحقيقة التوحيد. فالآية الشريفة الاولى تشير الى نفي «التعطيل»، وبقية السورة تشير الى نفي «التشبيه»، كما انها تشتمل على الذات ـ من حيث هي ـ وعلى مقام الاحدية وهو التجلي بالاسماء الذاتية، ومقام «الواحدية» وهو التجلي بالاسماء والصفات، وكما مرَّ معنا تفصيله بالقدر المناسب.

تتمة

روى الشيخ الصدوق ـ رضوان الله عليه ـ عن أبي البختري، وهب بن وهب القرشي عن الإمام الصادق عليه السلام في قول الله تعالى: «قل هو الله أحد» قال: «قل»: أي أظهر ما أوحينا إليكَ ونبأناكَ به بتأليف الحروف قرآناً لكَ ليهتدي بها من ألقى السمع وهو شهيد.

و«هو»: اسمٌ مكنىً يشارُ به الى الغائب، فالهاء تنبيهٌ عن معنى ثابت، والواو إشارة الى الغائب عن الحواسّ كما أنّ قولَك «هذا» إشارة الى الشاهد عند الحواسّ.

وهذه الإشارةُ إلى الغائب، لأنّ الكفّارَ نبّهوا عن آلهتهم بحرف إشارة الشاهد المدرك، فقالوا: هذه آلهتنا المحسوسةُ المدركة بالأبصار، فأشرْ أنتَ يا محمدُ إلى إلهكَ الذي تدعو إليه، حتى نراهُ وندركَهُ ولا نتألّهَ فيه فأنزلَ اللهُ (سبحانه وتعالىٰ): «قُلْ هو الله أحد»: فالهاء تثبيتُ الثابت، والواو تشير إلى الغائب عن درك الأبصار ولمس الحواسِّ وإنه تعالىٰ عن ذلك، بل هو مدركُ الأبصار ومبدعُ الحواسّ.

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «معناه [الله] المعبودُ الذي أله الخلق عن درك ماهيتِهِ والإحاطة بكيفيته، ويقول العرب: أله الرجلُ إذا تحيّر في الشيء فلم يحطْ به علماً، و«ولهَ» إذا فزع الى شيء مما يحذره أو يخافه؛ فالإلهُ هو المستورُ عن الحواس».

وقال الباقر عليه السلام: «الأحد»: الفرد المتفرّدُ والأحَدُ والواحدُ بمعنىً واحد، وهو المتفرد الذي لا نظير له.

والتوحيد: الإقرارُ بالوحدة، وهو الانفرادُ، والواحد: المتباين الذي لا ينبعث من شيءٍ ولا يتّحد بشيء، ومن ثم قالوا: إنّ بناء العدد من الواحد، وليس الواحد من العدد، لأنّ العدد لا يقعُ على الواحد، بل يقع على الاثنين

فمعنى قوله «الله أحد»: أي المعبودُ الذي يأله الخلقُ عن إدراكه والإحاطة بكيفيته، فرْدٌ بآلهيته متعالٍ عن صفة خلقه.

وقال الباقر عليه السلام: «وحدّثني أبي زين العابدين عليه السلام عن أبيه الحسن بن علي عليهما السلام أنه قال: «الصمد» الذي لا جوف له، والصمد الذي انتهى سؤدده، والصمد الذي لا يأكل ولا يشرب، والصمدُ الذي لا ينامُ، والصمد الدائم الذي لم يزل ولا يزال».

قال الباقر عليه السلام: «كان محمد بن الحنفية يقول: الصمد القائم بنفسه الغني عن غيره» وقال غيره: «الصمد المتعالي عن الكون والفساد، والصمدُ الذي لا يوصف بالتغاير».

قال الباقر عليه السلام: «الصمدُ السيّدُ المطاع الذي ليس فوقه آمرٌ وناهٍ».

وقال: «سُئلَ علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام عن الصمد فقال: «الذي لا شريك له ولا يؤوده حفظُ شيء ولا يعزبُ عنه شيء».

قال وهب بن وهب القرشي: قال زيد بن علي عليه السلام «الصمد الذي إذا أراد شيئاً يقولُ له: كن فيكون، والصمد الذي أبدع الأشياء فخلقها أضداداً وأشكالاً وأزواجاً وتفرد بالوحدة بلا ضدّ ولا شكل ولا مثل ولا ند».

وقد نقل وهب بن وهب أيضاً كلاماً للإمام علي بن الحسين عليهما السلام في تفسير الصمد، وكلاماً عن الباقر عليه السلام في أسرار حروف الصمد، ثم قال: قال الباقر عليه السلام: «لو وجدت لعلمي الذي آتاني اللهُ (عزَّ وجلَّ) حملةً لنشرتُ التوحيد والإسلام والايمان والدينَ والشرائع من الصمد، وكيف لي بذلك؟! ولم يجد جدي أمير المؤمنين حملة لعلمه حتى كان يتنفس الصعداء ويقول على المنبر: سلوني قبل أن تفقدوني فإن بين الجوانح مني علماً جمّاً، هاه هاه، ألا لا أجد من يحمله»[1].

---

(١) التوحيد: ص٨٨ ـ باب تفسير (قل هو الله أحد).

خاتمة

نختتمُ هذا المبحث بذكر بعض الأحاديث الشريفة الواردة في فضل هذه السورة المباركة، وإنْ كانت الاحاديث في فضلها أكثر من أن تدرج في هذا المختصر.

في الكافي مسنداً إلى باقر العلوم عليه السلام: «مَنْ قرأ قُل هو الله أحد مرّةً بورك عليه؛ ومن قرأها مرتين بورك عليه وعلى أهله؛ ومن قرأها ثلاث مرات بورك عليه وعلى جيرانه؛ ومن قرأها اثنتي عشرة مرّةً بنى الله له اثني عشر قصراً في الجنة، فيقولُ الحفظةُ: اذهبوا بنا إلى قصور أخينا فلان، فننظر إليها؛ ومن قرأها مئة مرة غفرت له ذنوبُ خمس وعشرين سنة ما خلا الدماء والأموال؛ ومن قرأها أربع مئة مرة كان له أجر أربع مئة شهيد كلهم قد عُقر جوادهُ وأريق دَمه، ومن قرأها ألف مرة في يوم وليلة لم يمت حتى يرىٰ مقعدَهُ في الجنة أو يُرىٰ له»[1].

وفي الكافي أيضاً مسنداً إلى الإمام الباقر عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وآله «مَنْ قرأ قل هو الله أحد مئة مرة حين يأخذُ مضجعه غفر الله له ذنوب خمسين سنة»[2].

وفيه عن الإمام الصادق عليه السلام: «كان أبي صلوات الله عليه يقول: قل هو الله أحد ثلث القرآن، وقل يا أيها الكافرون رُبُعُ القرآن»[3].

وفيه عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ النبي صلى الله عليه وآله صلّىٰ على سعد بن معاذ فقال: لقد وافىٰ من الملائكة سبعون ألفاً وفيهم جبرئيل عليه السلام يصلّون عليه، فقلت له: يا جبرئيل بما يستحق صلاتكم عليه؟ فقال: بقراءته قل هو الله

(١) اصول الكافي، ج ٤، ص٤٢٥، «كتاب فضل القرآن» الحديث الأول.

(٢) المصدر السابق ـ الحديث ٤.

(٣) المصد السابق ـ الحديث ٧.

أحد قائماً وقاعداً وراكباً وماشياً وذاهباً وجائياً»[١].

وفي الوسائل نقلاً عن المجالس ومعاني الأخبار بإسناده الى الإمام الصادق عليه السلام - عن آبائه العظام ضمن حديث عن سلمان رضي الله عنه - أنه قال: «**سمعت** رسول الله صلى الله عليه وآله **يقول: «مَنْ قرأ قل هو الله أحد مرّةً، فقد قرأ ثُلُثَ القرآن، ومَنْ قرأها مرّتين، فقد قرأ ثُلُثَي القرآن، ومَنْ قرأها ثلاثاً، فقد ختَمَ القرآن»**[٢].

وروي في ثواب الأعمال أنه: «**مَنْ مضت له جمعة ولم يقرأ فيها بقل هو الله أحد ثم مات، مات على دين أبي لهب»**[٣].

وقد نقل صاحب المستدرك أحاديث طويلة وكثيرة في فضل هذه السورة المباركة فليراجع من أراد، كتابي المستدرك والوسائل. والحمد لله.

(١) المصدر السابق الحديث ١٣.

(٢) وسائل الشيعة: كتاب الصلاة - ابواب قراءة القرآن - الباب ٣١ - الحديث الخامس ومعاني الاخبار: ص ٢٣٤.

(٣) ثواب الاعمال: ص ١٥٦.

الفصل السابع

نفحة من تفسير سورة القدر المباركة بما يناسب هذه الرسالة

في قوله تعالى ﴿إنّا أنزلناه في ليلة القدر﴾ مطالب سامية لا تخلو الاشارة الى بعضها من فائدة.

المطلب الأول: حول ما ورد في هذه الآية الكريمة، وفي العديد من الآيات الشريفة التي ينسب فيها الله تعالى تنزيل القرآن الى ذاته المقدسة، كقوله تعالى **﴿إنا انزلناه في ليلةٍ مباركةٍ﴾**(١) و**﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾**(٢) الى غير ذلك من الآيات الكريمة.

في حين ينسب تعالى أمر التنزيل في آياتٍ كريمةٍ اخرى الى الروح الأمين جبرئيل كقوله تعالى: **﴿نزل به الروح الأمين﴾**(٣).

يقول علماء الظاهر حول هذا الموضوع أنه من قبيل قوله تعالى: **﴿يا هامان ابن لي صرحاً﴾**(٤)، أي إنه قول مجازي، فنسبة التنزيل الى الحق تعالى هي من

---

(١) الدخان: ٣

(٢) الحجر: ٩.

(٣) الشعراء: ١٩٣.

(٤) غافر: ٣٦.

باب أنه تقدست أسماؤه هو سبب التنزيل وهو الآمر به، او أن نسبة التنزيل الى الحق هي حقيقة، في حين انه مجازيٌ بالنسبة للروح الأمين على اعتبار أنه واسطة التنزيل.

وهذا التفسير يعتمد على اعتبار هؤلاء العلماء لنسبة فعل الحق الى الخلق كنسبة فعل الخلق الى الخلق.

فمأمورية جبرئيل وعزرائيل من الحق تعالي هي كمأمورية هامان من فرعون وكمأمورية البنائين والمعمارين من هامان. وهذا قياس باطل وقياس مع الفارق.

ان فهم نسبة الخلق الى الحق وفعل الخلق والخالق من امهات المعارف الإلهية، ومن المسائل الفلسفية التي يعتمد عليها حَلُّ كثيرٍ من المعضلات كمسألة الجبر والتفويض التي يعتبر موضوعنا هذا شعبة من شعبها.

اعلم أن من الثابت في العلوم العالية أن دار التحقق بأسرها ومراتب الوجود هي صورة الفيض المقدس وهو التجلّي الإشراقي للحق تعالى.

ولما كانت «الإضافة الإشراقية» هي محضُ الربط وصرف الفقر، فإن تعيناتها وصورها هي محض الربط ايضاً، فلا حيثية ولا استقلال لها بذاتها.

وبعبارة اخرى، فإن تمام دار التحقق فانٍ في الحق ـ ذاتاً وصفة وفعلاً ـ اذ لو كان لموجودٍ من الموجودات استقلالٌ في أحد الشؤون الذاتية ـ سواءٌ في الهوية الوجودية أو في شؤونها ـ لخرج بذلك من حدود الامكان وتحوّل الى الوجوب الذاتي، وهذا أمرٌ واضح البطلان.

فإذا ترسخت هذه اللطيفة الإلهية في القلب وتذوقها الفؤاد بما يكفي، انكشف له سرٌّ من اسرار القدر، وظهرت له لطيفةٌ من حقيقة **«الأمر بين الأمرين»**[1].

فالآثار والافعال الكمالية اذن يمكن نسبها الى الحق بنفس النسبة التي تنسب

(١) اشارة الى ما ورد في الاحاديث الشريفة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لا جبر ولا تفويض ولكن أمرٌ بين أمرين ـ الحديث. راجع الاصول من الكافي: كتاب التوحيد ـ باب الجبر والقدر والأمر بين الأمرين.

بها الى الخلق دون ان يكون في الأمر مجازٌ البتة، وهذا يتحقق في فكرة الوحدة والكثرة والجمع بين الأمرين.

نعم، اذا كان الشخص واقعاً في الكثرة المحضة محجوباً عن الوحدة، نسب الفعل الى الخلق وغفل عن الحق ـ كما هو حالنا نحن المحجوبين ـ اما اذا تجلّت الوحدة في قلبه وحُجب عن الخلق، نسب جميع الافعال الى الحقّ تعالىٰ. اما العارف المحقق فيجمع بين الوحدة والكثرة، فهو في نفس الوقت الذي ينسب فيه الفعل الى الحق دون شائبة مجاز، ينسبه الى الخلق دون شائبة مجاز ايضاً، والآية الكريمة: ﴿وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى﴾[1] تنفي الرمي ضمن إثباتها له، وتثبته ضمن نفيها له، وفي ذلك إشارة الى المشرب العرفاني الاحلى والمسلك الإيماني الدقيق.

وما قلناه حول «الافعال والآثار الكمالية» وما قلنا به من اخراج النقائص، انما هو لأن النقائص ترجع الى الإعدام، وهذا من تعينات الوجود، فهو غير منسوب الى الحق اللهم إلّا على نحوٍ عرضي. ولا يتسع المقام للتوسع في شرح هذا المبحث.

على ايّة حال، اذا اتضحت هذه المقدمة، تتضح نسبة التنزيل الى الحق تعالىٰ والى جبرئيل، ونسبة الإحياء الى اسرافيل والى الحق تعالى، والإماتة الى عزرائيل والملائكة الموكلة بالنفوس والى الحق تعالىٰ.

والإشارة الى هذا الموضوع مستفيضة في القرآن الكريم، فهو أحد المعارف الخاصة بالقرآن الكريم، لا عين له ولا أثر في آثار الحكماء والفلاسفة قبل نزول هذا الكتاب المجيد، فالأسرة البشرية مدينة ـ في هذه اللطيفة ـ لعطيّة هذه الصحيفة الالهيّة، كما هو الحال مع سائر المعارف الالهية القرآنية.

المطلب الثاني: الاشارة الى السرّ في قوله «إنّا» و«أنزلناه» بصيغة الجمع.

---

(١) الانفال: ١٧.

أعلم ان السرّ في ذلك هو تفخيم مقام الحق تعالى بمبدئية تنزيل هذا الكتاب الكريم. ولعلّ صيغة الجمع هذه من أجل الجمعية الأسمائية، وللإشارة الى أن الحق تعالى ـ وبجميع شؤونه الأسمائية والصفاتية ـ هو مبدأ هذا الكتاب الكريم، ولهذا كان هذا الكتاب الشريف صورةً أحديةٍ جمع جميع الاسماء والصفات ومعرّفاً للمقام المقدس للحق بكافة الشؤون والتجليات.

بعبارة اخرى، إن هذه الصحيفة النورانية هي صورة «الاسم الاعظم» مثلما أن الانسان الكامل صورة الاسم الاعظم ايضاً، بل لعلّ حقيقتهما ـ في حضرة الغيب ـ واحدة وإنهما مفترقان عن بعضهما في عالم التفرقة بحسب الظاهر لكنهما ـ بحسب المعنى ـ لا يفترقان. وهذا هو أحد معاني «**لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض**»[1]. تماماً كما أن الحق تعالى قد خمّر طينة آدم الأول والانسان الكامل بيدي الجمال والجلال، وكما انزل الكتاب الكامل والقرآن الجامع بيدي الجمال والجلال ايضاً. ولعلّ هذه هي العلّة في تسمية هذا الكتاب بـ«القرآن»، فمقام الأحدية هو الجمع بين الوحدة والكثرة، لذا كان هذا الكتاب غير قابل للنسخ والانقطاع فالاسم الأعظم ومظاهره أزلية وأبدية، وإنّ جميع الشرائع انما دعت لهذه الشريعة والولاية المحمدية.

ولعلّ الحكمة في ورود ﴿**إنّا انزلناه**﴾ بصيغة الجمع هي ذاتها العلّة في قوله تعالى: ﴿**إنا عرضنا الأمانة**﴾[2]، فالأمانة بحسب الباطن هي حقيقة الولاية، وبحسب الظاهر ظاهر الشريعة او دين الاسلام أو القرآن او الصلاة.

المطلب الثالث: بيان اجمالي عن كيفية نزول القرآن.

وهذا من لطائف المعارف الالهية ومن أسرار الحقائق الدينية التي قلّ أن يستطيع أحدٌ الاطلاع على نفحةٍ منها بالطريق العلمي عدا الكُمّل من الاولياء

---

(١) اشارة الي حديث الثقلين المتواتر. راجع الاصول من الكافي: كتاب الحجة ـ باب مافرض الله ورسوله من الكون مع الأئمة عليهم السلام ـ الحديث السادس.

(٢) الاحزاب: ٧٢.

وعلى رأسهم الوجود المبارك للرسول الخاتم ﷺ ثم الاولياء واهل المعارف من بعده وبتسديده والذين يستطيعون وحدهم وعن طريق الكشف والشهود إدراك هذه اللطيفة الالهية، فمشاهدة الحقيقة لا تكون إلّا عن طريق الوصول الى عالم الوحي والخروج من حدود العوالم الامكانية. وستوضح هذه الحقيقة هاهنا بطريق الرمز والاشارة.

اعلم ان القلوب السائرة الى الله بالسلوك المعنوي والسفر الباطني وبالمهاجرة من بيت النفس المظلم وبيت الأنّية والأنانية، هي طائفتان عموماً:

الأولى: أولئك الذين يدركون موتهم بعد إتمام السفر الى الله فيبقون في حالة الجذبة والفناء والموت تلك، وأجر اصحاب هذه القلوب على الله، وهو تعالى أجرهم.

وهؤلاء هم المحبوبون الفانون تحت «قباب الله» لا أحد يعرفهم او يرتبط بهم، كما لا يعرفون هم كذلك أحداً سوى الحق تعالى: «**أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري**»[1].

الثانية: أولئك المؤهّلون للرجوع الى أنفسهم وتحقّق حالة الصحو لهم، بعد إتمام السير الى الله وفي الله.

وهؤلاء هم الذين تمّ تقدير استعدادهم ـ بحسب التجلي بالفيض الاقدس وهو «سرُّ القدر» ـ واختارهم الحق تعالى لتكميل العباد وإعمار البلاد.

وهؤلاء يكشفون ـ بعد الاتصال بالحضرة العلمية والرجوع الى حقائق الأعيان ـ سير الأعيان واتصالها بحضرة القدس وسفرها الى الله والى السعادة. وهم المكتسون بكسوة النبوة، وهذا هو كشف الوحي الالهي قبل التنزّل الى عالم الوحي الجبرئيلي.

ثم إنهم يكشفون ـ بعد توجههم من هذا العالم الى العوالم النازلة ـ ما في

---

(١) حديث قدسي، راجع احياء علوم الدين: ج ٤، ص٢٥٦.

الأقلام العالية والألواح القدسية بمقدار إحاطتهم العلمية ونشأتهم الكمالية التابعة للحضرات الاسمائية، ومن هنا كان التفاوت بين الشرائع والنبوات، بل لعلّ هذا هو أصل جميع الفروقات.

وفي هذا المقام، قد يكون تنزل هذه الحقيقة الغيبية والسريرة القدسية المشهودة في الحضرة العلمية والأقلام والألواح العالية، عن طريق غيب نفوسهم وسرّ أرواحهم الشريفة بواسطة ملك الوحي حضرة جبرئيل الذي قد يتمثل لهم «تمثلاً مثالياً» في حضرة المثال، او بـ«تمثل ملكي»، فيظهر من مكمن الغيب ـ بواسطة تلك الحقيقة ـ الى مشهد عالم الشهادة وينزّل تلك اللطيفة الالهية، فيدركها صاحب الوحي ويشاهدها في كل نشأة من النشآت على نحوٍ خاص:

ففي الحضرة العلميّة على نحوٍ معين.

وفي حضرة الأعيان على نحو آخر.

وفي حضرات الأقلام على نحو ثالث.

وفي حضرات الألواح على نحو مختلف.

وفي حضرة المثال على نحو آخر.

وفي الحسّ المشترك على نحو ثانٍ.

وفي الشهادات المطلقة على نحو آخر.

وهي مراتب سبعة من التنزّل، ولعل ما ورد بشأن نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف[1] هو هذا المعنى، وهو ـ كما هو واضح ـ لا يتنافى مع قول المعصوم عليه السلام: «**قرآن واحد من عند واحد**»[2]. وفي الموضوع تفصيل لا يناسب المقام.

المطلب الرابع: في سرّ «هاء» الغائب في «**أنزلناه**».

---

(١) راجع بحار الانوار: ج٨٩، ص٨٣.

(٢) راجع الاصول من الكافي: كتاب فضل القرآن ـ باب النوادر ـ الحديث ١٢.

اتضح مما مَرَّ معنا، أنّ للقرآن - قبل التنزيل الى هذه النشأة - مقامات وكينونات منها:

كينونته العلمية في الحضرة الغيبية بالتكلّم الذاتي والمقارعة الذاتية عن طريق أحدية الجمع. ولعلّ ضمير الغائب يشير الى هذا المقام، ولإفادة هذا المعنى ذكر تعالى التنزيل مقترناً بضمير الغائب، فكأنه يقول: إن هذا القرآن المنزل في ليلة القدر هو نفس القرآن العلميّ الموجود في السرّ المكنون والغيبيّ في النشأة العلمية، حيث أنزلناه من تلك المراتب التي كان فيها متحداً مع الذات في مقام واحد والتي كان فيها من التجليات الاسمائية، وهذه الحقيقة هي ظاهر ذلك السرّ الالهي، وهذا الكتاب الذي ظهر في كسوة الالفاظ والعبارات، هو في مرتبة الذات على شكل تجلياتٍ ذاتية، وفي مرتبة الفعل عين التجلّي الفعلي، كما يقول أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «**إنّما كلامه فعله**»[1].

المطلب الخامس: في بيان ليلة القدر، وفيه مباحث كثيرة ومعارف لا تحصى، وقد تطرّق العلماء الاعلام (رضوان الله عليهم) الى هذا الموضوع بالبحث والتحليل كلٌّ حسب مشربه ومسلكه. وسوف نشير هاهنا الى بعض تلك المباحث، كما نشير الى بعض ما لم يُذكر وذلك ضمن عدّة أطر:

الأوّل: اختلف العلماء في وجه تسمية «ليلة القدر» بهذا الاسم، بعضهم قال إنها سمّيت كذلك لأنها ليلة ذات منزلةٍ ومكانة، وقد أنزل فيها القرآن الكريم ذو القدر والمنزلة بواسطة ملك ذي قدر وعلى رسولٍ ذي قدر ولأمّة ذات قدر. وبعض قالوا: إنها سميت «ليلة القدر» لأن فيها تُقدّر امور الناس وأرزاقهم وآجالهم.

وآخرون قالوا: إنّ سبب التسمية يعود الى أن الأرض تضيق نتيجة كثرة نزول الملائكة في تلك الليلة، فالتسمية اذن من قبيل قوله تعالى: ﴿ومن قُدِرَ

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم ٢٢٨ ـ ص٧٣٧ من طبعة فيض الاسلام.

عليه رزقه﴾[١]

هذه هي الأقوال الواردة في هذا المقام، في كلّ قولٍ منها تحقيقات لا يخلو العرض المجمل لها من فائدة:

أما القول الأول: بأنها ليلة ذات منزلةٍ وقدر، فاعلم أن ما يقال في هذا المقام هو:

اذا كان بعض مطلق الزمان ومطلق المكان شريفاً وبعضه الآخر غير شريف، بعضه سعيدٌ وبعضه نحس، فهل هذا من نفس الزمان ومن تشخصاته الذاتية، ام الأزمنة والأماكن تكون ذات مزية بشكل عرضي وبفعل وقوع الأحداث والأمور الشريفة أو الخسيسة فيها؟!

هذا الموضوع وإنْ لم يكن من المباحث الهامة او الحيوية إلا أننا سنتعرض له على نحو الاختصار:

إن الوجه في ترجيح الاحتمال الاول، هو أن ظاهر الأخبار والآيات التي تقول بشرف او نحوسة لبعض الزمان او المكان، يشير الى انها تعتبر ذلك صفة لتلك الأزمنة والأمكنة وليس صفة الحال المتعلق بها، ولما لم يكن من مانع عقلي، فالمتعين حملها على ظاهرها.

اما وجه ترجيح الاحتمال الثاني، فهو أن حقيقة الزمان والمكان واحدة بل لعلّ شخصيتهما واحدة ايضاً، لذا لا يمكن أن يكون للشخص الواحد حكمٌ متجزئٌ مختلف، وعليه فلا مناص من حمل ما ورد في النصوص بشأن الشرف والنحوسة على الوقائع والقضايا المقترنة بها.

وهذا الاستدلال ليس صحيحاً، لأن الزمان وإنْ كان ذا شخصية واحدة إلا أنه متدرج وممتد وهو حقيقة مقدارية، فلا مانع من تفاوت بعض أجزائه عن بعضها الآخر في الحكم والأثر، وليس من دليل يمنع من ان يكون للشخص الواحد ـ

---

(١) الطلاق: ٧.

كيفما كان ـ حكمان وأثران، بل لعل الظاهر خلاف ذلك. فأفراد النوع الانساني مثلاً، رغم انهم جميعاً يشتركون في كونهم شخصاً واحداً، إلا ان هناك اختلافات كثيرة في صورهم الجسمية؛ فالجليدية[١] والقلب أسمى وأرقُّ من سائر الاعضاء، كما هو الحال مع القوى الباطنة والظاهرة التي يكون بعضها اسمى من بعض، وسبب ذلك هو أن الانسان لا يظهر في هذا العالم بنعت الوحدة التامة، فهو وإنْ كان شخصاً واحداً، إلا أنه ولما كان ظاهراً بنعت الكثرة لزم أن تتفاوت أحكامه.

وأما وجه ترجيح الاحتمال الاول فهو غير مستساغ ايضاً، ومردُّ هذا القول هو «أصالة الظهور» و«اصالة الحقيقة» مثلاً، ومن المعلوم في علم الاصول أن أصالة الحقيقة وأصالة الظهور، انما يراد بها تعيين المراد في موارد الشك فيه، لا تثبيت الحقيقة بعد معلومية المراد، فتأمل!

اذن فكلا التعليلين محتملان، ولكن يبدو أن الثاني أرجح من الأول، عليه لعلّ «ليلة القدر» أصبحت ذات قدر لأنها ليلة وصال النبي الخاتم وليلة وصول العاشق الحقيقي الى محبوبه. وقد اتضح من المباحث السابقة أن تنزّل الملائكة ونزول الوحي يكون بعد حصول الفناء والقرب الحقيقي.

كما يستفاد من الاخبار الكثيرة والآيات الكريمة أن شرف الأزمنة والأمكنة ونحوستهما، إنما هو بسبب الوقائع الحاصلة فيها، ويتضح ذلك بجلاء من خلال المراجعة، وإنْ كان بعض الاخبار يفيد الشرف الذاتي لبعض تلك الازمنة والامكنة ايضاً.

اما بشأن الاحتمال الآخر القائل بأن وجه التسمية يرجع الى تقدير أمور أيام السنة فيها، فاعلم أن حقيقة «القضاء» و«القدر» وكيفيتهما ومراتبهما، يعدُّ من أجلّ وأشرف العلوم الالهية، وقد ورد النهي لعامّة الناس عن التعمق فيها بسبب

---

(١) جزء من اجزاء العين البشرية.

دقتها وكمال حساسيتها، فهي تسبب الحيرة والضلال. وعليه يجب اعتبار هذه الحقيقة من اسرار الشريعة وودائع النبوة، كما يجب الانصراف عن البحث الدقيق فيها.

وهنا سنحاول الإشارة الى أحد المباحث المتعلق بها بما يناسب موضوعنا فنقول:

لما كان تقدير الأمور قد تمّ في علم الحق تعالى في أزل الآزال، ولما كان مقام العلم الربوبي منزّهاً عن الامور التدريجية، فما معنى تقدير الامور في كل عام وبالتحديد في ليلة معينة؟

اعلم ان للقضاء والقدر مراتب، تختلف الاحكام فيها بحسب تلك المراتب والنشآت: منها: مرتبة الحقائق التي تُقدّر في حضرة العلم بالتجلي بالفيض الاقدس، تبعاً لظهور الاسماء والصفات، ثم تقدّر وتثبت في الأقلام والألواح العالية بحسب الظهور بالتجلّي الفعلي، ولا تحدث في هذه المراتب تغييرات وتبديلات. فالقضاء الحتمي الذي لا يُبدّل هو الحقائق المجردة الواقعة في حضرات الأعيان والنشأة العلمية النازلة في الأقلام والألواح المجردة.

وبعد ذلك «الخيال المنفصل» و«خيال الكلّ» وهو الذي يسميه الحكماء الإشراقيون «عالم المثل المعلّقة» وفي هذا العالم، تكون التغييرات والاختلافات ممكنة الوقوع في تلك الحقائق بل انها لابدّ ان تقع.

وتلي ذلك، التقديرات والحسابات التي تجريها الملائكة الموكلة بعالم الطبيعة، فللقدر في هذا اللوح تغييرات دائمية وتبدلات مستمرة، بل إنه يكون عبارة عن صورة سيّالة وحقيقة متصرّمة ومتدرّجة. فالحقائق في هذا اللوح تتعرض للشدّة والضعف، والحركات للسرعة والبطء والزيادة والنقصان.

ومع ذلك فإن الوجهة الالهية والجنبة الغيبية لنفس هذه الاشياء، والتي هي جهة التدلّي الى الحق وصورة ظهور الفيض المنبسط والظل الممدود، وحقيقة العلم الفعلي للحق تكون ثابتة ولا مجال للتغيير والتبديل فيها أبداً.

وخلاصة القول، فالحكماء يعتقدون ان جميع التغييرات والتبديلات وزيادة الآجال وتقدير الأرزاق تقع في لوح «القدر العلمي» وهو «عالم المثال».

وفي رأيي انها تقع في لوح «القدر العيني» الذي يمثل محلاً لنفس التقديرات، وتتم التغييرات والتبديلات بيد الملائكة الموكلة به.

واستناداً لما تقدم، فليس ما يمنع من وقوع تغييرات وتبديلات في عالم الطبع في مثل ليلة القدر، وهي ليلة التوجّه التام للولي الكامل وظهور سلطته الملكوتية بواسطة النفس الشريفة للولي الكامل صلى الله عليه وآله والإمام في كل عصر والقطب في كل زمان عليه السلام، وهو اليوم حضرة بقيّة الله في الأرضين سيدنا ومولانا وإمامنا وهادينا الحجة بن الحسن العسكري (أرواحنا لمقدمه الفداء).

فهم يجعلون أيّاً شاءوا من أجزاء الطبيعة بطيء الحركة وأيّاً شاءوا منها سريع الحركة، او يوسعون ايّ رزق أرادوا ويضيّقون أيّ رزقٍ شاءوا، فهذه الإرادة إرادة الحق وظلّ وشعاع الارادة الأزلية وتابعة للأوامر الالهية، كما هو الحال مع ملائكة الله الذين لا يتصرفون من تلقاء انفسهم. فتصرفاتهم جميعاً بل وتصرفات ذرات الوجود كافّة هي تصرفات الهية ومن هذه اللطيفة الالهية الغيبية، ﴿فاستقم كما أمرت﴾(١).

اما بشأن ما قيل في الاحتمال الآخر من أن وجه تسمية «ليلة القدر» هو اكتظاظ الارض بملائكة الله في تلك الليلة، فإن هذا الوجه وإنْ كان بعيداً، ومع أن أعجوبة الزمان الخليل بن أحمد(٢)(رضوان الله عليه) يقول: ان الأمر الذي يمكن أن يثور كتساؤل هنا هو: «ما معنىٰ ضيق الأرض وملائكة الله ليسوا من سنخ

---

(١) هود: ١١٢.

(٢) هو الخليل بن أحمد بن عمر بن تميم، المكنى بأبي عبدالرحمن الباهلي البصري النحوي العروضي، ولد سنة ١٠٠ او ١٠٥ للهجرة في البصرة وتوفي سنة ١٦٠ او ١٧٥ للهجرة. أديب ولغوي معروف أسس علم العروض. إمامي المذهب، وقيل أنه من أصحاب الصادق عليه السلام ومن رواة أحاديثه. له مصنفات عديدة في مختلف الفنون، منها: زبدة العروض، العين، كتاب في الإمامة، الإيقاع، النغم، الجمل، الشواهد، النقط والشكل، وكتاب حول معاني الأسماء والحروف. راجع أعيان الشيعة: ج ٣٠، ص ٥.

عالم الطبيعة والمادية؟!»... ولكن لتعلم أن نظائر هذا الأمر قد وردت في الاحاديث الشريفة كقضية تشييع سعد بن معاذ[١].. او كقضية فرش الملائكة أجنحتها لطالب العلم[٢].

فهذا إما أن يكون من باب تمثّل الملائكة بالصور المثالية وتنزّلها من عالم الغيب الى عالم المثال وتضييق ملكوت الارض، وإما من باب تمثّلها المُلكي في مُلك الارض، وإنْ كان هذا التمثّل لاتراه العيون الحيوانية الطبيعية ايضاً.

وبصورة عامة فإن التضييق يكون باعتبار التمثلات «المثالية» او «الملكية».

الأمر الثاني: في حقيقة ليلة القدر.

اعلم أن لكلّ رقيقةٍ حقيقةً ولكلّ صورة ملكاً باطنياً ملكوتياً وغيبياً. ويقول اهل المعرفة:

إنّ مراتب نزول حقيقة الوجود ـ على اساس احتجاب شمس الحقيقة في أفق التعينات ـ هي «ليالٍ». أما مراتب الصعود ـ على أساس خروج شمس الحقيقة من آفاق التعينات ـ فهي «أيام».

وبذا يُمسي معنى شرافة ونحوسة «الايام» و«الليالي» أمراً واضحاً. فبناءً على اعتبار أنّ قوس النزول هو «ليلة القدر المحمديّة» وقوس الصعود هو «يوم القيامة الأحمدي»، لأن هذين القوسين هما مدُّ الفيض المنبسط الذي هو الحقيقة المحمدية ولأنّ جميع التعينات هي من التعيّن الاولي للاسم الاعظم، فإن العالم ـ وبالنظر اليه من زاوية الوحدة ـ هو ليلة القدر ويوم القيامة، وهو لا يعدو ليلة ويوم، هما ليلة القدر المحمدية التي تمثل تمام دار التحقق، ويوم القيامة الأحمدي.

ومن يتحقق بهذه الحقيقة يكون على الدوام في «ليلة القدر» و«يوم القيامة» فيجتمع هذان معاً.

---

(١) راجع الفروع من الكافي: كتاب الجنائز ـ باب المسائلة في القبر ـ الحديث السادس.

(٢) راجع معالم الاصول: ص٧.

اما بناءً على النظر من زاوية الكثرة، فتكون الليالي والأيام، وتكون بعض الليالي ذوات قدر وبعضها ليست كذلك، وبين جميع الليالي الأحمدية البنية والمحمديّة التعيّن (صلوات الله على محمد وآله) ـ وهو نور حقيقة الوجود بجميع الشؤون والاسماء والصفات والذي غرب في أفقها بكمال النورية وتمام الحقيقة ـ تكون ليلة القدر المطلقة، كما يكون اليوم المحمدي هو يوم القيامة المطلق.

اما سائر الليالي والأيام فتكون لياليَ وأياماً مقيّدة، ونزول القرآن في هذه البنية الشريفة والقلب المطهر هو نزولٌ في «ليلة القدر».

إذن، فالقرآن نزل جملةً في ليلة القدر بطريق الكشف الكلّي المطلق، كما أنّه نزل «نجوماً» على مدىٰ ثلاثة وعشرين عاماً في «ليلة القدر».

يقول الشيخ العارف الشاه آبادي (دام ظلّه): إن الدورة المحمدية هي «ليلة القدر» وهذا القول هو: إما باعتبار أن جميع الأدوار الوجودية هي الدورة المحمدية، أو باعتبار أن الأقطاب المحمديّين الكمل والأئمة المعصومين الهداة في هذه الدورة، يكونون هم «ليالي القدر».

ويدلُّ على ما احتملناه بشأن معنى حقيقة «ليلة القدر»، الحديث الشريف الطويل المروي في تفسير البرهان نقلاً عن الكافي، وفيه يسأل نصرانيٌ الإمام موسىٰ بن جعفر عن تفسير باطن قوله تعالى: ﴿حم*والكتاب المبين*إنا انزلناه في ليلة مباركةٍ إنا كُنّا منذِرين*فيها يُفرق كلُّ أمرٍ حكيم﴾[1] فيجيب عليه السلام: وأما (الليلة) فاطمة عليها السلام[2].

كما ورد في رواية تفسير ﴿ليالٍ عشرٍ﴾ بالأئمة الطاهرين من «الحسن» الى «الحسن» عليهما السلام.

وهذه إحدى مراتب «ليلة القدر» التي ذكرها الامام موسىٰ بن جعفر عليه السلام.

---

(١) الدخان: ١ ـ ٤.

(٢) تفسير البرهان: ج٤، ص١٥٨ والاصول من الكافي: كتاب الحجة ـ باب مولد النبي صلى الله عليه وآله ـ الحديث الرابع.

ويشهد على أن ليلة القدر هي تمام الدورة المحمدية، الرواية المنقولة في تفسير البرهان عن الإمام الباقر عليه السلام، وننقل هنا نصّ الرواية تيمّناً لما فيها من الاشارة الى معارف جمّة وما تكشفه من اسرارٍ مهمة:

قال صاحب البرهان رحمه الله: وعن الشيخ أبي جعفر الطوسي، عن رجاله، عن عبدالله بن عجلان السكوني، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: **بيتُ عليٍّ وفاطمة حُجرةُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسقف بيتهم عرشُ ربِّ العالمين. وفي قعر بيوتهم فُرجةٌ مكشوطةٌ الى العرش معراج الوحي، والملائكة تنزّل عليهم بالوحي صباحاً ومساءً وكلّ ساعة وطرفة عين. والملائكة لا ينقطع فوجُهُم، فوج ينزلُ وفوج يصعد. وإنّ الله تبارك وتعالى، كشف لإبراهيم عليه السلام عن السماوات حتى أبصر العرش، وزاد الله في قوة ناظره، وإن الله زاد في قوة ناظر محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وكانوا يبصرون العرش ولا يجدون لبيوتهم سقفاً غير العرش، فبيوتهم مسقّفة بعرش الرحمن ومعارج الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كلِّ أمرٍ سلام. قال: قلت: من كلِّ أمرٍ سلام؟ قال: «بكلِّ أمر» فقلت: هذا التنزيل؟ قال: نعم**[1].

والتدبر في هذا الحديث الشريف يفتح آفاقاً من المعرفة لأهلها، ويُضيء لهم قبساً من حقيقة الولاية ومن باطن «ليلة القدر».

الأمر الثالث: اعلم انّه وكما ان لليلة القدر حقيقة وباطناً ـ وقد تقدمت الاشارة اليهما ـ فإن لها صورةً ومظهراً ـ بل مظاهر ـ في عالم الطبيعة.

ولما كان من المحتمل ان تتفاوت المظاهر في النقص والكمال، فإنّ من الممكن الجمع بين الأقوال والأخبار الواردة في باب تعيين «ليلة القدر» وذلك بالقول بكون جميع الليالي الشريفة المذكورة في الروايات هي من مظاهر «ليلة

---

(١) تفسير البرهان: ج ٤، ص٤٨٧ ـ سورة القدر ـ الحديث ٢٥.

القدر» إلّا أنّها تختلف فيما بينها في الشرف وكمال المظهرية. وتلك الليلة الشريفة التي تمثل تمام ظهور ليلة القدر، وهي ليلة الوصل الختمي التام ووصول الكامل الخاتم، مخفيةٌ في عموم السنّة او في شهر رمضان المبارك او في العشر الأواخر او الليالي الثلاث منها.

والاختلاف موجود في روايات العامّة والخاصة، فقد ذُكرت ليلة القدر في روايات الخاصة على نحو الترديد بين الليلة التاسعة عشرة والحادية والعشرين والثالثة والعشرين من شهر رمضان المبارك، او على نحو الترديد بين الليلة الحادية والعشرين والثالثة والعشرين.

يقول شهاب بن عبد ربّه: قلت لأبي عبداللهعليه‌السلام: أخبرني بليلة القدر، قال: «**هي ليلةُ إحدىٰ وعشرين او ثلاث وعشرين**»[1].

ويقول عبدالواحد بن المختار الأنصاري: سألت أبا جعفر عن ليلة القدر، قال: «**في ليلتين ليلة إحدى وعشرين وثلاث وعشرين**». قال: فقلت: أفرد لي أحدهما، قال: «**وما عليك أن تعمل في ليلتين هي إحداهما**»[2].

وعن حسان بن أبي علي قال: سألت أبا عبدالله عن ليلة القدر فقال: «**اطلبها في تسع عشر وإحدىٰ وعشرين وثلاث وعشرين**»[3].

وقال السيد العابد الزاهد ابن طاووس في «الإقبال»: إعلم أن هذه الليلة الثالثة والعشرين من شهر رمضان، وردت اخبارٌ صريحة بأنها ليلة القدر على الكشف والبيان. فمن ذلك ما رويناه بإسناده الى سفيان بن السبط [السمط خ. ل]. قال: قلت لأبي عبدالله: افرد لي ليلة القدر؟ قال: **ليلة ثلاث وعشرين**.

ومن ذلك ما رويناه بإسناده الى زُرارة عن عبدالواحد بن المختار الأنصاري، قال: سألت أبا جعفرعليه‌السلام عن ليلة القدر، فقال: أخبرك والله ثم

(١) مجمع البيان: ج ١٠، ص٥١٩ نور الثقلين: ج ٥، ص٦٢٨ ـ سورة القدر ـ الحديث ١٧.

(٢) بحار الانوار: ج ٩٥، ص١٤٩.

(٣) مجمع البيان: ج ١٠، ص٥١٩ وسائل الشيعة: كتاب الصوم ـ الباب ٣٢ ـ الحديث ٢١.

لأعمّي عليك، هي أول ليلةٍ من السبع الأخر. ثم يروي عن زرارة أنه قال: كان ذلك الشهر تسعة وعشرين[١].

ثم يروي روايات أُخر في أن ليلة القدر هي ليلة ثلاث وعشرين منها رواية قضية الجهني المعروفة[٢].

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

(١) إقبال الأعمال: ص٢٠٦

(٢) المصدر: ص٢٠٧.

تنبيه عرفاني

الأظهر وكما ذكر عند الحديث حول تفسير السورتين المباركتين المتقدمتين أن البسملة في كلّ سورة متعلقة بالسورة ذاتها.

وبناءً على هذا يكون المعنى المراد من سورة القدر المباركة هو الآتي: أننا انزلنا الحقيقة القرآنية الشريفة واللطيفة الإلهية المقدّسة باسم الله، وهو الحقيقة الجمعية الأسمائية والإسم الربوبي الاعظم المتعيّن بالرحمة المطلقة «الرحمانية» و«الرحيمية» في ليلة القدر المحمديّة (صلّى الله على صاحبها وعلى آله).

يعني أنّ ظهور القرآن تابع للظهور الجمعيّ لـ «الإلهيّة» ولقبض وبسط «الرحيمية» و«الرحمانيّة»، بل إنّ حقيقة القرآن هي مقام ظهور حضرة اسم الله الأعظم بظهور الرحمانيّة والرحيمية وجامع الجمع والتفصيل، لذا فإن هذا الكتاب الشريف هو «قرآنٌ» وهو «فرقانٌ» مثلما أنّ روحانيّة الرسول الخاتم والمقام المقدس لولاية ذاك السيدﷺ هما «قرآن» و«فرقان» ومقام أحدية الجمع والتفصيل.

وحسب هذا الاحتمال، كأن الحق تعالى يقول: «إننا أنزلنا القرآن في ليلة القدر المحمدي بالتجلّي بمقام الإسم الأعظم، وهو مقام أحدية الجمع والتفصيل بظهور الرحمة «الرحمانية» و«الرحيمية»... ولما كانت هناك في عالم الفرق بل فرق الفرق، «فرقانيّة» قد حصلت بين «قرآنين»، القرآن المكتوب المنزّل، وقرآن المنزّل عليه ـ يعني الكتاب الالهيّ والحقيقة المحمدية ـ لذا وصلنا في ليلة الوصال بين القرآنين، وجمعنا بين الفرقانين».

وبهذا الاعتبار فهذه الليلة هي «ليلة القدر» ولكن «قدرها» بصورةٍ قد لا يعرفها سوى حضرة خاتم النبيينﷺ، وهو صاحب ليلة القدر بالأصالة، والأوصياء المعصومين بالتبعيّة.

تتمة

بعض الروايات في فضل «ليلة القدر».

يقول العارفُ بالله السيّد ابن طاووس رحمه الله في كتاب «الإقبال»: «... وجدت في كتاب «كنز اليواقيت»، تأليف أبي الفضل بنِ محمد الهروي أخباراً في فضل ليلة القدر... إلى أن قال: عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال:

«قال موسى: إلهي أريدُ قُربكَ.

قال: قربي لمن استيقظَ ليلةَ القدر.

قال: إلهي أريد رحمتك.

قال: رحمتي لمن رحم المساكين ليلةَ القدر.

قال: إلهي أريدُ الجواز على الصراط.

قال: ذاك لمن تصدّق في ليلة القدر.

قال: أريد من أشجار الجنّة وثمارها.

قال: ذاك لمن سبّح تسبيحةً في ليلةِ القدر.

قال: إلهي أريد النجاة.

قال: النجاة من النار؟

قال: نعم.

قال: ذلك لمن استغفر في ليلة القدر.

قال: إلهي أريدُ رضاك.

قال: رضائي لمن صلّى ركعتين في ليلة القدر».

وفي الكتاب المذكور أيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال: «**تفتح أبواب السماء في ليلة القدر، فما من عبد يصلّي فيها إلّا كتب الله تعالى له بكلّ سجدة شجرة في الجنة لو يسير الراكبُ في ظلّها مئة عام لا يقطعها، وبكل ركعة بيتاً في الجنّة من دُرّ وياقوت وزبرجد ولؤلؤ، وبكلّ آية تاجاً من تيجان الجنّة وبكلّ**

تسبيحة طائراً من العجب، وبكل جلسة دَرَجَةً من درجات الجنة، وبكل تشهدٍ غرفةً من غرفات الجنة، وبكل تسليمة حلّة من حلل الجنة، فإذا انفجر عمودُ الصبح أعطاهُ الله من الكواعب المؤلّفات والغلمان المخلّدين والنجائب المطيرات والرياحين المعطّرات والأنهار الجاريات والنعمِ الراضيات والتحف والهديات والخلع والكرامات ما تشتهيِ الأنفس وتلذُّ الأعين، وأنتم فيها خالدون».

وفيه ايضاً عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: «مَنْ أحيا ليلة القدر غفرت له ذنوبه ولو كانت ذنوبه عددَ نجوم السماء ومثاقيل الجبال ومكاييل البحار»[1].

والأخبار في فضل هذه الليلة أكثر من أن تستوعب في هذه الصفحات.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

---

(١) بحار الانوار: ج٨٩، ص١٦٨.

قوله تعالى: ﴿وما أدراك ما ليلة القدر﴾

اعلم ان هذا التركيب لتفخيم المطلب وتعظيمه والإشعار بعظمة الحقيقة المطروحة، خصوصاً اذا أُخذ بنظر الاعتبار منزلة المتكلم والمخاطب.

فمع ان الحق تعالى هو المتكلم والرسول الأكرم صلى الله عليه وآله هو المخاطب، إلّا أنّ الموضوع يكون أحياناً على درجةٍ من العظمة بحيث يتعذر إظهارها في نسيج الألفاظ وتركيب الحروف والكلمات، فكأن الحق تعالىٰ يقول: «لا تدري بأيّة عظمة هي حقيقة ليلة القدر، فحقيقتها لا يمكن بيانها ولا يسعها نسيج الحروف والكلمات ونظمها».

ولهذا ترى أنّه ومع كون كلمة «ما» لبيان الحقيقة، إلا أن الآية صرفت النظر عن البيان فقال تعالىٰ: «ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر» فعرّفها بخواصها وآثارها لتعذّر بيان الحقيقة.

ومن هنا يمكن الحدس بقوةٍ بأن حقيقة ليلة القدر وباطنها هي غير هذه الصورة والظاهر، وإن كان الظاهر مهماً عظيماً ايضاً، ولكنه ليس بمنزلة النسبة لرسول الله وهو الوليُّ المطلق والمحيط بكلِّ العوالم، ولذا ورد التعبير بهذا النحو.

فإن قُلتَ: إنّ الاحتمال المذكور ـ بأن باطن «ليلة القدر» هو حقيقة وبنية الرسول الاكرم نفسه والتي تحتجب فيها شمس الحقيقة بكافة شؤونها ـ يؤدي الى إشكال أشدّ إذ لا يمكن القول لذلك السيد صلى الله عليه وآله: إنك لا تدري ما هي ليلة القدر التي هي صورتك الملكية.

قُلتُ: إن لهذا الاحتمال سِرّاً، وإن لهذه اللطيفة باطناً، وذلك ﴿لمن ألقى السمع وهو شهيد﴾[1].

---

(١) جزء من الآية ٣٧، سورة ق.

إعلم يا عزيزي، انّه لما كان في الباطن الحقيقي لليلة القدر ـ وهو البنية والصورة الملكية او العين الثابتة المحمدية ـ مظهر الاسم الاعظم والتجلّي الأحدي الجمعي الإلهي، فإنّ العبد السالك الى الله ـ اي الرسول الخاتمﷺ ـ ما دام في حجاب ذاته لا يستطيع ان يشاهد ذلك الباطن وتلك الحقيقة، كما هو الحال مع موسى بن عمران (على نبينا وآله وعليه السلام) اذ ورد في القرآن الشريف: ﴿**لن تراني**﴾[1] يا موسى. رغم ان التجلّي الذاتي او الصفاتي قد تحقق لذلك السيد، بدليل قوله تعالى: ﴿**فلما تجلّى ربّه للجبل جعله دكاً وخرّ موسى صعقاً**﴾[2].

وبدليل فقرات دعاء «السمات» الشريف العظيم المنزلة ايضاً، كما هو جليّ.

والمعنى والسرُّ في ذلك هو: «إنك يا موسى لا تستطيع المشاهدة مادمت في الحجاب الموسوي وفي احتجاب ذاتك، إذ إنّ مشاهدة جمال الجميل، لا تتحقق إلا لمن خرج من ذاته، فإذا خرج منها أصبح يرى بعين الحق، وسوف تكون عين الحق مشاهدة للحق».

وعليه فمظهر الاسم الاعظم ـ وهو الصورة الكمالية لليلة القدر ـ لا يمكن رؤيته مع الاحتجاب بالذات، لذا ـ وبناءً على هذا التحقيق ـ فهذا التعبير صحيحٌ وفي محله.

فإن قُلتَ: إن ليلة القدر هي نفس البنية الأحمدية، باعتبار احتجاب شمس الحقيقة فيها، وليست هي نفس الشمس لكي يكون هذا التفسير صحيحاً.

قُلتُ: إن شيئية الشيء تكمن ـ كما يقول أهل النظر ـ في الصورة الكمالية لذلك الشيء، والأشياء ذوات الأسباب ـ خصوصاً السبب الالهي ـ لا تُعرف على نحو الحقيقة إلا بمعرفة أسبابها. كذلك فإن اهل المعرفة يقولون: إنّ نسبة الظاهر والباطن والتجلّي والمتجلّي ليست نسبةً بين أمرين مختلفين، بل حقيقة واحدة

(١) الاعراف: ١٤٣.

(٢) الاعراف: ١٤٣.

تتجلى ظهوراً تارةً وبطوناً تارةً اخرى، كما يقول العارف المعروف: «نحن عدم بظاهر الوجود... أنت الوجود المطلق وأنت وجودنا»[١].

وهذا الحديث ـ كما يقول العارف الروحي ـ لا ينتهي، لذا فصرف النظر عنه أَوْلى.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) ترجمة نثرية للشاعر الإيراني العارف جلال الدين الرومي.

قوله تعالى: ﴿ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر﴾

اذا لاحظنا الصورة الظاهرية الملكية لليلة القدر، فسيكون المعنى: «إن ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر لا تكون فيها ليلة القدر» او «إنها والعبادة والطاعة التي تكون فيها خيرٌ من ألف شهر كان بنو إسرائيل يحملون السلاح فيها ويجاهدون في سبيل الله» او «إنها خيرٌ من ألف شهر من سلطة بني أمية (لعنهم الله)» كما أشارت الى ذلك الروايات الشريفة[1].

واذا لوحظت حقيقة «ليلة القدر»، فيمكن أن يكون «ألف شهر» كنايةً عن جميع الموجودات باعتبار أنّ الألف هو عدد كامل والمراد من «الشهر» الأنواع، بمعنى أن البنية المحمدية الشريفة ـ وهي الانسان الكامل ـ أفضل من ألف نوع ـ وهي جميع الموجودات ـ كما قال بذلك بعض أهل المعرفة.

وفي ذهني احتمال آخر، وهو أن «ليلة القدر» إشارة الى الاسم الاعظم، يعني المرآة المحمدية التامة، والألف شهر عبارة عن مظهر الاسماء الاخرى.

ولما كان للحق تعالى ألف اسمٍ واسم، واسم «مستأثر» في عالم الغيب، فإن ليلة القدر «مستأثرة» ايضاً، وليلة قدر البنية المحمدية هي اسم مستأثر ايضاً، لذا فلا يطّلع على الاسم المستأثر سوى الذات المقدسة للرسول الخاتم صلى الله عليه وآله.

---

(١) راجع بحار الانوار: ج٩٤، ص٨ وتفسير علي بن إبراهيم: ص٧٣٢ وتفسير البرهان: ج٤، ص٤٨٦ والروضة من الكافي: ص٢٢٢ ـ الحديث ٢٨٠.

تنبيه عرفاني

اعلم أنه مثلما أن الولي الكامل والنبي الخاتمﷺ هو «ليلة القدر» باعتبار بطون الاسم الاعظم فيه واحتجاب الحق بجميع شؤونه فيه. كذلك فإن «يوم القدر» ـ وبلحاظ ظهور شمس الحقيقة وبروز الإسم الجامع من أفق تعيّنه ـ هو ذلك السيد الأكرمﷺ ايضاً.

وعموماً فإن تلك الذات المقدسة هي ليلة ويوم القدر، كما أن يوم القيامة هو يوم القدر.

وعلى هذا، لعلَّ السرَّ في التعبير عن سائر المظاهر بالشهر وعن هذا المظهر التام المقدّس بالليلة، يكمن في أن مبدأ الشهور والسنين هما اليوم والليلة مثلما أن المبدأ في الأعداد هو «الواحد» وكما أن ذلك السيد (صلوات الله عليه وعلى آله) ـ وهو باطن الحقيقة المتمثلة في الاسم الاعظم ـ هو مبدأ سائر الاسماء، وأنّه بتعيّنه وعينه الثابتة يمثل أصل الشجرة الطيبة ومبدأ التعينات.

تدبّر تعرف واغتنم.

قوله تعالى: ﴿تنزّل الملائكةُ والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر﴾

في الآية الكريمة مطالب عدّة، نذكر بعضاً منها على نحو الإجمال:

المطلب الأول: في ذكر صنوف ملائكة الله تعالى والإشارة الى حقيقتهم إجمالاً.

اعلم، ان بين المحدّثين والمحققين اختلافاً في تجسّم الملائكة. فجميع الحكماء والمحققين وكثير من الفقهاء المحققين يقولون بتجرد الملائكة وتجرد النفس الناطقة، ويقيمون على ذلك براهين متينة فضلاً عن أن التجرد يُستفاد من كثير من الروايات والآيات الشريفة.

يقول المحدثُ المدقق مولانا محمد تقي المجلسي (الوالد المعظم للمرحوم محمد باقر المجلسي صاحب كتاب البحار) في شرحه لكتاب (من لا يحضره الفقيه) وفي ذيل بعض الروايات: إنها تدلُّ على تجرد النفس الناطقة[1].

إلا أن بعض كبار المحدثين يقول بعدم التجرد، وغاية ما يستدلون به هو ان القول بالتجرد يعارض الشريعة، فهم يقولون بأن لا مجرد سوى الذات المقدسة للحق تعالى. وهو رأي ضعيف للغاية فمعاد هذا الرأي في أمرين:

الاول: قضية الحدوث الزماني للعالم، إذ إنهم توهّموا بأن القول بتجرد موجودٍ ما يناقض ذلك.

الثاني: كون الحق تعالى فاعلاً مختاراً، وقد توهّموا بأن ذلك ينفي تجرد عالم العقل وعالم ملائكة الله.

وكلتا هاتين القضيتين مبحوثتان في العلوم العالية بحثاً أدى الى إثبات عدم تعارض امثالها مع وجود الموجود المجرد، بل إن القول بعدم تجرد النفوس الناطقة وعالم العقل وملائكة الله يناقض الكثير من المسائل الالهية والعقائد

(١) راجع روضة المتقين: ج١، ص٤٩٢.

الحقّة، وهذا ما لا يتسع المجال لبيانه.

فالحدوث الزماني للعالم ـ بالنحو الذي تصوّره أفراد هذه الفئة ـ ينافي أصل قضية الحدوث الزماني علاوة على منافاته للكثير من القواعد الالهية الاخرى.

وفي رأيي، فإن الحق الموافق للعقل والنقل، هو أنّ لملائكة الله أصنافاً كثيرةً، كثيرٌ منها مجرد، وكثيرٌ منها جسماني برزخي ﴿**وما يعلم جنود ربك إلّا هو**﴾[1].

وعلى ما يذكر فإنّها تصنّف بحسب التقسيم العام وكموجوداتٍ ملكوتية الى قسمين:

القسم الاول: ما لا تعلّق له بعالم الاجسام منها، سواء كان تعلقاً حلولياً او تعلقاً تدبيرياً.

القسم الثاني: ما له تعلّق على أحد نحوي التعلّق المذكورين.

والطائفة الاولى على قسمين:

الاول: ما يسمى منهم بـ«الملائكة المهيمنة» وهم المستغرقون في جمال الجميل المتحيرون في ذات الجليل الغافلون عن سائر الخلائق الساهون عن الموجودات الأخرى.

وهناك بين أولياء الله من هم على شاكلة هذه الطائفة من الملائكة ايضاً، فكما أننا مستغرقون في بحر الطبيعة الظلماني غافلون عن عالم الغيب وعن ذات ذي الجلال تماماً ـ رغم أنّه هو الظاهر بالذات وأنّ كلّ ظهور هو ظلٌّ لظهوره ـ فهم غافلون عن العالم وكلّ ما فيه، مشغولون بالحق وجماله الجميل.

ورد في الحديث الشريف: **إن لله مخلوقاتٍ تجهل بأن الله خلق آدم وإبليس**[2].

الثاني: أولئك الذين جعلهم الله تعالى وسائط رحمة وجوده، فهم مبادئُ

---

(١) المدّثر: ٣١.

(٢) راجع علم اليقين: ج١، ص٢٥٠ والروضة من الكافي: ص٢٣١ ـ الحديث ٣٠١.

سلسلة الوجود وغاية أشواقها، وتسمىٰ هذه الطائفة بـ«أهل الجبروت» ورئيسها ورأسها «الروح الاعظم» ولعلّ في الآية الكريمة: ﴿تنزّل الملائكة والروح﴾ إشارةً الى هذه الطائفة من الملائكة. وتخصيص «الروح» بالذكر مع أنه من الملائكة إنما هو لعظمته، كما أشارت الى ذلك الآية الكريمة: ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفاً﴾.

كذلك وبناءً على اعتبار آخر فإن البعض يسمىٰ «الروح» بـ«القلم الاعلى» ايضاً، كما في قوله عليه السلام: «أول ما خلق الله القلم»[1].

في حين يسمّون «الروح» وبناءً على اعتبار آخر «العقل الاول» كما في قوله عليه السلام: «أول ما خلق الله العقل»[2].

وقد اعتبر بعض أن «الروح» هو جبرئيل، والفلاسفة يعتبرون جبرئيل آخر الملائكة «الكروبيين» وأنه «روح القدس» وأن «الروح» هو أول الملائكة الكروبيين.

وقد ذكرت بعض الروايات أن «الروح» هو خلقٌ أعظم من جبرئيل. فعن أبي بصير قال: سألت أبا عبدالله عن قول الله عزّ وجل: ﴿يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربّي﴾. قال: «خلقٌ أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله وهو مع الأئمة وهو من الملكوت»[3].

ولعلّ القرآن والأخبار قد استخدما نوعين من الإطلاق المفردة «الروح» كما أن أهل الاصطلاح ايضاً استخدموها في عِدّة إطلاقاتٍ، منها:

الروح: صنف من صنوف الملائكة كما في قول الصادق عليه السلام الذي مَرّ معنا حينما قال: وهو من الملكوت.

---

(١) تفسير نور الثقلين: ج٥، ص٣٨٩ الحديث التاسع وعلم اليقين: ج١، ص١٥٤.

(٢) بحار الانوار: ج١، ص٩٧.

(٣) الاصول من الكافي: كتاب الحجة ـ باب الروح التي يسدد بها الأئمة ـ الحديث الثالث والآية هي ٨٥ ـ من سورة الاسراء.

الروح: روح نفس حضرات الاولياء، وهي ليست من الملائكة، بل أعظم منهم.

وبناءً على ما تقدم ومع الأخذ بنظر الاعتبار التنزّل في ليلة القدر، يمكن أن تكون «الروح» الوارد ذكرها في سورة القدر الكريمة، تعبيراً عن «الروح الأمين» او «الروح الأعظم»، ولعلها في الآية الكريمة **﴿يسألونك عن الروح﴾** تعبير عن «الروح الانسانية» التي تفوق في مرتبة كمالها جبرئيل وسائر الملائكة عظمة، وهي «عالم الأمر» بل لعلّها تتحد مع «المشيئة» التي تمثل «الأمر المطلق».

القسم الآخر من ملائكة الله يتمثّل في أولئك الموكّلين بالموجودات الجسمانية المدبّرين لشؤونها. ولهذا القسم صنوف كثيرة وطوائف لا تُحصىٰ، إذ إن لكلّ موجودٍ علويّ او سفلي فلكي او عنصري، وجهةً ملكوتيةً يتّصل من خلالها بعالم ملائكة الله ويرتبط بجنود الحق، كما تدلّ عليه الإشارة الواردة من قبل الحق تعالىٰ في الآية الكريمة: **﴿فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون﴾**[١].

يقول الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله عن كثرة الملائكة: «**أطّت السماء وحقّ لها أن تئط، ما فيها موضع قدم إلّا وفيه ملكٌ ساجدٌ او راكع**»[٢]. وفي الروايات الشريفة إشارات كثيرة حول كثرة الملائكة وصفوفهم[٣].

المطلب الثاني: في بيان كيفية تنزّل الملائكة على وليّ الأمر.

اعلم ان «الروح الاعظم» ـ وهو خلقٌ أعظم من ملائكة الله ـ يعني أنه واقعٌ في المرتبة الأولىٰ ضمن ملائكة الله وأنه اشرف وأعظم منها جميعاً، فملائكة الله مجرّدون و«قطان» عالم الجبروت وهم لا يتجافون عن مقامهم، والنزول والصعود بالمعنىٰ الموجود للاجسام مستحيلان بالنسبة لهم؛ لأن المجرد

---

(١) يس: ٨٣.

(٢) علم اليقين: ج١، ص٢٥٩.

(٣) راجع بحار الانوار: ج٥٦، ص١٤٤ وما بعدها «ابواب الملائكة».

مبرّأ ومنزّه عن لوازم الأجسام، وعلى هذا فتنزّل الملائكة ـ سواءٌ على قلب الولي او صدره او حسّه المشترك او في بقاع الارض والكعبة وحول قبر الرسول الاكرم ﷺ او في البيت المعمور ـ انّما يتمُّ على نحو التمثيل الملكوتي او الملكي، نظير ما يذكره الله تعالىٰ في باب تنزّل «الروح الامين» على مريم عليها السلام: ﴿فتمثّل لها بشراً سوياً﴾[1]، كما يمكن أن يكون للأولياء والكُمّل ايضاً تمثّل ملكوتي و«تروّح» جبروتي.

فلملائكة الله قوّة وقدرة على الدخول في المسلك والملكوت على نحو «التمثيل»، ولكمّل الاولياء قدرة على الدخول في الملكوت والجبروت على نحو «التروّح» والرجوع من الظاهر الى الباطن.

وتصديق هذا المعنى سهلٌ على من فهم حقائق المجردات ـ سواءٌ المجرد الملكوتي او الجبروتي او النفوس الناطقة، وهي من المجردات الجبروتية او الملكوتية ايضاً ـ وتصوّر مراحل الوجود ومظاهرها ونسبة الظاهر الى الباطن والباطن الى الظاهر.

ويجب أن لا يخفىٰ، أن من غير الممكن تمثّل «الجبروتيين» و«الملكوتيين» في قلب الانسان وصدره وحسّه الا بعد خروجه من جلباب انسانيته وتناسبه مع تلك العوالم، وإلا فما دامت النفس مشتغلةً بالتدبيرات الملكية غافلة عن تلك العوالم، لا يمكن أن تحصل لها تلك المشاهدات او التمثلات.

نعم، قد يحصل احياناً ان تنصرف النفس ـ بإشارةٍ من أحد الاولياء ـ عن هذا العالم فتدرك شيئاً من عوالم الغيب وبقدر لياقتها ـ إدراكاً معنوياً او صورياً ـ وقد يحدث أحياناً أن تنصرف النفس عن الطبيعة فتدرك نموذجاً لعالم الغيب وذلك بسبب وقوع بعض الأمور الخطيرة؛ نظير ما حصل لذلك الرجل البسيط الذي حصل على وثيقة البراءة من نار جهنم عندما كان حاجاً لبيت الله الحرام،

(١) مريم: ١٧.

والتي ينقلها الشيخ الرئيس كما ينقل الشيخ العارف محيي الدين شبيها ما يقرب منها.

فحصول ذلك انما يتم بفعل انصراف النفوس عن عالم الملك وتوجهها نحو عالم الملكوت.

وقد يحدث احياناً ان تصحو نفوس الاولياء الكمّل ـ نتيجة لقوتها ـ بعد انسلاخها من العوالم ومشاهدتها «الروح الاعظم» او سائر الملائكة، ثم تحفظ حضرات الغيب والشهادة، ففي هذه الحالة تشاهد حقائق الجبروتيين في كافة النشآت في آن واحد.

وقد يحدث أحياناً أخرىٰ أن يكون تنزّل الملائكة نتيجةً لقدرة نفس الولي الكامل. والله العالم.

المطلب الثالث: اعلم، انّه ولما كانت ليلة القدر هي ليلة مكاشفة رسول الله وأئمة الهدىٰ (صلوات الله عليهم أجمعين) فإن جميع الامور الملكية يتحقق كشفها لهم من غيب الملكوت، وتظهر لهم ـ وفي نشأة الغيب وعالم القلب ـ الملائكة الموكلة بكل أمرٍ من الأمور، فتتضح لهم جميع الامور التي تم تقديرها للخلائق وكُتبت في الألواح العالية والسافلة بطريقة الكتب الملكوتية و«الإستجنان» الوجودي.

وهذه المكاشفة الملكوتية محيطة بجميع ذرات عالم الطبيعة، فلا يخفىٰ على وليّ الأمر ـ والحال هذه ـ ايّ أمرٍ من أمور الرعيّة.

وليس من تعارضٍ في انكشاف أمور سنة كاملة لهم في ليلة واحدة، او حتىٰ انكشاف امور الدهر لهم في لحظة واحدة، او انكشاف جميع المقدّرات الملكية والملكوتية، او انكشاف جميع الامور اليومية على مدى ايام السنة وعلى نحو الاجمال والتفصيل.

ورد في الحديث الشريف مثلاً ما يشير الى كيفيّة نزول القرآن، فتارة أُشير الى نزوله جملة واحدة في «البيت المعمور» وتارة أشير الى نزوله على رسول

الله ﷺ على مدى ثلاثةٍ وعشرين عاماً[1]. فالنزول في «البيت المعمور» هو نزول على رسول الله ايضاً.

عموماً، يحدث احياناً أن يكون ولي الأمر متصلاً بالملأ الاعلى والأقلام العالية والألواح المجرّدة فتحصل له المكاشفة التامة على جميع الموجودات أزلاً وابداً، وقد يحدث احياناً اخرى أن يكون الاتصال بالألواح السافلة فيكشف له مدّة مقدّرة وتكون صفحة الكون بكاملها حاضرة في محضر قطب الولاية ايضاً، فيرى عليه السلام كلَّ ما يجري من امور.

وقد اشارت الروايات الى قضيّة عرض الاعمال على وليّ الامر، فذُكر أنها تُعرض على رسول الله ﷺ وعلى أئمة الهدى عليهم السلام كل خمسين واثنين.

كما ورد في روايات اخرى أنها تعرض عليهم كلَّ صباح، او كل صباح ومساء.

وهذا الاختلاف ايضاً يستند الى الإجمال والتفصيل والجمع والتفريق.

وبمراجعة كتب التفاسير كالبرهان والصافي تظهر كثرة الاحاديث الشريفة الواردة في هذا الباب[2].

قول تعالى: ﴿سلامٌ هي حتى مطلع الفجر﴾

يعني أن هذه الليلة المباركة هي في سلامةٍ من الشرور والبليات والآفات الشيطانية الى مطلع الفجر.

أو أن السلام هو لأولياء الله وأهل الطاعة.

أو أن ملائكة الله الذين يلاقون أولياء الله وأهل الطاعة، يسلّمون عليهم نيابة عن الحق تعالى الى طلوع الفجر.

---

(١) راجع الاصول من الكافي: كتاب فضل القرآن ـ باب النوادر ـ الحديث السادس.

(٢) راجع ايضاً بحار الانوار: ج٢٣، ص٣٣٨ وص٣٤٦ وص٣٤٧.

تنبيه عرفاني

ذكرنا في بيان حقيقة «ليلة القدر» بأن التعبير عن مراتب الوجود وتعينات الغيب والشهود يكون بـ«الليل»، باعتبار احتجاب شمس الحقيقة في أُفق هذه المراتب والتعينات، وعليه فإن «ليلة القدر» هي الليلة التي يكون الحق تعالى فيها محتجباً بحسب جميع شؤون واحدية جمع الأسماء والصفات، والتي تمثل حقيقة الاسم الاعظم. وهذا تعيّن وبنية الولي الكامل، وهو رسول الله صلى الله عليه وآله في زمانه، وأئمة الهدى عليهم السلام واحداً بعد واحد من بعده.

وبناء على هذا، فإن «فجر» ليلة القدر هو الوقت الذي تظهر فيه آثار شمس الحقيقة من خلف حجب التعينات. وطلوع الشمس من أفق التعينات هو «فجر» يوم القيامة ايضاً.

ولما كانت تلك الليلة الفضيلة، هي المدّة ما بين غروب واحتجاب شمس الحقيقة في أفق التعينات لهؤلاء الاولياء الكمل الى حين مطلع الفجر - وهي مدّة ليلة القدر - فهي ليلة سالمة من الكدورات ومن التصرّفات الشيطانية مطلقاً.

ولما كانت الشمس التي احتجبت، تطلع دون كدورة ودون تصرفات شيطانية ايضاً، وبنفس الطريقة، قال تعالى: ﴿سلام هي حتى مطلع الفجر﴾.

واما سائر الليالي، فهي إما فاقدة للسلامة أصلاً - وهي ليالي بني أميّة وأمثالهم - أو انها لا تضمّ جميع معاني السلامة - وهي ليالي سائر الناس -.

خاتمة

يتضح من البيانات العرفانية والمكاشفات الإيمانية التي ظهرت بمعونة الأولياء العظام عليهم السلام للقلوب المنيرة لأهل المعرفة، أنّ سورة القدر الشريفة هي نسبة اهل البيت العظام عليهم السلام، مثلما أن سورة التوحيد الشريفة هي نسبة الذات المقدسة للحق جلّ وعلا، كما اشارت الى ذلك احاديث المعراج:

في حديث الاسراء، عن محمد بن يعقوب المسند الى أبي عبدالله عليه السلام، عن صلاة النبي صلى الله عليه وآله في السماء، قال: «... ثم أوحىٰ الله عزّ وجلّ إليه: اقرأ يا محمدُ نسبةَ ربّكَ تبارك وتعالىٰ: «اللهُ أحد*الله الصمد*لم يلد ولم يولد*ولم يكن له كفواً أحد» وهذا في الركعة الأولىٰ.

ثم أوحىٰ الله(عزّ وجلّ) إليه: اقرأ بـ«الحمد لله».

فقرأها مثل ما قرأ أولاً.

ثمّ أوحىٰ الله: اقرأ «إنّا أنزلناه» فإنّها نسبتك ونسبةُ أهل بيتك يوم القيامة»[1].

وكثيرةٌ هي الروايات الشريفة الواردة في فضل سورة القدر المباركة، منها الرواية المنقولة عن الإمام عليه السلام: «مَنْ قرأ إنّا أنزلناهُ في ليلة القدر يجهر بها صوته كان كالشاهر سيفه في سبيل الله، ومن قرأها سرّاً كان كالمتشحط بدمه في سبيل الله ومن قرأها عشرَ مرّات غفرت له على نحو ألف من ذنوبه»[2].

وفي «خواصّ القرآن» رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «مَنْ قرأ سورة القدر أعطيَ من الأجر كمنْ صام رمضان وأحيا ليلة القدر، وكان له أجر من قاتل

(١) تفسير البرهان: ج٤، ص٤٨٧ ـ سورة القدر ـ الحديث ٢٢.

(٢) الاصول من الكافي: كتاب فضل القرآن ـ باب فضل القرآن ـ الحديث السادس.

في سبيل الله»[1]. والحمد لله أولاً وآخراً.

اعتذار

رغم أن منهج التأليف في هذه الرسالة أُقيم على أساس اجتناب الحديث عن المطالب العرفانية التي لا يأنس بها العموم، والاكتفاء باستعراض الآداب القلبية للصلاة فقط، إلا أني أرى أن القلم قد جمح، فتجاوزتُ حدود الموضوع التي حددتها بخصوص تفسير السورة المباركة. لذا فلا مناص من تقديم الاعتذار الى الإخوة المؤمنين والأصدقاء الروحيين. واذا بدا لهم في هذه الرسالة ما لا يوافق مذاقهم، فلا يتهمونه بالبطلان دون تأمل، فلكلٍّ علم أهل ولكل طريق سالك و«رحم الله امرءاً عرف قدره ولم يتعدّ طوره».

ولعلّ البعض يغفل عن حقيقة الحال، ويتوهم أن بعض مطالب هذه الرسالة هي من التفسير بالرأي، نتيجة جهلهم بالمعارف القرآنية ولطائف السنن الالهية، وإنْ حصل هذا الاعتقاد فهو خطأٌ محضٌ وافتراءٌ فاحشٌ لأسباب عدّة، منها:

أولاً: أن جميع المعارف واللطائف المطروحة في هذه الرسالة مستفادة من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، وتوجد عليها شواهد مسموعة ذكر بعضها خلال الابحاث المتقدمة ولم يذكر معظمها توخّياً للاختصار.

ثانياً: أن جميع او معظم تلك المعارف واللطائف تطابق البراهين العقلية او العرفانية، ومثل هذا لا يكون تفسيراً بالرأي.

ثالثاً: غالباً ما كانت الأمور التي ذكرناها في بيان الآيات الشريفة من قبيل المصاديق للمفاهيم، وبيان المصداق ومراتب الحقائق لا يرتبط بالتفسير أصلاً لكي يكون تفسيراً بالرأي.

---

(١) تفسير البرهان: ج ٤، ص ٤٨٠ ـ سورة القدر ـ الحديث الاول.

رابعاً: بعد كل هذه المراحل، والتزاماً منا بغاية الاحتياط في الدين ـ وإنْ كان احتياطاً في غير محله ـ فقد أوضحنا الأُمور في بعض المباحث غير الضرورية على نحو الاحتمال، وعلى أساس بيان أحد الاحتمالات. ومعلومٌ أن أحداً لم يُغلق باب الاحتمال. وعلى هذا فإن ما هو موجود ليس نمطاً من التفسير بالرأي.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الباب الخامس

نبذة من آداب الركوع وأسراره

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الاول

التكبير قبل الركوع

الظاهر أنّ التكبير قبل الركوع من متعلقات الركوع، وبهدف تهيئة المصلّي لمنزل الركوع، وأدبه يكمن في مراعاة العبد مقام عظمة الحق وجلاله وعزّة الربوبية وسلطنتها، واستحضار مقام ضعف العبودية وما يرتبط بها من عجز وفقر وذلة، والعابد في هذه الحال يكبّرُ الحق تعالى عن التوصيف بمقدار معرفته بعزّ الربوبية وذُلّ العبوديّة.

وعلى العبد السالك ان يجعل من وصفه للحق تعالى وتسبيحه وتقديسه له، مجرد إطاعة للأمر وأنّه يقوم بالوصف والعبادة بإذن الحق تعالى، وإلّا فما كان ليتجرأ - وهو في الحقيقة - العبد الضعيف المعدوم الذي لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، بل إن كلّ ما لديه - من وصف الحق تعالى وتعظيمه - هو من معبوده العظيم فإذا كان عليّ بن الحسين يقول بلسان الولاية الطيّب الذي هو لسان الله: «**أفبلساني الكالّ هذا أشكرك**»[1] فماذا يتأتى من بعوضة ضعيفة؟!

اذن، فإذا أراد العبدُ السالك الدخول إلى منزل الركوع - وهو منزلٌ خطير - فعليه ان يعدّ نفسه لهذا المقام، وينفض بيده توصيفه وتعظيمه وعبادته

---

(١) من دعائه عليه السلام في الأسحار من شهر رمضان المشهور بدعاء ابي حمزة، راجع مصباح المتهجد - ص ٥٣٤.

وسلوكه ويُلقيها خلفه، ويرفع يديه بمحاذاة أذنيه ويستقبل القبلة بكفّيه الخاليتين ويدخل منزل الركوع صفر اليدين بقلب ملؤه الخوف والرجاء، الخوف من التقصير والقصور عن أداء حق مقام العبودية، والرجاء الواثق بالمقام المقدّس للحقّ الذي شرّفه بذلك وأذن له بالدخول في مثل هذه المقامات الخاصة بخلّص الاولياء وكمّل الأحباء.

ولعلّ في رفع اليدين بهذه الكيفية إشارة الى ترك مقام القيام وترك الوقوف عند ذلك الحدّ، وإشارةً الى عدم التزوّد من منزل القيام.

ولعلّ في التكبير إشارةً الى تعظيم الحق وتكبيره عن أشكال التوصيف التي أتىَ بها في منزل القيام.

ولما كان الركوع هو منزل توحيد الصفات ـ عند أهل المعرفة ـ فتكبير الركوع ـ عندهم ـ هو تكبير للحق عن هذا التوحيد، ورفع اليد إشارة الى رفض صفات الخلق.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

الفصل الثاني

في آداب الانحناء الركوعي

اعلم أن أحوال الصلاة الرئيسية ثلاثة، وسائر الأعمال والافعال هي مقدمات ومهيئات لها، فأحوال الصلاة هي:

اولاً: القيام.

ثانياً: الركوع.

ثالثاً: السجود.

وأهل المعرفة يعتبرون هذه الاحوال الثلاثة، إشارات الى التوحيدات الثلاثة. وقد ذكرنا نحن هذه المقامات في كتاب «سرّ الصلاة» بحسب الذوق العرفاني، وسنوضحها هنا بلغةٍ اخرى تناسب العامة فنقول:

لما كانت الصلاة هي المعراج الكمالي للمؤمن وقربان اهل التقوى، فهي متقوّمة بأمرين أحدهما مقدمة للآخر.

الاول: ترك رؤية النفس وحبها، وفي ذلك حقيقة التقوى وباطنها.

الثاني: حبُّ الله وطلبه، وهو حقيقة المعراج والقرب، ولهذا ورد في الاحاديث الشريفة أن «الصلاة قربانُ كل تقي»[1]. كذلك فإن القرآن الكريم هو نور الهداية

---

(١) الفروع من الكافي: كتاب الصلاة ـ باب فضل الصلاة ـ الحديث السادس.

ولكن «للمتقين». يقول تعالى ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هُدىً للمتقين﴾[١].

وإجمالاً فهذان الامران يحصلان في المقامات الثلاثة ـ القيام، الركوع والسجود ـ على نحو التدريج. فيكون في القيام ترك لرؤية النفس بحسب مقام الفاعلية، ورؤية فاعلية الحق وقيوميته المطلقة.

وفي الركوع، تركٌ لرؤية النفس بحسب مقام الصفات والاسماء، ورؤية مقام اسماء الحق وصفاته.

وفي السجود، ترك لرؤية النفس مطلقاً، وحبُّ الله وطلابه مطلقاً.

ومنازل السالكين جميعاً، هي من شؤون هذه المقامات الثلاثة كما هو واضحٌ لأهل البصيرة واصحاب العرفان والسلوك.

فإذا أدرك السالك في هذه المقامات أنّ التوحيدات الثلاثة هي السرُّ في هذه الاعمال، فعليه أن يدرك أن الحاجة الى المراقبة تشتد في المقام الادقِّ والألطف من تلك المقامات، إذ من الطبيعي أن الخطر في ذلك المقام سيكون أشدّ والمنزلقات أخطر.

عليه فإن على السالك في مقام الركوع ـ ولما كان ما يدّعيه هو أنّ ما من علمٍ ولا قدرةٍ ولا حياة ولا إرادةٍ في دار الوجود إلا وهي من الحق تعالى، ولمّا كان هذا الادّعاء خطيراً للغاية وتعبيراً عن مقام دقيق تماماً، لا يناسب صدوره من امثالنا لحضرة الذات المقدسة ـ التوجّه الى حضرة الحق وسؤاله بتضرع ومسكنة وتذلل، وطلب العفو عن القصور والتقصير، وإدراك النقص بعين العيان وشهود الوجدان عسى أن تشمله التفاتة وعناية من الحق تعالى، فيصبح الاضطرار سبباً لمعونة الذات المقدسة له: ﴿أمّن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء﴾[٢].

(١) البقرة: ٢.

(٢) النمل: ٦٢.

الفصل الثالث

التسبيح والتعظيم والتحميد

ورد في الحديث عن صلاة معراج رسول الله صلى الله عليه وآله، انه صلى الله عليه وآله وبعد ركوعه خوطب من قبل ربّ العزّة: «... فانظر الى عرشي». قال رسول الله: **فنظرت الى عظَمة ذهبت لها نفسي وغُشي عليّ، فأُلهمتُ ان قُلتُ: سبحان ربي العظيم وبحمده، لعظم ما رأيت. فلما قلت ذلك تجلّى الغشي عني حتى قلتها سبعاً، أُلهمُ ذلك، فرجعت إليّ نفسي كما كانت...**[1].

تأمل يا عزيزي في مقام عظمة سلوك سيّد الجميع والهادي الى السبل صلى الله عليه وآله كيف شاهد وهو في حال الركوع ـ وهو النظر الى ما دون ـ نور العرش، ولما كان نور العرش في نظر الاولياء مظهراً للذات دون مرآة، لذا زال «التعيّن النفسي» فحصلت حالة الغشوة والصعق، وهنا أعانت الذات المقدسة بألطافها الأزلية ذلك الوجود الشريف صلى الله عليه وآله فلقّنه الحق تعالى: «التسبيح والتعظيم والتحميد» بواسطة «الإلهام الحبّي» حتى رجعت اليه نفسه وصحا بعد تكرار هذا الالهام سبع مرات ـ بعدد الحجب وعدد مراتب الانسان ـ وتكررت هذه الحالات معه صلى الله عليه وآله على مدى صلاته.

---

(١) علل الشرائع: ص٣١٥ مقطع من حديث صلاة المعراج.

والآن، ولما كان لا سبيل لنا الى خلوة الأنس ولا محل لنا في مقام القدس فحريٌّ بنا اتخاذ الاعتراف بالعجز وإظهار الذلة وسيلة للوصول الى المقصد، والحصول على المطلوب، فلا نرفع أيدينا عن أذيال المقصود حتى نحصل على أمنية القلوب ولذتها.

واذا لم نكن أهلاً لذلك فعلينا ـ في الأقل ـ أن نستمدَّ العون من هداة الطريق ونستعين بروحانية الكُمّل عسىٰ أن نتنسم نفحةً من المعارف وعسى ان تهب على اجسادنا الميتة نفحات من اللطائف، «إذ إن من عادته الإحسان ومن شيمته التفضل».

ولتعلم يا عزيزي، أن الركوع مشتمل على «التسبيح والتعظيم والتحميد» للرب جلَّ وعلا، فالتسبيح تنزيه عن التوصيف وتقديسٌ عن التعريف، والتعظيم والتحميد، خروجٌ عن حدِّ التشبيه والتعطيل؛ لأن التحميد يفيد الظهور الالهي في المرايا الخلقية، والتعظيم يظهر سلب التحديد، فهو إذن ظاهرٌ وما من ظهور في العالم أظهر منه، وهو غير متلبس بلباس التعينات الخلقية.

الفصل الرابع

لطائف الركوع والسجود

في مصباح الشريعة، قال الصادق عليه السلام: «لا يركعُ عبد لله ركوعاً على الحقيقة، إلا زينهُ الله تعالى بنور بهائه، وأظلّه في ظلال كبريائه، وكساهُ كسوة أصفيائه.

والركوع أوّلٌ، والسجود ثانٍ؛ فمن أتى بمعنى الأول، صلح الثاني.

وفي الركوع أدبٌ وفي السجود قربٌ؛ ومن لا يحسن الادب، لا يصلح للقرب.

فاركع ركوع خاضع لله بقلبه، متذلل وجل تحت سلطانه، خافض له بجوارحه خفض خائف حزن على ما يفوته من فائدة الراكعين.

وحكي أن الربيع بن خثيم كان يسهر بالليل الى الفجر في ركعة واحدة؛ فإذا أصبح، رفع [تزفر -خ] وقال: آه، سبق المخلصون وقطع بنا.

واستوفِ ركوعك باستواء ظهرك. وانحطّ عن همّتك في القيام بخدمته إلّا بعونه. وفرّ بالقلب من وساوس الشيطان وخدائعه ومكايده فإن الله تعالى يرفعُ عباده بقدر تواضعهم له؛ ويهديهم الى أصول التواضع

والخضوع بقدر اطلاع عظمته على سرائرهم»[١].

وفي الحديث الشريف اشاراتٌ وبشاراتٌ وآدابٌ ووظائف:

فـ «**التزيّن بنور بهاء الله**» و«**الاظلال في ظلّ كبرياء الله**» و«**التكسي بكسوة أصفياء الله**» هي بشارات الوصول الى مقام التعلّم الأسمائي، ومقام ﴿**علّم آدم الاسماء كلّها**﴾[٢]، والوصول الى التحقّق بمقام الفناء الصفاتي وحصول حالة الصحو من هذا المقام، لأن تزيين الحق للعبد بمقام «نور البهاء» يعني جعله متحققاً بمقام الاسماء وهو حقيقة «التعليم الآدمي».

كما ان نقله الى ظلّ «الكبرياء» ـ وهو من الاسماء القهرية ـ ومنحه محلاً في فنائه يعني إفناء العبد عن نفسه، ثم إنّ إكساءه بكسوة الاصفياء هي إبقاء له بعد الإفناء، ومن هنا يتضح أن السجود هو فناء ذاتي، كما قال أهل المعرفة، لأن «الركوع أولٌ» وهو تلك المقامات، و«السجود ثانٍ»، لذا فهو ليس سوى مقام «الفناء في الذات».

كما يتضح ان القرب المطلق الذي يحصل في السجود، لا يتيسر إلّا بحصول «الركوع على الحقيقة».

فمن يريد الحصول على الأهلية «للثاني» عليه أن يحصل أولاً على «القرب الركوعي» وأدبه.

وبعد أن يُبيّن عليه السلام لطائف الركوع والسجود وأسرارها، يشير الى آداب الركوع القلبية وبما يناسب المتوسطين، فيذكر أموراً بعضها من الآداب العامة التي ذكرناها في المقدمات وبعضها خاصّ بالركوع، ولما كنّا قد وضحنا أكثرها، نصرف النظر عن تفصيلها هنا.

---

(١) مصباح الشريعة: ص١٢ وبحار الانوار: ج٨٢، ص١٠٨.

(٢) البقرة: ٣١.

الفصل الخامس

في رفع الرأس من الركوع

وسرّه الرجوع عن الوقوف في الكثرات الاسمائية، يقول عليه السلام: «**وكمال التوحيد نفيُ الصفات عنه**»[1]. فبعد حصول حالة الصحو من الفناء الأسمائي، يشاهد العبد السالك قصوره وتقصيره، وذلك لأن مبدأ الخطيئة الآدمية التي ينبغي لذرّية آدم التكفير عنها هي خطيئة التوجه نحو الكثرات الاسمائية المتمثلة بباطن الشجرة.

فإذا أدرك العبد السالك خطيئته المتمثلة في كونه من الذرية وخطيئة آدم، وهي أصلها، يدرك عندها مقام تذلّله ونقصه ويستعد لرفع الخطيئة من خلال خفض الجناح في حضرة الكبرياء، فيقيم الصُلب في هذا المقام ويرفع الكثرات الاسمائية بالتكبير الذي يعقب الركوع ويتوجه وهو صفر اليدين الى منزل الذلّة والمسكنة وأصل الترابيّة.

والآداب المهمة لذلك: إدراك عظمة خطر المقام وتحسيس القلب بها من خلال التذكّر التامّ، والمجاهدة للتوجه الى حضرة الذات وترك التوجه نحو النفس كلّياً حتى التوجه الى مقام ذلّتها.

ولتعلم يا عزيزي، أن التذكر التام لحضرة الحق والتوجه المطلق بباطن

---

(١) الاصول من: كتاب التوحيد ـ باب جوامع التوحيد ـ الحديث السادس.

القلب لتلك الذات المقدسة، يؤديان الى فتح البصيرة، الأمر الذي يحصل به «لقاء الله» وهو قُرّة عين الاولياء، ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سُبلنا﴾[1].

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

(١) العنكبوت: ٦٩.

الباب السادس

إشارة إجمالية إلى أسرار السجود وآدابه

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الأول

سر السجود إجمالاً

السجود عند اصحاب العرفان وأرباب القلوب: ترك النفس وغمض العين عن كلّ ما سوى الحق تعالى والتحقق بالمعراج اليونسي ـ الذي حصل بالدخول في بطن الحوت ـ وذلك من خلال توجه العبد الى أصله دون رؤية الحجاب.

وفي وضع الجبهة على التراب إشارةٌ الى رؤية جمال الجميل في باطن قلب التراب وأصل عالم الطبيعة.

وتتمثل آدابه القلبية في معرفة العبد حقيقته وأصل وجوده، ووضع «أمّ الدماغ» ـ وهو مركز سلطان النفس وعرش الروح ـ على أدنى عتبةٍ من مقام القدس ورؤية التراب في عتبة مالك الملوك.

إذن، فسرُّ الوضع السجودي هو تطهير العين من رؤية النفس. وأدب وضع الجبهة على التراب هو إسقاط العبد لأعلى مقامات نفسه من أن تراها عينه، وعدّها أوضع من التراب مرتبةً. واذا كان في القلب شيءٌ من عدم الرضا على هذه الادعاءات التي تترجمها اوضاع الصلاة، فذاك ـ في نظر أهل المعرفة ـ نفاق.

ولمّا كان الخطر في هذا المقام أشدَّ الأخطار، وجب على السالك الى الله التمسك ـ استناداً الى جبلّته وفطرته القلبية ـ بأذيال ألطاف الحق جلّ وعلا، وسؤاله العفو عن التقصيرات بتذلل ومسكنة. فهذا المقام محفوف بالمخاطر

التي تفوق طاقة أمثالنا.

ولمّا كنّا قد تحدّثنا عن هذه المقامات بشكلٍ مفصّل في رسالة «سرّ الصلاة»، فسنكتفي هنا بإيراد الرواية الشريفة التي ذكرها صاحب مصباح الشريعة والتي تتحدث عن آداب السجود.

الفصل الثاني

آداب السجود

في مصباح الشريعة، قال الصادق عليه السلام: «ما خسر والله، من أتى بحقيقة السجود ولو كان في العمر مرّة واحدة، وما أفلح من خلا بربّه في مثل ذلك الحال تشبيهاً بمخادع نفسه، غافلاً لاهياً عما أعدّه الله للساجدين من أنس العاجل وراحة الآجل.

ولا بَعُد عن الله أبداً من أحسن تقرّبه في السجود، ولا قرب اليه أبداً من أساء أدبهُ وضيّع حرمته بتعلّق قلبه بسواه في حال سجوده.

فاسجد سجود متواضع لله تعالى ذليل، علم أنّه خلق من تراب يطؤه الخلق وأنه اتُّخذ [رُكّب -خ.ل] من نطفة يستقذرها كلُّ أحد، وكوّن ولم يكن.

وقد جعل الله معنى السجود سبب التقرُّب اليه بالقلب والسرّ والروح، فمن قربَ منه بعدَ من غيره.

ألا ترى في الظاهر أنّه لا يستوي حال السجود إلّا بالتواري عن جميع الأشياء والاحتجاب عن كلّ ما تراه العيون، كذلك أمرُ الباطن.

فمن كان قلبه متعلّقاً في صلاته بشيء دون الله فهو قريبٌ من ذلك الشيء بعيدٌ عن حقيقة ما أراد اللهُ منه في صلاته، قال الله عزّ وجل: ﴿ما

جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾[١].

وقال رسول الله ﷺ: «**قال الله تعالى: لا أطّلعُ على قلب عبد فأعلم حبَّ الإخلاص لطاعتي لوجهي وابتغاء مرضاتي، إلّا تولّيتُ تقويمه وسياسته، ومن اشتغل بغيري فهو من المستهزئين بنفسه، ومكتوبٌ اسمه في ديوان الخاسرين**»[٢].

والحديث الشريف يجمع بين بيان الأسرار وبيان الآداب. والتدبّر فيه يفتح للسالك الى الله سبلاً من المعرفة ويحطّم رفض وجحود المنكرين. كما أنه يؤيّد أولياء العرفان واصحاب الإيقان وينبّه الى حقيقة الأنس والخلوة بالحق وترك غيره تعالى.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) الاحزاب: ٤.

(٢) مصباح الشريعة: الباب السادس عشر (في السجود).

الفصل الثالث

التسبيح

ورد في الحديث الشريف «أنّه لمّا نزلت: ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾[1] قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اجعلوها في ركوعكم. فلما نزل قوله تعالى ﴿سبح اسم ربّك الأعلى﴾[2] قال صلى الله عليه وآله: اجعلوها في سجودكم»[3].

وورد في الحديث الشريف المروي في الكافي أن: «... أول ما اختار [الله] لنفسه: العلي العظيم»[4].

لعلّ «العليّ» هو أول الاسماء الذاتية و«العظيم» هو أول الاسماء الصفاتية.

عموماً، اعلم أنّ في السجود ـ كما هو الحال في سائر اوضاع الصلاة ـ هيئةً وحالةً وذكراً وسرّاً، وهي امور بيّناها للكمّل في هذه الرسالة على نحو الاشارة، لأن التفصيل فيها يخرج عن اطارها.

اما للمتوسطين فنقول إن هيئة السجود هي إرادةُ العبد السالك الترابيّة، وترك الاستكبار والعُجب وتمريغ الانف فيه من قبل المصلي ـ وهو من

---

(١) الواقعة: ٧٤.

(٢) الاعلى: ١.

(٣) مجمع البيان: ذيل الآية ٧٤ من سورة الواقعة (ج ٩، ص ٢٢٤).

(٤) الاصول من الكافي: كتاب التوحيد ـ باب حدوث الاسماء ـ الحديث الثاني.

المستحبات المؤكدة بل إنّ تركه خلاف الاحتياط ـ هو إظهارٌ للتخضّع والتذلل والتواضع الكامل، والتفاته الى أصل نفسه واستذكار نشأته.

كذلك فإن وضع الاعضاء الظاهرة الرئيسة ـ وهي الاعضاء السبعة او الثمانية التي تمثل محال الإدراك وظهور الحركة والقدرة ـ على أرض المذلّة والمسكنة يعدُّ علامة للتسليم التام من قبل العبد الساجد وتقديمه كافّة قواه، وخروجه من الخطيئة الآدمية.

فإذا استحكمت هذه المعاني في القلب وتأثر الأخير بها، حصلت للعبد حالةُ الفرار من نفسه وترك العُجب مما سيثمر حالة الأنس، ثم الخلوة التامة وظهور المحبّة الكاملة.

أمّا الذكر في السجدة فمتقوّمٌ بالتسبيح الذي يمثل تنزيهاً عن التوصيف وعن إطاعة الأمر، او التنزيه عن التكثير الاسمائي أو التنزيه عن التوحيد، فهو «تفعيل» يُعبّر عن الانتقال من الكثرة إلى الوحدة وهذا لا يخلو من شائبة التكثير والتشريك، مثلما أن التوصيف بالعلوّ الذاتي والتحميد لا يخلو أيضاً من شائبة هذه المعاني.

و«العليُّ» من الاسماء الذاتية، وهو اسم اختاره الحقُّ لنفسه ـ حسبما ورد في الحديث المرويّ في الكافي ـ يعني أنّ التجلّي الأول لذاته كان لذاته هو تعالى.

فإذا فني السالك عن نفسه في مقام السجود، وأعرض عن العالم وما فيه، فإنه يباهي حينها بذلك التجلي الذاتي.

ولتعلم أنه ولمّا كان «الركوع أولٌ والسجود ثانٍ» فإن التسبيح والتحميد متمايزان فيهما، كما أن «ربّ» يختلف في الأول عن الثاني، لأن «الربّ» كما قال اهل المعرفة هو من الاسماء الذاتية والصفاتية والافعالية بثلاثة اعتبارات. وعليه فقد يكون «ربّ» في «الحمد لله ربّ العالمين» من الاسماء الفعليّة لمناسبته لمقام القيام وهو مقام التوحيد الافعالي، لكنه في الركوع من الاسماء الصفاتية لمناسبة أن الركوع هو مقام توحيد الصفات، وفي السجود من الاسماء الذاتية

لمناسبة أن السجود هو مقام توحيد الذات.

كذلك فإن التسبيح والتحميد يرتبطان بأيّ مقامٍ من المقامات الثلاثة ومعاً فيه.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الرابع

الذكر في السجود

بناءً على ما ورد في حديث صلاة المعراج، فإنَّ السجدة هي غشوةٌ وصعقٌ تحصل نتيجةً لمشاهدة انوار عظمة الحق، فإذا ذهل العبدُ عن نفسه وحصلت له حالةُ المحو والصعق، شملته حينئذٍ العنايةُ الأزلية وصار ملهماً بالالهام الغيبيّ.

والذكرُ في السجود وتكراره من أجل حصول حالة الصحو ورجوع نفس العبد إليه. فإذا رجعت إليه اشتعلت في قلبه نارُ الاشتياق الى مشاهدة نور الحق فيرفع رأسه من السجدة. فإذا رأىٰ في نفسه بقايا من الأنانية يشير بيده الى رفضها، وعندها يتجلّىٰ نور العظمة ثانيةً له فيحرق تلك البقيّة من الانانية فيفنىٰ من الفناء ويكبّر، فتحصل له حالة المحو الكلي المطلق والصعق الحقيقي التام. ثم تمتدّ اليه يد المعونة الغيبية من خلال إلهام الأذكار فتمكنه من هذا المقام، فتحصل له حالة الصحو في هذا المقام، وهو صحو مقام الولاية المنزّه عن أي احتجاب وشائبة خلقية. وهذا الصحو بعد المحو يحصل في حال التشهد والسلام ـ التي تعدُّ من أحكام الكثرة ايضاً ـ وعندئذٍ تستكمل وتتمُّ دائرة السير الانساني.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الباب السابع

إشارة إجمالية إلى آداب التشهّد

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الأول

الشهادة بالوحدانية

اعلم أن الشهادة بالوحدانيّة والرسالة في الأذان والإقامة ـ وهما من متعلقات الصلاة ومقدمات الدخول فيها ـ وكذلك في «التشهّد» في آخر الصلاة ـ حيث الخروج من الفناء الى البقاء ومن الوحدة الى الكثرة ـ هذه جميعاً تذكّر العبد السالك بأن حقيقة الصلاة هي حصول التوحيد الحقيقي، وبأن الشهادة بالوحدانية هي من المقامات الشاملة التي ترافق السالك منذ أول الصلاة وحتى آخرها.

كما أنّ فيها ايضاً سرّ «أوليّة» و«آخرية» الحق جلّ وعلا، وسرّاً عظيماً آخر يتلخّص في أن سفر السالك هو من الله والى الله: ﴿كما بدأكم تعودون﴾[1].

فعلى السالك إذن أن يكون متوجهاً الى هذا المقصد في جميع المقامات، وأن يوصل الى قلبه حقيقة وحدانية الحق وألوهيته، وأن يجعل قلبه في هذا السفر المعراجي إلهياً، لكي تصبح شهادتهُ حقيقةً ويتنزه عن النفاق والشرك.

ولعلّ في الشهادة بالرسالة إشارةً الى أن معونة الوليّ المطلق والنبي الخاتم في هذا المعراج السلوكي، هي من المقامات الشاملة ايضاً والتي يجب أن يتوجّه

(١) الاعراف: ٢٩.

إليها السالك في كافة المقامات، ويتضح له سرُّ ظهور «الأوليّة» و«الآخرية» التي هي من مقامات الولاية.

ولا يخفى أنّ هناك فرقاً بين «الشهادة» التي في أول الصلاة و«الشهادة» التي في آخرها، لأن الأولى شهادةٌ قبل السلوك ـ وهي شهادة تعبدية او تعقليّة ـ في حين أن الأخيرة شهادة بعد الرجوع، فهي شهادةٌ «تحققيّة» او «تمكُّنيّة».

لذا فإنَّ الشهادة في التشهد خطرٌ عظيم، لأنَّ فيها دعوى التحقق والتمكن وادّعاء الرجوع الى الكثرة دون احتجاب.

ولمّا كان هذا المقام الرفيع لا يتحقق لأمثالنا، بل لا يتوقّع حصوله لنا مع ما نحن عليه من الحال، فإن ما ينبغي لنا من الأدب في حضرة الباري هو استحضار قصورنا وذلتنا ونقصنا وعجزنا وانقطاع حيلتنا، والتوجه الى الفِناء المقدس بغاية الخجل.

اللهم نحن لا حظّ لنا من مقامات الأولياء ومدارج الأصفياء وكمال المخلصين وسلوك السالكين سوى الالفاظ، وقد اكتفينا عن جميع المقامات بـ«القيل والقال»، وهذه لا تؤدي الى حصول كيفية أو إقبال.

ربّاه، لقد حجَبنا حبّ الدنيا وتعلّقاتها عن حضرة قدسك ومحفل أنسك، فما من سبيل إلّا أن تغنينا نحن الخاوين بألطافك الخفيّة، وتجبر ما فاتنا عسى أن نفيق من غفلتنا ونتخذ سبيلاً إلى محضر القدس.

الفصل الثاني

التشهد

في مصباح الشريعة، قال الصادق عليه السلام: «التشهدُ ثناءٌ على الله(تعالىٰ) فكن عبداً له في السرّ خاضعاً له في الفعل، كما أنّك عبدٌ له بالقول والدعوىٰ.

وصِلْ صدقَ لسانك بصفاء صدق سرّك، فإنّه خلقك عبداً وأمرك أن تعبدَه بقلبك ولسانك وجوارحك وأن تحقق عبوديتك له بربوبيته لك، وتعلم أن نواصيَ الخلق بيده، فليس لهم نفس ولا لحظ إلّا بقدرته ومشيئته، وهم عاجزون عن إتيان أقل شيء في مملكته إلّا بإذنه وإرادته. قال(تعالىٰ): ﴿وربُّك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله عما يشركون﴾[1]، فكن عبداً شاكراً بالفعل كما أنّك عبدٌ ذاكرٌ بالقول والدعوىٰ.

وَصِلْ صدق لسانك بصفاء سرّكَ، فإنه خلقكَ فعزّ وجلّ أن يكون إرادة ومشيئة لأحد إلّا بسابق إرادته ومشيئته، فاستعْمِلِ العبوديّة في الرضا بحكمِه، وبالعبادة في أداء أوامِره.

وقد أمرك بالصلاة على نبيّه [حبيبه ـ خ. ل] صلى الله عليه وآله فوصلَ صلاته

---

(١) القصص: ٦٨.

بصلاته وطاعته بطاعته وشهادته بشهادته. وانظر لا تفوتك بركات معرفة حرمته فتحرم عن فائدة صلاته وأمره بالاستغفار لك والشفاعة فيك، إن أتيت بالواجب في الأمر والنهي والسنن والآداب، وتعلّم جليل مرتبته عند الله (عزّ وجلّ)[١].

في الحديث الشريف إشاراتٌ الى آداب العبادات القلبية وحقائقها وأسرارها، كما في وصفه عليه السلام التشهّد بأنه «**ثناء على الله تعالى**». وقد تقدّمت الإشارة الى ان مطلق العبادات ثناء على الحق إما باسم أو أسماء، وإما بتجلٍّ من التجلّيات، وإمّا بأصل الهوية.

كذلك فهو يشير الى أهم الآداب، فيخاطب العابد السالك ويقول: إن عليك أن تكون عابداً في السرِّ كما هو الحال في كونك عابداً في الظاهر، وفي ادّعائك العبودية، ذلك لكي تسري العبودية السريّة القلبية فتشمل أعمال الجوارح أيضاً، فيصبح العمل والقول صورةً للباطن والسرّ، ولكي تسري حقيقة العبودية الى جميع أجزاء الوجود سواءً الظاهرية منها أو الباطنية، فيحصل كلُّ عضوٍ من الأعضاء على حظّه من التوحيد ويوصل اللسان ذكره الى القلب، ويفيض القلب الموحّد المخلص بالتوحيد والاخلاص على اللسان.

وعلى السالك ان يطلب الربوبيّة من حقيقة العبودية ويخرج من العجب ويوصل الى القلب ألوهيّة الحق، ويعلم أن نواصي الخلق بيد الحق تعالى، فليست لهم قدرة التنفس والرؤية إلا بقدرته ومشيئته تعالى، فهم عاجزون عن التصرّف في مملكة الحق بأي نحوٍ كان ـ حتى اذا كان غاية في البساطة ـ دون إذن الذات المقدسة وإرادتها: **﴿وربُّك يخلقُ ما يشاءُ ويختارُ ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون﴾**[٢]، فليس لأحدٍ اختيارٌ على نحو الاستقلال، والحقُّ تعالى منزّه عن وجود شريك له في التصرّف في مملكة

---

(١) مصباح الشريعة: الباب السابع عشر (في التشهد).

(٢) القصص: ٦٨.

الوجود.

وإذا أوصلت هذه اللطيفة إلى قلبك ايها العابد السالك، اصبح شكرك للحق حقيقياً، وشمل عندها أعضاءك وأعمالك.

وكما أنّ اللسان والقلب يجب أن يكونا مترادفين في العبودية، كذلك ينبغي لك ـ أيها العابد السالك ـ أن تصلَ صدق لسانك بصفاء سرِّ قلبك في التوحيد الافعالي ايضاً؛ لأنّ الحق جلّ وعلا هو الخالق ولا مؤثر سواه، وكلُّ إرادة ومشيئةٍ هي ظلٌّ إرادته ومشيئته الأزلية السابقة.

ثم وبعد التحلّي بآداب الشهادة بوحدانيّة الحق وألوهيته، على العابد السالك أن يتوجّه الى المقام المقدّس للعبد المطلق والرسول الخاتم صلى الله عليه وآله فيتنبّه من خلال تقدّم مقام «العبودية» على مقام «الرسالة» الى أنّ العبودية هي مقدّمة لجميع مقامات السالكين، وأنّ الرسالة فرع العبودية. ولمّا كان الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله عبداً حقيقياً فانياً في الحقّ، فطاعته طاعة الحقّ. والشهادة بالرسالة موصولةٌ بالشهادة بالوحدانية. وعلى العبد السالك أن يراقب نفسه، لكي لا يقصّر في طاعة الرسول صلى الله عليه وآله وهي طاعة الله، ولئلا يُحرم من بركات العبادة المتمثلة في الوصول الى حضرة القدس بمعونة الولي المطلق، وأن يعلم أنه لا يؤذن لأحدٍ بالدخول الى حضرة القدس ومحفل الأنس إلّا بمعونة وليّ النعم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الباب الثامن

في آداب السلام

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الأول

السلام

اعلم أنّ العبد السالك إذا رجع إلى نفسه من مقام السجود الذي سرّه «الفناء»، وحصلت له حالة الصحو واليقظة، ورجع من حال الغيبة عن الخلق إلى حال الحضور، سلّم حينئذٍ على الموجودات سلام العائد من السفر والغيبة. فيسلّم أولاً على النبي الاكرم صلى الله عليه وآله، ذلك لأن أول حقيقة تتجلى له بعد الرجوع من الوحدة إلى الكثرة هي حقيقة الولاية: «**نحن الأولون السابقون**»[1].

ثم يلتفت بعد ذلك الى اعيان الموجودات الأخرى على نحو التفصيل والجمع.

ومَن لم يكن غائباً عن الخلق في صلاته، ولم يكن مسافراً الى الله، فلا حقيقة للسلام بعد الصلاة بالنسبة له. وسلامه ليس سوى لقلقة لسان.

فالأدب القلبي للسلام مرتبطٌ بأدب الصلاة بكاملها، فإذا لم يحصل للمصلي الذي تمثّل حقيقة المعراج، عروجٌ ولم يخرج من بيت النفس، فلا سلام له.

كذلك إذا تحققت للمصلي ـ في هذا السفر ـ السلامة من تصرّفات الشيطان والنفس الأمّارة بالسوء، ولم يكن في قلبه من عِلةٍ طوال هذا المعراج الحقيقي، فسلامهُ حقيقيٌ وإلّا لا سلام له.

---

(١) في بحار الانوار: ج١٥، ص١٥ عن امير المؤمنين عليه السلام وفيه «... فنحن الأولون ونحن الآخرون» وفي صحيح البخاري: ج١، ص٣٦ وفيه «... نحن الآخرون ونحن السابقون».

نعم، السلام على النبي صلى الله عليه وآله - بناءً على ذلك - سلام له حقيقة لأنه صلى الله عليه وآله متصف في هذا السفر - المعراج والسير الى الله - بالسلامة صعوداً ونزولا، فهو صلى الله عليه وآله منزّه على مدى ذلك السير عن تصرفات غير الحق. وقد تقدمت الاشارة الى هذا ضمن الحديث عن تفسير سورة القدر المباركة.

الفصل الثاني

معنى السلام

في مصباح الشريعة، قال الصادق عليه السلام: «معنى السلام» في دُبُرِ كلِّ صلاة الأمانُ؛ أي، من أدّى أمرَ الله وسُنّةَ نبيّه صلى الله عليه وآله خاشعاً منه قلبُهُ، فله الأمانُ من بلاء الدنيا وبراءةٌ من عذاب الآخرة.

و«السلام» اسمٌ من أسماء الله (تعالىٰ) أودعه خَلْقَهُ ليستعملوا معناه في المعاملات والأمانات والإضافات وتصديق مصاحبتهم فيما بينهم وصحّة معاشرتهم.

وإذا أردتَ أن تضع السلام موضعه وتؤدي معناهُ فاتّق الله، وليسلَمْ منك دينك وقلبك وعقلك ولا تدنّسها بظلمة المعاصي، ولتسلم حفظتك أن لا تبرمهم [أي لا تضجرهم] ولا تملّهم وتوحشهم منك بسوء معاملتك معهم، ثم صديقك ثم عدوّك؛ فإنّ من لم يسلم منه من هو الأقرب اليه فالأبعدُ أولىٰ، ومن لا يضعُ «السلام» مواضعه هذه، فلا سلام ولا تسليم [سلم ـ خ]؛ وكان كاذباً في سلامه وإن أفشاه في الخلق»[1].

الحديث يعرّف «السلام» في آخر الصلاة بأنّه «الأمان»، بمعنىٰ أنّ مَن يؤدي

(١) مصباح الشريعة: الباب الثامن عشر (في السلام)، وبحار الانوار: ج٨٢، ص٣٠٧.

الأوامر الإلهية والسنن النبوية بخشوع قلبي فهو آمنٌ من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة، أي أنّه آمن من التصرفات الشيطانية في الدنيا لأن أداء الأوامر الالهية بخشوعٍ قلبي يؤدي الى قطع تسلّط الشيطان: ﴿**إنّ الصلاة تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر**﴾[1].

ثم إنّ الحديث يشير الى سرٍّ من أسرار «السلام» فيقول: «**السلام» اسمٌ من أسماء الله تعالىٰ أودعه خلقه**، وهذه إشارة الى مظهرية الموجودات من الاسماء الإلهية، وعلى العبد السالك أن يُظهر هذه اللطيفة الالهية التي أودعت باطن ذاته وأخفيت في طينته، ويستعملها في جميع المعاملات والمعاشرات والأمانات والعلاقات، ويجعلها سارية في مملكة باطنه وظاهره، ويلجأ اليها في المعاملات مع الحق ودين الحق تعالىٰ، لكي لا يكون خائناً لهذه الوديعة الإلهية، ثم ينقل حقيقة «السلام» الى جميع قواه الملكية والملكوتية وإلى جميع عاداته وعقائده وأخلاقه وأعماله لكي يسلم هو نفسه من جميع التصرّفات.

وقد أشار الحديث الى أنّ الطريق لتحصيل هذه السلامة هي «التقوىٰ». وتجدر الإشارة الى ان للتقوىٰ مراتب ومنازل:

فتقوىٰ الظاهر: هي حفظ الظاهر من قذارات المعاصي القالبية وظلمتها، وهي تقوى العامّة.

وتقوىٰ الباطن: هي حفظ الباطن وتطهيره من الإفراط والتفريط وتجاوز حدِّ الاعتدال في الأخلاق والغرائز الروحيّة، وهذه تقوىٰ الخاصة.

وتقويٰ العقل: هي حفظه وتطهيره من أن يستهلك في العلوم غير الالهية. ومرادنا من «العلوم الالهية»: العلوم المرتبطة بالشرائع والأديان الالهية. وجميع العلوم الطبيعية إذا كانت من أجل معرفة مظاهر الحق فهي إلهيّة، اما اذا لم تكن كذلك فهي ليست إلهيّةً وإنْ كانت مباحث في المبدأ والمعاد. وهذه تقوىٰ

(١) العنكبوت: ٤٥.

أخصّ الخواص.

وتقوى القلب: هي حفظه من مشاهدة ومذاكرة غير الحقّ، وهي تقوى الأولياء، حيث حصول الخلوة القلبية. والحديث القدسي الشريف: «**أنا جليس من جالسني**»[١] إشارة الى هذه الخلوة القلبية التي تعدُّ أفضل الخلوات، وسائر الخلوات مقدمةٌ لحصولها.

فمن اتّصف بكافة مراتب التقوى، سلم دينُه وعقله وروحه وقلبه وجميع قواه الظاهرة والباطنة وسلم منه حفظته والموكلون به، فلا يملّونه ولا يضجرون ولا يستوحشون منه، وستجري معاملاته ومعاشراته مع الصديق والعدوّ على نحو السلامة، بل إن جذور العداوة ستنقلع من قلبه تماماً حتى لو عاداه الناس.

أما مَن لا تتحقق فيه جميع مراتب السلامة، فسيحرم من فيض «السلام» وسيكون الى أفق النفاق أقرب بمقدار حرمانه من السلامة، نعوذ بالله. والسلام.

(١) المواهب السنيّة: ص٧٧ والمحجة البيضاء: ج٨، ص٥٨.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

خاتمة الكتاب

مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الأول

التسبيحات الأربعة

في بعض اسرار وآداب التسبيحات الأربعة في الصلاة الثلاثية والرباعية.

الركن الأول «التسبيح»: وهو التنزيه لله عن التوصيف، وذلك بالتحميد والتهليل، وهو من المقامات الشاملة، التي يجب على العبد السالك الالتفات اليها في جميع عباداته، والحفاظ على قلبه من ادّعاء وصف الحق والثناء عليه، فلا يتوهمن بأن من الممكن للعبد القيام بحق العبودية فضلاً عن القيام بحق الربوبية، فهذا ما انقطعت عنه آمال الاولياء الكُمّل وقصرت عن الوصول الى أذياله طموحات كبار اصحاب المعرفة «إجمع الشباك، فالعنقاء لن تكون صيداً لأحد»[1]، ولهذا تراهم يقولون: إن كمال معرفة اهل المعارف هو عرفانهم بعجزهم[2].

نعم، فلما كانت الرحمة الواسعة للحق جلّ وعلا شاملة لحالنا نحن العباد الضعاف، فقد سُمح لنا ـ نحن المساكين ـ بالخدمة نتيجة لتلك الرحمة الواسعة، وأذن لنا بالدخول في مثل هذا المقام المنزه الذي انحنت ظهور الكروبيين نتيجة

(١) مضمون صدر بيت شعري للعارف الشهير حافظ الشيرازي.

(٢) ورد معنى هذا القول في مناجاة العارفين وهي المناجاة الثانية عشرة من المناجاة الخمس عشرة المروية عن الامام السجادعليه السلام. راجع بحار الانوار: ج ٩٤، ص ١٥٠.

القرب منه، وهذا من اعظم تفضلات ونعم تلك الذات المقدسة، وولي النعمة على عباده.

ولا يعرف قدر هذه النعمة إلا اهل المعرفة والاولياء الكُمّل وأهل الله، وكلٌّ على قدر معرفته، اما نحن المحجوبين المتخلفين عن كلّ مقام ومنزلة والمحرومين المنفيين عن كلّ كمال ومعرفة فغافلون عن هذه النعمة تماماً. نعتبر الأوامر الإلهية مشقة وتكليفاً ونؤديها بضجر وكسل، والحال انها في الحقيقة اسمىٰ النعم العظيمة اللامتناهية. فنحن محرومون ومحجوبون عن نورانيتها تماماً.

وتجدر الاشارة الى أنّه ولمّا كان «التحميد» و«التهليل» متضمنين للتوحيد الافعالي المنطوي على شائبةٍ من التحديد والتنقيص، بل شائبةٍ من التشبيه والتخليط، فعلىٰ العبد السالك، ولأجل الإعداد للدخول فيه أن يتحصن بحصن التسبيح والتنزيه الحصين، ثم الدخول بعد ذلك فيه، وأن يُفهم قلبه بأنّ الحق جلت عظمته منزّهٌ عن التعينات الخلقية وعن التلبُّس بملابس الكثرات، لكي يتنزه دخوله في التحميد عن شائبة التكثير.

الركن الثاني «التحميد»: وهو مقام التوحيد الافعالي الذي يناسب حالة القيام والقراءة ايضاً. من هنا فإن هذه التسبيحات تقوم مقام سورة «الحمد» المباركة، والمصلي مخيّرٌ بين الإتيان بالتسبيحات او قراءة سورة «الحمد» محلّها.

وكما تقدم في تفسير سورة «الحمد»، فإننا نستعيذ بالتوحيد الافعالي من حصر الحمد بالحق تعالى بالكامل، وحرمان العباد من ان يكون لهم ايّ نصيبٍ في المحامد بشكلٍ تام. وإيصال ﴿هو الاول والآخر والظاهر والباطن﴾[1] الى سامعة القلب، وإذاقة الروح حقيقة ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمىٰ﴾[2]، وسحق العُجب وحب النفس تحت قدم السلوك، لايصال النفس الى مقام التحميد

(١) الحديد: ٣.

(٢) الانفال: ١٧.

واستنقاذ القلب من الخضوع لمنّة الخلق.

الركن الثالث «التهليل»: وله مقامات، منها: مقام نفي الالوهية الافعالية، وهو التعبير الآخر لـ«لا مؤثر في الوجود إلا الله» وهو تأكيدٌ لحصر «التحميد» بل لعله سبب الحصر وعلّته، لأن مراتب الوجودات الإمكانية هي ظلٌّ حقيقة وجود الحق جلّت قدرته والربط المحض، فليس لأيٍّ منها ايٌّ شكلٍ من الاستقلال والقيام بذاتها، ولهذا لا يمكن أن ينسب لها التأثير الإيجادي بأيّ نحوٍ كان، لأن التأثير يستلزم الاستقلال الإيجادي وهذا بدوره يستلزم استقلال الوجود.

وبعبارة أهل الذوق، فإن حقيقة الوجودات الظلّية، هي ظهور قدرة الحق في المرائي الخلقية، ومعنى «لا إله إلا الله» مشاهدة فاعلية وقدرة الحق في الخلق ونفي التعينات الخلقية وإفناء مقام فاعلية الوجودات الظلّية وتأثيرها في الحق.

ومنها: مقام نفي ايّ معبود غير الحقّ فـ«لا إله الا الله» تعني لا معبود سوىٰ الله. فمقام «التهليل» هو نتيجة مقام «التحميد»، لأن المحامد اذا حُصرت بذات الحق المقدسة فإن العبودية تلقي برحلها ايضاً في هذا المقام المقدّس، وتنتفي جميع اشكال عبودية الخلق للخلق، فهي جميعاً ناتجة عن رؤية المحمدة، ويصبح الحق تعالىٰ وحده هو المعبود وتتحطم جميع الاوثان. وللتهليل مقامات اخرىٰ لا يناسب المقام ذكرها.

الركن الرابع «التكبير»: وهو تكبير لله ايضاً عن التوصيف. وكأن العبد في بداية وروده في «التحميد» و«التهليل» قام بتنزيه الحق عن التوصيف، وبعد الفراغ من ذلك يقوم بالتنزيه والتكبير عن التوصيف ليكون تحميده وتهليله محفوفين بالاعتراف بالتقصير والتذلل.

وقد يكون «التكبير» في هذا المقام تكبيراً لله عن «التحميد» و«التهليل»، لما فيهما من شائبة الكثرة كما تقدم ذكره.

ولعلّ في «التسبيح» تنزيهاً عن «التكبير»، وفي «التكبير» تكبيراً عن التنزيه أيضاً لكي تسقط ادعاءات العبد بالكامل، ويتمكن من التوحيد الافعالي، ويصبح

مقام القيام بالحق مَلَكَةً في قلبه ويخرج من «التلوين» وتحصل له حالة «التمكين».

وعلى العبد السالك أن يسعىٰ ـ في هذه الأذكار الشريفة وهي روح المعارف ـ الى تحصيل حالة التبتل والتضرع والانقطاع والتذلل في قلبه، وجعل باطن القلب تجسيداً للذكر، وذلك من خلال كثرة المداومة، فيجعل حقيقة الذكر ـ من خلال ذلك ـ متمكنة من باطن القلب لكي يتلبس الاخير بلباس الذكر، ويخلع لباسه وهو لباس البعد.

وعندها يصبح القلب إلهياً حقانياً وتتحقق فيه حقيقة وروح ﴿إنّ الله اشترىٰ من المؤمنين انفسهم﴾[1].

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) التوبة: ١١١.

في آداب بعض الأمور الداخلة في الصلاة والملحقة بها

الفصل الثاني

في آداب القنوت القلبية

اعلم ان «القنوت» من المستحبات المؤكّدة، بل انه مما يجب عدم تركه، والاحتياط في الإتيان به، لأن البعض من الاصحاب قالوا بوجوبه، وظاهر بعض الروايات هو الوجوب، وإن كان الاقوىٰ ـ في الصناعة الفقهية ـ عدم الوجوب، كما اشتهر بين العلماء الاعلام.

و«القنوت» بالكيفية المتعارفة بين الامامية (رضوان الله عليهم)، متقوّم برفع اليدين بمحاذاة الوجه وبسط باطن الكفين باتجاه السماء وقراءة الادعية المأثورة وغير المأثورة، ويجوز الدُعاء بأيّة لغة كانت، سواء العربية او غيرها، وان كان الدعاء بالعربية احوط وأفضل.

ويقول الفقهاء بأن دعاء «الفرج»[1] هو افضل الادعية للقنوت، إلا أني لم اعثر على دليل فقهيّ يُعتدّ به على هذه الافضلية، ولكنّ مضمون الدعاء يدلُّ على تمام فضيلته، فهو يشتمل على التهليل والتسبيح والتحميد وهي روح التوحيد ـ كما تقدم بيانه ـ وهو يشتمل ايضاً على الاسماء الالهية الكبرىٰ مثل: الله ـ الحليم ـ الكريم ـ العليّ ـ العظيم ـ الربّ.

---

(١) راجع وسائل الشيعة: كتاب الصلاة ـ ابواب القنوت ـ الباب السابع ـ الحديث الرابع ومستدرك وسائل الشيعة: كتاب الصلاة ـ ابواب القنوت ـ الباب السادس ـ الحديث الرابع والتاسع.

وهو بعد ذلك يشتمل على ذكر الركوع وذكر السجود، وعلى اسماء الذات والصفات والافعال وعلى مراتب تجليات الحق جلّ وعلا. كما يشتمل على السلام على المرسلين ـ وان كان الاحتياط في تركه فالأقوىٰ جواز الإتيان به ـ كما انّه يشتمل على الصلوات على النبي وآله عليهم السلام.

اجمالاً، فكأن هذا الدعاء الشريف يشتمل ـ على اختصاره ـ جميع الوظائف الذكرية في الصلاة.

ويمكن إثبات أفضليته من اقوال الفقهاء (رضوان الله عليهم)، إمّا بواسطة «التسامح في ادلة السنن»[١] ـ وان كان في ذلك تأمل ـ او بالكشف عن دليلٍ معتبرٍ لا نرى أنه بلغ حدّاً يصبح معه مبنىً للإجماع عند المتأخرين.

ومن الادعية الشريفة ذات الفضيلة الكبيرة والتي تشتمل على آداب مناجاة العبد مع الحق وعلى تعداد العطايا الالهية الكاملة ـ فضلاً عن تناسبه بصورة تامة مع القنوت وهي حالة المناجاة والانقطاع الى الحق ـ الدعاء الذي كان يواظب عليه أحد كبار المشايخ رحمه الله بشكل شبه دائمي، وهو دعاء **«يامن أظهر الجميل وستر القبيح...»** وهو من كنوز العرش، وهو هديّة الحق تعالىٰ لرسله عليهم السلام ـ كما ذكره الصدوق في كتاب التوحيد[٢] ـ ولكلّ فقرة من فقراته فضائل جمة وثواب عظيم.

والافضل في أدب العبودية ـ بالنسبة للعبد السالك ـ هو حفظ مقام الربوبية المقدس في حال القنوت ـ وهو حال مناجاة الحق والانقطاع إليه في خصوص الصلاة التي تعدُّ بكاملها اظهاراً للعبودية والثناء على الحق ـ وهو الباب الذي فتحه الحق جل وعلا لخصوص المناجاة والدعاء، فشرّف به العبد السالك بهذه

(١) «اذا ورد خبر ضعيف غير جامع لشرائط الحجيّة. فدلَّ على ترتب الثواب على فعل من الافعال. فلا اشكال في ترتب الثواب على ذلك الفعل اذا اتى به بقصد تحصيل ذلك الثواب او برجاء احتمال المطلوبية». اصطلاحات الأصول ومعظم ابحاثها ـ ص١٨٩. راجع كذلك بحار الانوار: ج٢. ص٢٥٦. الاصول من الكافي: كتاب الايمان والكفر ـ باب من بلغه ثوابٌ من الله على العمل.

(٢) كتاب التوحيد للصدوق: باب اسماء الله تعالى ـ الباب ٢٩ ـ الحديث ١٤.

الكرامة. لذا لزمه ايضاً أن يراقب ادعيته فيه، فيحرص على أن تكون شاملة لتسبيح الحق وتنزيهه، متضمنة لذكره تعالى وأن تكون الاشياء التي يطلبها من الحق في هذه الحالة الشريفة، من سنخ المعارف الالهية وطلب فتح باب مناجاته والأنس به والخلوة والانقطاع إليه، وعليه أن يجتنب طلب الدنيا والامور الحيوانية الدنية والشهوات النفسانية فلا يخزي نفسه في محضر الاطهار ويهينها في محفل الابرار.

واعلم يا عزيزي بأن القنوت هو تطهير اليد عن الامتداد الى غير الحق، والسعي لاستحصال الإقبال التام على عزّ الربوبية، ومدّ يد الاستجداء الخالية الى حضرة الغني المطلق، وبحالةٍ من الانقطاع يكون الحديث معها عن البطن والفرج أو ذكر الدنيا غاية النقصان وتمام الخسران.

عزيزي، مادمت الآن بعيداً عن وطنك محتجزاً عن مجاورة الأحرار أسير مركز الظلمات المحفوف بالآلام والمحن، فلا تتقوقع على نفسك مثلما تفعل بنفسها دودة القزّ.

لقد خمّر الله الرحمن فطرتك يا عزيزي بنور المعرفة ونار العشق المؤيدة بأنوار الانبياء وانوار الاولياء العاشقين، فلا تطفئ هذه النار بتراب ورماد الدنيا الدنيّة، ولا تكدّر ذلك النور بكدورة وظلمة التطلّع الى الدنيا وهي دار الغربة، فعسى ان يأتيك ـ إن أنت توجهت صوب وطنك الاصلي وطلبت من الحق أن يحقق لك الانقطاع اليه تعالى، وعرضت في حضرته حالة بعدك وحرمانك واظهرت له انقطاع حيلتك وبؤسك ومحنتك بقلب منكسر ـ فعسى أن يأتيك مدد غيبيّ ومعونة باطنيّة تجبر نقائصك «إذ من عادته الإحسان ومن شيمته التفضل».

ويناسب كثيراً ـ والحال هذه ـ ان تقرأ في قنوتك ـ بحالة من الاضطرار والتضرع لا بقلب ميت كما هو حالي ـ فقراتٍ من المناجاة الشعبانية لإمام المتقين وأمير المؤمنين وأولاده المعصومين عليهم السلام، خاصة قوله «إلهي هبْ لي

كمال الانقطاع اليك...».

إجمالاً، فإن مقام القنوت ـ برأيي ـ كمقام السجود، ففي حين يمثل السجود حالة توجّه وإقبال بذلّ العبودية وتذكر مقام الربوبية، فإن مقام القنوت يمثل إقبالاً على عزّ الربوبية، وتذكر عجز وذلّ العبودية، وهذا بحسب مقام المتوسطين.

اما بحسب مقام الكُمّل، فإنّ «القنوت» هو مقام الانقطاع الى الحق وترك الاعتماد على الغير، وهو روح مقام التوكل، مثلما أنّ السجود هو مقام فناء العبد وترك الغير والغيرية.

عموماً، فما دام «القيام» هو مقام التوحيد الافعالي، وما دام العبد السالك سيتمكن من هذا التوحيد في الركعة الثانية، فإنه سيعطي ثمرته في القنوت، وذلك بأن يحمل العبد (طاقية) الاستجداء على باب جناب الحق، وينقطع عن الخلق ويفرّ منهم.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الثالث

في التعقيب

التعقيب من المستحبات المؤكدة، بل إنّ تركه مكروه، ويشتدّ تأكيده في صلاتي الصبح والعصر.

والتعقيبات المأثورة كثيرة، منها التكبيرات الاختتامية الثلاثة، التي يواظب المشايخ العظام على رفع اليدين فيها الى محاذاة الاذن وبسط الكفين بحيث يكون باطنها مقابلاً للقبلة، كما هو الحال في التكبيرات الافتتاحية.

ويصعب إثبات هذا الأمر وإنْ كان من الممكن استفادة رفع اليدين ثلاث مرات من بعض الروايات، ولعلّه يكفي رفع اليد مرة واحدة وتكرار التكبير ثلاث مرات، ثم قراءة دعاء «لا إله الا الله وحده وحده...»[1].

ولعل استحباب رفع اليدين بالكيفية التي يواظب عليها المشايخ، بهدف تمكين تلك الأسرار التي اشرنا اليها أو طرداً من العابد لصلاته وعباداته حَذَر تسرب العجب الى القلب.

وقد تكون التكبيرات الثلاث إشارةً الى تكبير الحق عن التوحيدات الثلاثة التي تتقوم بها روح الصلاة بأكملها. وعليه فالأدب القلبي لهذه التكبيرات، يكمن

(١) وسائل الشيعة: كتاب الصلاة ـ ابواب التعقيب ـ الباب الثاني عشر ـ الحديث الثاني.

في طرد أحد التوحيدات الثلاثة في كل مرة تُرفع فيها اليدين، وتكبير الحق جلّ وعلا عن توصيفاته وتوحيداته، وعرض العابد لعجزه وذلته وقصوره وتقصيره في محضر القدس جل وعلا.

وقد ذكرنا الاسرار المعنوية لهذه التكبيرات ولرفع اليدين في رسالة «سرّ الصلاة» بنحو لطيف ـ كما هو ديدننا في تلك الرسالة، الأمر الذي كان من ألطاف الحق تعالىٰ عليّ أنا المسكين، فله الحمد والشكر ـ.

ومن التعقيبات الشريفة ايضاً، تسبيحة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، التي علّمها اياها رسول الله صلى الله عليه وآله. فهي من افضل التعقيبات، فقد ورد في الحديث: «... **لو كان شيءٌ أفضل منها لنحلهُ رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام** »[١].

وروي عن الامام الصادق عليه السلام قوله: «**تسبيح فاطمة عليها السلام في كلّ يومٍ في دُبُرِ كلِّ صلاة أحبُّ إليّ من صلاة الف ركعة في كل يوم**»[٢].

والمعروف بين الاصحاب في ترتيب هذه التسبيحة هو: «التكبير» أربع وثلاثون، و«التسبيح» ثلاثٌ وثلاثون، و«التحميد» ثلاث وثلاثون ايضاً، وبالترتيب اعلاه، ولا يبعد ان يكون هذا النحو من الترتيب هو الافضل لا المتعيّن، فالانسان مخيّرٌ في تقديم «التسبيح» على «التكبير»، إلا أن الأفضل والأحوط الالتزام بالترتيب المشهور.

والآداب القلبية لتسبيحة الزهراء عليها السلام هي نفسها المذكورة في «التسبيحات الأربع» مع إضافة ما يرتبط بكون هذه الاذكار الشريفة واردةً بعد الصلاة، وتسبيحها تكبيرٌ وتنزيةٌ عن قيام العبد بحقّ العبودية، بل تنزيه وتكبير ايضاً عن لياقة العبد للعبادة في المحضر المقدّس، وكذلك التنزيه والتكبير عن المعرفة ـ وهي غاية العبادة ـ.

---

(١) الفروع من الكافي: كتاب الصلاة ـ باب التعقيب بعد الصلاة والدعاء ـ الحديث ١٤.

(٢) وسائل الشيعة: كتاب الصلاة ـ ابواب التعقيب ـ الباب التاسع ـ الحديث الثاني. وثواب الاعمال: ص ١٤٩.

فعلى العبد السالك ان يتفكر قليلاً - خلال تعقيب الصلاة - في نقصه وفي عبادته وفي أشكال غفلته وهو في حال الحضور، والذي هو بحدّ ذاته ذنبٌ في دين العشق والمحبة.

وعليه ايضاً ان يلتفت الى حرمانه من حظوظ الحضور والمحضر المقدس للحق جلّ جلاله، فيجبر هذا الحرمان بالمقدار المتيسر في التعقيبات وهي بحدٍّ ذاتها فتحٌ لباب أخرى من رحمة الحق تبارك وتعالى، فعليه ان يوصل هذه الاذكار الشريفة الى قلبه ويحييه بها عسى ان تكون عاقبته الحسنى والسعادة.

وعليه أن يثبت في «تحميد» تسبيحة الصديقة الزهراء عليها السلام محمدة القيام بالعبودية للهوية الالهية، ويعتبرها ويراها من توفيق وتأييد الذات المقدسة وبحولها وقوتها. كما أن عليه أن يوصل حقائق هذه الأمور الى سرّ القلب، ويذيق الفؤاد سرَّ هذه اللطائف لكي يُحيي القلب بذكر الحق، ويكسبه الحياة الخالدة حقاً.

ولما كان الصبح افتتاحاً للاشتغال بالكثرات والدخول في الدنيا، حيث يواجه الانسان خطر الانشغال بالخلق والغفلة عن الحق، أضحى من الخير للانسان السالك اليقظ أن يتوسل بالحق تعالى وينقطع اليه - في تلك الفترة الحسّاسة - قبل أن يدخل خضمّ الظلمة المعتمة.

ولمّا كان السالك لا يرى نفسه وجيهاً بذلك المحضر الشريف، لزمه أن يتوسل بأولياء الأمر وخفراء الزمان وشفعاء الإنس والجان - الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام - فيجعل تلك الذوات الشريفة شفعاءه ووسطاءه.

ولكلّ يوم خفير ومجير، فالسبت: لرسول الله صلى الله عليه وآله، والأحد: لأمير المؤمنين عليه السلام والاثنين: للإمامين السبطين الهمامين عليهما السلام، والثلاثاء: للسجاد والباقر والصادق عليهم السلام، والأربعاء: للكاظم والرضا والتقي والنقي عليهم السلام،

والخميس: للعسكري، والجمعة: لولي الأمر(عجل الله فرجه الشريف)(١).

عليه، صار من المناسب للعبد السالك أن يتوسّل عُقيب صلاة الفجر بخفير أو خفراء ذلك اليوم، للدخول في هذا البحر الظلماني المهلك والفخ الشيطاني المخيف، فيطلب من الحق تعالىٰ ـ بشفاعتهم وهم المقربون في حضرة القدس وأمناء سرّ خلوة الأنس ـ دفع شرّ الشيطان والنفس الأمارة بالسوء، جاعلاً إياهم عليهم السلام وسطاءه في قبول وجبران العبادات الناقصة والمناسك غير اللائقة.

ولا ريب ان الحق تعالىٰ شأنه ـ ومثلما جعل محمداً صلى الله عليه وآله وعترته عليهم السلام وسائط هدايتنا وأنقذ الأمّة ببركاتهم من الضلالة والجهل ـ سيتفضّل بسدّ قصورنا وإتمام نقصنا وقبول طاعاتنا وعباداتنا ـ وهي لاشيء ـ وذلك ببركة التوسّل والاستشفاع بهم عليهم السلام إنّه وليّ الفضل والإنعام.

والتعقيبات المأثورة مذكورة في كتب الادعية، فليختر منها كلٌّ بما يناسب حاله، ويُتِمّ هذا السفر الشريف بالخير والسعادة.

---

(١) راجع الخصال: ج ٢، ص ٣٩٤ (الباب السابع) وعنه بحار الانوار: ج ٢٤، ص ٢٣٩.

ختمٌ ودعاء

كان من المناسب إتمام هذه الرسالة بذكر الموانع المعنوية للصلاة، كالرياء والعُجب وأمثالها، غير أني أعتذر عن القيام بهذه الخدمة، معللاً اعتذاري بإيراد شرحٍ لهذه المواضيع في كتاب «الأربعين» في سياق بيان بعض الاحاديث، مضافاً الى كثرة المشاغل وتشتت القوىٰ الفكرية.

لذا أختتم هذه الرسالة بتقديم اعترافي بالنقص والتقصير بطلب العفو عن الخطأ من ارباب النظرة النقية، وإني لمحتاجٌ الى انفاسهم الكريمة ودعائهم لي بالخير.

إلهنا، أنت الذي ألبستنا ـ نحن العباد الضعاف ـ خلعة الوجود دون سابقة من خدمة او طاعة، ودون حاجة منك لعبادتنا او طاعتنا، بل تفضلاً ولطفاً محضاً منك ورحمةً وكرماً، فشرفتنا بأنواع النعم المعنوية والجسمانية وأصناف الرحمة الباطنية والظاهرية، دون أن يشكّل عدمنا أيّ خلل في قدرتك ودون أن يضيف وجودنا شيئاً لعظمتك وهيبتك.

فما دمت قد تفضلت علينا وغمرتنا بنبوع رحمانيتك وتألّقت شمس جمالك الجميل، فاجعلنا مستغرقين في بحار الرحمة مستضيئين بأنوار الجمال... فأجبر نقائصنا وكفّر خطايانا ومعاصينا وأقل عثراتنا وتقصيراتنا بنور التوفيق الباطني والمعونة والهداية السريّة.

وحرر قلوبنا المملوءة تعلقاً بالدنيا، وزيّنها بالتعلق بعزّ قدسك.

اللهم... إن طاعاتنا ـ نحن اللاشيء ـ لا تزيد في ملكك شيئاً، كما أن معاصينا لا تنقص من مملكتك شيئاً، وإنّ عذاب العاصين لا ينفعك شيئاً وعفوك ورحمتك بالمعدمين لا ينقصان قدرتك شيئاً.

وإنّ «العين الجامدة» للمخطئين تطلب رحمتك، وفطرة الناقصين تطلب الكمال، فعاملنا اللهم بلطفك العميم وتفضل بالإغضاء عن سوء استعدادنا.

«الهي إنْ كنتُ غير مستأهل لرحمتك فأنت أهلُ أن تجود عليَّ بفضل سعتك...

إلهي هب لي كمال الانقطاع اليك وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتى تخرق أبصار القلوب حُجب النور، فتصل الى معدن العظمة»[1].

تمّ كلامنا ـ بتقدير الله جلّ وعلا ـ حامدين شاكرين له تعالى على نعمائه، ومصلّين على محمد وآله الطاهرين، وذلك، يوم الاثنين، الثاني من ربيع الثاني سنة ألف وثلاثمئة وإحدى وستين للهجرة.

اللهم لك الحمد على تشريفنا بالنظر في هذا النور الرباني الرحيم.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

(١) فقرة من المناجاة الشعبانية. تجدها كاملة في بحار الانوار: ج ٩١، ص ٩٩.

الفهرست

المقدمة ١٧

المقالة الأولى

الآداب الضرورية لجميع حالات الصلاة بل لجميع المناسك والعبادات

الفصل الأوّل

عزّ الربوبية وذلّ العبودية ٢٣

الفصل الثاني

مراتب مقامات أهل السلوك ٢٧

الفصل الثالث

الخشوع ٣١

الفصل الرابع

الطمأنينة ٣٧

الفصل الخامس

حفظ الأعمال من تصرّف الشيطان ٤١

الفصل السادس

الإقبال ٤٥

الفصل السابع
التفهيم ٥١
الفصل الثامن
حضور القلب ٥٥
الفصل التاسع
نفحةٌ من أحاديث أهل البيت عليهم السلام المرغّبة في حضور القلب ٦٣
الفصل العاشر
السعي في تحقيق حضور القلب ٦٧
الفصل الحادي عشر
علاج عبثية الخيال وفراريته لتحصيل حضور القلب ٧١
الفصل الثاني عشر
حبُّ الدنيا سبب في تشتت الخيال ٧٥
مسك الختام ٨٠

المقالة الثانية
مقدمات الصلاة وبعض آدابها القلبية
ـ المقصد الأول ـ
الطهارة

الفصل الأول
في الطهور اجمالاً ٨٧

الفصل الثاني
مراتب الطهور ٩٣
الفصل الثالث
آداب السالك القلبية عند التوجه نحو التطهّر بالماء ٩٧
الفصل الرابع
الطهور ١٠٣
الفصل الخامس
نفحة من آداب الوضوء الباطنية والقلبية ١٠٧
وصل ١١٠
الفصل السادس
الغسل وآدابه القلبيّة ١١٣
الفصل السابع
جانب من الآداب الباطنية المتعلقة بإزالة النجاسة والتطهّر من الخبائث ١١٧
وصل ١٢٤

- المقصد الثاني -
جانب من آداب اللباس

المقام الأول
آداب مطلق اللباس ١٢٩
المقام الثاني
آداب لباس المصلّي ١٣٥

الباب الأول
سرّ طهارة اللباس ١٣٥
الباب الثاني
الاعتبارات القلبية لستر العورة ١٤١
وصل ١٤٥

ـ المقصد الثالث ـ
الآداب القلبية فيما يتعلق بمكان المصلي

الفصل الأول
معرفة المكان ١٤٩
وصل ١٥٣
الفصل الثاني
بعض من آداب إباحة المكان ١٥٧

ـ المقصد الرابع ـ
الآداب القلبية للوقت

الفصل الأول
طوائف اهل المعرفة واوقات العبادة ١٦١
الفصل الثاني
المواظبة على حفظ المواقيت ١٦٥

ـ المقصد الخامس ـ

طرف من آداب استقبال القبلة

الفصل الأول

في سرّ الاستقبال اجمالاً ١٧١

الفصل الثاني

بعض من آداب الاستقبال القلبية ١٧٣

وصل ١٧٧

المقالة الثالثة

مقارنات الصلاة

الباب الأول

بعد آداب الاذان والاقامة

الفصل الاول

سرّ الاذان والاقامة اجمالاً وبعض آدابهما العامة ١٨٣

الفصل الثاني

في بعض آداب واسرار تكبيرات الاذان والاقامة ١٨٩

الفصل الثالث

في بعض آداب الشهادة بالالوهية وبيان ارتباطها بالاذان والإقامة ١٩٥

تنبيه عرفاني ١٩٨

وصل ٢٠٠

الفصل الرابع

بعض الآداب المتعلقة بالشهادة بالرسالة وإشارة الى الشهادة بالولاية ٢٠٢

نكتة عرفانية ٢٠٨

فرع فقهي واصل عرفاني ٢١٠

الفصل الخامس

بعض آداب الحيعلة ٢١٣

وصل وتتميم ٢١٦

الباب الثاني

القيام

الفصل الأول

سر القيام على نحو الاجمال ٢٢١

الفصل الثاني

آداب القيام ٢٢٣

موعظة حسنة ٢٢٨

الباب الثالث

في سرّ النية وآدابها

الفصل الأول
حقيقة النية في العبادات ٢٣٥
الفصل الثاني
بعض آداب النيّة ٢٤١
الفصل الثالث
مجمل مراتب الاخلاص ٢٤٥
الفصل الرابع
منكرو المقامات وطوائفهم ٢٤٩
الفصل الخامس
بعض درجات الإخلاص الأخرى ٢٥٧

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الباب الرابع
نبذة من آداب القراءة ونفحةٌ من اسرارها
المصباح الأول
في الآداب العامة لتلاوة القرآن الكريم

الفصل الأول
أدب التعظيم ٢٦٧
الفصل الثاني
بيان مقاصد ومطالب ومحتويات الكتاب الالهي الكريم ٢٧٣
الفصل الثالث
القرآن كتاب تعليم وإفادة ٢٨٣

الفصل الرابع
إزالة الحجب المانعة من التعلّم ٢٨٧
الفصل الخامس
التفكّر ٢٩٧
الفصل السادس
التطبيق ٣٠١
خاتمة ٣٠٥

المصباح الثاني
آداب تلاوة القرآن

الفصل الأول
آداب القراءة في الصلاة ٣١١
تتمة ٣١٨
الفصل الثاني
آداب الإستعاذة ٣٢١
تتمة ونتيجة ٣٢٩

الفصل الثالث
أركان الاستعاذة ٣٣١
١ ـ المستعيذ ٣٣١
٢ ـ المستعاذ منه ٣٣٣

٣ ـ المستعاذ به ٣٣٥
٤ ـ المستعاذ لاجله: يعني غاية الاستعاذة ٣٣٦
الفصل الرابع
آداب التسمية ٣٣٩
الفصل الخامس
تفسير سورة «الحمد» المباركة ونبذة من آداب التحميد والقراءة ٣٤٧
تحقيق عرفاني ٣٥٥
بحثٌ وتحصيل ٣٥٧
نقلٌ وتحقيق ٣٦٥
تتميم ٣٦٨
تنبيه ٣٧٣
تنبيه آخر ٣٧٥
ايقاظ إيماني ٣٧٩
تحقيق حَكَميٌّ ٣٨٦
إلهامٌ عرشيٌّ ٣٩٠
تنبيه عرفاني ٣٩٢
تنبيه لغوي ٣٩٤
تنبيه إشراقيّ ٣٩٧
تحقيق عرفاني ٣٩٩
تنبيه ونكتة ٤٠١
فائدة عرفانية ٤٠٢
إيقاظٌ ايمانيّ ٤٠٤
فرعٌ فقهيّ ٤٠٥
فائدة ٤٠٧

تنبيه اشراقي وإشراق عرفاني ٤١٢
تنبيه ايماني ٤١٤
تنبيه عرفاني ٤١٨
توضيح ٤٢٠
خاتمة ٤٢٣
تتمة ٤٢٦
الفصل السادس
نفحة من تفسير سورة «التوحيد» المباركة ٤٢٩
تنبيه حكمي ٤٣٦
تنبيه عرفاني ٤٣٨
تفسير حكمي ٤٤٢
حكمة مشرقية ٤٤٤
تتمة ٤٤٥
خاتمة ٤٤٧
الفصل السابع
نفحة من تفسير سورة «القدر» المباركة بما يناسب هذه الرسالة ٤٤٩
تنبيه عرفاني ٤٦٥
تتمة ٤٦٦
تنبيه عرفاني ٤٧٢
تنبيه عرفاني ٤٨٠
خاتمة ٤٨١
اعتذار ٤٨٢

الباب الخامس
نبذة من آداب الركوع واسراره

الفصل الأول
التكبير قبل الركوع ٤٨٧
الفصل الثاني
في آداب الانحناء الركوعي ٤٨٩
الفصل الثالث
التسبيح والتعظيم والتحميد ٤٩١
الفصل الرابع
لطائف الركوع والسجود ٤٩٣
الفصل الخامس
في رفع الرأس من الركوع ٤٩٥

الباب السادس
اشارة اجمالية الى اسرار السجود وآدابه

الفصل الأول
سر السجود اجمالاً ٤٩٩
الفصل الثاني
آداب السجود ٥٠١

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

الفصل الثالث

التسبيح ٥٠٣

الفصل الرابع

الذكر في السجود ٥٠٧

الباب السابع

اشارة اجمالية الى آداب التشهد

الفصل الأول

الشهادة بالوحدانية ٥١١

الفصل الثاني

التشهد ٥١٣

الباب الثامن

في آداب السلام

الفصل الأول

السلام ٥١٩

الفصل الثاني

معنى السلام ٥٢١

خاتمة الكتاب

في آداب بعض الأمور الداخلة في الصلاة والملحقة بها

الفصل الأول

التسبيحات الاربعة ٥٢٧

الفصل الثاني

في آداب القنوت القلبية ٥٣١

الفصل الثالث

في التعقيب ٥٣٥

ختمٌ ودعاء ٥٣٩

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي